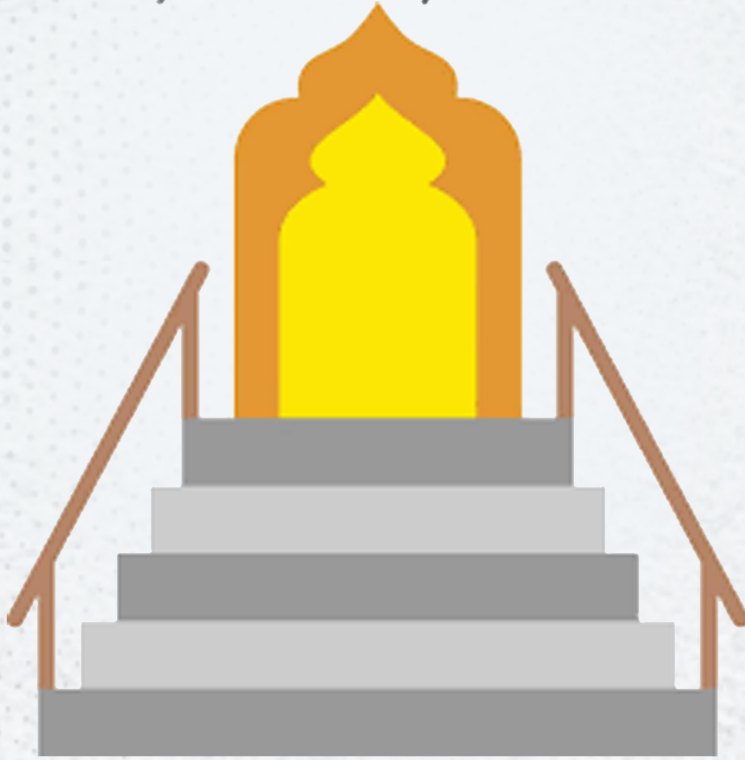


سلسلة

الخِطَابُ الْمَدِينِيّ

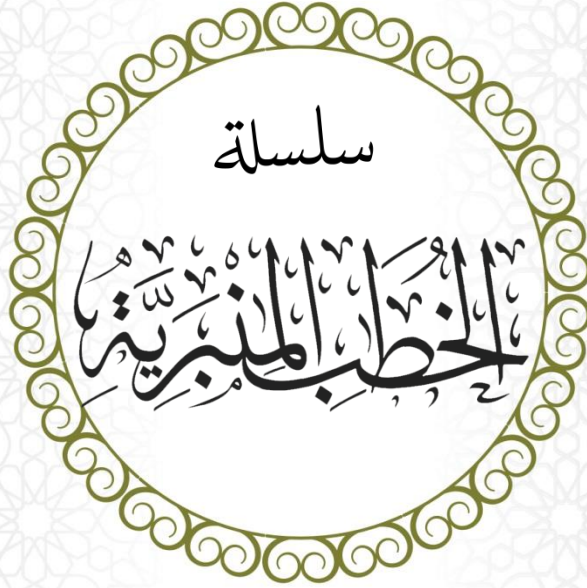


تأليف

أبي حنيفة يحيى بن حسن حاشي

سلسلة
الخطيب المنبري





تأليف

أبي حنيفة يحيى بن الحسن جاشنق



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، صلى الله وبارك عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد :

فإن الدعوة إلى الله هي شرفٌ واصطفاء، يصطفي الله بها من عباده من يشاء، وحسبها شرفاً أنها وظيفة قادة الأمم من الأنبياء والخلفاء، ومن شاكلهم من الصالحين والعلماء؛ فلا أحسن كلاماً، ولا أشرف عملاً ومقاماً ممن دعا إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَعَمَلٌ صَالِحًا ﴿۲۲﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿۲۳﴾**.

فالدعوة إلى الله هي التجارة الرباحة، وهي الحياة الهادفة الناجحة؛ لأن الداعي إلى الله كالغيث، أينما حل نفع، وحيثما كان أصلح وانتفع.



فكم هدى الله أمما بسبب دعاة أقاموا فيها، وبخطباء هزت خطبهم مشاعر سامعيها! فكم من قرية كانت ميتةً بعدها عن ربها؛ فأحياها الله بداعية نزل بها، أو عالم أقام فيها! وكم من قبيلة اشتد عداؤها، وسالت دماءها؛ فألف الله بين قلوبها بداعية إلى الله ذكَّرها ووعظها، ورغبها ورهبها؛ فأصلح الله به ما عجز غيره عنه. فلا عجب أن يكون العلماء، والدعاة إلى الله ورثة أنبياء الله في أرضه، وصفوته من عباده الذين اصطفاهم من بين خلقه.

ولقد اهتم العرب بالخطابة قبل الإسلام، وأولوها بالغ الرعاية والاهتمام، حتى كانت القبيلة تنتخب من أفضالها من تجعله شاعراً وخطيباً لها؛ يفاخر بها، ويدافع عنها، وتعدّه أشد نكاية بعدوها من قوتها وسلاحها!

فلذلك كانت بداية منطلق رسالة الإسلام في وقوفه وخطبته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بل إن الخطابة وسلاح الكلمة، كانت وسيلة خيار البشرية من المرسلين، ومهمة أعمال الصفوة من الخلفاء الراشدين، والصحابة والتابعين، بل إن معجزة الإسلام الكبرى هي في القرآن الذي يتلى، والبيان الذي يلقي، كما قال المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

فلا عجب إذن أن يجعل الإسلام الخطابة، وإلقاء الكلمة، من أعظم المهام، ويوليها بالغ الرعاية والاهتمام، ويجعلها معلما بارزا من معالم شريعة الإسلام. ومن هنا كان رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يعرف قدرها، ويجعل المنبر لأجلها، ويرتب الأحكام عليها، ويجعلها من أعمال المناسبات، وما يحصل للكون من الاختلافات والتغيرات، ويجعل منها وسيلة نافعة، وفرصة سانحة لاستغلال التجمعات واللقاءات.

أدرك قدر الشعيرة الجليلة، وهذه الفرصة العظيمة بعض أعداء الإسلام، بما في ذلك خطبة الجمعة، فقال قائلهم: لن تستطيعوا أن تصرفوا المسلمين عن دينهم ما دامت خطبة الجمعة فيهم.

وقيل للينين: إن المسلمين معهم خطبة في رأس كل أسبوع؛ يجتمعون فيتكلم واحد منهم والباقون يستمعون. فقال: لو كانت هذه لي لحكمت بها العالم. لذلك ينبغي لخطيب الجمعة أن يستشعر أهمية هذه الفرصة التي هو فيها، وهذه اللحظات التي جمع الله له الناس فيها، حيث ألزمهم بالاستماع لكلامه، وحثهم على الدنو منه والتبكير لخطبته، بل وحكم على جمعتهم بالبطان إذا هم انشغلوا بمس الحصى عن موعظته، بل واستحب للحاضرين أن ينظروا إليه؛ ليستعينوا بذلك على فهمه وتدبر خطابه.



فحري بمن جعل نفسه في هذا المقام أن يولي خطبة الجمعة بالغ الرعاية والاهتمام، في الاعداد والتحضير والإلمام، وأن يتهيأ لها بروحه قبل جسده، ويستعد لجمهوره، كما يحب أن يستعد لجمهوره لحديثه وخطبته.

وقد بدا لي - بعد أن تكرر الطلب من بعض إخواني - وأنا أستشعر قدر هذه الشعيرة الجليلة، وأعرف ثواب هذه الغنيمة العظيمة، أن أجمع ما كنت أعده من خطب الجمعة التي كنت ألقياها، وأجتهد في إعدادها وتحضيرها، وذلك من خلال المساجد التي كنت أزورها، والمراكز التي أقمت فيها،

وأسميتها «سلسلة الخطب المنبرية»؛

لأجعل هذا العمل العظيم مشروع حياتي؛ وثمره ما قضيته من عمري وشبابي؛ ولكي أسعد بركته وخيره بعد مماتي، وأجعله زاداً لي في لحدي وبين يدي خالقي. لاسيما وأن هذا الجزء من هذه السلسلة سيوزع من قبل بعض المحسنين على مئات القرى ومساجدها، وسيكون وقفاً عليها، لينتفع به أهلها وخطبائها، فكم هي القرى التي تحتاج إلى خطيب يخطب فيها، وكم هي المساجد التي بغت الأعداء والأمراض خطبائها.

فتأتي هذه الخطب التي أوقفت على مساجدها؛ لتتخذ تلك المواقف المحرجة التي يعيشها أصحابها؛ وتملاً الفراغ الذي كان سيحصل في منبرها.

ومما ينبغي التنبه له في هذا الجزء الأول وغيره من هذه السلسلة المنبرية، أن كثيراً من خطبها قد لا يسمح وقت الخطبة - خاصة في بعض الأماكن - بعرضها كاملة على أهلها.

فعلى الخطيب أن يقرأ الخطبة قبل أن يلقيها؛ ليحذف ما رآه غير مناسب منها، أو يشير بقلمه على الفقرات التي يريد أن يتجاوزها.

والقصد من إطالتها لتكون زادا للخطيب ولغيره، ممن يريد أن يعد موضوعاً منها، أو يلقيها كاملة - في غير منبر الجمعة - لمن أراد سماعها والاستفادة منها.

ونسأل الله أن يكتب لها القبول عند من يقرأها ويسمعها، ويسر بإخراج بقية أجزائها، ويجعلها صدقة جارية لي وللمن ساهم في نشرها ووقفها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أبوحنيفة/ يحيى بن حسن يحيى بن حترش البعداني الإبي.

اليمن - إب

٧٧١٤٨٢٤٧٧





(لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر

الأمر محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المسلمين والمسلمات، لا يخفى علينا جميعاً ما يعيشه كثير من

المسلمين في بعد عن دين الله، من تفريط فيما أوجب الله، وتعدٍ لما نهى الله، فكم

هم أولئك الذين ينظرون إلى ما حرم الله! وكم هم أولئك الذين يؤذون عباد الله!

وكم هم أولئك الذين يأكلون ويشربون ما حرم الله! وكم هم أولئك الذين يتعاملون بالربا! كم هم أولئك الذين يعقون آباءهم، ويقطعون أرحامهم... وغيرهم كثير وكثير. وهؤلاء كلهم مع اختلاف جرائمهم، وتعدد معاصيهم؛ لا يزالون يعيشون تحت ظل دائرة الإسلام، الزناة والقتلة، والبغاة، وقطاع الطرق، هؤلاء كلهم مع عظم جرائمهم لا يزالون مسلمين، لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين.

وإني محدثكم اليوم عن أمر عظيم وفريضة من فرائض الله، بل هي عمود هذا الدين، من ضيعها فهو لما سواها أضيع، من تركها لم يقبل منه صيام ولا زكاة، ولا حج، ولا غير ذلك.

إني محدثكم عن عبادة عظم الله شأنها، وضاعف أجرها، وفرضها من فوق سماواته، وجعلها أول شيء يحاسب عليه الإنسان بعد حياته، إني محدثكم اليوم عن الصلاة التي هي عمود هذا الدين، والتي من تركها فقد انهدم دينه، وخرج من دائرة الإسلام، وصار أعظم جرم من الزاني والسارق ومدمن الخمر، بل قد انقطعت صلته بربه وخسر الدنيا والآخرة؛ ذلك هو الخسران المبين!

وأقسم بالله لولا السامة والملل لجعلنا حديثنا في كل جمعة، وعلى كل منبر عن الصلاة؛ لما لها من قدر عند الله، ولكثرة قطاع الصلاة الذين ما تُرى وجوههم في بيوت الله إلا في الجُمُعات، والمناسبات.



أيها المسلمون، لقد عظم الله من شأن هذه العبادة الجليلة، وفرضها على نبيه
بلا واسطة، وفي أعظم مكان، كما أمر بها أنبياءه ورسله، فقال تعالى مخاطبا نبيه
محمدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ
مُحَمَّدًا - وَالْعَقِيبَةُ لِلنَّقْوَى ﴾ [سورة طه: ١٣٢]، وقال مخبراً عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا
أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [سورة مريم: ٣١] وقال عن
إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ
دُعَاءَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة إبراهيم: ٤٠]، وقال عن إسماعيل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ
بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [سورة مريم: ٥٥] وقال أمرا نبيه موسى
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [سورة
[سورة طه: ١٤]، وخاطب بني إسرائيل بقوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ
إِلَّا اللَّهَ وَيَالِئِلَٰهِنَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ [سورة
البقرة: ٨٢].

ولقد رغب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أمته في الصلاة في غير ما موضع في حياته،
حتى وهو يودع أمته في آخر حياته؛ فقد كان يقول: «الصلاة الصلاة، وما ملكت

أيمانكم الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم!» (١)، وأخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هذه الصلاة هي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة؛ فلقد روى الترمذي وأبو داود، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله الصلاة؛ فإن صلحت فقد أفلح ونجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب عزَّ وجلَّ: انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من فريضته. ثم يكون سائر عمله على هذا» (٢).

وروى البخاري ومسلم رَحِمَهُمَا اللهُ عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟» - أي: من وسخه شيء -، قالوا: لا، قال: فكذلك مثل الصلوات الخمس؛ يمحو الله بهن الخطايا» (٣)..

وروى البخاري ومسلم، عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: إن رجلاً أصاب من امرأة قبله، فأتى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فأنزل الله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا

(١) رواه الحاكم في مستدرکه (٤٣٨٨).

(٢) رواه الترمذي (٤١٣).

(٣) رواه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧).



مَنْ أَلِيلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ أَلْسِنَاتٍ ذَٰلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكْرَيْنِ ﴿١١٤﴾ [سورة هود: ١١٤] فقال الرجل
ألي هذه يا رسول الله؟ - أي: نزلت فيّ خاصة-، أهي خاصة بي يا رسول الله؟
قال: «لجميع أمتي كلهم» (١).

وروى مسلم رَحِمَهُ اللهُ عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفارة لما بينهن، ما
لم تُغش الكبائر» (٢).

وروى مسلم رَحِمَهُ اللهُ عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها،
وخشوعها، وركوعها؛ إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم تؤت كبيرة،
وذلك الدهر كله» (٣).

نعم أيها الناس، إن الصلاة ماحية للخطايا، مكفرة للذنوب، إن الصلاة كما -
قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «جالبة للرزق، حافظة للصحة، رافعة للأذى، مقوية
للقلب، مبيضة للوجه، مفرحة للنفس، مذهبة للكسل، منشطة للجوارح، ممدة

(١) رواه البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣).

(٢) رواه مسلم (٢٣٣).

(٣) رواه مسلم (٢٢٨).

للقوى، شارحة للصدر، مغذية للروح، منورة للقلب، حافظة للنعمة، دافعة للنقمة، جالبة للبركة، مبعدة من الشيطان، مقربة من الرحمن؛ لأنها صلة به **عَزَّوَجَلَّ** وعلى قدر صلة العبد بربه، يفتح الله له من الخيرات أبوابها، ويغلق عنه من الشرور أسبابها»^(١).

نعم - والله - إن في الصلاة لنورًا في الوجه، وبركة في الرزق، وإن أردتم أن تعرفوا ذلك فانظروا في وجوه الذين لا يصلون؛ ترون الوحشة، ترون الظلمة، ترون الضيق في وجوههم. انظر إلى الذي لا يصلي تراه معرضا للحوادث، والأمراض، والمشاكل والهموم والغموم، تراه، وترى ماله منزوع البركة، لا تسمعه إلا وهو يشكو من ضيق الرزق، وعدم البركة في ماله أو مرتبه، أو عدم صلاح أولاده.

فالصلاة صلة بين العبد وربه، فإذا ترك الصلاة فقد قطع صلته بخالقه، فإذا تركت الصلاة - يا تارك الصلاة - فأبشر بالضيق، وأبشر بالضنك، وبكل ما يسوءك؛ لأنك إذا تركت الصلاة فقد انقطعت صلتك بالله **عَزَّوَجَلَّ** ومن فقد الله ماذا وجد؛ ومن وجد الله ماذا فقد؟!!

(١) زاد المعاد (٤/ ٣٥٤).



أيها المسلمون - عباد الله - كما رغب النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في الصلاة فقد رهب، وتوعد من تركها، بل وحكم بالخروج من دائرة الإسلام.

فقد دل الكتاب العزيز، والسنة النبوية على أن من ترك الصلاة فقد كفر كفرًا مخرجًا من الملة، فأما القرآن الكريم فيقول الله **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَآتُوا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾** [سورة التوبة: ١١]. ومفهوم الآية: أنهم إذا لم يفعلوا ذلك فليسوا إخوانا لنا في الدين. ولا تتفي الأخوة الدينية بالمعاصي ولو عظمت؛ ولكن تتفي بالخروج من دائرة الإسلام؛ نسأل الله السلامة والعافية!

وأما ما ورد من السنة المطهرة؛ فقد روى الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ** أن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قال: «إن بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة»^(١).

وروى أصحاب السنن، عن بريدة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ فمن تركها فقد كفر!»^(٢).

وأما أقوال الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** فقد قال الأواب عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** «لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة!»

(١) رواه مسلم (٨٢).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩).

وقال عبد الله بن شقيق رَحِمَهُ اللهُ: كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة»^(١). كيف لا وهي عمود هذا الدين، ولا يصلح البناء إلا بأعمدة؟! هذا من جهة الأثر، أما من جهة النظر الصحيح فهل يعقل، هل يعقل أن رجلاً مسلماً يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله؛ وهو لا يصلي؟! وهو قطاع الصلة بينه وبين الله؟! هل يعقل أن رجلاً أوجده الله، وخلقه من أجل عبادته ومع ذلك هو لا يصلي؟ هل يعقل أن رجلاً متعه الله بالصحة والعافية، ورزقه من حيث لا يحتسب، وهو لا يصلي؟! إذاً: من ترك الصلاة فقد كفر، ومن ترك الصلاة فلا حظ له في الإسلام، وإذا تبين أن تارك الصلاة قد كفر كفراً مخرجاً من الملة؛ فإنه يترتب عليه أحكام عدة، اسمعوها وعوها، وبلغوها، وبلغوها لأولئك الذين يعيشون - ولا ندري والله كيف يعيشون - حياة الضنك، والبؤس، والكآبة، وبلغوها لأولئك الذين يُدعون إلى السجود وهم سالمون، لأولئك الذين ما انحنت جباههم للسجود بين يدي الله، وقد متعهم

(١) رواه الترمذي (٢٦٢٢).



بأسماعهم وأبصارهم، وقد رزقهم الله من حيث لا يحتسبون ولم يخطر على بالهم!

أول هذه الأحكام: أنه لا يصح أن يُزوج، فإن زُوج وهو لا يصلي فالنكاح

باطل، ولا تحل له الزوجة؛ لقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذُكِرْتُمْوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ جِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾** [سورة الممتحنة: ١٠].

اسمع اسمع يا من تجعل المال، والجمال والحسب، والنسب الركن الأعظم، والمطلب الأول لمن تقدم لابتتك، وجاء يطلب فلذة كبدك، وتدقق عن تفاصيل حياته، وتهتم بعمله ومهنته، وإذا جئت إلى صلاته ودينه وعبادته قلت: سيهديه الله! سيصلحه الله! إلى غير ذلك من الكلمات التي تنبيك عن ضياع الرجولة والأمانة عند بعض الآباء، ومن لهم ولاية على النساء، والله المستعان. ألا فليسمع هؤلاء، وليسمع بعض الآباء، أن من زوج ابنته بتارك الصلاة؛ فقد ضيع الأمانة، نعم قد ضيع الأمانة التي حمَّله الله إياها، والتي في مطلعها الاهتمام بتربية الأبناء.

ثانياً: أنه إذا ترك الصلاة بعد أن عقد له؛ فإن نكاحه يفسخ، ولا تحل له

الزوجة؛ للآية التي سمعناها.

ثالثاً: أنه من ذبح وهو لا يصلي فإن ذبيحته لا تؤكل، ولو ذبح اليهودي أو النصراني فإن ذبيحته تؤكل. فتكون ذبيحة هذا الذي لا يصلي - والعياذ بالله - أخبث من ذبيحة اليهود والنصارى!

رابعاً: من ترك الصلاة فإنه لا يحل له أن يدخل مكة، أو حدود حرمها، لقوله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ [سورة التوبة: ٢٨].

خامساً: أنه لو مات أحد أقارب هذا الذي لا يصلي، فلا حق له في الميراث. فلو مات أبٌ وترك ابناً لا يصلي؛ فلا يحل له أن يأخذ من التركة شيئاً، لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حديث أسامة: «لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم»^(١).

سادساً: من مات وهو لا يصلي، فلا يحل لنا أن نغسله، وأن نكفنه، أو نصلي عليه، وندفنه في مقابر المسلمين، بل نحفر له حفرة، وندفنه بشيابه؛ لأنه لا حرمة له.

(١) رواه البخاري (٦٧٦٤)، ومسلم (١٦١٤).



سابعاً: أنه يحشر يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف، ولا يحل لأحد من أهله أن يدعو له بالرحمة والمغفرة؛ لأنه كافر لا يستحقها، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾** [سورة التوبة: ١١٣].

هذا هو حكم الدين في تارك الصلاة لرب العالمين، وهذا هو قول جماهير علماء المسلمين، هذا لنعلم عظيم قدر الصلاة، وأن الإنسان إذا لم يصل فليس له قدر ولا كرامة عند الله.

ألا فليسمع هذا الكلام من ابتعد عن بيوت الله، وفرط في عمود دين الله، فليسمع هذا الكلام كل من يتقلب في نعم الله، ولم يؤدِّ فريضة الله، فليسمع هذا الكلام كل من استرعاه الله علا رعيه، وجعل لهم أزواجاً، وذرية، ومع ذلك لا يصلون ولا يسجدون لرب البرية، فليعلموا أن الله سيسألهم عنهم، وسيحاسبهم على تقصيرهم في رعيتهم، الذين يعيشون معهم وكأن الأمر لا يعينهم، فليسمع هذا الكلام أولئك الذين أبعدهم المقاييل عن بيوت الله، وليسمع - كذلك - هذا الكلام الذين يفتحون بيوتهم ويجعلونها مقاييل لقطاع الصلاة، ومقرا للقليل والقال والطعن في أعراض المسلمين، ألا فلنسمع كلنا قول نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ فمن تركها فقد كفر!»** (١).

(١) رواه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩).

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ الصَّلَاةَ قَرَّةَ أَعْيُنِنَا، وَأَنْ يَعْينَنَا عَلَى عَمُودِ دِينِنَا، وَأَوَّلَ مَا نَحَاسِبُ عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِنَا، وَأَنْ يَجْعَلَ مِنَ الْمُحَافِظِينَ عَلَيْهَا فِي أَوْقَاتِهَا.

قَلْتُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.



(الخطبة الثانية)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وآله وأصحابه الشرفا، ومن تبعهم بإحسان مادامت الأرض والسما.

أيها المسلمون عباد الله، وبعد أن سمعنا ما سمعنا من خطر ترك الصلاة، وما يترتب على تركها من أحكام دينية ودنيوية، لا بد من وقفة أخرى، مع طائفة أخرى، هم أخف جرما، وأقل خطرا من تارك الصلاة، فيا ترى من هؤلاء؟ إنهم أولئك الذين يتخلفون عن حضور الجماعات، إنهم أولئك الذين يتقاعسون عن المساجد والصلوات، مع العلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنكر وتوعد، ورهب وهدد من يتخلف عن الجماعة أن يحرق عليه بيته في النار، فقد روى البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسي بيده لقد هممت أن أمر بحطب فيحطب، ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم أمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم!»^(١).

وفي رواية: «لولا ما فيها من النساء والصبيان».

(١) رواه البخاري (٦٤٤)، ومسلم (٦٥١)

وروى مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْهُ عن ابن مسعود - رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْهُ - قال: «من سره أن يلقي الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، وإن الله شرع لنبئكم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى. ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف» (١).

وروى مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْهُ عن أبي هريرة رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْهُ قال أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلٌ أعمى؛ فقال: يا رسول الله، ليس لي قائد يقودني إلى المسجد. فسأل رسول الله أن يُرخص له فيصلي في بيته؛ فرخص له. فلما ولى دعاه، وقال: «هل تسمع النداء؟» قال: نعم. قال: «فأجب» (٢).

يا ويل من يسمع النداء ولا يلبي داعي الله، يا ويل من يسمع (الله أكبر) (حي على الصلاة)، (حي على الفلاح) وهو بكامل صحته، وبسمعه وبصره، التي وهبه الله، ولم يستجب لنداء الله!

(١) رواه مسلم (٦٥٤).

(٢) رواه مسلم (٦٥٣).



وروى الإمام أبو داود، وصححه الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْمَدِينَةَ كَثِيرَةُ الْهُوَامِ وَالسَّبَاعِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَسْمَعُ حِيَّ عَلِيٍّ الصَّلَاةَ، حِيَّ عَلِيٍّ الْفَلَاحَ؟ فَحِيَّ هَلَا» (١) - أي تعال، أقبل - وإن كنت أعمى، لا عذر لك بفقد عينيك ما دمت تمشي برجليك، ما دمت تسمع الله أكبر فحي هلا، أقبل وهلم، مادام عندك قدرة على حضور الجماعة مع المسلمين.

تأملوا - بالله عليكم - تأملوا إلى هذه التوجيهات التربوية، وإلى هذه العناية النبوية، بهذه الشعيرة وهذه الفريضة العظيمة.

تأملوا كيف أكد النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - على حضور الجماعة، بل قد هم بإحراق بيوت الذين يتخلفون عن الجماعة، لولا ما فيها من النساء والصبيان، تأملوا - رعاكم الله - كيف حكم ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الَّذِي يَتَخَلَّفُ عَنِ الْجَمَاعَةِ بِأَنَّهُ مَنَافِقٌ، انظروا كيف قال النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لِلَّذِي سَأَلَهُ أَنْ يَرِخَصَ لَهُ، وَيَسْقُطَ عَنْهُ الْجَمَاعَةُ - وَهُوَ أَعْمَى - نَعَمْ، وَهُوَ أَعْمَى.

إن العمى أن ترى العينين مبصرة
لكنها من هدى الباري بلا بصر
قالوا بلا بصر يمشي فقلت لهم
عمى البصيرة أقوى من عمى بصر

وآخر يأتي ويقول: يا رسول الله المدينة كثيرة الهوام والسباع، ولم يكن - والله - هناك إضاءات، ولا سيارات - ومع ذلك «أسمع النداء؟» قال: نعم قال: «فأجب»، والآخر قال له - رغم مقدماته، وأعداره، ومبرراته - : حي هلا، أي لا أجد لك رخصة، تأملوا - رحمكم الله - تأملوا، ثم تأملوا، ثم انظروا إلى المتخلفين عن المساجد في هذه الأيام، انظر إلى بعض الناس وهو يسكن بجوار المسجد ومكبرات الأصوات تحيط ببيته من كل مكان؛ ومع ذلك ما يتحرك له ساكن، وكأنه من أصحاب الأعدار الذين يصلون في البيوت، والمساكن، وبسبب هؤلاء يخرج الأجيال الذين يتركون الجماعات، ويصلون في بيوتهم كما تصلي النساء القاعدات، وإلا - بالله عليكم - كيف سيتعود اولادنا على المساجد إذا كان الواحد منهم يرى أباه في البيت قاعد، بل تأملوا كيف رغب الإسلام ببناء المساجد، وكيف أضافها الله لنفسه، ورتب الفضل، والثواب والأجر لمن بنى الله مسجدا ولو كمفحص قطة.

كل هذا لكي يرانا الله صفاً واحداً في بيته، ولكي تظهر فيه أعظم شعيرة في دينه، إلى غير ذلك من المقاصد الكريمة التي تظهر في هذه البقاع العظيمة. وإنه - والله - من المؤسف جدا في هذا الزمان، ما نراه في هذه الأيام في غير ما مكان، حين تكون



بعض المساجد محاطة بمئات البيوت من جيرانه، ولكنك لا تراهم، أو لا ترى أكثرهم إلا في الجُمُعات أو المناسبات، والله المستعان.

وقد قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** : «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع

وعشرين درجة» (١).

فالجماعة الجماعة يا عباد الله، الجماعة الجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة.

وقد كان سلف هذه الأمة **رَحْمَهُمُ اللَّهُ** يحرصون أشد الحرص على صلاة الجماعة،

بل كان بعضهم يبكي إذا فاتته الجماعة.

فقد كان سعيد التنوخي **رَحْمَهُ اللَّهُ** «إذا فاتته الجماعة بكى».

وقال سعيد بن المسيب - **رَحْمَهُ اللَّهُ** - : «ما فاتني الصلاة في الجماعة أربعين

سنة».

وكان الربيع بن خثيم **رَحْمَهُ اللَّهُ** : يقاد إلى الصلاة وبه الفالج، ف قيل له: لم هذا

وقد رخص الله لك؟ قال: «إني أسمع حي على الصلاة».

وهذه قصة عجيبة لامرأة في ليلة زفافها قبل أن تُزف إلى بيت زوجها، كان قلبها

متعلقاً بربها، وكانت الصلاة قرّة عينها، فأذن المؤذن لصلاة المغرب، فأرادت أن

تتوضأ، أرادت أن تغسل يديها ووجهها، بعد أن انفسخ وضوءها، ومن عادة

(١) رواه مسلم (٦٤٩)، عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** .

النساء في هذا الزمان أنهن يصلين المغرب بوضوء العصر؛ حتى لاتزال المكايح والحوامير، وعشرات الآلاف التي قد صُبت على وجه العروس، فأنكرت عليها أمها، ونهرنها أخواتها وزجرنها لأن المساحيق، والمكايح، سيذهبهن الماء من وجهها، لكنها أبت إلا أن تقترب من ربها، أبت إلا أن تحافظ على صلاتها- ولو كانت في أسعد أيام حياتها، كيف لا وقد جعلت الصلاة قرّة عينها، ومنبع سعادتها، ومصدر عزها وحياتها! أبت إلا أن تصلي صلاتها، وألا تقطع صلته بربها، ثم بسطت سجادتها بعد أن استقبلت قبلتها، ثم كبرت وركعت، ثم سجدت، وبينما هي في سجودها، بين يدي ربها، قبض الله روحها وهي ساجدة بين يدي ربها وخالقها، أحبت لقاء الله فأحب لقاءها، تبعث يوم القيامة وهي ساجدة بين يدي ربها، فبعد أن كان سيزفها أهلها إلى زوجها، تزفها الملائكة إلى ربها!

هكذا الصلاة تفعل بأصحابها، وهكذا تكون خاتمة النفوس التي تعلقت بخالقها.

هذه هي الحياة الطيبة، هذه هي الحياة الكريمة، هذه هي الحياة التي حرّمها من حرم من أصحاب العيشة الضنكة.

قل لي بربك كم هم أولئك أصحاب المحلات الذين يسمعون النداءات ولا يجيبونها، كم هم أولئك أصحاب البقالات والناقلات والسيارات، الذين



يسمعون النداء ولا يوقفونها أو يقفلونها؟! كم هم أصحاب كرة القدم؟! كم هم أصحاب المسلسلات والأفلام الهابطات؟! كم هم أولئك المخزنون الذين يسمعون النداء، ولا ينقاد أحد منهم لرب الأرض والسماء، بل تمر الساعات وهم على حالة عافانا الله منها؟! وأعظم البلايا والرزايا التي تحدث من هؤلاء -هدانا الله وإياهم- من يجمع بين الصلاتين، بين الظهر والعصر، أو بين

المغرب والعشاء، من أجل هذه الشجرة التي ما أقامت للبلاد قائمة، ما السبب يا فلان؟ قال: حتى لا يضيع طعم القات، الله المستعان! أما تستحي من الله؟! أما تخاف من الله؟! وبكل جراءة تقول هذا، من الذي أذن لك، وأفتاك بهذا؟ من الذي أباح لك أن تجمع بين الصلوات، وتصلي الصلاة في غير وقتها؟ وقد قال

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [سورة النساء: ١٠٣]

بالله عليك لو كنت مدرسًا، وأحد طلابك يتأخر عن درسك دقائق معدودة، ماذا ستظن بهذا الطالب؟ ستظن أنه يسخر بك، ولا يبالي بدروسك ووقتك، إلى غير ذلك من الظنون التي ستصبح بها فيمن لا يبالي بدروسك، وليس كمثل الله

شيء، والله يقول: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [سورة النساء: ١٠٣].

ألا فليعلم هؤلاء وغيرهم: أن من صلى الصلاة قبل دخول وقتها ولو بدقائق ولحظات، فإن صلاته باطلة بإجماع العلماء.

ختاما: أيها المسلمون، الله الله في الصلاة، الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم!
 الصلاة الصلاة يامن الصلاة، الصلاة يا من هجرتم بيوت الله، الصلاة الصلاة يا
 من تركتم تشكون الأوضاع والأوجاع! مصيبتكم ووجودكم في الأرض - والله -
 أعظم من الأزمات والنكبات، بل أنتم من أسبابها، وكم قلتم أمراض البلاد وأنتم
 من أمراضها.

نعم - أيها الناس - ليست مصيبتنا في انعدام المشتقات النفطية، ولا في فقد
 التيارات الكهربائية، ليست مصيبتنا في انعدام الماء والكهرباء، ولا في لقمة العيش
 والرخاء، مصيبتنا العظمى في قطاع الصلاة الذين يعيشون بين أظهرنا؛ لأن
 مصيبتهم في الدين.

وكل كسر لعل الله جابره وما لكسر قناة الدين جبران
 أسأل الله العظيم بمنه وكرمه أن يجعل الصلاة قرّة أعيننا، وأن يجعلنا من
 المحافظين عليها في أوقاتها، وبخشوعها وركوعها وسجودها.



(الظلم عقوبته في الدنيا قبل الآخرة)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأعراف: ٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر

الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المسلمين والمسلمات، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله جلَّ وعلا، وأن

نقدم لأنفسنا أعمالاً تبيض وجوهنا يوم نلقى الله، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، إلا

من أتى الله بقلب سليم.

أيها المسلمون: روى الإمام مسلمٌ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: فِيَمَا يَرُوهُ عَن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَمْتُ الظلمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتَهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا» (١).

معاشر المسلمين والمسلمات، لقد حرم الله الظلم على نفسه، وأمر عباده بألا يتظالموا، وبألا يظلم بعضهم بعضًا.

وما نراه في هذا الزمان من انتشار الظلم بين أوساط المسلمين لهو - والله - شيءٌ يُدمي القلب، ويدمع العين. فلقد انتشر الظلم في هذا الزمان، وأصبحنا نراه في كل مكان، انتشر الظلم في بيوتنا، فكم من أبٍ يظلم أولاده وأهله، ومن يعول. انتشر الظلم بين الجيران، كم من جارٍ يظلم جاره، ويؤذيه في عرضه، ويأخذ من حقه، ويقتطع من أرضه، انتشر الظلم في محاكمنا، كم من رجلٍ يُحكم عليه ظلماً، ويُشهد عليه زوراً، ويُدخل في السجن قهراً، وليس له من ناصرٍ إلا الله ناصر المستضعفين: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ^{٤٢} إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ^{٤٣}﴾ [سورة إبراهيم: ٤٢].

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).



ومع هذا الظلم الذي نعيشه، وتعيشه الأمة الإسلامية؛ فقد جعل الله للظالم والمظلوم يوماً، يأخذ كل واحدٍ مظلمته ممن ظلمه.

نعم - والله - سيقوم الله عدله، ويعطي كل ذي حقَّ حقه، ولا يظلم ربك أحداً، حتى إن البهيمة ستقتص من أختها التي نطحتها وكسرت قرنها، أو استقوت على أختها التي بلا قرون فنطحتها، كما روى الإمام مسلمٌ رَحِمَهُ اللهُ عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لتؤدَّن الحقوقُ إلى أهلها يوم القيامة، حتى إنه ليقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء!»^(١).

أمة الإسلام، لقد حذرنا نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الظلم، وأن يظلم بعضنا بعضاً. فقد روى الإمام مسلمٌ رَحِمَهُ اللهُ عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلماتُ يوم القيامة!»^(٢)

وقال رسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يودع أمته في حجة الوداع - كما روى البخاري رَحِمَهُ اللهُ : «ألا إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد،

(١) رواه مسلم (٢٥٨٢).

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٨).

اللهم اشهد، ثلاثاً، ويلكم، أو ويحكم، انظروا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» (١).

وروى البخاري، رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتِهِ، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (سورة هود: ١٠٢)» (٢).

وروى البخاري ومسلم - أيضاً - عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شَبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ طَوْقَهُ فِي سَبْعِ أَرْضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣).

وروى البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ لِأَخِيهِ مَظْلَمَةٌ مِنْ أَرْضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْ مِنْهُ»

(١) رواه البخاري (١٧٣٩).

(٢) رواه البخاري (٤٦٨٦).

(٣) رواه البخاري (٢٤٥٣)، ومسلم (١٦١٢).



اليوم، قبل أن لا يكون ديناراً، ولا درهماً، وإن كان له عملٌ صالحٌ أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات، أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»^(١).

وروى الإمام مسلمٌ رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ عن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من اقتطع حق امرئ مسلمٍ بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة! فقال رجلٌ: وإن كان شيئاً يسيراً، يا رسول الله؟! قال: وإن كان قُضيباً من أراك»^(٢).

وروى أحمد في مسنده والنسائي في سننه وابن ماجه، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ أَنْ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «تعوذوا بالله من الفقر، والقلة، والذلة، وأن تظلم، أو تُظلم»^(٣).

الظلم أيها الناس: ذلكم الاسم الذي يجمع الرذائل، ويدل على القبائح، الظلم أيها الناس ذلكم الاسم الذي تمجده الأسماع، وتستثقله الألسن، الظلم يا عباد الله: له ظلمةٌ تقلب الأحوال، وتغير الدول.

الظلم ظلمات يوم القيامة، وإذا حلتْ النعمة من الله على الظالم فيا ويله، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ

(١) رواه البخاري (٢٤٤٩).

(٢) رواه مسلم (١٣٧).

(٣) رواه أحمد (١٠٩٧٣) والنسائي (٥٤٦١) وابن ماجه (٣٨٤٤).

تَشَخَّصُ فِيهِ الْأَبْصَرُ ﴿٤٢﴾ [سورة إبراهيم: ٤٢]. قال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم».

حنانيك لا تظلم فإنك ميّتٌ وفي البعث عما قد توليت تُسأل إن الذي يظلم الناس في أعراضهم، وأموالهم، وفي حقوقهم، سيُسأل عن كل صغيرة، وكبيرة. إن الظالم وإن تجبر، وتكبر، فلا بد له من يوم وما أدراك ما ذلك اليوم!! قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: «أول ما كُتِب في الزبور: ويلٌ للظلمة»^(١).

وقال القاضي شريح رَحِمَهُ اللَّهُ: «سيعلم الظلمة حق من انتقصوا، إن الظالم ينتظر العقاب، والمظلوم ينتظر النصر، والثواب»^(٢).

يأيها الظالم في فعله الظلم مردودٌ على من ظلم إلى متى، أنت وحتى متى تتلو المصيبات وتنسى النقم

وقال بعض الحكماء: «اذكر عند الظلم عدل الله فيك، وعند القدرة قدرة الله عليك».

تذكر قبل أن تظلم أنك تحت قبضته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَوْ شَاءَ لَخَسَفَ بِكَ وَانْتَقَمَ مِنْكَ.

(١) المجالسة للدينوري (٤٣٩).

(٢) حلية الأولياء (٤/١٣٢).



ولنعلم - يا عباد الله - أن عقوبات الظالمين ليست قاصرة على الأفراد، بل إن الظلم إذا عم أرضاً كان ذلك إيذاناً بهلاكها، وقرب زوالها، فكم من دولٍ هلكت بسبب الظلم! كم من قريةٍ هلكت ديارها، وجفت أرضها، وماتت زروعها بسبب ظلمها: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [سورة الكهف:

.٥٩]

قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللهُ: «قال كعب الأحبار: إني لأتلو في كتاب الله المنزل غير القرآن: إن الظلم يخرب الديار»^(١)

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «وأنا وجدتها في كتاب الله، قال الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾» [سورة النمل: ٥٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ - «ويروى أن الله ينصر الدولة العادلة، ولو كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة، ولو كانت مؤمنة». فالعدل صلاحٌ للدول، وعمارٌ للبلاد، وسعادةٌ للخلق أجمعين.

كتب بعض ولاة عمر بن عبد العزيز رَحْمَةُ اللَّهِ: «أما بعد: فإن مدينتنا قد خربت، فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لنا ما لا حتى نصلحها. فرد عليه أمير المؤمنين: أما بعد فأصلحها بالعدل. - إي وربي - إن العدل صلاحٌ للبلاد، والعباد».

فإياك، ثم إياك أن تظلم يا عبد الله؛ فإن المظلوم وإن لم يكن معه ما يدفعك، ويمنعك به، فإن معه الله الذي لا يغفل ولا ينام! أتدري أيها الظالم أن الله وعد بنصر المظلوم، بل وجعل له دعوةً مستجابة، بها قد تكون نهايتك في هذه الحياة، بها قد تكون مثلولاً، أو أسيراً أيها الظالم، بها قد تتمنى الموت ولا تجده؟! أتدري أن المظلوم له دعوة كالنار المحرقة؟!

فلقد روى الحاكم، والديلمي، وصححه الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ عليهم أجمعين - أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرار»^(١).

وروى الطبراني، وصححه الألباني أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنها تُحمل على الغمام، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين»^(٢).

(١) مستدرک الحاكم (٨١)، والديلمي (١ / ١ / ٤٢ - ٤٣).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٣٧١٨).



ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اتقوا دعوة المظلوم ولو كان فاجراً؛ ففجوره على

نفسه».

ابشر أيها المظلوم، أبشر أيها المظلوم؛ فإن الله ناصرك، وإن احتمى ظالمك،

وفرّ واختبأ، وإن كان له من يدافع عنه من أمثاله، فإن له يوماً لن يفلت منه!

قال يزيد بن حاتم رَحِمَهُ اللهُ: ما هبت من شيء قط، هبتي من رجلٍ ظلمته، وأنا

أعلم أنه لا ناصر له إلا الله، يقول حسبك الله، بيني وبينك الله، اتقِ ظلم من لا

ناصر له إلا الله، إي وربّي، كم من ظلمة أصبحوا عبرةً للمعتبرين، كم من ظالم

أفسد في الأرض سنين، وأخذ أموال المستضعفين، وآذى الضعفاء والمساكين،

فأخذه الله أخذ عزيزٍ مقتدر.

قال أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ « إياك ودمعة اليتيم، ودعوة المظلوم؛ فإنها تسري

بالليل، والناس نيام».

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا فالظلم ترجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبّه يدعو عليك وعين الله لم تنم

أيها المسلمون عباد الله: إن كثيراً من الناس ربما قد سلمت يده من دماء

المسلمين، وأموال الآخرين، فيظن أنه قد سلم من الظلم، ومن دعوات

المظلومين، وما درى أن للظلم ألواناً، وصوراً كثيرة، فهناك ظلم الأيتام، وهناك ظلم الأرحام، وهناك ظلم الأولاد والبنات والزوجات.

فكم هي الأنات والزفرات التي تخرج من بيوتنا! وكم هي الدمعات التي تسيل في وجوه نساتنا! فكم من رجلٍ يظلم زوجته، أو زوجاته، ولا يعدل بينهن، ويحسن إليهن، قد يظلم الأولى، وقد يظلم الأخرى، قد يتزوج على زوجته، ثم يظلمها، ويتنكر لها، ويقهرها، ويميل إلى الزوجة الثانية، وقد يظلم الأخرى، ويصرف حبه وماله للأولى؛ بحجة أنها رفيقة حياته، وأنها أم أولاده، أو أنها الكبرى، إلى غير ذلك... وتظل الثانية عنده كالخادمة، أو كالجارية المستأجرة، وكأنه ما تزوجها إلا للخدمة والمتعة، والله المستعان.

فاتقوا الله أيها الرجال، واعدلوا بين زوجاتكم، ولا يضركم سكوت نساتكم عنكم - أيها المعددون الجائرون؛ فإن عدالة الله لن تنساكم.

احذر يا ظالم دعوات من ظلمته! احذر يا ظالم أنين من حرمة! احذر يا ظالم سهام الليل؛ فهي عند الله عظيمة وإن طال أثرها، وإن نسيتها، أو نسيها أصحابها! فإن الله لن ينساها، ولن يترك أصحابها!

أيها المسلمون عباد الله: إن ما عشناه، ورأيناه في الأعوام الماضية، من مصارع الولاة الظلمة وغيرهم، يدل على أن الله يمهل، ولا يهمل، حاربوا دين الله،



ظلموا عباد الله، أفسدوا في أرض الله، فأخزاهم، وأخذهم الله، وجعلهم عبرة للمعتبرين.

أحدهم أصبح معلقاً بين السماء والأرض، وآخر يضرب ويلطم على وجهه بالأحذية حتى الموت، وثالثٌ أصبح في قفصٍ كالحيوان يساق من مكانٍ إلى مكان، ولكل دوره، سنة الله في الذين ظلموا: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ ۚ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [سورة النحل: ٢٣].

اصبر على الظلم ولا تبتئس فالظلم مردودٌ على الظالم
وكل إلى الله ظلوماً فما ربي عن الظالم بالنائم
أسأل الله أن يجنبنا وإياكم الظلم، ما علمنا منه وما لم نعلم، أقول قولي هذا،
وأستغفر الله لي ولكم، ولجميع المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه؛ إنه هو
الغفور الرحيم.



(الخطبة الثانية)

الحمد لله نحمده تعالى ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أيها المسلمون عباد الله، إن ما سمعتموه من وعيد الله للظلمة، والظالمين، ليست عقوبته قاصرة على اليوم الآخر، بل لهم العقاب، والنكال العاجل قبل الآجل، فقد قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ما من ذنب أجدر من أن يعجل الله العقوبة لصاحبه في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة، من البغي وقطيعة الرحم!»^(١). وكتب التاريخ مليئة بمصارع الظالمين، وأخبار الطغاة المفسدين، فكم هم أولئك الذين ظلموا فأخذهم الله، وعجل لهم العقوبة العاجلة قبل الآجلة؟! فلنسمع بعضها، ولنعتبر بما فيها، وقد يكون كل واحد منا له قصة، أو خبر عن أحد الظالمين، وكيف انتقم الله منه.

(١) الترمذي (٢٥١١)، وأحمد (٣٦/٥، ٣٨)، وأبو داود (٤٩٠٢)، ابن ماجه (٤٢١١)، وابن حبان (٢٠٠/٢) (٤٥٥)،

والحاكم (٢/٣٨٨، ٤/١٧٩)، عن عبد الرحمن بن عوف **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.



هذا سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما روى البخاري، ومسلم ولاه عمر بن الخطاب على الكوفة، وكان فيها صالحاً عادلاً، ولكن مع عدله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما سلم، وأتهم من أحد الظلمة بأن أرسل إلى عمر: أن واليك في العراق لا يعدل، وكان عمر شديداً على الولاة، فقد قال لسعد عندما ولاه: التقوى فالزم يا سعد! التقوى فالزم يا سعد! لا يغرنك أن قيل: خال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فما كان منه إلا أن أرسل محمد بن مسلمة، وقال له: اذهب إلى كل مسجدٍ من مساجد الكوفة، واسألهم عن سعد، فسألهم، فاثنوا عليه خيراً، ثم قام رجل من بينهم اسمه أسامة بن قتادة، ويكنى أبا سعد، فقال: أما إذ ناشدتنا، فإن سعداً لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل بالقضية، ولا يشهد الصلاة، سبحان الله! ما أقبح الدعوى من المُدَّعي، فما كان من سعد لما سمع هذا البهتان، إلا أن رفع يديه إلى ناصر المستضعفين والمظلومين، وقال: اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً، وقام رياءً وسمعة، اللهم فأطل عمره، وفقره، وعرضه للفتن! واستجاب الله دعوة المظلوم سعد، واستجاب الله دعوة الرجل الصالح سعد، فجاوز هذا الرجل المائة، وكان يمشي في أسواق الكوفة، وكان يغمز النساء، فيقال له: أنت شيخٌ كبيرٌ وتغمز النساء! فيقول: شيخٌ كبيرٌ مفتون، أصابتنى دعوة سعد! قال عبد الملك بن عمير:

فأنا رأيته بعد أن سقطت حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري ويغمزهن. والعياذ بالله! (١).

هذا هو الظلم، وهذه هي عاقبته، وهذه بعض عقوباته العاجلة، قبل الآجلة. وهذا سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد العشرة المبشرين بالجنة - في زمن بني أمية زعمت أروى بنت أويس: أن سعيد بن زيد قد غصب شيئاً من أرضها، وضمه إلى أرضه، وجعلت تنشر ذلك بين المسلمين، وتقول: ظلمني، وأخذ أرضي! فرفعت أمرها إلى مروان بن الحكم - والي المدينة آنذاك - فأرسل أناساً يكلمونه في ذلك، فصعب الأمر عليه، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه - وقال كيف أظلمها، وقد سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من ظلم شبراً من الأرض طوقه يوم القيامة في سبع أراضين»؟! (٢) اللهم إنها زعمت أني قد ظلمتها، فإن كانت كاذبة، اللهم فأعم بصرها، وألقها في بئرها التي تنازعتني فيه، وأظهر من حقي نوراً للمسلمين يبين أني لم أظلمها! فلم يمضِ إلا قليل حتى سأل وادي العقيق بسيل؛ فانكشف الحد الذي كانوا يختلفون فيه، وظهر للمسلمين أن سعيداً كان صادقاً، ولم تلبث المرأة

(١) رواه البخاري (٧٥٥).

(٢) رواه مسلم (١٦١٠).



بعد ذلك إلا أشهراً حتى عميت، وكانت تمشي في أرضها فسقطت في بئرها، فكان الناس يقولون: أعماك الله كما أعمى الأروى.

فأصبحت مضرب مثلٍ للظلم والظالمين. اللهم جنبنا الظلم يا رب العالمين. ويروى أن الحجاج حبس رجلاً في حبسه أيام، فكتب ذلك الرجل إلى الحجاج، فقال، واسمعوا ماذا قال: يا حجاج، قد مضى من بؤسنا أيام، ومن نعيمك أيام، والموعد القيامة، والسجن جهنم، ثم كتب في آخرها:

ستعلم يا ظلوم إذا التقينا غدا عند الإله من الملموم
 أما والله إن الظلم لؤمٌ وما زال الظلوم هو الملموم
 إلى الديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم
 نسأل الله أن يطهر أيدينا، وألستنا من أعراض المسلمين، ومن دمائهم!
 اللهم إنا نعوذ بك من الظلم صغيره وكبيره ...



(إذا ضيبت الأمانة فانتظر الساعة)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشر

الأمر محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون عباد الله: روى الإمام البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي

فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع. حتى إذا قضى حديثه قال: «أين - أراه - السائل عن الساعة» قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة». قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة» (١).

أيها المسلمون عباد الله: لقد ذكر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جملةً من العلامات والأمارات التي تدل على زوال هذه الدنيا وخرابها، وقد ذكر في هذا الحديث العظيم صورة من صور ضياع الأمانة التي هي دليل على علامة من علامات الساعة الصغرى، التي تدل على قرب نهاية هذه الدنيا، وزوالها. وقبل الكلام على هذه الصورة المذكورة، من صور ضياع الأمانة المنتشرة؛ دعونا نقف وقفة عامة مع الأمانة، ومع بعض صور ضياعها في هذه الأزمنة المتأخرة، وقبل ذلك الكلام عن أهميتها، وعظيم شأنها وقدرها عند خالقها وعند رسوله الأمين، الذي عرف بها صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه.

يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ

أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢]،

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥٩) و(٦٤٩٦).

ويقول - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ

النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [سورة النساء: ٥٨]، ﴿

فَلْيُوَدِّ الَّذِينَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٣]، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ

وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأنفال: ٢٧]، وقال: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ

وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: ٨]، وقال: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ

اسْتَجَرْتَهُ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [سورة القصص: ٢٦].

وهاهم أنبياء الله الكرام عليهم الصلاة والسلام يأتون إلى قومهم، ويدعونهم

بدعوة موحدة، وبصفة محبة إلى قومهم وإلى الناس كلهم، ألا وهي صفة

الأمانة.

فهذا نوح وهود، وصالح وشعيب ولوط، كلهم يقولون لأقوامهم: إني لكم رسول

أمين.

ولقد كان نبينا الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذي عرف بالصادق الأمين؛ قبل أن

يأتيه الوحي من رب العالمين، يحث أمته على هذا الخلق العظيم، فيقول لهم

مرغبا بها، ومرهبا من خلفها، وأن يكونوا من المؤمنين.

فقد روى البيهقي، وحسنه الألباني رَحِمَهُمَا اللَّهُ عن عبد الرحمن بن أبي قراد

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوْضَأُ يَوْمًا فَجَعَلَ أَصْحَابَهُ يَتَمَسِّحُونَ بِوَضُوئِهِ



فقال لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما يحملكم على هذا؟» قالوا: حب الله ورسوله!
 فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سره أن يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله،
 فليصدق حديثه إذا حدث، وليؤد أمانته إذا أؤتمن، وليحسن جوار من جاوره»^(١)
 وروى الإمام أحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه، عن عبادة بن الصامت
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم
 الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا أؤتمتم، واحفظوا
 فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم»^(٢)

وروى الحاكم - في مستدرکه - عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول
 الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أربع إذا كن فيك فلا عليك من الدنيا: صدق الحديث، وحفظ
 الأمانة، وحسن الخلق، وعفة مطعم»^(٣).

وكما رغب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الأمانة وحفظها، فقد حذر ورهب
 وتوعد من خانها وضيعها، بل وحكم عليه بالنفاق الخالص، والعياذ بالله!

(١) رواه البيهقي في الشعب (١٤٤٠). الصحيحة للألباني (٢٩٩٨)

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٢٧٥٧)، وابن حبان في صحيحه (٢٧١)، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في
 الصحيحة (١٤٧٠).

(٣) رواه الحاكم في مستدرکه (٣١٤/٤)، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الجامع (٨٧٣).

فقد روى الشيخان رَحْمَهُمَا اللهُ عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»^(١).

ولقد كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يوصي بالأمانة وحفظها، ويحذر من التفريط فيها وضياعها في كثير من خطبه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقد روى الإمام أحمد رَحْمَهُ اللهُ عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: ما خطبنا نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»^(٢).

وأخبر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن الأمانة والرحم، يأتيان يوم القيامة فيحاجان عن المحق الذي رعاهما، ويشهدان عن المفرط الذي أضاعهما، فقد روى الإمام مسلم، عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وترسل الأمانة والرحم؛ فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً»^(٣).

(١) رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

(٢) رواه أحمد (١٢٣٨٣)، وغيره، وهو حديث حسن.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١٩٥).



ولاهتمامه وعظيم حرصه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بالأمانة، فقد كان إذا ودع رجلاً

أخذ بيده ثم قال: «أستودع الله دينك، وأمانتك وخواتيم عملك»^(١).

كل هذا لعلمه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بأن السفر تعتريه المشقة، وهو مظنة التقصير في

أمور الدين والعبادة.

ويتجلى حرصه الشديد على هذا الخلق العظيم، حين ودع أمته في حجة

الوداع - كما روى الإمام أحمد، وأبو داود- فقد قال: «ومن كانت عنده أمانة

فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وبسط يديه فقال ألا هل بلغت؟ ألا هل بلغت؟ ألا

هل بلغت؟ ثم قال: ليلبغ الشاهد الغائب؛ فإن رب مبلغ أسعد من سامع»^(٢).

ويزيد من تحذيره وتأكيدهِ **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بحفظ الأمانة، والتحذير من

إضاعتها؛ بإخباره أمته بأنه سيأتي على الدنيا زمان يؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها

الأمين.

فقد روى الإمام أحمد في مسنده، والحاكم في مستدركه بسند صحيح، عن أبي

هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «سيأتي على الناس سنوات

(١) رواه أحمد في مسنده (٤٥٢٤) وأخرجه الترمذي (٣٤٤٣)، والنسائي في "الكبرى" (٨٨٠٦) (١٠٣٥٧)،

وصححه الشيخ شعيب **رَحْمَةُ اللَّهِ** عن ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٠٦٩٥)، وأبو داود (٢١٤٥)، حديث صحيح لغيره.

خداعات؛ يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويضة». قيل: من الرويضة يا رسول الله؟! قال: «الرجل التافه»، وفي رواية: «الرجل السفیه يتكلم في أمر العامة».

ولعظيم أمر الأمانة في صلاح الأمة، واستقامة أحوالها، وازدهار عمرانها؛ كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرسخ الأمانة في قلوب أصحابه؛ بذكر قصص الأمانة من الأمم السابقة^(١).

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اشترى رجل من رجل عقارًا له، فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك مني؛ إنما اشتريت منك الأرض، ولم أبتع منك الذهب. وقال الذي له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها، فتحاكما إلى رجل، فقال: الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لي غلام. وقال الآخر: لي جارية. قال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدقًا»^(٢).

(١) رواه أحمد في مسنده (٧٩١٢)، والحاكم في مستدرکه (١٥٦٤)، وحسنه شعيب رَحْمَةُ اللهِ.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣٤٧٢)، ومسلم في صحيحه (١٧٢١)،



وروى البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: اتني بالشهداء أشهدهم. فقال: كفى بالله شهيداً. قال: فأتني بالكفيل. قال: كفى بالله كفيلاً. قال: صدقت! فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه؛ للأجل الذي أجله، فلم يجد مركباً، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلاناً ألف دينار، فسألني كفيلاً، فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضي بك، وسألني شهيداً، فقلت: كفى بالله شهيداً، فرضي بك، وإني جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستودعكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه، ينظر لعل مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه، فأتى بالألف دينار، فقال: والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إلي بشيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركباً

قبل الذي جئت فيه، قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف الدينار راشداً» (١).

أيها المسلمون عباد الله، إن ذكر هاتين القصتين، العظيمتين، من أخبار السابقين في أداء الأمانة هو لأجل أن يقتفي سامعهما وقارئهما أثر الأمانة، ويتأسوا بهم، فيكونوا أمانة في جميع أمورهم وشئونهم، ثم نقول أيها الأحباب الكرام، بعد هذه النصوص المرغبة، والمرهبة في شريعة الإسلام ما هي الأمانة؟ الأمانة: حملٌ ثقيل وكبير، أبت حملها السماوات، والأرض، والجبال، كل هذه المخلوقات الضخمة، القوية أبت، وأشفتت من حمل الأمانة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢].

تأمل، وتصور، ثم تصور: تشفق السماوات، وتشفق الأرض، والجبال من حمل الأمانة، ويتقدم الإنسان القصير العمر، الضعيف الحول؛ الذي تتحكم فيه الشهوات والرغبات؛ ليحمل هذه الأمانة، ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢].

[سورة الأحزاب: ٧٢].

(١) رواه البخاري (٢٢٩١).



وما زال السؤال قائماً، ومعنى الأمانة غامضاً؛ وإن كان أمرها، وشأنها عظيماً وجليلاً، فما هي هذه الأمانة؟ هل الأمانة أن تضع عندي مالك، أو هي أن تأمني على شرك؛ فأخونك في مالك، وأكشف شرك؟! الأمانة أوسع من ذلك، الأمانة - كما قال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فيما نقل عنه ابن جرير - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «هي الفرائض التي افترضها الله على عباده»^(١). وقال أبو العالية رَحِمَهُ اللَّهُ: «هي ما أمروا به، وما نهوا عنه».

إذاً: فالأمانة ليست قاصرة على عبادة من العبادات، فهي أوامر ونواهٍ. فمن ضيع حق الله، واعتدى على حدود الله، أو ضيع الصلاة، ومنع الزكاة، ولم يحج وهو قادر إلى بيت الله؛ فقد ضيع الأمانة، من وهبه الله أولادا فقصر في تربيتهم، وتعليمهم أمور دينهم، وما يجب عليهم؛ فقد ضيع الأمانة، من رزقه الله مالا وصار ينفقه فيما حرم الله، ويشترى به ما حرم الله من أجهزة الدمار، والعار والنار؛ فقد ضيع الأمانة.

من استرعاه الله على رعية؛ فصار يشتري لهم ما يفسد أخلاقهم، ويُضعف إيمانهم؛ فقد ضيع الأمانة، من استأمنه الناس على أموالهم؛ فأصبح يماطلهم بحقوقهم، ويأخذ منها بغير إذنه؛ فقد ضيع الأمانة، من كان يستدين أموال الآخرين؛ فيؤخر حقوقهم، وهو قادر على سدادهم؛ فقد ضيع الأمانة!

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٣٣٧).

من أصبح يكشف أسرار زوجته، ويتتبع عيوب جيرانه وإخوانه؛ فقد ضيع الأمانة، من غش في بيعه وأخلف في وعده، وغدر في عهده؛ فقد ضيع الأمانة، المرأة إذا عصت زوجها، ولم تقم بواجبها، كذلك الزوج إذا قصر في حقوقها فقد ضيعا الأمانة.

فما أقل الأمانة في هذا الزمان، وما أندرهم! ما أقلهم في الأسواق التجارية، ما أقلهم في الدوائر الحكومية، ما أقل الأمانة عند التجار، والمسؤولين، وعند المدرسين والموظفين، ما أقل الأمانة في كثير من أسواق المسلمين، والله المستعان.

ولمعرفة حقيقة كلامنا دعونا نتعرف على أسواقنا، لنرى الأمانة -مثلاً- عند تجارنا، فقد يشتري الواحد منا فاكهة من السوق فيراها عند صاحبها مرتبة، ومزينة، وحين يرجع إلى بيته يرى النطيحة والمتردية، أليس كذلك؟!

يشترى الواحد منا لحما من الجزار فيوهمه أنه يزن له لحما صافيا، لكن حين يرجع إلى بيته، يفتح قرطاسه فيرى نصفه أو أكثره ودكًا، وعظامًا، يدخل أحدنا إلى صاحب محل مواد بناء، أو أجهزة إلكترونية، فيعطيه قطعة بسعرها، ويحلف له ويقسم، أنها صناعة أصلية، ثم يأتي إلى محل آخر ويرى نفس تلك القطعة بضعف السعر الأول، ويحلف له التاجر الآخر أنها أجود، وأقوى من الأولى،



وهكذا يصبح المشتري تائها لا يدري من يصدق، والله المستعان. تتفق مع بناءً، أو نجار، أو غير ذلك على عمل ما؛ بصفة كذا وكذا؛ ولكنه لا يفعل لك ما اتفق معك عليه إلا إذا كنت بجواره تأمره أو تراقبه، وربما تترك عدة أعمال أنت مرتبط بها؛ من أجل أن تراقب عاملك. يذهب الواحد منا ليطحن كيلو من اللحم فيخرج له اللحم أقل مما دخل؛ وهو يرى بعينه بقيته؛ ولكن دناءة، وخيانة بعض الناس؛ نسأل الله العافية!

يشترى الواحد منه شيئاً، مقدراً موزوناً، ثم يذهب إلى ميزان آخر فيجده ناقصاً، ويذهب إلى ثالث فيجده أكثر من الأول والثاني، وهكذا...، وكم وكم هي الأشياء التي يجف الحلق بذكرها.

هذا بالنسبة إلى أسواقنا، قل مثل ذلك في ضياع الأمانة عند كثير من العمال، والموظفين. وللأسف أنك ترى أصحاب الخيانة، ومن لا يتعاملون بالأمانة هم من المصلين، هم من الراكعين الساجدين، وقد يعدونهم - من لا يعرفون تعاملهم - من الصالحين، ولكن كما قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيما رواه الترمذي،

وحسنه الألباني: «أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى الصلاة. ورب
مصلٌ لا خلاق له عند الله تعالى»^(١).

نسأل الله أن يجعلنا ممن ينتفعون بصلاتهم، وممن يحافظون على أماناتهم
وعهدهم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل
ذنب؛ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



(١) رواه الترمذي في نوادر الأصول (١٢٦٨)، وحسنه العلامة الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ، كما في صحيح الجامع
(٢٥٧٥).



(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على رسوله الصادق الأمين،
وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها المسلمون عباد الله: مازلنا معكم في عرض صور ضياع الأمانة في هذا
الزمان، ولقد تبين لنا من خلال ما ذكر أن الأمانة قد ضيعت، كما أخبر
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ومن صور ضياع الأمانة المنتشرة، ومواقف الخيانة المشتهرة، - خاصة في هذا
الزمان، وهذه الأيام، ما يحصل من بعض أو كثير من الأطباء الذين حولوا الطب
إلى مهنة تجارية، ووسائل استغلالية، ففي هذه الأيام يدخل المريض إلى بعض
المستشفيات فيزداد - والله - مرضه، يزداد مرضه من الخيانة وسوء المعاملة التي
يشاهدها في بعض المستشفيات. فلقد أصبح كثير من الأطباء يفرضون، ويقررون
للأمراض فحوصات ليس لها أية علاقة بمرضهم، وعلى ضوء هذه الفحوصات
علاجات وعلاجات؛ وهم لا يحتاجون إليها، بل وليس هناك علاقة بها، فما إن
يدخل المريض المسكين ويجلس بين يدي الطبيب - إن صح أن نسميه طبيباً -،
إلا ويأخذ قلمه الذي جعله مصدر رزقه، ويكتب ما يكتب من الفحوصات قبل
أن يكمل المريض كلامه، نعم قبل أن يكمل المريض من كلامه! وقبل أن ينتهي

من شرح مرضه وألمه! وبعضهم لا يترك للمريض فرصة حتى أن يجلس على كرسيه، ثم يملأ له الورقة بالفحوصات دون رحمة ودون نظر إلى حال المريض، وهل عنده القدرة على كل هذه الفحوصات؟

وإذا تجرأ المريض أن يقول للطبيب: ظروفى يا دكتور لا تسمح بكل هذه الفحوصات؛ فهل من الممكن أن تقدم لي الأهم، ثم إذا يسر الله لي أكمل بقيتها؟ إذا بالطبيب - الذي هو المريض فعلاً وأحوج ما يكون إلى طبيب - يغضب عليه ويقول له: لا بد من جميعها؛ لأن المرض لا يظهر إلا إذا عملتها كلها، إلى غير ذلك من المغالطات، والتلاعب على المساكين، وأصحاب الحاجات. وغاية المقصود أنه يريد أن يعمل جميع أجهزة عيادته، على حساب هذا المريض المسكين، وكأنه يتعامل مع المريض لينهبه لا ليعالجه، أفي قلوبهم رحمة أم لا يخافون أن ينتقم الله منهم، أو يبتليهم كما ابتلى هؤلاء الذين جاءوا إليهم، وانظروا بين أيديهم؟! عند ذلك يضطر المريض أن يستدين من بعض أصحاب المحلات، أو يرهن خاتم زوجته عند صاحب المختبرات؛ ليأتي بالفحوصات كاملة لهذا الطبيب، لا ببارك الله فيه، ثم إذا دخل المريض عليه نظر إلى نتيجة فحصه نظرة عابرة قبل أن يتأمل فيها، أو يقرأ جميع ما فيها، ثم إذا به يأخذ قلمه، ثم يكتب على ضوء، أو ظلام هذه الفحوصات



قائمة من العلاجات، ولا يكتفي بذلك بل يوصيه بمجموعة من التوصيات.

أولها: لا بد أن تشتريها كلها.

ثانيها: ومن الصيدلية التي بجوار كذا، وكذا. ولماذا كل هذا؟! لا أظن المقصد

الذي يخفى، ثم يتبع الوصيتين الدنيتين بوصية ثالثة أدنى، وهي: لا بد من

العودة بعد أسبوع، لماذا؟ ليمتص ما بقي من هذا المسكين، وليجعله يعيش في

هم، وغم طوال أيام الأسبوع.

عند ذلك لا تسأل، ولا تتعجب، ولا تفكر، ولا تستغرب يوم يرجع كثير من

الأمراض من المستشفيات والعيادات؛ ولا يحسون بأية فائدة، أو عافية، بل قد

يرجع بعضهم بحالة غير التي ذهب بها. فقد يرجع وقد ارتفع به الضغط، أو السكر

بسبب هذه المعاملات، أو بمشكلته مع زوجته بسبب الخاتم الذي بقي مرهونا

عند صاحب المختبرات، أو بعض المحلات!

بالله عليكم -أيها الناس- أليس هذا حاصلًا، وواقعًا عند الكثير من هؤلاء

الخنونة القساة؟!

ووالله ما قلت هذا عن ظن أو تخمين، أو جهالة وتهويل، بل عن تجارب

عشناها، ولا نزال نتذوق مرارتها إلى ساعتنا!

لماذا هكذا أصبح حالنا؟! لماذا وصل الغش، والدناءة في أطبائنا إلى هذا المستوى؟! من لهؤلاء؟ من ينصحهم؟ من يوجههم؟ من يصدّهم ويؤدّبهم؟ نسأل الله أن يهدينا وإياهم.

ختامًا: نوجه رسالة لمن يسمعنا من هؤلاء، أو من يعمل مع هؤلاء أن ما ذكرناه، وما لم نذكره لا نقصد به جميع الأطباء، فمعاذ الله، وحاشا لله أن نكون من الظالمين، فمن الأطباء الناصح الأمين، ومنهم الرحيم الكريم، بل منهم -والله- من يتمتع بالأخلاق العظيمة لمن يقوم بمعالجته؛ حتى إن بعض الأمراض ليسعد برويته؛ لطيب أخلاقه، وحسن معاملته.

فإياك ثم إياك أيها الطيب، أو يا من تعمل في سلك الأطباء، إياك أن تنكر هذه المشاهد التي عرضناها، وهذه المعاملات التي تحدثنا عنها؛ وأنت تعلم وجودها، وحقيقتها عند كثير من الأطباء، إياك أن تحملك العصبية، أو حب المادة على نكرانها وتكذيبها، أو تبريرها لبعض الأطباء.

فما ذكرناه حاصل، ومشاهد بصورة مشتهرة ومنتشرة، ولا ينكر ذلك إلا مكابر، أو خائف من تبيين الحقائق؛ حتى لا تعود نتيجتها على نفسه وعمله. فنقول لك: إن لم تنكر على نفسك، وعلى إخوانك من أمثالك؛ فأقل أحوالك لا تدافع عن الباطل، فتجمع بين الباطل والمدافعة عنه.



ثم نقول أخيرا ونكرر ذلك أننا لا نقصد بكلامنا هذا جميع الأطباء؛ فهذا ليس من أخلاق الحكماء العقلاء، فليسوا سواء، ليسوا سواء. أسأل الله أن يعفو عنا وعنهم، وأن يغفر لنا ولهم، ويتوب علينا وعليهم.

وفي ختام: هذه الوقفات دعونا نقف وقفة أخيرة مع الصورة التي ذكرها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: "إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة". أيها المسلمون: اسمعوا وعوا، وبلغوا: اعلموا أن من علامات الأمة الخائنة هي التي تقدم للمسئولية من ليس أهلا لأن يتقدم، هي التي تؤخر الأمناء، والأخيار وتقدم الخونة الأشرار، هي التي تؤخر الصالحين المصلحين وتقدم الفاسدين المفسدين، هي التي تؤخر الأكفاء، النجباء وتقدم العطاء البطلاء.

فالأمة الأمينة هي التي تقدم الرجل المناسب؛ للمكان المناسب؛ في الوقت المناسب؛ فإن وجدت الأمة أن فلانا قد تقدم للمنصب الفلاني، أو للكرسي الفلاني أيًا كان هذا المنصب، سواء إمام في مسجد، عاقلا في حارة، مسؤلًا في مدينة، رئيسًا في دولة؛ وليس أهلا لمكانه الذي وضعته فيه؛ وجب عليها أن تنحيه قبل أن يتقدم؛ حتى لا تضيع الأمانة، ووجب عليه ابتداءً إن كان من الصادقين، المتجردين أن يتراجع، وأن يتأخر؛ لأن القضية أمانة، ولعلها ستكون عليه بين يدي الله خزي وندامة.

روى الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ** عن أبي ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أنه قال: يا رسول الله؛ ألا تستعملني؟ - أي: ألا تعطيني إمارة، أو ولاية، أو وزارة- قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: «يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها» (١).

وليكن مسك الختام في هذا المقام نموذجاً من أصحاب رسول الله الكرام **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، هذا أبو عبيدة بن الجراح؛ أمين هذه الأمة بشهادة الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، ولاه أبو بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قيادة الجبهة في بلاد الشام، ثم رأى الصديق أن خالد بن الوليد أولى من أبي عبيدة في هذا المقام، وهو صاحب هذا الميدان، فماذا فعل الخليفة الراشد صديق الأمة الأكبر؟

عزل أبا عبيدة بن الجراح، وولى خالد بن الوليد، وجعله مكان أمين هذه الأمة. هذه رؤية الصديق، وهذه هي نظرتة، رأى أن خالدًا رجل الساعة، وهو أولى من أبي عبيدة بالقيادة، فليتقدم خالد، وليتأخر أبو عبيدة.

وهذا التأخير لأبي عبيدة لا يقدر فيه أبدًا، ولا يقلل من قدره، ولا من شأنه. فأرسل الصديق رسالة، جميلة، رائعة إلى أبي عبيدة بن الجراح، فيقول - بعد ما

(١) رواه مسلم (١٨٢٥).



حمد الله، وأثنى عليه، وصلى على نبيه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** : «أما بعد: فمن أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة، إلى أبي عبيدة بن الجراح، سلام الله عليك، وبعد: فإني قد عزلتك، ووليت خالد بن الوليد على قيادة الجبهة في بلاد الشام؛ فاسمع له وأطع. ووالله ما وليت خالد بن الوليد الإمارة إلا لأني ظننت أن له فطنة في الحرب ليست لك، وأنت عندي يا أبا عبيدة خير منه، أراد الله بنا، وبك خيراً والسلام».

صلى الله وسلم، على من ربي وعلم هؤلاء الأبطال الأبرار، ما هذه القلوب المتجردة؟! ما هذه القلوب الطاهرة الجميلة؟!

وهكذا يصبح أبو عبيدة جندياً، مطيعاً بعد أن كان بالأمس القريب قائداً مطاعاً، ألم يفكر أن يقوم بانقلاب على الصديق؟ لا -والله- ولا على خالد! لا والله؛ فهم لا يعملون من أجل الدنيا، فما كانت تحركهم الكراسي، وحب الزعامات، ولا المناصب، وحب الولايات، بل يود أحدهم أن يبذل روحه لدين الله أيّاً كان موقعه على الساحة، وفي الساحة.

وسبحان الله! ويتوفى الصديق، ويتولى الخلافة من بعده فاروق الأمة الأواب عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وها هو عمر الملهم له رؤية أخرى، يرى أنه لا يتقدم أحدٌ البتة على أبي عبيدة أمين هذه الأمة، ولو كان من كان، فما كان منه إلا أن عزل خالد وولى أبا عبيدة مرة أخرى، فيا ترى ماذا كانت النتيجة؟ وهل هناك

ردود فعلية أو شخصية؟ كلا وألف كلا! فما كان - والله - أصحاب محمد عباد كراسي.

فما كان من سيف الله خالد بن الوليد إلا أن تنازل عن القيادة لأخيه الأمين أبي عبيدة، ليصبح خالد بن الوليد نفسه جندياً مطيعاً بعد أن كان بالأمس القريب قائداً مطاعاً، وهو الذي خاض أكثر من مائة معركة وما هزم في واحدة منها، فلا - والله - ما تنكر ولا استنكف للفاروق عمر، واغتر واستكبر، بل إنه لما علم أن أبا عبيدة تأخر عليه بالخبر؛ قال: لمّ لم تخبرني يا أبا عبيدة؟ فوالله ما قاتلت بالأمس لعمر، ولن أقاتل اليوم لعمر؛ ولكني أقاتل الله رب العالمين.

الله أكبر هذه هي الأمانة! وهذا هو التجرد والصفاء!

يا أخي، أنا أرى في نفسي أني لست أهلاً لأن أكون في هذا المكان، ولست من أهل هذا المقام، فينبغي عليّ أن أتحنى عنه، لأنني سأسأل عنه بين يدي الله عزَّ وجلَّ، أعلم في نفسي أني لست أهلاً لهذا المنبر، والناس يتضايقون من خطبي، ويوجد من هو خير مني، لا بد أن أبتعد، وأن أتحنى، شيخ القبيلة الذي يرى من نفسه أنه لا يصلح أن يكون رأساً بين الناس؛ يحمل مشاكلهم، ويصلح بينهم، ويوجد من هو خير منه، فليتنحَّ فإنها أمانة،



المسئول الفلاني في أي مكان كان إذا رأى أن الناس يتضايقون منه لأنه ما حقق شيئاً في هذا المكان الذي ينبغي أن يفعله غيره لو كان مكانه فليتعد وليتنحَّ، فإنها أمانة، وستكون يوم القيامة خزي وندامة.

أسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل الأمانة، وأن يجنبنا وإياكم الخيانة، وأن يقر أعيننا جميعاً بعز الإسلام والمسلمين، وأن يجعلنا وإخواننا، وولاية أمورنا من الأمانة الآمين المطمئنين...



(انتشار الكذب في هذا الزمان)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله، من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].
 ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءِ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث، كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.
 أيها المسلمون عباد الله: لا يخفى علينا ما نعيشه في هذه الأزمنة المتأخرة، من ظهور كثير من الخصال النكرة، وانتشار الأخلاق المنكرة، والتي هي من جملة

العلامات المنذرة التي أخبر بها النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بأنها تدل على زوال هذه الدنيا، واقتراب الدار الآخرة.

وسأقف معكم في هذا اليوم مع خصلة سيئة، ابتلي بها كثير من الناس حتى أصبحت جزءاً من حياتهم ومعاملاتهم، ووسيلة لإنفاق تجارتهم، وتغريب الناس بهم، وهذه البلوى هي من جملة ما أخبر به النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** من العلامات الصغرى، فلقد روى الإمام أحمد في مسنده، وصححه الألباني **رَحْمَهُمُ اللَّهُ** عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن، ويكثر الكذب»^(١).

وقال فيما رواه مسلم **رَحْمَهُمُ اللَّهُ** عن جابر بن سلمة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «إن بين يدي الساعة كذابين؛ فاحذروهم!»^(٢).

أيها المسلمون، أظن أن كثيراً من الحاضرين، وممن يستمعون لكلامنا في هذا اليوم العظيم؛ لا يتعاملون مع كثير من الناس إلا وهم يرون الكذب بجميع صورته، من أيما فاجرة، ومواعيد مطاوعة ومطالة، وأخبار ونقولات كاذبة.

(١) رواه أحمد في مسنده (١٠٧٢٤).

(٢) رواه مسلم (١٨٢٢).

فلقد انتشر الكذب في هذا الزمان وقلّ أن يخلو منه مكان، ولعله لا يوجد زمان
انتشر فيه الكذب بصورة عجيبة كما انتشر في هذه العصور الأخيرة الغربية!
ولو تدبرنا جميعا أحوال الناس في هذه الساعة بصورة دقيقة، ونظرنا في
تعاملهم وفي شؤون حياتهم نظرة فاحصة؛ لوجدنا أنها كذبٌ في كذب.

نعم انتشر الكذب في هذا الزمان انتشارا كبيرا وعجيبا!

حاكم يكذب على شعبه، وتاجر يكذب على زبائنه، ووالد يكذب على
أولاده، وولد يكذب على والده ووالدته، صاحب عمل يكذب على عماله،
وعامل يكذب في أعماله، جماعة تكذب في وصف نفسها، وقبيلة تبالغ في نسبتها
وأصلها، فما أكثر الكاذبين في هذا الزمان! والله المستعان.

أيها المسلمون عباد الله، لقبح هذا الخلق وشناعته؛ حرّمه الله في كتابه ورسوله
في سنته؛ فلقد ورد تحريمه في كتاب الله فيما يقرب من مائتين وثمانين آية، وهذا
يدل على قبحة وشناعته، وعظيم جرمه وبشاعته، فلقد لعن الله الكاذبين،
ووصفهم بالظالمين والمفترين، وأنهم ليسوا بالعاقلين، ولا بالمفلحين، ولا
بالمؤمنين، وأعظم من ذلك كله: ألا لعنة الله على الكاذبين!



ولا بد أن يُعلم أن من يكذب فهو يعبر بكذبه على خسته ودناءته، وقلة حياته ومهانتة.

لا يكذب المرء إلا من مهانتة أو عادة السوء أو من قلة الأدب فالرجل الذي يعتز برجولته، وبكيانه ومكانته، هو الذي لا يكذب أبدا. لهذا كان نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يحذر أمته بما فيهم أهل بيته من هذا الخلق الدنيء، فلقد صح عنه أنه كان إذا اطلع على أحد من أهل بيته كذب كذبة، لم يزل معرضا عنه حتى يحدث توبة.

وتقول أم المؤمنين عائشة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** - كما روى البيهقي، وصححه الألباني - **رَحِمَهُمَا اللَّهُ** - قالت: «كان أبغض الخلق إلى رسول الله الكذب» (١).

بل وصل من عنايته وشدة تحذيره من الكذب، أنه ضمن بيتا في وسط الجنة لمن ترك الكذب ولو كان مازحا؛ فلقد روى الإمام أبو داود في سننه وحسنه الألباني **رَحِمَهُمَا اللَّهُ** عن أبي أمامة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أنا زعيم - أي: ضامن - بيت في ربض الجنة - أي: في وسطها - لمن ترك الكذب ولو كان مازحا» (٢).

(١) شعب الإيمان (٤٤٧٥).

(٢) رواه أبو داود في سننه (٤٨٠٠).

وروى الإمام أبو داود، وحسنه الألباني رَحِمَهُمَا اللهُ عن بهز بن حكيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: حدثني أبي، عن أبيه، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ويلٌ للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له، ثم ويل له!». نسأل الله السلامة والعافية!

وترتجف القلوب، وتتشعر الأجسام إذا ما سمعت رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يحكم على الكذاب بالنفاق وإن صلى وصام؛ فلقد روى الإمام مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاثٌ من كن فيه فهو منافق وإن صلى وصام، وزعم أنه مسلم: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»^(١). نعوذ بالله من النفاق، ومن كل علامات النفاق! وتزداد الجلود قشعريرة، إذا ما علمنا بمصير الكذاب في البرزخ والدار الآخرة؛ فلنسمع إلى ما رواه البخاري في صحيحه، عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يكثر أن يقول لأصحابه هل رأى أحد منكم رؤيا؟ فيقص عليه من شاء أن يقص، وإنه قال لنا ذات غداة: «أتاني الليلة آتيان، وإنهما قالَا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما.....» ثم ذكر الحديث وفيه: «فأتينا على رجل مستلقٍ على قفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد،

(١) رواه مسلم (٥٩).



وإذا هو يأتي أحد شقّي وجهه؛ فيشرشر شذقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به ما فعل في الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب، ثم يعود إليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى قال: قلت سبحان الله! ما هذان؟! قال: قالوا لي: انطلق! انطلق! فانطلقنا» إلى آخر الحديث..، وفيه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فقلت لهما: فإني رأيت الليلة عجبًا، فما هذا الذي رأيت؟ قالوا لي: أما إننا سنخبرك....» ثم قال: «وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شذقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه؛ فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة، تبلغ الآفاق»^(١).

وفي رواية: «الذي رأيت يشرشر شذقه فكذاب يحدث بالكذبة، فتحمل عنه

حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة»^(٢).

قال الحافظ بن حجر رَحْمَةُ اللَّهِ كَمَا فِي فَتْحِ الْبَارِي: «استحق الكذاب هذا

التعذيب؛ لما ينشأ عن تلك الكذبة من المفساد وهو فيها مختار غير مكره ولا ملجأ»^(٣).

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧).

(٢) مختصر صحيح البخاري (٤/٢٦٨).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٢/٤٤٥).

قال ابن هبيرة رَحْمَةُ اللَّهِ: «لما كان الكذب يساعده أنفه وعينه ولسانه على

الكذب بترويح باطله، وقعت المشاركة بينهم في العقوبة» (١).

فسبحان الله العظيم! أي زجر، وأية عقوبة أعدها الله لصاحب هذا الخلق

الذميم! فماذا يقول المسلم بعد هذا الوعيد، وبعد هذا الزجر الشديد، ماذا يقول

الذي يكذب الكذبات وينقص منها ويزيد؟! لماذا الكذب أيها الناس؟! لماذا

الكذب أيها التجار؟! لماذا الكذب أيها العمال؟! لماذا الكذب أيها النساء، وأيها

الرجال؟! لماذا أصبح الكذب من ضروريات حياة كثير من الناس في هذا

الزمان؟! والله المستعان!

فلو تأملنا ونظرنا في تعامل كثير من الناس في هذه الأيام، لوجدنا أن جلها كذب

في كذب.

قف وتأمل من حين أن تصبح، ومن حين أن تفتح عينيك، وتسمع بأذنك في

وسائل الإعلام، مقروءة كانت، أو مسموعة، أو مرئية، ترى فيها الكذب بجميع

صوره، والخداع من أوسع أبوابه؛ من المبالغات والتهويل، وقلب الحقائق

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٢/٤٤٥)



والتزوير، وإشعال الفتنة بين الكبير والصغير، كل ذلك بدوافع حقيرة، ومطامع صغيرة كانت أو كبيرة.

قد يكذب الإعلاميون لغرض حب السمعة والاشتهار، أو بدافع التعصب لبعض الأحزاب والأفكار، قد يكون الكذب من أجل الريالات والدولارات، أو لسد الفراغ الذي يكون في بعض القنوات لغرض؛ تتبع الأحداث والمستجدات. ألا فلتتقوا الله أيها الإعلاميون، ولتعلموا أن الله سيسألكم عن كل ما تقولون وتفعلون. هذا من جهة الإعلام وما أكثر خطره، وأعظم ضرره.

أما كذب كثير من الناس فيما بينهم، في وعودهم وأيمانهم، وأخبارهم ومعاملاتهم، فيجف الحلق بذكرها، وعدّ صورها.

انظر إلى كثير من التجار في تجاراتهم كيف ينفقونها، ويروجون لها بطرق خادعة وماكرة، وأيمان كاذبه وفاجره، انظر إلى ذلك التاجر كيف يعرض بضاعته ويصفها على غير حقيقتها، ويخفي عيوبها التي فيها.

بالله عليكم ألسنا نرى تجاراً يكذبون - كما يقال - بقدر ما يتنفسون، يكذبون في كلامهم، ويكذبون في شعاراتهم، وعروضهم، كم هم أولئك الذين يكتبون على محلاتهم قاهر الأسعار، أو أسعار بالخيال، أو تخفيضات لا تخطر لك ببال، وكل ذلك كذب في كذب، لكنه فعل ذلك ليغر الآخرين، ويكذب على المساكين، وما

درى أنه لا يأتيه من رزقه إلا ما قسمه له رب العالمين، وأن هذه الأساليب التي يحسبها جاذبة ونافعة، قد يجعلها الله سببا بأن يكون من المفلسين الخاسرين.

قل مثل ذلك في أصحاب المحلات، والذين يبسطون في الشوارع والطرقات، ويكتبون على اللوائح، أو يصيحون بالأصوات والمكبرات، أن كل قطعة بكذا وكذا، أن كل قطعة بألف ريال، ثم إذا دخلت إليها، واقتربت منها وجدت أن لكل قطعة سعرها، وأنه ما فعل ذلك إلا ليجعل الناس يقتربون منها.

ألا لعنة الله على الكاذبين، وقاتل الله من يظن أن الأرزاق تأتي بالحيل، والكذب على المسلمين!

ومنهم من يكذب ويكتب على بضاعته، ويصنفها بالصناعات الأصلية، أو بالجودة العالية، وآخر يكتب على لوحة مطعمه لجميع الوجبات الطازجة والشهية، وحين تشتري منه لم تجدها أصلية، ولا طازجة ولا شهية، ألا لعنة الله على الكاذبين!

أما الكذب في المعاملات وفي الأخبار والنقولات، والوعود والمماطلات، فحدث عنها، وقل ما شئت فيها. فكم هي الأخبار الكاذبة التي ينشرها الكذابون - خاصة في وسائل التواصل - كم هي الأرقام الغريبة التي تعلن عن عروض مغرية وعجيبة؟!



إما بسفريات خارجية، أو بمنح دراسية، أو برؤى منامية خرافية، وهكذا يتناقل الناس هذه الأكاذيب على جواتهم، ووسائل تواصلهم، حتى تبلغ هذه الكذبات الآفاق، وكلها مصدرها ممن ليس لهم عند الله من خلاق، وإذا لم تستحي أيها الكذاب فاصنع ما شئت، ألا لعنة الله على الكاذبين!

أما الكذب في الوعود، والمواعيد فحدث عنها، وابدأ بما شئت منها، ابدأ بأصحاب الديون الذين يستدينون ولا يقضون، ويعدون ولا يوفون ترى كثيرا منهم يستدين من جيرانه، أو بعض أرحامه، وإخوانه، ويعدونهم بقضائها، إلى وقت ما، ويحلفون على ذلك، وهم يعرفون أنهم لن يستطيعوا القضاء، ولن يلتزموا بالوفاء، بالوقت الذي حدده ووعدوا به.

يتصل بعض من يريدون عملا بأحد العمال فيجيبه بأنه سيأتيه بعد نصف ساعة أو ساعة، وتمر ساعة وساعات، بل أيام متتابعات، فلا هو جاء في ساعته، ولا هو اعتذر لصاحبه من ساعته.

يذهب الواحد منا إلى صاحب ورشة أو نجارة؛ ليفصل له بابا، أو نافذة، فيقول بعض هؤلاء الكذابين الذين قد عرف كذبهم للناس أجمعين: سأجهزه لك إلى يوم السبت، أو إلى مثل هذا اليوم، فتأتي إليه على حسب مواعده في ذلك اليوم؛ وقد تكلفت عناء الطريق مشيا على قدميك، وتركت أعمالا مهمة لديك، ولعلك

جئته من داخل قريتك، وجئته بعمالك وسيارتك بناء على موعدك، وإذا به يستقبلك بأيمان فاجرة، ويعدك بمواعيد أخرى كاذبة. وهكذا وعود وأيمان، وكذب واستهتار، وربما هذه معاملته لغيرك من قديم الزمان،

ألا لعنة الله على الكاذبين! ولعلك لا تأخذ بابك إلا وقد فتحت معه أبواباً من المشاكل والخصام، وكرهه إليك عمك من كثرة المواعيد، وكثرة الكلام، ألا لعنة الله على الكاذبين!

أما أصحاب القات، قاتل الأموال والأجساد والأوقات، فقل ما شئت فيهم، من الأيمان والكذب الذي ليس عند غيرهم!

وإذا أردت أن تعرفهم على حقيقتهم، وأن ماقلناه ليس مبالغة فيهم، فاجلس بجوار أحدهم، واسمع كم أيماناً فاجرة، وكلمات كاذبة تخرج من أفواههم، ويا ليتهم يحلفون بالله تعالى؛ وإنما حرام وطلاق، حرام وطلاق ما أدت رأس المال، حرام وطلاق أن على هذا القرطاس ألفين ريال، ثم يبيعه بسبعمئة ريال.

حرام وطلاق أني بعته بخسارة، حرام وطلاق، حرام وطلاق... وهكذا يطلق الواحد من هؤلاء امرأته في اليوم أكثر من مائة مرة. نسأل الله السلامة والعافية! فلماذا الكذب؟ لماذا الكذب أيها المسلمون؟ لماذا انعدمت الثقة بين الناس؟ لماذا يدنس الواحد سمعته بكذبه، ويقتل ثقته وسيرته، وشخصيته بيده؟



لماذا نرى بعض الصادقين الأوفياء، والمخلصين الأتقياء؛ الناس يأتون إليهم لأماناتهم، وصدقهم وضبط مواعيدهم، وبعضهم كالحيوان الأجر، لا يحلب ولا يُركب.

أما يعلم الكذاب أن من استحلّ رضاع الكذب عسر فطامه كما يقول الحكماء، وقد قال أحد الشعراء:

عود لسانك قول الصدق تحظ به إن اللسان لما عودت معتاداً
أما يعلم الكذاب أنه إذا اشتهر بالكذب كذبه الناس حتى ولو صدق في يوم من الأيام.

إذا عُرف الانسان بالكذب لم يزل لدى الناس كذاباً ولو كان صادقاً
فإن قال لا تصغي له جلساؤه ولم يسمعوا منه ولو كان ناطقاً

كتب أعرابي لابنه وقد سمعه يكذب: «يا بني، عجبت من الكذاب المشيد بكذبه. وإنما يدل على عيبه ويتعرض للعقاب من ربه، فالآثام له عادة، والأخبار عنه متضادة، إن قال حقاً لم يصدق، وإن أراد خيراً لم يوفق؛ فهو الجاني على نفسه بفعاله، والبدال على فضيحتة بمقاله. ما صح من صدقه نُسب إلى غيره، وما صح من كذب غيره نسب إليه، فالصدق بر ونجاة، والكذب شينٌ وهلكة».

هكذا قال بعض العلماء، وهكذا قال بعض العقلاء الحكماء.

لذلك أدرك السلف الكرام أن الكذب من صفات السفلة اللئام، فكانوا لا يكذبون ولو بالمزاح، وكانوا يترفعون عنه، ويستثقلونه ولو كان مباحاً.

يقول عمر عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ: «ما كذبت منذ علمت أن الكذب شين على

أهله» (١).

ولمّا دخل الإمام الزهري رَحِمَهُ اللهُ: على هشام بن عبد الملك، وكان يدّعي

زوراً وبهتاناً أن الذي تولى كبره في حادثة الإفك هو علي بن أبي طالب، وحاشاه

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه، فقال هشام لسليمان بن يسار: من الذي تولى كبره في حادثة

الإفك؟ قال سليمان ابن أبي: قال هشام: كذبت؛ هو علي بن أبي طالب! فقال

سليمان: الأمير أعلم، ثم قال للآخر مثله، فأجابه، ثم كذبه، ثم وصل الدور إلى

الإمام الزهري رَحِمَهُ اللهُ فقال له هشام: من الذي تولى كبره في حادثة الإفك؟ فقال

الزهري: هو ابن أبي، عليه من الله ما يستحق! قال هشام الخليفة: كذبت فانتفض

الإمام الزهري وقال - بعزة العالم المؤمن الذي لا تأخذه في الله لومة لائم -: أنا

أكذب لا أبا لك، والذي لا إله إلا هو لو نادى مناد من السماء أن الكذب حلال

ما كذبت، والذي لا إله إلا هو لقد حدثني سعيد، وعروة، وعبيدة، وعلقمة، عن

(١) حلية الأولياء (٣٤٣/٥)، والصمت لابن أبي الدنيا (٥٢٥).



عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بأن الذي تولى كبره هو عبد الله بن أبي! فارتعد هشام وانتفض،

وقال: هيجناك يا إمام سامحنا سامحنا!

سبحان ربي العظيم! من خاف الله خوف الله منه كل شيء.

فتجنبوا واحذروا الكذب يا عباد الله؛ فهو خسة ودناءة، ودليل على ضعف

الشخصية والرجولة.

نسأل الله أن يجنبنا هذا الخلق الذميمة! أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي

ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



(الخطبة الثانية)

الحمد لله العلي العظيم، وأصلي وأسلم على الصادق الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أيها المسلمون عباد الله:

لقد تعددت صور الكذب في هذا الزمان، وكثرت أنواعه، حتى أصبحنا نراها في كل مكان، ولكثرة صور الكذب في هذا الزمان، فإن عرضها لا يسمح به قصر وقت هذا المقام، لكننا سنذكر فيما بقي لنا من وقتنا أهمها وأعظمها. فمنها ومن أعظمها، بل هو أعظمها على الإطلاق:

الكذب على الله رب العالمين، وعلى رسوله الصادق الأمين، فلا أعظم، ولا أظلم ممن كذب على الله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [سورة الزمر: ٢٢]، وقال: ﴿ذَٰ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١٤٤]. فأعظم الكذب هو الكذب على الله تعالى، كأن ينسب الإنسان إلى الله شيئاً، أو يثبت له حكماً، أو أمراً أو نهياً، وليس معه برهان أو سلطان على ذلك، ومن ذلك تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله. وما أكثر هذا الصنف في هذا الزمان ممن فتنوا بالمناصب والأموال، واشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون!



كذلك الكذب على رسول، وأصحاب رسول، فكم هي الشبهات التي تبث في هذا الزمان، وتطعن بسنة خير الأنام **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فتحذف منها ما تشاء، وتثبت ما تشاء، بل تشكك في مرجعيتها وحجيتها، وتطعن في نقالها وحملتها! ألا لعنة الله على الكاذبين! ومن كذب على رسول الله متعمدا فليتبوأ مقعده من النار!

ومن صور الكذب المنتشرة في هذا الزمان: الكذب على حملة هذا الدين بما في ذلك أصحاب رسول رب العالمين، عليهم صلوات ربي أجمعين، فكم نسمع بين الحين والآخر من حملة شرسة، وطائفة نجسة تطعن في أحد الصحابة، أو أحد أصحاب الكتب الصحيحة المعتمدة، وذلك بإلقاء الشبه على كتابه، أو الطعن في دينه وأمانته، كل ذلك لغرض إنكار، أو إضعاف حجة السنة المطهرة، من قبل بعض اللثام الكفرة الفجرة، ألا لعنة الله على الكاذبين!

ومن صور الكذب المنتشرة في هذا الزمان: ما يحصل بين الناس في معاملاتهم؛ وهي كثيرة، ومتنوعة. فمن ذلك: الكذب في الحديث الذي هو علامة من علامات النفاق، كما تقدم في بداية الحديث.

فكثير من الناس في هذا الزمان قد أصبح الكذب على لسانه، وفي أغلب أحيانه، يكذب في وعده ووعيده، وفي جده وهزله، وفي بيعه وشرائه، وفي رخائه وشدته، هكذا بعض الناس حياته كلها ممزوجة بالكذب.

إذا تحدث عن نفسه كذب، يكذب في نسبه، فتراه يتسبب إلى لغير أصله، ويلحق نفسه بقبيلة غير قبيلته، لأغراض دنيئة لا تزيده إلا خسة ودناءة، يكذب في سنه، وينقص سنوات من عمره، وكأن الموت بيد غيره، أو له علاقة بطول أو قصر حياته، يكذب في ترجمته لشخصه، ويبالغ في تعداد مناقب قبيلته وأقاربه، وإذا تحدث عن أخبار يرويها، أو عن قضية شهداها، فلا تدري ما تصدق منها، فتراه يحدث بكل ما سمع، ينقص ما شاء منها، ويزيد ما شاء عليها، وإذا دعي ليشهد في مشكلة، أو قضية حضرها، تراه يحرف مشاهداها، ويزيد عليها ما لم يحصل فيها، ويقلب الحقائق؛ لأجل مصالح وأغراض يبتغيها.

ألا فليسمع هؤلاء قول رسول الله وزجره لمن يتكلم بكل ما يسمع، وينشر كل ما يقرأ، فقد روى مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع!»^(١).

ومن هنا نوجه رسالة فيما يحصل في بعض وسائل التواصل في هذا الزمان، لمن هو مشغول ومشغوف بالنسخ، واللصق، فإذا ما سمع، أو قرأ حديثاً نشره بلمسة يده، دون تأكد من ضعفه أو صحته، وإذا وصلت إليه أخبار سياسية، أو

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٠/١) (٥)، ورواه أبو داود في سننه (٤٩٩٢)، والحاكم في مستدرکه (٣٨١).



قصة وعظيه أو فكاھية، بادر إلى إرسالها دون نظر في حقيقتها، وإن كانت المبالغة ظاهرة على مشاهدها وأحداثها،

وكم، وكم هي القصص المكتوبة، والأخبار المزورة المكذوبة، التي تنشر بلا عد ولا حد؛ والسبب هي هذه الآفة، وهذه المصيبة، وهذا المنكر، وهذه البلية؛ ألا وهي التحدث بكل ما نسمع، ونقرأ، وخاصة مع وجود وسائل التواصل بثتى أنواعها، ألا لعنة الله على الكاذبين!

من صور الكذب هو التزلف، والتصنع للوجهاء والأمراء بمدحهم بصفات ليست فيهم، أو إنزالهم غير منازلهم؛ وذلك طمعاً في عطاياهم والقرب منهم، ويكثر هذا في الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون، كما قال ابن الرومي وقد مدح أميراً بخيلاً؛ فلم يعطه قليلاً ولا كثيراً:

إن لم يكن منكم فضل لمذي أدبٍ فأجرة الخط أو كفارة الكذب

ألا لعنة الله على الكاذبين!

من صور الكذب -أيضاً-: الكذب من أجل إضحاك الآخرين؛ كما هو دأب العاطلين البطالين ممن لا ليس لهم هم إلا قتل أوقاتهم، أو السخرية بأعراض المسلمين، فقد روى الإمام أبو داود، وصححه الألباني رَجَّهَمَا اللهُ عن معاوية ابن

حيدة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ويلٌ للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم! ويلٌ له ثم ويلٌ له!» (١).

وهذه رسالة وتذكير، ووعده ونذير للممثلين، والمهرجين الذين يُضحكون الآخرين، ويعرضون أنفسهم لسخط رب العالمين!

ألا فلتتق الله جميعا باجتناّب هذا الخلق الذميمة، فهو عند الله عظيم؛ كما قال -سبحانه- في كتابه الكريم، ألا لعنة الله على الكاذبين، لنعلم أن هذا الخلق يحمل المفساد والشرور، ويوصل صاحبه إلى المهالك، والفجور، ثم إلى النار. ولا يزال الرجل يكذب حتى يكتب عند الله كذابا، كما قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فيما رواه الشيخان عن عبد الله ابن مسعود **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

كذلك يمحق هذا الخلق بركة الأرزاق، كما روى الشيخان عن حكيم بن حزام **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «البيعان بالخيار ما لم يفترقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما» (٢).
ومن عظيم قبح هذا الخلق الذميمة؛ أن صاحبه لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر إليه، وله عذاب اليم؛ فلقد روى الشيخان عن أبي ذر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: قال رسول

(١) رواه أبو داود في سننه (٤٩٩٠).

(٢) رواه البخاري (٢٠٧٩) ومسلم (١٥٣٢).



الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم». قال: فقرأها رسول الله مرارًا، فقال أبو ذر: خابوا وخسروا! من هم يا رسول الله؟! قال: «المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» (١).

نعوذ بالله من سخط الله وعذابه! فاجتنبوا رحمكم الله ما يكرهه، وما يسخطه ويغضبه، واتقوا الله وكونوا مع الصادقين كما أمركم رب العالمين. واعلموا أنه لا داء أدوأ من الكذب، واعلموا إن رأيتم في الصدق الهلكة؛ فإن فيه النجاة، وإن حقيقة الصدق - كما قال الجنيد رَحِمَهُ اللهُ - «أن تصدق في مواطن تظن أنه لا ينجيك منها إلا الكذب، وأن حقيقة الصدق أن تصدق في مواطن تظن أنه لا ينجيك منه إلا الكذب».

الزم الصدق يا عبد الله، ولا تصحب إلا الصادقين؛ فالقرين بالمقارن يقتدي ودع الكذوب فلا يكن لك صاحباً إن الكذوب لبئس خل يُصحب ختام الكلام يا أمة الإسلام، ويا أحباب محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إن الكذب آفة الآفات، ورأس المصائب والبليات، فكم سفكت الدماء بسبب الكذب، وكم انتهكت أعراض بسبب الكذب، وكم دمرت بيوت بسبب الكذب، وطلقت نساء

(١) رواه البخاري، ومسلم (١٠٦).

بسبب الكذب؟! وهدمت دول وأبيدت أمم، ووراء ذلك كله الكذب، فالكذب كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في مفتاح دار السعادة:- «الكذب متضمن لفساد، ونظام العالم، ولا يمكن قيام العالم عليه، لا في معاشهم، ولا في معادهم، فكم أزيلت بالكذب من دول، وممالك، وفسدت به مصالح، وغرست به عداوات، وقطعت به مودات، وافتقر به غني، وذُلُّ به عزيز، وهتكت به مصونة، ورميت به محصنة، وخلت به دور وقصور، وعمرت به قبور، وأزيل به أنس، واستجلبت به وحشة، وأفسد به بين الابن وأبيه، وغاض بين الأخ وأخيه. وهل ملئت الجحيم إلا بأهل الكذب والكذابين على الله، وعلى رسوله، وعلى دينه وأوليائه؟!» (١).

انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ.

اللهم طهر ألسنتنا من الكذب يا رب العالمين! اللهم جنبنا الكذب عليك، وعلى رسولك، وعلى الناس أجمعين! اللهم أجعلنا من الصادقين



(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٧٣).



(الغناء رقية الزنا)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وأوשר

الأمر محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون عباد الله: حديثنا معكم في هذا اليوم عن فتنة عظيمة من فتن

هذا الزمان، التي ابتلي بها كثير من شباب وشابات المسلمين، بل هي من أعظم

الفتن التي لا يكاد يسلم منها مكان.

فلقد دخلت لكثيرٍ من الغافلين إلى بيوتهم وأعمالهم، وأصبحت لا ترى مكاناً إلا وهي فيه، إن دخلت بيتاً وجدتها، إن دخلت متجرًا وجدتها، إن ركبت سيارةً، أو طائرةً وجدتها، بل حتى ما سلمت بيوت الله منها.

إنها فتنة الأغاني، والقينات التي انتشرت في هذا الزمان، وفتن بها كثيرٌ من الرجال والنساء، والتي هي علامةٌ من علامات الساعة التي أخبر بها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيما صححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ عَنْ سَعْدِ بْنِ سَهْلٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ رَجَاءٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَسْفٌ، وَمَسْحٌ، وَقَذْفٌ. قِيلَ وَمَتَى ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ إِذَا ظَهَرَتِ الْمَعَازِفُ، وَالْقَيْنَاتُ»^(١).

فهل - بالله عليكم أيها الناس - قد ظهرت المعازف والقينات؟ نعم - والله - قد ظهرت، وكثرت وانتشرت، فقد كثر المغنون، والمغنيات - لا أكثرهم الله - وأصبح عددهم بالآلاف، بل بمئات الآلاف وأكثر!

وأصبحت لهم قنوات تروج نعيمهم، وردائهم، وفتن بهم من فتن، ودخلت أصواتهم إلى مساكن المسلمين، ولازمتهم حتى في مرقدهم ومضجعهم، وذلك عبر جوالاتهم،

(١) رواه الطبراني في الكبير (٥٨١٠).



وأصبح المغنون الذين ينعتون بأصواتهم في المحافل، والمجامع، يُقدمون، ويكرمون بالملايين، ويعطون شهادات الفن والعفن، وللأسف هذا في بلاد المسلمين قبل غيرها، نسأل الله السلامة والعافية. لهذا كان لا بد من وقفة تذكيرية وتحذيرية؛ لبيان حكم هذه الفتنة وخطرها، من كلام الله، وكلام رسوله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وكلام أصحاب رسول الله، وأئمة الإسلام فهيما اسمع ماذا قال ربك يا من أولعت بسماع المغنين، والمغنيات.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى متحدثاً عن إبليس: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ^{٦٤} وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [سورة الإسراء: ٦٤]، فقد قال جمهور المفسرين: «إن صوت إبليس في هذه الآية: هو الغنا واللهو، واللعب».

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا^{٦٥} أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [سورة لقمان: ٦٥]. نقل ابن جرير عن ابن عباس، وابن مسعود، وجابر، ومجاهد: «أنه الغناء» (١).

ولما سُئِلَ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «عن هذه الآية قال هو الغناء والذي لا إله إلا هو، هو الغنا والذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاثاً!».

(١) ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٠/١٢٨).

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَيْنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجِبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ

﴿٦١﴾ [سورة النجم: ٥٩-٦١]

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «السمود هو الغناء باللغة الحميرية - أي: بلغة أهل

اليمن - يقال: اسمدي لنا، أي: غني لنا» (١).

وذكرت كتب السنة جملة مما ورد في ذلك، ومن أصرح ذلك: ما رواه البخاري

معلقاً بصيغة الجزم، وهو صحيح، عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليكونن من أمتي أقوامٌ يستحلون الحر، والحرير،

والخمر، والمعازف!» (٢).

والمعازف: هي جميع الآت اللهو والطرب، من طبل، ومزمار، وطمبور،

وعود، وكوبة، وربابة، إلى غير ذلك، من وسائل الشر والمهالك.

وروى الترمذي، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إذا أتخذ الفيء دولا، والأمانة مغنما، والزكاة مغرما، وتعلم لغير الدين، وأطاع

الرجل امرأته، وعق أمه، وأدنى صديقه، وأقصى أباه، وظهرت الأصوات في

المساجد، وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٣٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥٥٩٠).



شره، وظهرت القينات والمعازف، وشُربت الخمر، ولعن آخرُ هذه الأمة أولها،
فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء، وزلزلةً، وخسفًا، ومسحًا، وقذفًا، وآيات تتابع،
كنظام بالٍ قطع سلكه فتتابع»^(١).

صلى الله على من لا ينطق عن الهوى، صلى الله عليك يا رسول الله، وكأني
بكم، وأنتم تسمعون إلى جمل هذا الخبر، من سيد البشر، وتقولون كل ما ذكر
واقع، وحاصل، ومشاهد في هذا الزمان، ومنه شاهدنا في هذا الحديث، وهو ظهور
القينات، والمعازف.

هذا بعض ما ورد من كتاب الله، وسنة رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** ولست
بصدد عرض كل ما ذكر، فالمقام مقام وعظٍ وتذكير، وليس مقام سرد وتفصيل.
وأما أقوال العلماء سلفًا وخلفًا، فجميعهم متفقون على تحريم الغناء، بل قد
حكى الطبري، وغيره إجماع السلف على تحريم ذلك.

قال صديق الأمة أبو بكر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** وأرضاه - «الغناء مزار الشيطان»^(٢).

(١) رواه الترمذي (٢٢١١).

(٢) رواه البخاري (٣٩٣١)، ومسلم (٨٩٢).

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما صح ذلك عنه، «الغنا ينبت النفاق، كما ينبت

الماء البقل» (١).

وقال رجلٌ لابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «ما تقول في الغنا؟! أهو حلالٌ، أم حرام؟!»

فقال لا أقول: حرام إلا ما في كتاب الله. قال: فحلالٌ هو؟ قال: لا أقول ذلك، ثم

قال للرجل: أرايت الحق، والباطل إذا جاء يوم القيامة، فأين يكون الغناء؟ فقال:

يكون مع الباطل. قال له ابن عباس: اذهب فقد أفتيت نفسك».

وهذا جوابٌ لأولئك المتفلسفة، الذين يحللون لأنفسهم من رؤوسهم،

وأهوائهم، فحين تنصح الواحد منهم وهو يغني في بيته، أو في سيارته، فيقول ليس

بحرام، وأنت متشدد، وغير ذلك، وآخر يقول: كل شيءٍ له وقته، وثالثٌ يقول:

ساعةٌ لي وساعةٌ لربي، وكبرت كلمةٌ تخرج من أفواههم، وكم وكم هي الأجوبة

التي نسمعها من كثيرٍ من السفهاء الغافلين، نسأل الله أن يردهم إلى الصراط

المستقيم.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا (٤ / ٢)، ومن طريقه البيهقي (١٠ / ٢٢٣).



وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ: «الغناء رقية الزنا». وصدق - والله - إن الغناء طريقٌ من طرق الزنا؛ فبسببه تثور الشهوة، وتتحرك الشعور، والمشاعر، وينبت العشق، وتبدأ العلاقات، والمواعيد، واللقاءات.

ولقد كان الزناة يستخدمون الغنا، يغنون به لمعشوقاتهم إذا امتنعن من الزنا، يستميلون به قلوبهن.

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: «الغناء لا يفعله عندنا إلا الفساق».

والشافعي رَحِمَهُ اللهُ سماه دياثة، وأبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ حرمه، وبالغ أصحابه فقالوا: «سماعه فسق، والتلذذ به كفر».

وقال بعضهم: «الغناء يورث النفاق في قوم، والعناد في قوم، والكذب في قوم، والخبث في قوم، والرقعة والميوعة في قوم»^(١).

وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ: «الغناء مبدؤه من الشيطان، وعاقبته سخط الرحمن».

وقال يزيد بن الوليد رَحِمَهُ اللهُ: «يا بني أمية إياكم والغناء؛ فإنه يُذهب الحياء، ويزيد الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه ينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعله السكر، فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء؛ فإن الغناء داعية الزنا».

(١) تحريم آلات الطرب (ص ١٥١).

وسمع سليمان بن عبد الملك رَحْمَةُ اللَّهِ صوت غناءٍ فغضب، وأحظر المغنين، وقال: «إن الفرس ليصهل فتستودق له الرَّمْكة - يعني: إن الذكر من الخيل يصهل فتسمعه الأثني؛ فتستعد للوطء- وإن الرجل ليغني فتشتاق له المرأة، ثم أمر بإخصائهم ليحامي بهم النساء».

كيف - بالله عليكم - بمن يدخل الأغاني الماجنات إلى بيته فيسمعها أهل بيته على مرأى ومسمع منه؟! والله المستعان.

هذه هي بعض أقوالهم في الغناء، وأي غناء؟! الغناء الذي كان في زمانهم قبل مئات السنين، ولا يخفى عليكم أنه ما كان عندهم عُشر معشار ما يوجد في هذا الزمان، من آلات اللهو، والمحسنات، والمكبرات، وما كان غناؤهم، وألفاظهم مثل ما نسمع في هذا الزمان، من السفاهة، والوقاحة، وقلة الحياء، فكيف لو سمعوا أغنيات المغنين والمغنيات في هذا الزمان، وهذه الأيام؟! كيف لو سمعوا بعض المغنيين وهم يتغنجون بأصواتهم، ويتميلون بحركاتهم، ويصف المغني حبيته من رأسها إلى أخصص قدمها، ومن هامها إلى إبهامها، يصف خدها، وشفاهها، وعينها، وساقها، ولونها، ويبالغ في مدحها ووصفها، حتى قال أحدهم:

أحب لحبها السودان حتى أحب لسودها سود الكلاب



إنها فتنة افتتن بها كثيرٌ من الشباب والفتيات؛ فقد أصبحت الأغاني في هذا الزمان في حياة كثيرٍ من المسلمين، وأصبح الواحد منا لا يكاد يدخل مكاناً إلا ويسمع فيه أصوات الأغاني، إن دخلت محلاً أو متجراً سمعت فيه الغناء، إن ركبت سيارةً سمعت فيها الغناء، إن ركبت حتى دراجةً ناريةً سمعت فيها الغناء، حتى أصبح مفروضاً من قبل بعض الشركات - هدايا الله وإياهم - فتركب نقلاً جماعياً، أو طائرةً فتسمع فيها أصوات الأغاني، وإن جئت تنصح، أو وتتكلم، قال: هذا نظام الشركة. وأنت في ظلمة الليل، وفي سماء الله في الطائرة إلا وتسمع كلمات الحب والغزل، في الليلة البهيمية، والله المستعان.

أسأل الله أن يردنا إليه رداً جميلاً، وأن يحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا! أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم، ولجميع المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم!



(الخطبة الثانية)

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم -.

إن هذه الفتنة التي نتحدث عنها، قد عمّت، وطمّت، فقلد أصبحت بيوت كثير من المسلمين، تعج بالأغاني والمنكرات، بجميع أصنافها وأنواعها، غريبة كانت أو عربية، وداخلية كانت أو خارجية، وصار في البيت المسلم لا أقول قناة، ولا عشرات، بل مئات ومئات، كل هذا موجود في بيوت كثير من المسلمين، وكل يومٍ وهي تسحق الأخلاق، وتفسد الضمائر والمروءات، فحصل من ورائها ما حصل من الفواحش والمنكرات.

فيا شديد الطول والإنعام إليك نشكو محنة الإسلام فمن نتائج هذه الفتنة الخطيرة، وهذه الرذيلة المنكرة: أن كثيراً من الرجال والنساء لا يستطيعون أن ينشطوا في أعمالهم، ولا أن يستمروا في مهامهم - كما يقول بعضهم - إلا عندما يفتح أغنية لفلانٍ من الناعقين والساقطين.



المرأة في بيتها، وفي مطبخها تظل ساعات وهي تسمع من أغنية إلى أغنية، لا تمل ولا تكل، لا سيما وقد أنعم الله علينا بهذه الذواكر التي تحمل وتُحمل المئات من الساعات، ولكن كثيراً من الناس ما شكروا نِعَمَ الله عليهم.

الرجل في عمله، في سيارته، في متجره، يفتح الأغاني، ويسمعها ثم يقول يا فتاح يا كريم أرزقني! وما درى أن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته.

تعجب - والله - ممن يشتغلون في الورشات، أو الأعمال الشاقة، وهو في هذه الحالة، ومع ذلك يفتح أغنيةً ماجنة في جواله، وبصوتٍ مرتفع فيؤذي؛ جيرانه، أو من بجواره، ويسأل الواحد نفسه كيف يعيش هؤلاء؟! وأي قلوب يحملها هؤلاء؟! هل معهم قلوبٌ من حديد، أم أن الران، والغفلة قد طُبعت على قلوبهم؟! نعوذ بالله من غضبه، وعقابه.

وبعضهم - والعياذ بالله - لا ينام إلا على أغنية ماجنة، وجواله في أذنه.

فإلى الله المشتكى من أناس استبدلوا القرآن في بيوتهم بالأغاني الماجنات، وأحيوا ليالهم على الأفلام والتمثليات، والمسرحيات الهابطات.

فلا عجب من هؤلاء وأمثالهم يوم يشكون الأمراض النفسية في بيوتهم، والأسحار في أهلهم وأولادهم؛ لأنهم هم الذي جنوا على أنفسهم، هم الذين جعلوا الشياطين تعشش في بيوتهم، وتدخل إلى أجسادهم، بل كان ذلك سببا في

سوء خاتمتهم - والعياذ بالله: ﴿ وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [سورة الشورى: ٣٠] رجلٌ أقسم بالله أن جاره الذي كان يسكن معه في الطابق العلوي كان مدمناً على سماع الأغاني الأجنبية، وغيرها، كان مدمناً كذلك على الموسيقى الصاخبة، قال: بعد أن ذكرته بالله مرارا، وتكرارا، ولم يتذكر، لكن الذي كان يزعجني أنه كان مصرا على أن يرفع صوت الأغاني بصورة مؤذية، بدعوى الحرية، وكأن هذه الحرية لا حدود لها، ولو على حساب وإزعاج وإيذاء الآخرين، قال: عدت من عملي يوماً من الأيام، فسمعت بكاءً وصراخاً من النساء والأولاد، قلت: ما هذا؟ وما الذي حصل؟ ما بكم؟ قالوا فلانٌ يحتضر، - أي الذي كان يغني - ولا إله إلا الله وفي هذه اللحظات كان صوت الأغاني يعج في بيته، قلت: يا إخواني إن أباكم الآن يحتضر، ولا تزالون تصرون على الأغاني، حتى في هذه اللحظات، اسمعوا شيئاً ينفعكم، الآن الملائكة تشهد احتضار أبيكم، قالوا: لو تكرمت أحضر لنا شريط قرآن! بيتٌ يعج بأشرطة الأغاني والمنكرات، ولا يوجد فيه كلام الرحمن! قال فنزلت مسرعاً، وأخذت معي شريط قرآن، وفتحته بيدي، قال: وبعد لحظات، وفي لحظة صحوٍ بين السكرات والكربات، حين سمع هذا الرجل المحتضر القرآن، قال: لا لا، أنا لا أريد أن أسمع هذا الصوت. افتحوا الأغاني هي التي تسعد قلبي!



لا إله إلا الله! نسأل الله حسن الختام، قال والله خرجت وأنا أبكي، ولم يتكلم الرجل إلا بهذه الكلمات، أنا لا أريد أن أسمع هذا الصوت، أنا لا أريد أن أسمع القرآن.

نسأل الله أن يُحسن خاتمتنا، وأن يهدينا، وأن يهدي شبابنا!

فإليكم يا شباب الإسلام، أيها الشباب، أيتها الفتيات، يا من علقت قلبك بأصوات الشياطين، وابتعدت عن القرآن العظيم، عُدْ إلى الله، عُدْ إلى الله، وأُحْيِ قلبك بكلام الله، يا أصحاب المحلات، يا أصحاب السيارات، يا أصحاب الدكاكين والمحلات، والمترات: اتقوا الله بأسماعكم، اتقوا الله وارحموا قلوبكم، اتقوا الله الذي تطلبونه وترجون منه أن يرزقكم، اتقوا الله ولا تتسبوا في إدخال الشياطين إلى بيوتكم!

كذلك أنت يا بنّة الإسلام كذلك أنت أيتها المرأة، فلئن كان هذا الأمر في الرجل عيباً، وهذا الذنب في الرجل عظيماً وقبيحاً، فهو في المرأة أقبح وأعظم! فكيف بالله عليك؟ وكيف يسمح لك دينك أن تسمعي لرجل، وتستمتعي بصوته، وأنت امرأة؟! أين الحياء؟! أين الدين؟! أين العفاف؟! أين الحياء من امرأة تسمع لأصوات الناعقين والساقطين، وتحفظ أسماءهم، وتملأ جوالها بأصواتهم؟! أين الحياء في المرأة التي تأتي إلى أصحاب محلات الأغاني - الذين يفسدون في أرض الله - وتختار أسماء الفنانين، وتهتم بجديد إصداراتهم، وأجمل أصواتهم، وقد

يكونون من أعداء دينها، بل ربما يسبون نبيها وإسلامها، أين النخوة، والرجولة،
والغيرة في الرجل عندما يرى ابنته، أو زوجته وهي تسمع الأغاني في بيته، وأسماء
المغنين في جوال ابنته، أو زوجته؟! ويا ترى ما هي أغنيات المغنين الساقطين في
هذه الأيام، وفي هذا الزمان؟ هل سيغني عن الجبال والأشجار؟ أم هل سيغني عن
الديار والآثار؟ كلا وألف كلا، وإنما عن الحب، والغزل، وعن وصف النساء من
أقدامهن إلى رؤوسهن؛ نسأل الله السلامة والعافية!

ألا فاتقوا الله أيها الرجال ويا أصحاب العقول، واتقوا الله يا أولياء الأمور،
وصونوا بيوتكم، ونساءكم من هذه الأصوات المنكرة، ولا تجعلوها مأوى،
ومقرّاً للشياطين وأصوات الناعقين والمغنين، فلکم سمعنا، ورأينا كثيراً من بيوت
المسلمين، تشكو من المس والضيق، والأمراض النفسية، وهذا - وربّي - من
البعد عن الله، والإعراض عن ذكر الله: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا
وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [سورة طه: ١٢٤]. أسأل الله أن يحيي قلوبنا، وأن يجعلنا
من الذاكرين الشاكرين، أسأل الله أن يعيننا على ذكره، وشكره وحسن عبادته، وأن
يطهر بيوتنا، ومساكننا من أصوات المغنين، والشياطين.....



(الحجاب بين موت الغيرة، وقلّة الحياء)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث، كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر

الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون عباد الله، لا يخفى علينا ما عمت به البلوى في كثير من البلدان،

من تبرج الكثير من النساء وسفورهن، وعدم تحجبهن عن الرجال، وإبداء الكثير

منهن من زيتتهن التي حرم الله إبداءها، وحيث إن هذا الداء من المنكرات العظيمة، والمعاصي الظاهرة، ومن أعظم أسباب نزول العقوبات، وحلول النقمات، ذلك لما يترتب على التبرج والسفور من ظهور الفواحش، وارتكاب الجرائم، وقلة الحياء، وعموم الفساد، وحيث إن أفكار المفسدين، وأقلامهم، ومعاولهم، لا تزال تعمل كذلك في هدم الإسلام، وفي هدم قيمه وأخلاقه.

معاشر المسلمين والمسلمات: لقد كانت المرأة مهضومةً، مظلومةً، معدودةً عند كثيرٍ من الرجال في سقط المتاع، وكانت أوربة وقوانينها الآثمة تسمح للآباء بأن تؤجر المرأة، وتعار، وتشتري وتباع، وكانت شريعة الرومان تكم فم المرأة عن الكلام، وتلحقها بالكلاب، وضواري السباع، وكانت العرب يمنعونها من الإرث، ويئدونها صغيرة، إلى غير ذلك من الإهانات!

ثم جاءت هذه الشريعة السمحة، وأخرجت المرأة من الظلمات إلى النور، وصارت مكلفةً، ومتصرفةً بتصرفاتٍ توافق طبيعتها، وتتناسب معها، ثم حد لها الإسلام حدوداً تحفظها، وتحفظ عفتها وكرامتها، فشرع الله لها الحجاب؛ ليحجز العابثين عنها.

ولكن أذعياء المدنية وأتباع الشيطان المدعون تحرير المرأة، يعدون

الحجاب هضمًا لحقها، وحكمًا برقها، وكذلك يدعي كل أفاك أثيم!



فلقد ظل أعداء الإسلام، وما يزالون يكافحون لإخراج المرأة المسلمة من دارها، ومن سترها وعفافها، وذلك تحقيقاً لمآربهم الخبيثة، ومقاصدهم السيئة، أيها المسلمون عباد الله، وحتى لا ينزلق بعضنا وينجرف في تيار دعاة الضلال من أهل الفن والصحافة؛ لا بد أن نعرف حكم الحجاب معرفةً مستندةً من الكتاب والسنة.

فلقد دلت الآيات والأحاديث على وجوبه وأهميته، فمن ذلك: قول الله

سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [سورة النور: ٣١].

وروى الإمام أحمد عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان الركبان يمرون بنا

ونحن محرماتٌ مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها

على وجهها من رأسها، فإذا جاوزونا كشفناه»^(١).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً قال: «النساء عورة وإن المرأة لتخرج من

بيتها وما بها بأس، فيستشرفها الشيطان، فيقول: إنك لم تمرى بأحد إلا أعجبته،

وإن المرأة لتلبس ثيابها فيقال: أين تريدان؟ فتقول: أعود مريضا، أو أشهد جنازة،

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٩٠٥١).

أو أصلي في المسجد. وما عبدت المرأة ربها مثل أن تعبد في بيتها». وهذا فيه دليلٌ على أن بقاءها في بيتها خيرٌ حتى من خروجها للطاعات والقربات.

وروى البخاري في صحيحه، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «يرحم الله نساء

المهاجرين الأول، لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [سورة النور: ٣١] شققن مروطهن فاختمن بها».

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «اختمن أي غطين وجوههن» (١)

وتقول صفية بنت شيبة: بينا نحن عند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فذكرت نساء قريشٍ

وفضلهن، فقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إن لنساء قريشٍ لفضلاً وإني

- والله - ما رأيت مثل نساء الأنصار، ولا أشد تصديقاً لكتاب الله ولا إيماناً به

منهن، لقد أنزلت سورة النور ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [سورة النور: ٣١]، فانقلب

رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهن، يتلو الرجل على امرأته وابنته،

وعلى كل ذي قرابته، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها فاعتجرت به تصديقاً

وإيماناً بما أنزل الله، فأصبحن وراء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معجرات كأن على

رؤوسهن الغربان. والاعتجار هو لف الخمار على الرأس مع تغطية الوجه (٢).

(١) فتح الباري (٨ / ٤٩٠).

(٢) "الكشاف" (٣ / ٢٨٧)، وشرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٦ / ٣٦٤).



ودخل نسوةً من بني تميم على عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وعليهن ثياب رقاق فقالت:

«إن كنتن مؤمنات فليس هذا بلباس المؤمنات، وإن كنتن كافرات فتمتعن به»^(١).

وهذه رسالة من أمك يا ابنة الإسلام، يا من تلبسين اللباس الضيق الفاتن،

الملفت، إن كنت رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيا،

فليس هذا بلباس المؤمنات

ودخلت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكرٍ على عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وعليها

خمارٌ رقيق؛ فشقته عائشة وقالت: «أما تعلمين ما أنزل الله في سورة النور؟ ثم

دعت بخمارٍ كثيفٍ فكستها»^(٢).

ويقول عاصم الأحول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كنا ندخل على حفصة بنت سيرين

وقد جعلت الجلباب هكذا... فتتقبت به، فنقول لها: رحمك الله! يقول الله:

(١) تفسير القرطبي (١٤ / ٢٤٤).

(٢) أخرجه ابن سعد (٨ / ٤٩ - ٥٠)، ومالك (٣ / ١٠٣) بنحوه، والبيهقي (٢ / ٢٣٥). ومداره على أم علقمة

مرجانة، ذكرها ابن حبان في (الثقات) (١ / ٢٣٦)، جلباب المرأة المسلمة (ص ١٢٦).

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ

عَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ [سورة النور: ٦٠] قال: فكانت تقول لنا: وماذا قال الله بعد ذلك؟

قال فنقول: ﴿وَأَنْ يَسْتَغْفِرْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾^(١).

معاشر المسلمين: إن الحجاب والعفاف لو لم يكن فريضةً شرعية، لكان

ضرورةً عقلية، يوليها الواقع والمروءة، في عصر التبذل وقلة الحياء، في عصرٍ ذاق

فيه الذين لم يعرفوا الحجاب اللومات والحسرات. وقد ورد ما يدل دلالةً صريحة

على وجوب تغطية جميع البدن، بما فيه الوجه أمام الرجال الأجانب.

جاء في صحيح البخاري في حديث الإفك الطويل.... وفيه أن عائشة قالت:

- لما رأها صفوان بن المعطل - "فخمرت وجهي بجلبابي"^(٢).

واحفظوا هذه العبارة؛ حتى تجعلوها سهمًا ترمون به أعين دعاة التحرير

والتبرج.

معاشر المسلمين: إن الأعراض إذا لم تصن وتحصن، فستسقط لا محالة،

ستسقط أمام هذه الإغراءات والدعايات الكاذبة، فاحذروا، وصونوا بيوتكم من

أجهزة الفساد بثتى أنواعها، مقروءة كانت، أو مسموعة، أو مرئية؛ فإنها تضعف

(١) السنن الكبرى للبيهقي (١٣٥٣٤).

(٢) رواه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).



الإيمان، وتدعو إلى الافتتان، صونوا بناتكم قبل وقوع المحذور، ثم لا ينفذ بعد ذلك بكاءً ولا ندم.

أيها المرأة المسلمة: حذار من التردّي في المنحدر الذي تردت به المرأة الكافرة، فإن الكافرة قد يكون لها بعض العذر؛ لأنها لا تجد ديناً يجمعها، ولا أحد يحجزها، أو يغار عليها، أما أنت فما عذرک يا ابنة الإسلام وقد أنزل الله لك ديناً، يحفظ لك العزة والكرامة؟!!

قولي لهم يا ابنة الإسلام، كما قالت المرأة الصالحة.

بيدي العفاف أصون عز حجابي وبعصمتي أعلو على أترابي

أعلمي أيتها المسلمة أن المرأة الحرة الحصينة هي التي تدرك أن خالقها لا

يأمرها إلا بما يصلحها ويصلح غيرها. ولقد صور الشاعر المرأة بدون حجاب

كأنها مدينةٌ بلا أسوار، فقال:

إن المدينة يا ابنتي تبقى محصنةً أمينةً ما دامت الأسوار تمنعها بأعمدةٍ متينةً

فإذا هوت جدرانها نفذ العدو إلى المدينة

وإنه لمن المؤسف جداً أن ترى بعض من يدعين الحجاب قد ارتدت إحداهن

حجاباً فيه ألوانا مزركشة ومنقشة، تلفت الأنظار، ثم تزعم صاحبة هذا الحجاب

المزيف أنها محجبة، وأي حجابٍ هذا؟! هذا حجابٍ خداعٍ وتزييف، حجاب

زينةٍ وفتنة، حجابٍ عارٍ فوق رأسٍ فارغٍ من العلم والورع، ولا ندري كيف يرضى الزوج الذي يشعر أن زوجته له لا لغيره، وكيف ترضى الزوجة التي تشعر أنها لزوجها لا لغيره، كيف يرضى هو وترضى هي أن تعرض جسمها، وأعضاءها، وزينتها بشكلٍ مثير، وفاتن، ومهيج في الأزقة والشوارع، أمام الذئاب البشرية المنتشرة هناك؟!!

أيها المسلمون، أيها الرجال الغيورون، إن الاسلام حين أمر النساء بالاحتجاب عن الرجال الأجانب؛ لأن منهم البر، والفاجر، والطاهر، والعاهر، والحجاب حاجزٌ يمنع الفتنة، ويحجز عن دواعيها، ويدعو إلى الحياء والعفة، ويبعد عن مظان التهمة، ويحفظ النساء من تعرض الفساق لهن بالأذى والنظر السيئ.

كما حرم على المرأة مخالطة إخوان الزوج؛ وذلك محافظةً على الثقة بينها وبين زوجها، وحتى لا تعرض نفسها لأن تفتن أو تُفتن، أو أن تتعرض لوسائل الإغراء، وحبائل المكر والخداع.

وهذا الكلام، قد يستنكره بعض الذين في قلوبهم مرض، فيمدون شفاههم طعنا في وجوه الدعاة، بأن هذا تشدد وتخلف، بل هو سوء ظن وخبث طوية، وأعداؤهم في مخالطة نساء إخوانهم: بأن قلوبهم صافية ونظيفة، ويا لها من كلمةٍ ساذجةٍ، لا



يقبلها شرع، ولا عقل، وقد قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «إياكم والدخول على النساء». وقال: «وما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء!».

وكم وكم هي القصص والجرائم التي حصلت مع نساء الإخوة مما يتندى له الجبين خجلا منها، ونستحي من سردها ونشرها في هذا المقام، وكل ذلك بسبب هذه المبررات، والمغالطات التي منشؤها الجهل بمنهج رب الأرض والسماوات معاشر المسلمين والمسلمات، وإن مما يجدر الحديث عنه والتحذير منه، ونحن في صدد الكلام عن الأخلاق والأعراض، هو التحذير من كثرة خروج المرأة من بيتها ومقرها، ومصدر شرفها وكرامتها، بدون حاجة تلجئها، أو ضرورة تدعوها. فنقول أيها الآباء، أيها الأزواج الشرفاء: إن البيت للمرأة في نظر الإسلام كالقوقعة بالنسبة لجوهرتها، تزداد فيه نضارةً، وحسناً، وبهاءً، وضياءً، ونوراً، وإيماناً، وحين تخرج منه يخبو نورها، ويتضاءل ضياؤها، ويذهب جلاؤها، فالبيت حصن المرأة الحصين، وملجؤها الأمين.

وقد سمى الله مكث المرأة في بيتها قراراً، فقال **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [سورة الأحزاب: ٢٣]، وإن خروج المرأة من بيتها، أو كثرة خروجها من بيتها، وتزينها، وتعطرها، وسيرها، في الأسواق تزاحم الرجال، وتداعب الباعة، وتمازحهم، وتستهوئ عيونهم، وتفتن قلوبهم، دليلٌ على ضعف

الوازع الديني في نفسها، أو انعدامه بالكلية، وأماراةً على نوم الشرف، أو موته في قلب زوجها الذي لا يبالي بكثرة خروجها من بيتها.

وإن تعجب فاعجب من أصحاب الغير الميتة، الذين يرضون لنسائهم بأن يخرجن إلى الطبيب لو حدهن وهم مرجومون هناك في بعض مقاييلهم، وأعمالهم، أما تعلم يا رجل أن زوجتك إذا جلست بين يدي الطبيب أصبحت كالमित بين يدي مغسله؟ أما تعلم أن كثيراً من الأطباء يتعمدون الكشف على سوء المرأة الحامل مدعيًا بذلك الاطمئنان على صحة الجنين؟ بل يتجرأ بعضهم ويفعل ما هو أعظم من ذلك.

وإن جاء الغيور على عرضه وأراد الستر لزوجته، أو ابنته، حوّل من الطيبة إلى الطبيب - للأسف الشديد-! ما دور الطيبة إذن؟! ألا قاتل الله بعض الأخلاق والشيم!

ومما يحزن القلب ويدمع العين؛ أن كثرة المساس قد يولد الإحساس، ويصبح الأمر مستطاباً ومستحسنًا عند بعض النساء من اللاتي قلّ حياؤهن، فإذا جاءت إلى المستشفى ولم تجد الطبيب غضبت ورجعت، ولم تذهب إلى لطيبية، لماذا؟ لأنها تدربت، وألفت لمس الرجل الأجنبي عنها، بل صار بعض الأطباء يرى أن الخلوة بالمرأة حقٌّ من حقوقه؛ فيتجرأ ويخرج الرجل الذي يأتي مع زوجته - إن



صح أن نسميه رجلاً- قائلاً له: لا يصح أن تحضر محل الكشف، وبعض أشباه

الرجال يطأطئ رأسه، وينزع مروءته، ليترك الطبيب خالياً بزوجته!

لمثل هذا يموت القلب من كمدٍ إن كان في القلب إسلام وإيمان

وارجمينا يا جبال الأرض صخرا وارجمي منا شعورا قد تبدل

وإذا الأخلاق قد ولى ذووها فقل يا موت مر بنا سريعاً

هذا كله من أجل المقاييل، من أجل شجرة القات دمرها الله، التي كانت سبباً

في بيع المبادئ والأخلاق والقيم، وضعف الغيرة، وذهاب الرجولة، وبعضهم

ربما يعطي ابنته أو امرأته المال لتذهب لتفصل الملابس الضيقة ثم ترجع له

بكرت مقاس لباسها، الذي فيه طولها وعرضها! ولا يسأل نفسه هذا البليد، من

الذي قاسها؟ أين قاس لها؟ كيف قاس لها؟ أسئلة كلنا يعرف جوابها.

فيا شديد الطول والإنعام إليك نشكو محنة الإسلام



(الخطبة الثانية)

الحمد لله أمر بتقواه، وأخبر أن من اتقاه وقاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

معاشر المسلمين والمسلمات، إن معصية التبرج ليست معصيةً فردية، بل هي معصيةٌ جماعية، تشترك فيها المتبرجة مع أولي أمرها الذين يسمحون لها بذلك، ويشترك فيها المجتمع أجمع؛ الذي لا يبالي بزجرها، ولا بصددها عن غيرها. ولقد أصبحت المتبرجات يتسابقن في مجال الزينة؛ لأجل لفت الأنظار إليهن، مما جعل المرأة كالسلعة المعروضة لكل من شاء أن ينظر إليها، فحصل ما حصل من المفاسد والأضرار، ومن أهم ما حصل:

أولاً: الإعراض عن الزواج، وشيوع الفواحش، وسيطرة الشهوات. فإن المرأة حينما تخرج من بيتها وقد لبست اللباس الذي يجعلها عارية، وإن كانت كاسية، كما قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «كاسياتٌ، عارياتٌ». فإنها بذلك تهيج الشباب، وتشعل غريزتهم، وتدعوهم إلى الافتتان بها، والتعلق بها! وهكذا يظل الشباب يعيشون بأعين زائغة، وبقلوبٍ مريضة، حينما يرون مثل هؤلاء السافرات العاريات، حينها لا تسأل عن عزوف الشباب عن الزواج، حتى أصبحنا نرى منهم من قد جاوز الثلاثين وهو مقتدرٌ على الزواج؛ ومع ذلك يرفض ويأبى أشد الإباء،



لماذا؟ لأنه قد أُلِف الحرام، وأصبح يتمتع ناظره بالحرام، وأصبح معه لقاءات وعلاقات بالحرام، كل ذلك بسبب قليلات الحياء لا كثرهن الله، ولا تدري تعجب من قلة حياء هؤلاء الساقطات، أم من أولياء أمورهن؟ ولا تدري هل عندهم نخوة، أم قد ماتت نخوتهم وغيرتهم، أم قد ضاعت رجولتهم؟ عندما يرى ابنته، أو زوجته، تخرج بهذه الملابس التي تلفت أنظار الشباب إليها، وتجعلهم يتعلقون بها، وربما يلاحقونها، ويؤذونها، قل لي بربك: هل ماتت غيرتك، أم قد ضاعت رجولتك وقوامتك، أم أنك غير قادرٍ على شراء لباسٍ يسترها، ويحفظها، ويحفظ عفتها وكرامتها، ويصونها عن أنظار السفهاء إليها؟! **كذلك مما نتج من مفاسد التبرج والسفور**، وظهور هذه الملابس التي نشاهدها في شوارعنا، وأسواقنا، قلة الحياء، أو اضمحلاله، فالمرأة التي تلبس الملابس الضيقة، الفاتنة، الملفتة، تعبر بلباسها عن قلة حياؤها، وسوء أدبها، فلو كانت ذات أدبٍ لاحتشمت بلباسها، وسترت جسمها وعرضها الذي هو أعز ما لديها، لو كانت ذات أدبٍ لاستحيت من كثرة الشباب الذين ينظرون إليها، ولعلها قد تسمع من يدعوها، أو يعبر عن رغبته بها، لكن لباسها هذا يشعرك أنها قد خلعت حياءها قبل أن تخرج من بيتها، وحين تخرج ما الذي يحصل أثناء خروجها؟ قد ترفع

صوتها مع الساقطات من أمثالها، وقد تتمايل في مشيتها، وتبرز مفاتنها، بل قد ترفع لباسها وهي تمشي لتظهر لباس أرجلها، وما في داخلها.

ما هو الغرض أيتها السافرة الساقطة؟! ما هو الغرض التي تفعله بعض السافرات حين يبدين ملابسهن الداخلية؟ أين الحياء؟ أين الأدب؟ والله لقد أصبحنا نرى ونشاهد من نساء المسلمين مشاهد تحرق الدم، وتدمي القلب، ولقد أصبح كثير من هؤلاء المتبرجات الساذجات يمشين في وسط طريق الرجال، نعم تمشي إحداهن في وسط الطريق، تهرب منها ولا تهرب منك، توسع لها ولا توسع لك، تخشى من مسها، ولا تخشى من مسك ولمسك!

أما عن قلة حياؤها عند شرائها، ومبايعتها مع من تشتري منه حاجتها، من أصحاب الملابس، والمحلات، فيندى- والله- الجبين خجلاً من قلة الحياء التي وصلت إليه بعض النساء، فحين أن تدخل إحداهن تراها تكثر الكلام مع البائع، وتمزح معه، وتستهووي عينه، وتفتن قلبه، وتستعطفه، وتتودد إليه، من أجل أن ينقص لها مائة ريال، أو أقل أو أكثر من ذلك.

وهكذا أصبح بعض النساء يترددن على عشرات التجار، وكل واحدة قد عرفها التاجر، وعرف طولها وعرضها وصوتها، وربما اسمها، وبعض تفاصيل حياتها، وإذا جاءته لتشتري منه شيئاً بدأ يسألها، أين أيامها؟ وما هي أخبارها؟



ومستجداتها؟ وربما لا تخرج من عنده إلا وقد قضى وقتاً طويلاً في الكلام معها.

قاتل الله أصحاب الغير الباردة، وأصحاب الرجولة الميتة، أهذا هو الدين؟ أهذه هي الرجولة؟ حين تجعل زوجتك، أو ابنتك هي التي تتولى شراء حوائج بيتك، أهذه هي غيرتك على شرفك وعرضك يوم تجعل زوجتك تتعرف على الأسواق وأنت في بيتك، أو مقيلك؟! أهذه هي القوامه التي فضلك الله بها على زوجتك؟! ومع ذلك تجعلها تعمل، وتدخل، وتخرج، وتخالط الرجال من أجل لقمة عيشك!! أهذا هو امثال قول الله عزَّجَلَّ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [سورة الاحزاب: ٣٣]!؟

كذلك مما نتج عن التبرج، والسفور، وظهور هذه الملابس الفاضحة؛ كثرة الجرائم، بما في ذلك جريمة الزنا - والعياذ بالله - فالشباب عندما يرى المرأة بلباسها الضيق الذي يحجم جسدها، ويبرز مفاتها، تثور ثائرتة، وتشتعل غريزته، فيسعى جاهداً بكل الأسباب التي توصله إليها؛ لأنها ما لبست هذه الملابس الفاتنة؛ إلا لتصرف الأنظار إليها، فقد يلاحقها، وقد يكلمها، قد يغريها بماله، أو بسيارته، وقد يجتهد في البحث عن رقم جوالها، فعند ذلك يحصل ما يحصل من

المراسلات، والعلاقات، ثم اللقاءات، ثم الوقاحات، وبعد ذلك الجرائم الفاضحات، نسأل الله الستر والعافية.

همسة، فابتسامه، فسلام فكلام، فموعد، فلقاء.

كل هذا بسبب ماذا؟ بسبب التبرج، بسبب السفور، بسبب ترك اللباس، والحجاب الشرعي.

وإلا- والله - لو كانت تلك المرأة محتشمة في لباسها، تلبس الحجاب الذي يسترها، ويدل على حيائها وعفافها؛ ما تجرأ عليها أحد، ولا رغب في النظر إليها أحد، بل - والله - لدافع عنها كل أحد.

حتى قال بعض الشباب: «والله إني إذا رأيت الفتاة المتجلبية، والمحتشمة في لباسها؛ نظرت إليها وكأنها إحدى أخواتي».

ويقول بعضهم: والله إن المرأة المتحجبة، والمحتشمة في لباسها إذا مدّت يدها لتشتري مني شيئاً؛ أخذت منها المال ويدي ترتعش؛ مهابةً منها، وخشية أن تمس يدي يدها! لا إله إلا الله، ما أعظم هذا الدين! وما أجمل التمسك بشرع رب العالمين!

ختاماً نقول: ونوجه رسالةً لأصحاب العقول: إن من أبرز أسباب تبرج المرأة وتزينها، وفساد أخلاقها، هم أولياء أمور النساء، لأن الله جعل القوامة للرجل على



زوجته ليوجهها، ليعدل سيرها واعوجاجها؛ لأنه أرشد منها، وأعقل منها، فلو وجدت المرأة من زوجها حزمًا، وعزمًا، ما تجرأت أن تخرج بهذه الملابس الضيقة، ولو وجدت الغيرة في زوجها ما تجرأت أن تكلم الباعة، وتمزح معهم، وتمسكن بين أيديهم؛ من أجل أن ينقصوا لها الأسعار.

إن المرأة لو عرفت من زوجها أنه لا يحب خروجها من بيتها؛ ما كانت كل يوم في مكان، لا تفوتها وليمة ولا تغيب عن صالة أو قاعة، وإن الرجل لو كان يخاف على خدش حياء زوجته، وهو يعرف رقة تدينها، وقلة علمها؛ ما سمح لها أن تنظر إلى القنوات، وإلى الأفلام والمسلسلات الهابطات، بل لما أدخل أجهزة الدمار، والعار، والنار إلى بيتها.

فو الله ما تبرجت النساء، وقل حياؤهن، وضعف تدينهن، إلا بسبب الأفلام، والمسلسلات التي تُعرض عليهن في بيوتهن، فقلة الحياء، وتبرج النساء، وما يحصل في خارج البيت؛ ما هو إلا انعكاس لما يحصل في داخله.

فاظهروا- رحمكم الله- قوامتكم، وصونوا بيوتكم بالمحافظة على نساءكم، واعلموا أن كل راعٍ مسئولٌ عن رعيته. وما من عبدٍ استرعه الله على رعية فأمسى غاشًا لهم، إلا لم يرح رائحة الجنة!

أنتِ أيتها المرأة: اعلمي وتيقني أن عزك، وشرفك، والذي ينفحك إذا وقفت بين يدي ربك هو بعفتك، وبحشمتك، وبحيائك، فقد أكثر الله من خطابك وأمرك فقال: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ [سورة النور: ٣١] ﴿وَلَا يَبْدِينَ﴾
﴿وَلَا يَضْرِبْنَ﴾ ﴿وَلَا تَبْرَجْنَ﴾ ﴿وَأَطَعْنَ﴾، ﴿وَقَلْنَ﴾، ﴿وَأَذْكُرْنَ﴾، ﴿وَقَرْنَ﴾.

أختاه يا أمة الإله تحشمي
صوني جمالك إن أردت كرامةً
لا تعرضي عن هدي ربك ساعةً
ما كان ربك جائراً في شرعه
حلل التبرج إن أردت رخيصةً
أنا لا أريد بأن أراك جهولةً
فتعلمي، وتثقي، وتنوري
لكنني أمسي وأصبح قائلاً
لا ترفعي عنك النقاب فتندمي
كي لا يطول عليك أدنى ضيغم
عصي عليه مدئ الحياة لتنعمي
فاستمسكي بعراه حتى تنعمي
أما العفاف فدونه سفك الدم
إن الجهالة مرة كالعلقم
والحقُّ يا أختاه أن تتعلمي
أختاه يا أمة الإله تحشمي

اللهم استر نساءنا ونساء المسلمين أجمعين.....



(جريمة الزنا وانتشارها في هذا الزمان)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر

الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون عباد الله: لقد كثرت الذنوب، والمعاصي في هذا الزمان،

وظهرت الفواحش والمنكرات، فقل أن يخلو منها مكان، ولا يكاد يأتي زمان إلا

وفيه من الموبقات، والمهلكات مما لم نسمع به فيما قد مضى من الأعوام والسنوات.

وهذا مصداق لما أخبر به نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** حين قال: «لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه!». نسأل الله السلامة والعافية!

فبين الحين والآخر ونحن نسمع عن عادة سيئة ظهرت، وعن خصلة منكرة انتشرت، وهكذا كل فتنة تأتي ترقق ما قبلها، وتهون من شأن أختها، والله أعلم ما الذي ستحملة بطون الأيام التي سنعيشها.

فما زلنا نذكر حين بدأ ظهور الدشوش والقنوات، حين لم تكن تدخل إلى بيوت، وأماكن معدودات، وكان الناس ينظرون إلى من أدخلها إلى بيته نظرة استنكارية، ويشار إليه ويُتحدث عليه بأن فلانًا أدخل إلى بيته قنوات فضائية، ويصبح في حيه كالأسرة الشاذة، أو الاستثنائية.

وهكذا دواليك، دواليك حتى دخلت هذه القنوات إلى كل بيت ومكان، وانعكست الأمور وتغير الزمان، وتبدلت الأخلاق، وقل الحياء في النساء، وضعفت الغيرة في الرجال، وأصبح البيت الذي لا يوجد على سطحه تلك الصحون بيتا نادرًا وغريبًا، وصاحبه مستنكرًا ومتخلفًا، ثم بعد ذلك ظهرت الشاشات المصغرة عبر الجوالات، وكثرت الشبكات في القرى والحارات، حتى



أصبحت تفعل ما لا تفعله الدشوش، والقنوات. قل مثل ذلك في النساء وحيائهن، وغيره أولياء أمورهن عليهن.

فلقد كان الناس ينظرون إلى المرأة التي تخرج من بيتها لوحدها؛ -وهي في غاية حشمتها وأدبها- نظره غريبة استنكارية، ودار الزمان، وتغيرت الأحوال، ثم أصبحنا نرى ثمار القنوات التي أدخلت على النساء في بيوتهن منعكسة عليهن حال خروجهن؛ فصارت كثير من النساء تقلد، وتطبق ما رآته في بيتها أثناء خروجها من دارها وسترها وعفافها، ثم صارت تكثر من الخروج من بيتها، وتلبس اللباس الذي يحجم جسدها، ويعرض مفاتها، ثم انتشرت الجوات في أيدي الشباب، والفتيات، واختصرت ما أراده أعداء الإسلام في سنوات، وسنوات.

هكذا بدأ أعداء الإسلام يدبرون، ويخططون، حتى وصلوا إلى ما يريدون، وفوق ما يريدون، ابتداءً من النظرة المحرمة عبر القنوات التي في بعض البيوت، ثم بسعي حثيث، واجتهاد خبيث، إما بتسهيل وجودها، وإما بتطوير إصداراتها، وجودتها، أو بخفض أسعارها؛ كي يكثر تداولها وشراؤها.

فها نحن نرى كل الأشياء ارتفعت أسعارها، وخفت جودتها، أو انعدم وجودها؛ إلا وسائل الشرفهي في تطور منذ بداية نشأتها؛ وذلك تسهيلا، وسعيا

من أعداء الإسلام ليمتلكها كل فرد من أفراد المسلمين؛ من الأغنياء، والمساكين،
والصالحين، والطالحين؛ عياذا بالله رب العالمين!

فبعد أن كانت قنوات عبر شاشات في بيوتنا، أصبحت قنوات في الشاشات
المصغرة في جيوبنا، وما كان يشاهد بخفية في لحظات، صار يشاهد بلا رقابة في
ساعات، وساعات، ولم يعد هناك أفلام ورقصات، ومسرحيات، وأغنيات، بل
مواقع إباحيات، وأفلام جنسيات، تذيب الحديد، والجبال الراسيات، كل هذا
موجود، ومتوفر في الجوال التي يحملها الأولاد والبنات، والشباب والشابات.
وبعد هذا أقول ما رأيكم وما ظنكم في شباب وشابات؛ وهم يشاهدون هذه
المشاهد المثيرة؟! ماذا يحصل من الفواحش، والمنكرات؟ وهذا هو موضوع
حديثنا بعد كل هذه المقدمات.

ألا وهو الحديث عن جريمة الزنا التي انتشرت في هذا الزمان، وعن قضية
الاختطافات التي سمعنا بها في غير ما مكان، والتي هي علامة من علامات الساعة،
كما أخبر بذلك نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**؛ فقد روى البخاري، ومسلم: عن أنس
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لا تقوم الساعة حتى يظهر الزنا».

بل وأخبر النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: بأعظم من ذلك فقال - فيما رواه أبو يعلى،
قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح، عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عن النبي



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «والذي نفسي بيده، لا تفتنى هذه الأمة حتى يقوم الرجل إلى المرأة فيفترشها في الطريق، فيكون خيارهم يومئذ من يقول: لو واريثها وراء هذا الحائط» (١)

نسأل الله أن يحكم شرعه في بلادنا، وفي جميع بلاد المسلمين.

أمة الإسلام: إن الزنا جريمة خطيرة، ومعصية عظيمة، كيف لا وهو يطعن في شرف الإنسانية المتوارث، ويخلط بين الأنساب الطاهرة، ويحصل من ورائه الخزي والفضيحة في الدنيا والآخرة إن الزنا عار وشنار، يهدم البيوت الرفيعة، ويخرس الألسن البليغة، ويضع القبيلة الشريفة.

ولقد حذر الله عباده من ارتكاب هذه الجريمة، ومن الاقتراب منها، فقال

- جل ثناؤه -: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [سورة الإسراء: ٣٢].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والنهي عن قربانه أبلغ من النهي عن مجرد

فعله؛ لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه؛ فإن: «من حام حول

الحمى، يوشك أن يقع فيه» خصوصاً هذا الأمر الذي في كثير من النفوس أقوى

داع إليه.

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٦١٨٣)، وسنده قوي.

ووصف الله الزنى وقبحه بأنه ﴿كَانَ فَحِشَةً﴾ أي: إثما يستفحش في الشرع والعقل والفطر؛ لتضمنه التجرؤ على الحرمة في حق الله وحق المرأة وحق أهلها أو زوجها، وإفساد الفراش واختلاط الأنساب، وغير ذلك من المفساد.

وقوله: ﴿وَسَاءَ سَيِّئًا﴾ أي: بئس السبيل سبيل من تجرأ على هذا الذنب العظيم» (١).

ولقد جعل الله للزاني والزانية، العقوبة الحسية والمعنوية؛ وذلك بالرجم بالحجارة في جميع جسدهما الذي تسبب في تدنيس شرفهما، وشرف قبيلتهما، وأسرتهما!

ولقد حذر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الأمة من هذه الرذيلة؛ وأكثر من ذلك، فقد روى ابن ماجه في سننه، وحسنه الألباني رَحِمَهُمَا اللهُ عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: أقبل علينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع، التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلا أخذوا بالسنين، وشدة المئونة، وجور

(١) تفسير السعدي (ص ٤٥٧).



السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله، وعهد رسوله، إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم» (١).

لا إله إلا الله! صلى الله عليك يا نبي الله.

أيها المسلمون: ألم تظهر الفاحشة في هذا الزمان؟ ألم ينقص الميزان، ويظهر الغش عند كثير من أمة الإسلام؟ ألم تمنع الزكاة؟ ألم يُنقض عهد الله؟ ألم تحكم أئمتنا بغير ما أنزل الله؟ بلى بلى، قد حصل ما أخبر به نبينا، ومنها جريمة الزنا، نسأل الله أن يحفظنا من بين أيدينا، ومن خلفنا!

أيها المؤمنون عباد الله: إن الزنا يطفى نور الإيمان، كما روى الشيخان، عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» (٢).

وقد استنبط بعض العلماء: أن الحكمة من تحذيره **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أمته من الزنا في خطبة الكسوف دون غيره من الذنوب هي: أن الزنا يطفى نور الإيمان في

(١) رواه ابن ماجه في سننه (٤٠١٩).

(٢) رواه البخاري (٦٨١٠)، ومسلم (٥٧).

قلب الزاني؛ كما يذهب الكسوف نور الشمس والقمر على الأرض. وهو استنباط مسدد ومؤيد بالأحاديث الدالة على أن الإيمان يخرج من العبد حال زناه، حتى ينزع عن الزنا.

ويزيده موضحاً أثر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حين قال: إن الله - تعالى - «ينزع من الزاني نور الإيمان»^(١).

وروى البخاري في صحيحه، في حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل؛ في قصة الإسراء والمعراج، وفيه: أن جبريل وميكائيل أتيا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وقالا له: انطلق انطلق، قال: فانطلقنا فأتينا على مثل التنور، فاطلنا فيه، فإذا فيه رجال، ونساء عراة؛ يتوقد تحته نار، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا، فإذا هدأت رجعوا فيها، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من هؤلاء يا جبريل؟! قال: هؤلاء الزناة والزواني»^(٢).

أمة الإسلام: إن الزنا جريمة بشعة، وخزي وفضيحة في الدنيا قبل الآخرة. إن المرأة حين تخلع كرامتها، وتنزع مروءتها؛ فإن كانت بنتا وضعت رأس والدها، ورأس أمها، ورأس إخوانها، وعائلتها، في الوحل، والطين، والتراب، فإن

(١) رواه البخاري في صحيحه معلقاً (٨/ ١٥٧).

(٢) رواه البخاري (٧٠٤٧).



حملت البنت، وخافت على ولدها من الزنا فقتلته؛ ارتكبت كبيرتين، من أشع الكبائر ألا وهما الزنا، وكبيرة القتل، وإن كانت المرأة متزوجة، ووقعت في جريمة الزنا، وسترها الله، وأخفت مولودها، وأدخلته على زوجها، وعلى بيتها وأهلها، تكون قد أدخلت أجنبيا عنهم، وخلا بهم وهو أجنبي عنهم، يرثهم وهو أجنبي عنهم.

كبيرة مرة، تستشعر بمرارتها وأنت تتحدث عنها فكيف بمن عاشها، ووقع فيها؟! نسأل الله السلامة والعافية!

فلماذا كل هذا؟ ومن أجل ماذا؟ من أجل نزوة عابرة، وشهوة راحلة، من أجل شهوة لحظات، ومنتعة دقائق معدودات؛ تجني الزانية والزاني على نفسيهما العقوبات، والحسرات، ويلحقان بأهلها اللوم والتبعات.

ومن مرارة، وعقوبة هذه الفاحشة: أن الزاني - مع ما تقدم له من عقوبته؛ في دنياه قبل آخرته-؛ أنه قد يعاقب بأحد أفراد أسرته كبناته، أو إحدى أخواته، فكما أنه يخاف على عرضه، ولا يريد أن يطعن أحد في شرفه، وكرامته، كذلك الناس لا يرضونه لأنفسهم.

فقد روى الإمام أحمد في مسنده، وصححه الألباني رَجَّهُمَا اللَّهُ عن أبي أمامة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال إن فاتيَّ شابًّا أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، ائذن لي

بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه! مه! فقال له رسول الله: ادنه، فدنا منه قريباً، قال: فجلس، فقال: «أتحبه لأمك؟» قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم»، قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم»، قال: «أفتحبه لأختك؟» قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم»، قال: «أفتحبه لعمتك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم»، قال: «أتحبه لخالتك؟» قال: «لا والله جعلني الله فداك»، قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم»، قال: فوضع يده **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه! فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»^(١).

صلى الله على المعلم العظيم، وعلى صاحب الخلق الرحيم.

هكذا فليضع العاقل نفسه في وضع غيره، وليعلم أن ما فعله بغيره؛ فسيصبح في

داره.

فإذا حدثتك نفسك أيها الرجل بالزنا فتذكر مصير أهلك، إذا حدثتك نفسك

بالزنا فسل نفسك هل ترضاه لأمك، أو أختك، أو لزوجتك؟ فإذا خدشت،

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٢٢١١)، وإسناده صحيح.



ولعبت، وطعنت في عرض أحد من أعراض المسلمين، فلا تأمن أن يأتي من يطعن، أو يخذش في عرضك وشرفكح جزاءً وعقاباً من رب العالمين!

ومن جميل ما يُذكر، ويُذكر به في هذا الباب، أن تاجرًا من مدينة الموصل في شمال العراق؛ كان صاحب دين وخلق، وكان كثير الإنفاق في أبواب الخير، والإحسان للفقراء والمساكين، وكان له ولد وبنت، فلما كبر سن هذا الرجل، وقد كان كثير المال، أراد أن يسلم تجارته لابنه فجلس مع ابنه وأوصاه، وعرفه بأسماء تجار دمشق الصادقين، ثم أوصاه بتقوى الله إذا خرج للسفر، فقال له: يا بني، والله ما كشفت عورتني في حرام، وما رأيت أحد لحمي غير أمك،

يا بني: حافظ على عرض أختك، بأن تحافظ على أعراض الناس؛ لأنه يعلم أن كثير من المسافرين إذا ابتعد عن بلدانهم، وعن أعين الناس الذين يعرفونهم غابت رقابة الله من قلوبهم - فخرج الشاب في سفره من أجل تجارته، وربح المال الكثير، وحمّله تجار دمشق السلام الحار لأبيهم الصالح، وفي طريق العودة وقبل غروب الشمس، حطت القافلة رحالها لراحتها، أما الشاب فذهب يحرس تجارته، ويراقب الغادي والرائح،

وإذا بفتاة تمر بالطريق التي جلس عليها، فنظر إليها، وفتن بها فزين له الشيطان فعل السوء بها، وهاجت نفسه الأمانة بالسوء فاقترب منها، وحاول أن يمسك

يدها بغير إرادتها، لكنه سرعان ما انتبه من غفلته، وتذكر نظر الله إلى معصيته، ثم تذكر وصية والده؛ فاستغفر ورجع إلى الله نادماً إلى قافلته، وفي هذه اللحظات كان أبوه في الموصل جالسا في إحدى زوايا بيته، وإذا بساقي الماء الذي كان ينقل إليهم الماء على عادته يطرق الباب الخارجي لفناء البيت، وكان رجلاً صالحاً وكبيراً، واعتاد من سنوات طويلة أن يدخل البيت، ولم يُرَى منه إلا كل خير، فخرجت الفتاة - التي هي أخت الشاب الذي ذهب في تجارته - لتفتح للساقي الباب، فدخل وصب الماء في جرار البيت، وبينما الفتاة عند الباب تنتظر خروج السقا لتغلق الباب، فلما وصل السقاء عند الباب؛ وفي لحظة خاطفة زين له الشيطان، فعل السوء بالفتاة، فالتفت يمينا وشمالا، ثم مال إليها، وأمسك يدها، ثم مضى، كل هذا والوالد جالس في إحدى زوايا البيت الواسع ليرى ما يجري دون أن يراه السقاء، وكانت ساعة الصمت الرهيب من الأب، ثم الاسترجاع بقوله إنا لله وإنا إليه راجعون، لا حول ولا قوة إلا بالله!

وجلس يفكر بهذا السقاء الذي ما فعل هذا في شبابه خلال سنوات كيف فعله اليوم، فأدرك أن ما فعله السقا إنما هو دين قد فعله ولده في سفره؛ فاستوجب السداد من أخته.



ولما وصل الشاب إلى بلده، ودخل إلى بيته، ثم سلم على والده، وأبلغه سلام
تجار دمشق عليه، ثم وضع أموالا كثيرة بين يديه، كان قد ربحها في تجارته،
إلا أن الصمت كان سيد الموقف، والبسمة لم تجد لها سبيلا إلى شفاه أبيه، سوى
أنه قال لابنه: هل حصل معك في سفرك شيء يا بني؟ فنفى الابن حصول أي
شيء، فكرر الأب عليه السؤال، إلى أن قال الأب: يا بني، هل اعتديت على أحد
أثناء سفرك؟

فأدرك الابن أن شيئا قد حصل في البيت، فما كان منه إلا أن اعترف لأبيه،
وجلس يبكي ويستغفر، عندها أخبره والده بما حصل مع أخته، وكيف أنه حين
أمسك، بيد تلك الفتاة بالشام عاقبه الله بأن جعل السقاء يمسك يد أخته بالموصل؛
لأنه دين عليه، وقال جملته المشهورة: يا بني دقة بدقة، ولو زدت لزد السقاء!
أي: أنك أمسكت يد تلك الفتاة مرة؛ فأمسك السقاء بيد أختك مرة، ولو زدت
لزد، ولو فعلت أكثر من ذلك، لفعل بأختك مثل ذلك.

ثق تماما، وكن على يقين، أن ما تفعله بالناس سيفعل بك، ولو بعد حين، البر
لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، افعل ما شئت كما تدين تدان،
ورحم الله الإمام الشافعي إذ يقول:

عفوا تعف نساؤكم في المحرم وتجنبوا ما لا يليق بمسلم

من يزن في بيت بألفي درهم
 من يزن يزن به ولو بجداره
 إن الزنا دين فإن أقرضته
 يا هاتكًا ستر الرجال وقاطعًا
 لو كنت حرًا من سلاله طاهر
 في بيته يزنى بغير الدرهم
 إن كنت يا هذا لبيبًا فافهم
 كان الوفا من أهل بيتك فاعلم
 سبل المودة عشت غير مكرم
 ما كنت هتاكًا لحرمة مسلم
 أسأل الله أن يحفظ أعراضنا وأعراض المسلمين، وأن يستر نساءنا ونساء
 المسلمين أجمعين!

قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولجميع المسلمين من كل ذنب؛
 فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



(الخطبة الثانية)

الحمد لله أمر بتقواه، وأخبر أن من اتقاه وقاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، صلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أيها المسلمون عباد الله: لقد انتشر الزنا في هذا الزمان، وأصبحت له دور خاصة في غير ما مكان؛ كل ذلك بسبب وسائل الإعلام التي يسرها أعداء الإسلام.

نعم، انتشر الزنا انتشارًا باهرًا وعظيمًا، فكم هي الإحصائيات العجيبة، التي تعطي أرقامًا غريبة عن هذه الفاحشة، وعن هذه الرذيلة.

ففي أمريكا ما يقرب من ١٠ مليون أسرة تعيلها الأمهات دون وجود الآباء، وفي فرنسا أعلنت جائزة عظيمة للفتاة التي تأتي وعمرها ما بين الخامسة عشرة والعشرين وهي محافظة على بكارتها، وهذا يدل على المستنقع العميق التي تعيشه تلك الدول الكافرة، وكثرة الفواحش التي دبت في أوساطها، فنحمد الله على الإسلام، وأن جعلنا من أمة الإسلام.

وينبغي أن نعلم -أيها الناس- أن هذه الجريمة المنكرة، وهذه الفاحشة القذرة، التي تختلط بها الأنساب الطاهرة، لا يلج الشباب بابها، ولا تتلخخ

المجتمعات بأقذارها، وينغمسون في وحلها ومستنقعها؛ إلا بعد فعل الأسباب التي تتقدمها، والخطوات التي تجرهم، وتسحبهم إليها؛ فحري بنا أن نتعرف على بعض أسبابها الموصلة إليها، قبل أن نتعرف عليها؛ فإن الله لما حرم الزنا حرم وسائله، وطرق بابه، فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ﴾.

والنهي عن قربان الشيء أبلغ من مجرد فعله، ومحسوس وملموس، أن كل من تجرأ على هذه الفاحشة، لا يصل إليها إلا بعد فعل الأسباب التي تهيجه، وتشعل غريزته عليها.

ومن أبرزها، وأعظمها اختلاط المرأة بالأجانب عنها، الاختلاط وما أدراكم ما لا اختلاط؟! الذي يشبه اقتراب النار واختلاطها بالمواد التي تشعلها وتحرقها!
فاختلاط الرجل بالمرأة، التي لا تحل له، ولا يحل لها؛ سبب خطير من أسباب ارتكاب فاحشة الزنا؛ والعياذ بالله!

ولقد عمت البلوى لهذا السبب العظيم، وأصبحت تراه في جميع بلاد المسلمين، سواء كان ذلك في الجامعات، أو في المستشفيات، وكثير من الأشغال والقطاعات، فترى الرجل بجوار المرأة في الدوائر الحكومية، والقاعات الجامعية، والمدارس الأهلية، والعيادات، والمستشفيات، العامة، والخصوصية، كل ذلك بإقرار واختيار من الآباء، ومن لهم ولاية على النساء؛ والله المستعان!



فبالله عليكم، هل هذا من شأن الرجال الذين يعتزون برجولتهم، ويغارون على محارمهم وأعراضهم؟ هل هذا من عادات الأكفاء الذين جعل الله لهم القوامه على النساء، أن يجعلوا نساءهم، وبناتهم، ومن لهم ولاية عليهن؛ يخالطن الرجال، ويعملن من أجل لقمة عيشهم، وهم في مراقدهم، أو على مقاييلهم؟! ليس من صفات العقلاء أن يرضوا لبناتهم، ونسائهم أن يتعلمن على حساب عفافهن وحيائهن، ألا فليتق الله الآباء، ومن لهم ولاية على النساء، وليحافظوا على حيائهن، وعفافهن! وليجعلوهن يقرن في بيوتهن؛ إلا ما لا بد منه من ضروريات حياتهن.

ومن الاختلاط ما يكون بين الأقارب، ممن هم على النساء أجنب، كإخوان الزوج، وأبناء الأخوال والأعمام، فحذارٍ ثم حذارٍ من التساهل في مخالطة الأجنب من الأقارب؛ فهي -والله- خطوات من خطوات الشيطان، التي تقود إلى فاحشة الزنا والحرام، وكم وكم هي الأخبار المحزنة، والقصص المزعجة المؤلمة، التي كانت سببها تلك الخطوات السيئة؛ نسأل الله الستر والعافية!

كذلك من الأسباب الموصلة إلى هذه الفاحشة الكبيرة: **الخلوة بالمرأة**

الأجنبية التي حذر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها أيما تحذير، فلقد روى البخاري في

صحيحه، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ولا تسافر المرأة إلا ومعها ذو محرم»، فقال رجل: يا رسول الله: إن امرأتي خرجت حاجة، وإني اكتتبت في غزوة كذا، وكذا، فقال له: «اذهب فحج مع امرأتك» (١).

نعم! اذهب فحج مع امرأتك، الغيرة الغيرة أيها الرجل، حفاظك على عرضك أولى من جهادك، فماذا فعل هذا الرجل؟ هل تفلسف وقال: إني أثق بزوجتي، وبأخلاقها، ولا أشك في تربيتها؟! كلا وألف وكلا، فالمرأة هي المرأة والرجل هو الرجل، والسلامة لا يعدلها شيء، - نسأل الله السلامة والعافية - نسأل الله السلامة والعافية.

كذلك من أسباب فاحشة الزنا، والفجور: **التبرج، والسفور**؛ فإن المرأة حينما تخرج من بيتها؛ وقد لبست اللباس الذي يجعلها عارية، وإن كانت كاسية، كما قال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «كاسياتٌ، عارياتٌ». فإنها بذلك تهيج الشباب، وتشعل غريزتهم، وتدعوهم إلى الافتتان بها، والتعلق بها.

وهكذا يظل الشباب يعيشون بأعين زائغة، وبقلوبٍ مريضة وشاخصة، حينما يرون مثل هؤلاء السافرات والعاريات، حينها لا تسأل عن عزوف الشباب عن

(١) رواه البخاري (٣٠٠٦) ومسلم (١٣٤١).



الزواج، حتى أصبحنا نرى منهم من قد جاوز الثلاثين؛ وهو مقتدرٌ على الزواج؛ ومع ذلك يرفض ويأبى أشد الإباء، لماذا؟ لأنه قد ألف الحرام، وأصبح يمتع ناظره بالحرام، وأصبح معه لقاءات وعلاقات، بالحرام، كل ذلك بسبب قليلات الحياء لا كثرهن الله، ولا تدري تعجب من قلة حياء هؤلاء الساقطات، أم من أولياء أمورهن؟! ولا تدري هل عندهم نخوة، أم قد ماتت نخوتهم، وغيرتهم؟ أم قد ضاعت رجولتهم؟! عندما يرى ابنته أو زوجته، تخرج بهذه الملابس التي تلفت أنظار الشباب إليها، وتجعلهم يتعلقون بها، وربما يلاحقونها ويؤذونها.

قل لي بربك: هل ماتت غيرتك، أم هل ضاعت رجولتك وقوامتك، أم أنك غير قادرٍ على شراء لباسٍ يسترها ويحفظها، ويحفظ عفتها وكرامتها، ويصونها عن أنظار السفهاء إليها؟!

فالشباب عندما يرى المرأة بلباسها الضيق؛ الذي يحجم جسدها، ويبرز مفاتها، تثور ثأثرته، وتشتعل غريزته، فيسعى جاهداً بكل الأسباب التي توصله إليها؛ لأنها ما لبست هذه الملابس الفاتنة؛ إلا لتصرف الأنظار إليها.

فقد يلاحقها، وقد يكلمها، وقد يغيرها بماله، أو بسيارته، وقد يجتهد في

البحث عن رقم جوالها.

فبعد ذلك يحصل ما يحصل من المراسلات، والعلاقات، ثم اللقاءات، ثم الوقاحات، وبعد ذلك الجرائم الفاضحات، نسأل الله الستر والعافية.

همسة، فسلام، فكلام، فموعد، فلقاء. كل هذا بسبب ماذا؟ بسبب التبرج، بسبب السفر، بسبب ترك اللباس والحجاب الشرعي، وإلا - والله - لو كانت تلك المرأة محتشمة في لباسها، تلبس الحجاب الذي يسترها، ويعبر على حياؤها وعفافها؛ ما تجرأ عليها أحد، ولا رغب في النظر إليها أحد، بل - والله - لدافع عنها كل أحد، حتى **قال بعض الشباب:** والله إني إذا رأيت الفتاة المتجلبية، المحتشمة في لباسها؛ نظرت إليها وكأنها إحدى أخواتي.

ويقول بعضهم: من أصحاب المحلات: والله إن المرأة المتحجبة المحتشمة في لباسها، إذا مدّت يدها لتشتري مني شيئاً، أخذت منها المال ويدي ترتعش؛ مهابةً منها؛ وخشية أن تمس يدي يدها، لا إله إلا الله! ما أعظم هذا الدين! وما أجمل التمسك بشرع رب العالمين!

من أعظم وسائل الزنا، وأقوى عوامله: **هي النظرات المحرمات عبر القنوات،** أو الجوالات. فالنظرة سهم من سهام إبليس، وهي أولى الخطوات، ومن أعظم السبل إلى الفواحش والمنكرات.

كل الحوادث مبدؤها من النظر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها
ومعظم النار من مستصغر الشرر
فتك السهام بلا قوس ولا وتر



والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين الغيد موقوف على المخطر
يسر مقلته ما ضرر مهجته لا مرحبا بسرور عاد بالضرر
فكم حصل بسبب النظرات من الفساد والمنكرات! وكم أفسدت النظرات
كثيرا من الشباب والفتيات!

وصدق الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ حيث يقول: «رب نظرة أحدثت في قلب
صاحبها البلابل»^(١).

وروى البخاري، ومسلم، عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة. فزنا
العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو
يكذبه»^(٢).

ولقد أمر الله عباده بغض أبصارهم فقال - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ
يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾
[سورة النور: ٣٠]، ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إياكم والجلوس على الطرقات!».

(١) الجامع لعلوم الإمام أحمد (٣٠/٢٠).

(٢) رواه البخاري (٦٦١٢)، ومسلم (٢٦٥٧).

وقال فيما رواه الترمذي، وصححه الألباني رَحْمَهُمُ اللَّهُ: «لا تتبع النظرة النظرة؛ فالأولى لك وليس لك الآخرة»^(١).

ومن المؤسف أن ترى بعض الشباب -كثيرًا- في الشوارع والطرق؛ يقلب نظره في النساء والفتيات، لمحاولة ربط العلاقات مع بعض الساقطات، كما هو حال كثير من الشباب الذين يجلسون، ويلبسون الملابس الضيقات، والملابس الرقيقات، حتى لا تدري هل هو من البنين أم من البنات، وتراهم يشوهون وجوههم ورؤوسهم بأقبح الحلاقات، وكل ذلك محاولة لإشباع غريزته، وامتناع بصره ورغبته، وما درى أنه يعذب نفسه بنفسه، وما درى أن السعادة، والطمأنينة هي بطاعة الله والكف عن محارمه، كما قال بعض الحكماء من السلف رَحْمَةُ اللَّهِ.

كذلك من أسباب، ووسائل الزنا- عيادا بالله رب العالمين-: سماع الغناء، والمغنين؛ الذي هو رقية الزنا كما قال الفضيل بن عياض رَحْمَةُ اللَّهِ وصدق - وربى- إن الغناء رقية الزنا، فبسببه تثور الشهوة، وتتحرك الشعور والمشاعر، وينبت العشق، وتبدأ العلاقات، والمواعيد والمراسلات، ولقد كان الزناة

(١) رواه أبو داود (٢١٤٩) والترمذي (٢٧٧٧).



يستخدمون الغناء يغنون به لمعشوقاتهم إذا امتنعن من الزنا ليستميلوا به قلوبهن، قال يزيد بن الوليد: يا بني أمية: إياكم والغناء؛ فإنه يذهب الحياء، ويزيد الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه ينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعله السكر؛ فإن كتمت ولا بد فاعلين فجنبوه النساء، فإن الغناء داعية الزنا.

وسمع سليمان بن عبد الملك صوت غناء فغضب وأحضر المغنين، وقال: إن الفرس ليصهل فتستودق له الرمكة، - يعني: أن الذكر من الخيل يسهل فتسمعه الأنتى فتستعد للوطء-، وإن الرجل ليغني فتشاق له المرأة، ثم أمر بإخصائهم؛ ليحمي منهم النساء.

فأين النخوة والرجولة والغيرة في الرجل عندما يرى ابنته، أو زوجته، وهي تسمع الأغاني في بيته، وأسماء المغنين، وأشبه الرجال في جوال ابنته، أو زوجته، وياترى: ما هي أغنية المغنين في هذا الزمان؟! وعن ماذا سيغني بعض أولئك الساقطين في هذه الأيام؟ هل سيغني عن الجبال والأشجار؟ أم هل سيغني عن الديار، والآثار؟! كلا وألف كلا، وإنما عن الحب والغزل، وعن وصف النساء من أقدامهن إلى رؤوسهن، ومن هامهن إلى إبهامهن، والله المستعان.

ألا فلتتقوا الله يا عباد الله، بترك هذه الأصوات المنكرة، ولتعمروا بيوتكم بكتاب الله والسنة المطهرة: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَنَطَمَنُوا قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ

كذلك من أسباب الزنا؛ بل هو أعظم أسبابه: عدم الزواج وغلاء المهور، نعم، الزواج حصن حصين، وللشباب ملجأ أمين، الزواج الذي أرشد إليه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الشباب بقوله: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج»^(١). وقال: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه؛ إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»^(٢).

فكثرة العوانس في البيوت واقعة مريرة نعيشها، وظاهرة تعود أضرارها على الأفراد والمجتمعات بأسرها.

فوجود الشابات بدون زواج؛ خاصة إذا لم يكن معهن ما يشغلهن، أو لم يكن معهن دين يحجزهن ويمنعهن، وهن يحملن الجوالات، و يشاهدن في بيوتهن الأفلام والمسلسلات، وآباؤهن الذين منعهن من زواجهن، ربما قد يكونون في بعدٍ عنهن، أو ليس في قلوبهم شعور وغيره عليهن، حينها لا تسأل عن انتشار العلاقات، والمراسلات والمغازلات، وكثرة الخرجات، والملابس الضيقات، لا تسأل عن السحاقيات بين الفتيات غير المتزوجات، وغير ذلك من القضايا

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٩٠٥)، ومسلم (١٤٠٠) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (١٦٩٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



المزعجات، حينها لا تسأل عن انتشار الزنا، والقصص والأخبار المؤلمات،
نسأل الله السلامة والعافية.

وكما أن هناك مفسد ومخاطر على الشباب إذا حرمن الزواج؛ كذلك مفسد
الشباب أعظم وأخطر وأطم، كيف لا والشاب ليس له مقر يؤويه، وليس عليه
رقابة تحميه، فإذا أصبح باب الزواج مغلقا، وطريقه شاقا وصعبا؛
فقد يفعل الشاب حينها- إن لم ييسر الله له صحبة صالحة تحوطه وتنصحه،
وتحفظه- أن يشبع غريزته بجميع الوسائل المتوفرة لديه.

قد يتعلق بشاب مثله- والعياذ بالله- وهذا ما هو معروف، ومشهور، بقضية
المردان- عافانا الله وإياكم- عند ذلك تحصل جريمة اللواط النكراء؛ التي عاقب
الله بها قوم لوط؛ فقلب قريتهم وجعل عاليها سافلها،
وقد يتعلق الشاب بفتاة فيعشقها، ويحصل بينهم المراسلات، والمواصلات،
واللقاءات، وقد تكون هذه الشابة هي من أراد خطبتها، وتقدم إليها، لكنه مُنع منها
عن طريق الحلال، فلجأ هو وهي إلى إشباع رغبتهما عن طريق الحرام؛ والله
المستعان!

وقد يلجأ الشاب إذا لم يتيسر له هذا ولا ذاك، إلى أن يشبع غريزته، وهو في
بيته، أو في محل عمله؛ وذلك عن طريق جواله عبر مشاهدة الأفلام الجنسية،

والمقاطع الإباحية؛ التي أصبحت متوفرة، ويتناقلها الشباب في جواتهم بكل يسر وسهولة.

وصدق أو لا تصدق أنك لو نظرت في جوات كثير من الشباب لرأيت منهم، بل كثيرًا منهم من يشاهد ذلك، ووالله ما قلت هذا عن ظن أو جهالة، ولا عن افتئات أو مبالغة، وإكراما لأسماعكم الطيبة لن نتطرق ونستعرض بعض المواقف المزعجة التي سمعناها، ورأيناها من الشباب-هدانا الله وإياهم.

ألا فليتق الله الآباء في تربية أولادهم، وليرحموا شبابهم بزواجهم، وزواج بناتهم، ولا يتسببوا في انتشار الفواحش والمنكرات، وتعذيب البنين والبنات، فالظلم ظلماً.

ختامًا أيها الناس: إن ديننا دين العفة والطهارة، ودين الشرف والكرامة، فقد جاء مرغبا، ومرهبا بترك هذه الفاحشة بكل وسائلها وأسبابها، وهذه بعض أسبابها التي سمح لنا الوقت بذكرها.

ولعلكم تستغربون من ذكر، وعرض هذا الموضوع الخطير في هذا اليوم العظيم، فأقول لكم: إن هذا المنكر، وهذه الجريمة وهذه الفاحشة العظيمة قد شاعت، وذاعت وفاحت رائحتها، وانتشرت وسائلها وأسبابها.



وأسأل الله العظيم، أن يجنبنا الفواحش والمنكرات، وأن يطهر بلادنا وجميع بلاد المسلمين من كل أسباب البلاء والعقوبات!



(الخمير والمسكرات وأضرار انتشارها)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر

الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون عباد الله: غير خاف على الغبي والنبية، والحليم والسفيه؛ أنه ما

من خير إلا وقد أثنى عليه ديننا، وما من شر إلا وحذرنا منه ربنا ونبينا، علمه من

علمه، وجهله من جهله.

وإني محدثكم اليوم عن بعض هذه الشرور والمخاطر، والخبائث والكبائر، التي حذرنا الله منها، وأمر باجتنابها، بل ولعنها، ولعن صاحبها وحاملها، وكل ما له علاقة بها.

إني محدثكم اليوم عن كبيرة من الكبائر، وخبیثة من الخبائث، بل هي - وربّي - أم الخبائث، فكم قتلت من أنفس محرمة، وكم أخذت من أموال محترمة! كم انتهكت بسببها أعراض! وكم كانت سبباً في الغفلة والإعراض! كم اعتدي من خلالها على المظلومين، وكم كانت سبباً في قطع الطرقات، والاعتداء على الضعفاء والأمينين.

نعم حديثنا اليوم عن آفة من الآفات، ومرض من الأمراض المهلكات، حديثنا اليوم عن الخمر والمخدرات، وعن أصحاب الخمر والمسكرات، الذين أصبحنا نراهم، ونسمع عن سكرهم في المجمع، والشوارع والطرقات.

ولقد دعاني، وحرك همتي، ولساني بطرح هذا الموضوع على مسامع إخواني؛ هو كثرة الفساد والاعتداء، وقتل الأمين والأبرياء، حتى أصبحنا لا نسمع عن جريمة قتل إلا ويقال: إن القاتل كان سكرّانا! وما اعتدي على أحد في بيته، أو على مسافر في طريقه؛ إلا ويقال إن المعتدي كان سكرّانا، وما اعتدي على الأمين في مأمّنهم، ولا التجار في أعمالهم وتجارهم؛ إلا ويقال: كانوا سكارى! كذلك نهب،

وسلب المسافرين في سفرهم؛ إلا ويقال: إن قطاع الطرق كانوا سكارى، وقل مثل ذلك في الزنا، والسرقات واللواط، والاختطافات، والحوادث المؤلمات، وغير ذلك؛ ونعوذ بالله من كل المهالك!

أمة الإسلام: لقد ذكر لنا في كتاب الله العظيم، وسنة رسوله الكريم، - صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين - في هذه الآفة الخبيثة ما لم يُذكر في كثير من الجرائم العظيمة، فاسمعوا - رحمكم الله - ما أنزل الله في الخمر، وما ذكر فيه رسول الله من الوعيد والزجر، في الخمر وشاربها، ومن تسبب في شربها.

يقول ربنا في كتابه الكريم: ﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ

مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ [سورة المائدة: ٩٠].

وروى الإمام مسلم رحمه الله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم: «إن على الله عز وجل عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة

الخبال» قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «عرق أهل النار» أو: «عصارة

أهل النار» (١). نعوذ بالله من سخط الجبار!

لقد كتب الله على نفسه عهداً أن يسقيك أيها السكران من عرق أهل النار؛ التي

فيها الكفار والفجار.

(١) رواه مسلم (٢٠٠٢).



اسمع يا من تدخل الرجس والتتن في جسدك، اسمع يا من تفسد عقلك بيدك، فليسمع هذا الكلام أولئك الذين يبيعون، ويشربون الخمر والمسكرات، وحصل ما حصل بسببهم من الفواحش والمنكرات.

اسمع كذلك إلى ما رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني رَحْمَهُمُ اللَّهُ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة؛ مدمن الخمر، والعاق لوالديه، والديوث»^(١) - وهو الذي يقرر الخبث في أهله-.

وروى ابن حبان، وصححه الألباني رَحْمَهُمُ اللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من لقي الله مدمن خمر، لقيه كعابد وثن».

وروى ابن حبان، وصححه الألباني رَحْمَهُمُ اللَّهُ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من شرب الخمر فسكر لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا؛ فإن مات دخل النار، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد فشرب فسكر لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا، فإن مات دخل النار، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد فشرب فسكر لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا، فإن مات دخل النار، فإن تاب تاب

(١) رواه أحمد في مسنده (٥٣٧٢).

الله عليه، فإن عاد الرابعة كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال يوم القيامة»، قالوا يا رسول الله: وما طينة الخبال؟ قال: «عصارة أهل النار». نعوذ بالله من النار، ومن كل ما يقرب إلى النار (١).

تأملوا يا أمة الإسلام إلى ما أنزل الله من وعيد للسكارى! من شرب فسكر أربع مرات كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال، فكيف لو سكر مرات، وكرات، كيف لو أصبح طوال عمره بين الخمر، والمسكرات كم هم أولئك الذين قد صار الخمر يجري في عروقهم، وأصبحت تراهم كالمجانين من خلال تصرفاتهم وأفعالهم، وتأتيك الوحشة عند لقاءهم، ورؤيتهم؟!

وروى الإمام أحمد، وحسنه الألباني رحمه الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«من مات وهو يشرب الخمر سقاه الله من نهر الغوطة؛ وهو ماء يجري من فروج المومسات الزانيات يؤذي أهل النار ريح فروجهن» (٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أقسم ربي بعزته

لا يشرب عبد من عبيدي جرعة من الخمر إلا سقيته مثلها من حميم جهنم، ولا

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٥٣٥٧).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٩٥٦٩) عن أبي موسى رضي الله عنه.



يدعها عبد من عبادي من مخافتي إلا سقيته إياها في حظائر القدس مع خير الندماء.
نعوذ بالله من عذابه وعقابه! ونسأل الله من جوده وفضله» (١).

أيها المسلمون عباد الله: ما تقدم ذكره من الوعيد والتحذير، والترهيب والتنفير، هو بعض وعيد الله في أصحاب الخمر، والمسكرات، والحبوب، والمخدرات، ونحو ذلك، ولو تعددت المسميات. هذا في من شربها، وظلم نفسه بشربها، أما من يبيعها، ويروجها، ويتاجر فيها، وينشر المنكر والرذيلة في أرض الله، ويفسد فيها، فهذا ملعون لعنه الله من فوق سماواته.

فقد روى الإمام أحمد في مسنده، وصححه الألباني رَجَّهَمَا اللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أتاني جبريل فقال: يا محمد، إن الله لعن الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وبائعها، ومبتاعها، وشاربها، وأكل ثمنها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقها، ومستقيها» (٢).

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٢٢١٨)، عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٨٩٧)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

لقد لعنك الله يا من تبيع الخمر وأنت للعن أهل؛ أما وجدت لك تجارة تتاجر فيها إلا أن تبيع الخمر في أوساط المسلمين، وتنتشر الفساد، والشر وتحارب رب العالمين، وأنت يا من تحملها أبشر بلعنة الله لك؛ فأنت ملعون وإن لم تشربها! يامن تحملها في سيارتك، يامن تحملها في حافلتك، أو دراجتك!

يامن تحملونها، وتسهلونها لأصحابها، اتقوا الله واحذروا من لعنة الله لمن شارك في شربها؛ فلقد أصبح أصحاب الخمر إذا أراد الواحد منهم قارورة من الخمر فما هو إلا أن يضغط على جواله وإذا بصاحب الدراجة النارية يأتيه إلى بابه، ألا فليتق الله من يحملها، وليتق الله من يسقيها، ويتاجر بها، ليتق الله من يعمل في بعض الفنادق والمنتزهات، التي تبيع لروادها الحبوب، والمسكرات. وليتق الله المسئولون في منع هؤلاء المفسدين، الذين ينشرون المنكر، والرذيلة في أوساط المسلمين، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.

أسأل الله أن ينفعنا بما سمعنا، وأن يزيل المنكر والرذيلة من بلادنا، ومن أمتنا، قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



(الخطبة الثانية)

الحمد لله أمر بتقواه، وأخبر أن من اتقاه وقاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أيها المسلمون عباد الله، إن الخمر أم الخبائث والقبائح، ومجمع الشرور والردائل، والفضائح، وما نشاهده في هذه الأيام من كثرة القتل والاعتداء، والسرقه والزنا، والحوادث وغيرها؛ إلا كان الخمر في مقدمة أسبابها، فكم فيها من المفسد والأضرار، وكم فيها من المصائب والأخطار؛ سواء كانت اجتماعية، أو صحية، أو اقتصادية، فمن أضراره الاجتماعية:

أولاً: سبب عظيم في جرائم الاقتال بين المسلمين، وسلب وإرهاب الأمنين.
فكم ذهبت من الأنفس البريئة بسببها في حال سكر أهلها، فكم من مشكلة، أو كلمة حصل من ورائها سيل من الدماء، وبعد التحقيق، والتدقيق، يكشف أن القاتل كان سكرانا، كم هي حوادث السيارات، والناقلات التي أهلكت العشرات، والمئات؛ بسبب سائقي السيارات في حال سكرهم، وفقد عقولهم. قل مثل ذلك في الاعتداء على الأمنين، والتجار والمسافرين.

ثانياً: ومن أضراره الاجتماعية أنها كانت سبباً في تحطيم كثير من الحياة الزوجية، والبيوت الأسرية، فكم فُرق بين زوجة وزوجها بسبب الخمر - قاتل

الله من يصنعها، ويبيعها- قد يطلق الزوج زوجته في حال سكره - ولا يعتد بطلاقه - لكن أهل الزوجة قد تأخذهم الحمية، فيأخذونها ليؤدبوا زوجها، وقد يضرب السكران زوجته، فتظل الشهور والدهور وهي في بيت أهلها، وقد يضرب أولادها، أو يسب أمها، أو أبها، فتعيش المرأة في عناء طوال حياتها، وكثيراً ما تأتي وهي باكية، وشاكية من زوجها؛ بسبب الخمر - لا بارك الله فيها-

ثالثاً: من أضراره الاجتماعية أنه سبب في فاحشة الزنا - والعياذ بالله - ففي حالة سكر السكران يهون عليه الفحش والهوان، وما لا يخطر ببال، ويدور بخيال، فقد يزني - والعياذ بالله - حتى بأقرب محارمه إليه.

فقد ذكر أن امرأة أرملة في الستين من عمرها، خرجت من بيتها في الساعة التاسعة مساءً، فرأت سكرانا في طريقها، فرآها في حال سكره كأنها شابة فاتنة في مقتبل عمرها، فأخذها فجعلت تصرخ بأعلى صوتها، وتذكره بأنها أكبر من أمه وأنها وأنها، ولكن صراخها لم ينفعها ثم فعل بها الفاحشة، وسرق ما معها، ثم قتلها!

وأخر دخل بيته ليلاً في حال سكره، وغياب عقله؛ فتحت له أمه، ثم أراد بها الفاحشة، فدفعت الأم عن نفسها، لكنه غلبها وفعل بها الفاحشة، ثم قتلها، ثم لم أصبح وانتشر الخبر، قتل نفسه، ليلقى الله بشرب الخمر، وبقتل نفسه، وقتل أمه؛ نسأل الله السلامة والعافية!



رابعاً: كذلك من أضراره الاجتماعية: أن الرجل إذا كان يسكر؛ أو يتعاطى أي مسكر من المسكرات؛ فإن فعله سينعكس على أولاده، ثم على أحفاده وهكذا. فالأولاد حين يرون آباءهم، أو يسمعون عن أبيهم أنه يتعاطى شيئاً من المسكرات؛ سواء كان سكره حبوباً، أو حشيشاً، أو مشروباً؛ فإن ذلك سيهون هذه الجريمة في نفوسهم، ثم مع الأيام سيصبح ذلك شيئاً طبيعياً في حياتهم، وهكذا تنشأ أسرة ساكرة فاجرة بسبب سكر أبيهم، ثم بعد ذلك يأتي الأحفاد ليقتدوا بالأولاد، وهكذا يسري الفساد في الأولاد، وفي البلاد، نسأل الله أن يلفظ بالعباد، وأن يهدينا وإياهم سبيل الرشاد.

أما أضراره الاقتصادية: فهي عظيمة، وعميمة، فترى المبتلين بالمخدرات، والمسكرات، من أفلس الناس، وأفقرهم، فكم قد سمعنا عن تاجر أفلس في تجارته، وأصبح عبرة لغيره من أقرانه، وقرابته؛ لأن إدمانه أوقفه عن عمله، وأصبح سكره من رأس ماله؛ ولأن غياب عقله في أكثر وقته جعله يلعب بماله، ويوزعه عن يمينه، وشماله، وقد كان جمعه طوال حياته، بل لعله يرجع بعد ذلك لبيع ضروريات بيته، وقد يصل به الأمر إلى مد يده، أو بيع عرضه وولده، كما نسمع في بعض الدول؛ نسأل الله السلامة والعافية!

قل مثل ذلك في ضرره العام على البلاد، من تقليل أو تعطيل اقتصادها؛ وذلك بوقف الأيدي العاملة التي كانت تعمل فيها، وغير ذلك مما نعلمه جميعا من مفسدها، وأضرارها؛ والله المستعان!

أما الأخطار، والأضرار الصحية؛ فحدث عنها ولا حرج، وعدد أضرارها على الجسم، والعقل ولا تتحرج.

فمنها: تصلب الشرايين، وفساد القلب، واعتلال الأجهزة الهضمية، والتنفسية، والتناسلية، ودمار المراكز العصبية وخلايا المخ وغير ذلك، فيصبح السكران شخصاً معتلاً، وشبهًا مخيفًا، وكل هذا وذاك يهون، إذا ما قارنتها بأعظم مفسدة تكون، وهي حين يصبح السكران كالمجنون، ولا مقارنة؛ فالمجنون قد رُفِعَ عنه القلم؛ لأن ذهاب عقله لم يأتِ من تلقاء نفسه، أما المجنون فهو الذي أفسد عقله بيده، وهو الذي تسبب في تعطيل، وإفساد أعظم نعمة أنعم الله بها على عبده!

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: «لو كان العقل يُشترى لتنافس الناس على ثمنه».

آه لو رأيت أيها السكران حالتك عند سكرك! آه لو رأيت حالتك، ومظهرك عند غياب عقلك، ولو رأيت من ينظرون إليك، وهم يستقزونك، ويستوحشون من رائحتك، وقبح شكلك!



ذكر القرطبي في تفسيره: «أن رجلاً شرب الخمر ثم بال وتوضأ ببوله، ثم قال:

اللهم اجعلني من التوابين ومن المتطهرين!» نسأل الله السلامة والعافية.

قال ابن الوردي رَحِمَهُ اللهُ:

واترك الخمرة إن كنت فتىً كيف يسعى في جنون من عقل

لقد رأى أحد الدعاة رجلاً قد تجاوز الخمسين من عمره وهو في حال سكره،

قال: وكان يتكلم بسباب وفحش، وسفاهة، وبحالة مقززة -عافانا الله منها-

وبعدما نصحه قال: إن به عرقاً يؤلمه في رأسه، فهو يشرب الخمر ليتداوى به من

مرضه، نسأل الله حسن الختام، نسأل الله حسن الختام، وهو في هذا السن من عمره

ويجعل علاجه فيما حرم الله عليه! وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إن الله لم يجعل

شفاء أمتي فيما حرم عليها».

يقول الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ: «دخلت على تلميذ لي حضرته الوفاة،

فجعلت ألقنه الشهادة، لكن لسانه لا ينطق بها، فلما كررتها عليه قال:

لا أقولها، وأنا بريء منها! فخرجت من عنده وأنا أبكي، ثم رأيت بعد مدة في منامي

وهو يسحب على النار، فقلت له: يا مسكين، بما نزعت منك المعرفة؟! فقال: يا

أستاذ، كان في علة فأتيت بعض الأطباء، فقال لي: تشرب في كل سنة قدحاً من

الخمير؛ وإن لم تفعل تبقى بك علتك، فكنت أشربها كل سنة لأجل التداوي بها!
نسأل حسن الختام!».

هذا حال من شربها للتداوي - كما يقول - فكيف بمن شربها ليستمتع بها،
وبيارز الله بشربها؟! كيف بمن أصبحت تجري في عروقه، ومن ضروريات حياته
التي لا يستطع أن ينفك عنها؟!

أيها المسلمون عباد الله: ومع هذه الأخطار والأضرار إلا أن المبتكئين بهذه الآفة
الدمرة، والمعصية المنكرة كثرة متكاثرة، فقد ذكرت الدراسات الغربية الحديثة
أن خمسة عشر مليوناً يموتون سنوياً في الغالب بسبب الخمر، وإن عدداً من
الوفيات بسبب الكحول يفوق عدد ضحايا الإيدز، وغيرها من الأمراض، -نسأل
الله السلامة والعافية-.

ومما أثبتته الدراسات، والإحصائيات -أيضاً- أن عدداً من مدمني المخدرات
في ازدياد كبير، وتتراوح من سبعة إلى عشرة في المائة، ومعظمهم من الشباب، -
والله المستعان-.

فلقد كان الناس لا يبيعون، أو لا يسمعون عن شراب الخمر إلا عن أبناء
الثلاثين، والأربعين، ومن الأغنياء والمترفين، ولقد كان الرجل السكران
والسكارى يشار إليهم ويستوحش من رؤيتهم، وذكر اسمهم، ويعدون كالشواذ



في قبيلتهم، وفي أحيائهم، أما في هذا الزمان فلقد أصبحت المسكرات، والمخدرات بجميع أنواعها في متناول كثير من أبناء العشرين، ودون وفوق ذلك، وأصبحت تراهم في بعض الأزقة والطرقات، وفي بعض اللقاءات والاجتماعات. ولكثرة المتعاطين، والواقعين في هذا المستنقع المشين، تعددت المسكرات وأنواعها، واختلفت أسماؤها وأشكالها؛ ظنا من صناعها وروادها أن ذلك سيغير حكمها، ومن قذارتها ودناستها، ولكنَّ شريعة الإسلام التي جاءت لكل زمان ومكان قد سدَّت باب الحيل والمغالطات، وجعلت مدار الحكم على العلة لا على المسميات.

فلقد روى البخاري ومسلم: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بعث أبا موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال لهما: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا»، قال أبو موسى: يا رسول الله، إنَّا بأرض يصنع فيها شراب من العسل يقال له: البتُّع، وشراب من الشعير يقال له: المِزْر، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كل مسكر حرام» (١).

(١) رواه البخاري (٦١٢٤)، ومسلم (٢٠٠١).

وروى مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْهُ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام» (١).

فالعبرة بالإسكار أيها المروجون الفجار؛ سواءً كان حبوباً، أو مشروباً، أو حشيشاً، أو شيئاً مشموماً، أو غير ذلك مما فيه إسكار، هذه قاعدة نبوية: كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام، وليسمه أهل الخمر والمسكرات بما شاءوا من المسميات والمغالطات، مع العلم أن الله قد أطلع نبيه على ما سيكون من بعض عباده، من الكذب والمنكرات، والكذب في بعض المسميات.

فقد روى ابن ماجه، وصححه الألباني، عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تذهب الليالي والأيام حتى تشرب طائفة من أمتي الخمر، ويسمونها بغير اسمها!» (٢).

صلى الله على من لا ينطق عن الهوى؛ وكأنه في زماننا وعصرنا فيصفه لنا. فالإلى كل من ابتلي بهذا البلاء؛ دونك ما قد ذكر من كلام رب الأرض والسماء، وما سمعته من ترهيب، وتحذير من خير الأنبياء، والأصفياء، وكلام العقلاء، والأطباء، والحكماء، فإن لم تع، وترعو بكلام الله، وكلام النبي؛ فاعلم

(١) رواه مسلم (٢٠٠٣).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٣٨٤).



أنك قد عرضت نفسك لللعنة الله، ولا أمان لك من مكر الله بتغيير حالتك، وسوء خاتمتك.

فإن من عاش على شيء، مات عليه؛ فقد رأى النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** رجلاً يخرج من القبر والكأس بيده، فقال: «من هذا يا جبريل؟ قال: هذا شارب الخمر، يموت سكرانا، ويبعث سكرانا وسيلقى الله وهو سكران».

سئل بعض التائبين عن سبب توبته، فقال: كنت أنبش القبور؛ فرأيت فيها أمواتا منحرفين عن القبلة، فسألت أهلهم عنهم، فقالوا: كانوا يشربون الخمر في الدنيا، وماتوا من غير توبة! ويقول بعض الصالحين: مات لي ولد صغير فدفنته، ثم رجعت إلى بيتي، فرأيت ولدي الصغير في منامي وقد شاب شعره، فقلت له: يا بني، مالي أرى الشيب في رأسك؟! قال: أبتاه قدم علينا فلان بن فلان ممن كانوا يشربون الخمر؛ فزفرت جهنم زفرة حتى ما بقي أحد في المقبرة إلا شاب شعره!

للمال، والعقل، والتحطيم للأسر	يامدمن الخمر كم في الخمر من خطر
يقضي على كبد الإنسان والبصر	والله والله إن الخمر مضيعة
والله أعلم ما في الخمر من ضرر	سل الأطباء لماذا الله حرمه
بأنه راحة للقلب في الضجر	لكن إبليس للإنسان زينه
أم أنه الآفة الكبرى على البشر	سل الأطباء هل في الخمر فائدة

فكم غني لشرب الخمر أفلسه
دينا ودنيا دون العقل في الإبر
فكيف يرجو منه الخير شاربها
وكيف من يشتري دنياه في سقر
ناهيك في الخمر أوقات تضيعها
وهل يعيش صحيح العقل في الحفر
تأتي العداوة والبغضاء منه فهل
قرأت شيئاً من القرآن في السور
وهل فهمت الأحاديث التي وردت
عن سيد المخلق والآثار والسير
والله نسأله حسن الختام، وأن
يهدي العباد من بدو ومن حضر.

أسأل الله أن ينفعنا بما سمعنا، وأن يثبتنا، وأن يهدي شبابنا، وأن يطهر بلادنا،

ومجتمعاتنا من كل ما يضرنا في ديننا ودنيانا!



(قصص ووقفات في عقوق الآباء والأمهات)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله، من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر

الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون عباد الله، لقد أوجب الله على عباده حقوقاً وواجبات، ورغب

من أقامها، وعمل بها، ورهب من أعرض عنها، وتركها، ومن جملة ما أحقه الله

على عباده، بل هو أحق الحقوق بعد حقه - **جَلَّ وَعَلَا** - حق الوالدين، حق الوالدين الذي قرن الله طاعتها بطاعته، فقال - **جَلَّ وَعَلَا** -: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الإسراء: ٢٣].

ولقد رغب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طاعتهما، وحذر من مخالفتها وعصيانها، فجعل سخط الله في سخطهما، ورضى الله في رضاها؛ بل وحرم الجنة على من عصاهما، وخالفهما، ولعن من سبهما، وخص الأم فقال أمك، ثم أمك ثم أمك. وجعل الجنة عند رجلها، وملك الأب فقال: أنت ومالك لأبيك. فالويل، ثم الويل، لمن عق والديه!

أيها المسلمون عباد الله، لقد أكثر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الحث على طاعة الوالدين، والتحذير من مخالفتها؛ فلقد ذكرت كتب السنة جملة من الأحاديث ما بين مرغبة ومرهبة، منها ما ذكره الإمام المنذري رَحِمَهُ اللهُ في كتابه الترغيب والترهيب، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُمَا اللهُ وهاكم بعضاً منها؛ لتعلموا - حفظكم الله - ما للوالدين من قدر عند الله.

فأقول - والله المستعان، ومن بغيره استعان لا يعان -: ذكر الإمام المنذري رَحِمَهُ اللهُ عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: صعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنبر فقال:

«آمين! آمين! آمين!»، ثم قال: «أتاني جبريل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فقال: يا محمد، من أدرك أبويه عند الكبر أو أحدهما فمات، فدخل النار، فأبعده الله؛ فقل: آمين! قال فقلت: آمين!» (١).

نعم أيها الناس، من تنكر لأبويه وهما أحوج ما يكونان إليه، من صار يميل أباه، ويسأم أمه لكبرهما، ولهرمهما، فأبعده الله، قال: فقلت: آمين!

ولقد خص الله الكبر في الوالدين، وحث على طاعتهما في حال كبرهما؛ لشدة حاجته إلى أولادهما. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاثة حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقر الخبث في أهله» (٢).

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاثة لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفاً، ولا عدلاً: عاق، ومنان، ومكذب بالقدر» (٣).

وعن عمرو بن مرة الجهني - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: جاء أعرابي إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: يا رسول الله، شهدت أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة مالي، وصمت رمضان، فقال النبي

(١) رواه الإمام المنذري في الترغيب والترهيب (٢٤٩١).

(٢) رواه أحمد (٥٣٧٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢٥١٢).

(٣) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٣٢٣).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من مات على هذا كان مع النبيين، والصديقين، والشهداء يوم القيامة، هكذا، ونصب أصبعه ما لم يعق والديه» (١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «رضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط والدين» (٢).

فيا من يبحث عن رضا الله، ويهرب من سخطه، إن كنت تريد ذلك؛ فالبر البر! يا من يصلي، ويتصدق، ويصوم وأمه غاضبةً عليه؛ رضا الله في رضا الوالدين! يا من يبحث عن أبواب الخير، وأسباب الرزق، وأمه، وأبوه غاضبان عليه؛ رضا الله في رضا الوالدين! وإذا رضي الله عنك أرضى عنك الخلق، وحببك، وآواك، وسددك وكفأك.

وفي كتاب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى أهل اليمن، وبعث به مع عمرو بن حزم، قال: وإن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة: الإشراف بالله، وقتل النفس المؤمنة بغير الحق، وعقوق الوالدين.

وعن معاوية بن جاهمة، أن جاهمة جاء إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقال: أردت الغزو يا رسول الله، وقد جئت أستشيرك؟ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «هل لك من أم؟ قال: نعم. قال: فالزمها؛ فإن الجنة عند رجلها» (٣).

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٩/٥٢٢).

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٧٤٤٦).

(٣) رواه أحمد (١٥٥٣٨).



عباد الله إن برّ الوالدين عظيم، وإن طائع الوالدين ليبلغ عند الله برة ما لا يبلغه أي أحد.

إن أويّسَ القرني؛ ذلكم الشاب اليمني، لزم أمه فبرها وأحسن برها، حتى أطلع الله نبيه على هذا اليمني البار، فقال لفاروق الأمة الأواب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا رأيته يا عمر، فسله أن يدعوك». الله أكبر!.

هذا الرجل أيها الناس لم يكن صحابياً، ولا مجاهداً، ولا محدثاً، وإنما لزم أمه فبرها فأحسن برها؛ فرفع الله قدره، وجعل له دعوة مستجابة حتى احتاج إليها الأواب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما السبب أيها الناس؟ ما السبب؟ إنه البر! إنه الإحسان إلى الوالدين!

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلاً هاجر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من اليمن، فقال له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «هل لك أحد باليمن؟». قال: أبواي. قال: «أذنا لك؟». قال: لا. قال: «ارجع إليهما فاستأذنهما، فإن أذنا لك فجاهد، وإلا فبرهما»^(١).

(١) رواه أحمد (١١٧٢١)، وأبو داود في سننه (٢٥٣٠).

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أوصاني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعشر كلمات، قال: «لا تشرك بالله شيئاً وإن قتلت وحرقت، ولا تعقن والديك، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك»^(١).

وقف - رحمك الله - مع قوله: وإن أمراك أن تخرج من أهلك، ومالك. انظروا، وتأملوا، - بالله عليكم - كم هم أولئك الذين يقدمون زوجاتهم على أمهاتهم؟! كم من رجل أخرج أمه من بيته بسبب زوجته! كم من رجل نهر أمه، وقهرها بسبب زوجته، وربما - والعياذ بالله - يضربها، والله المستعان.

أما تذكر أيها العاق، أما تذكر أنك ترعرعت في حضن أمك قبل أن تعرف زوجتك؟! أما تذكر أن أمك هي التي كانت تسهر لتنام؟! ولعلها كانت لا تهناً في طعام، ولا تغمض في منام، أما تذكر كم غسلت عنك الأذى بيمينها؟! أما تذكر كم جلست في بطنها؟! أما تذكر كم كان فرحها بزواجك بهذه الزوجة التي أنت الآن تقدمها، وتفضلها عليها؟! ويل ثم ويل للعاقين لأمهاتهم! ويل لهم ثم ويل لهم!

وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاث دعوات لا

تُرد! دعوة الصائم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»^(٢).

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٢٠٧٥).

(٢) رواه الترمذي (١٩٠٥).



إي والله كم من رجل أصبح مجنوناً في الشوارع يلعب به الصبيان ويرمونه بالحجارة بسبب؛ دعوة والده، أو والدته! كم من رجل نزع البركة من حياته بسبب دعوة والدته! كم من رجل افتقر بعد أن كان غنياً، وشقي بعد أن كان سعيداً، مريض بعد أن كان صحيحاً، بسبب الدعوة من والديه!

كم من رجل شل جسده، أو كسرت رجله، أو يده؛ - كما ستسمع أخبار بعض العاقين - بسبب دعوة والده، أو والدته!

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ملعون من

سب أباه! ملعون! من سب أمه!» (١).

وعن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ لِي مَالًا، وَوَلَدًا، وَإِنْ أَبِي

يُرِيدُ أَنْ يَجْتَاكِ مَالِي؟ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَبِينًا حَقَّ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ: «أَنْتَ وَمَالِكَ لِأَبِيكَ، أَنْتَ وَمَالِكَ لِأَبِيكَ» (٢).

نعم أنت ومالك لأبيك، فإذا كان مالك لأبيك فلماذا؟ لماذا أكلك أحسن من

أكل أبيك، ولباسك، وعيشك أجمل من عيش أبيك؟ لماذا نرى بعض الأبناء يعيشون في الثرى، وآباؤهم في الثرى؟! لماذا بعض الأبناء يأكلون ويشربون مع

(١) رواه أحمد (١٨٧٥).

(٢) رواه أحمد (٦٩٠٢)، وابن ماجه (٢٢٩١).

أولادهم أطيب وأعذب المآكل، والمشارب، وربما أبأؤهم تمر عليهم الشهور،
والدهور، وما يأكلون بعض ما يأكل أولادهم؟! أين حق الوالدين؟ أين الإحسان؟
أين قول الله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ [سورة الأحقاف: ١٥].

فيا من تعق والديك، إن لم ترجع إلى ربك، وتصلح حالك مع والدك
ووالدتك، فلا تأمن عقوبة الله لك في دنياك قبل آخرتك، فقد قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**
«ما من ذنب أجدر من أن يعجل الله العقوبة لصاحبه في الدنيا مع ما يدخره في
الآخرة، مثل البغي، وقطيعة الرحم»^(١).

وقال: «بابان يعجلهما الله في الدنيا قبل الآخرة، البغي، وعقوق الوالدين»^(٢).

وستسمعون في الخطبة الثانية ما تقشعر منه جلودكم، وتقف له شعوركم، من
أخبار أولئك العاقين الذين تنكروا لأبائهم، وأمهاتهم، وكيف انتقم الله منهم في
دنياهم قبل آخرتهم!

أسأل الله أن يرزقنا بر آبائنا وأمهاتنا أحياء، وأمواتا! أقول ما تسمعون،
وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين؛ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



(١) الترمذي (٢٥١١)، وأحمد (٣٦/٥، ٣٨)، وأبو داود (٤٩٠٢).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٧/٢٤) وفي "التاريخ" (١/١٦٦)، والحاكم (٤/١٧٧)، والخطيب (١/٣٧) والبخاري (١/١٦٨٢).



(الخطبة الثانية)

الحمد لله أمر بتقواه، وأخبر أن من اتقاه وقاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليته.
أيها المسلمون عباد الله، وقبل أن نذكر لكم - كما وعدناكم - بعض الجوانب المظلمة، لأولئك العصاة الذين تنكروا لأبائهم وأمهاتهم؛ دعونا نذكر بعض الجوانب المشرقة لأولئك الذين عرفوا حق والديهم؛ فبروهم وأحسنوا برهم، فعجل الله لهم الخير في الدنيا قبل الآخرة.

هذا أحد الدعاة يقول: كان هناك رجل عليه دين، وفي يوم من الأيام جاءه صاحب الدين، وطرق عليه الباب؛ ففتح له أحد الأبناء؛ فاندفع هذا الرجل على والده بدون سلام، ولا كلام، ولا احترام، وأمسك بتلابيبه، وقال له: اتق الله وسدد ما عليك من الديون؛ فقد طال صبري عليك،

وفي هذه اللحظات قال الولد - والدمع في عينيه -: كم هو المال الذي عند والدي يا فلان؟ قال: أكثر من تسعين ألف ريال - بالعملة السعودية - فقال الابن: اترك والدي، وانتظرنى قليلا، فدخل الشاب غرفته وأخرج منها مبلغا قدره سبعة وعشرون ألف ريال، كان قد جمعه من راتبه لأجل زواجه، ثم أقبل على الرجل وقال: هذه دفعة من دين الوالد، وإن شاء الله يأتي الخير وأسدد لك ما بقي من دين

والدي في أقرب وقت بإذن الله، وهنا بكى الوالد، وطلب من الرجل أن يعيد المال لولده؛ فهو محتاج له من أجل زواجته، فأصر الولد على عدم أخذه، ثم ودع الرجل المطالب بدين والده وهو يقول له: أرجوك لا تطالب والدي بعد اليوم، فدينك عليّ وأنا غريمك من الآن،

ثم تقدم الشاب إلى والده وقبل جبينه وقال: يا والدي قدرك - والله - أكبر من هذا المال، وكل شيء يعوض، وإذا مدَّ الله بعمرنا، ومتعنا بصحتنا، وعافيتنا قضينا ما بقي من الدين بإذن الله، فو الله ما قدرت يا والدي أن أتمالك نفسي عند ذلك المشهد، ولو كنت أقدر على دفع الدين كله لفعلت ولا أرى دمة تسقط من عينيك على لحيتك الطاهرة، فاحتضن الشيخ ابنه وأجهش بالبكاء، وأخذ يقبله، ويقول له: أسأل الله أن يوفقك يا بني، وأن يرضى عنك، ويحقق لك كل طموحاتك في هذه الحياة!

ولا إله إلا الله، وفي اليوم الثاني وبينما كان الابن منهمكا في عمله الوظيفي زاره أحد أصدقائه الذين لم يرههم منذ سنوات، وبعد السلام، والكلام الذي دار بينهما، قال له: يا أخي، لقد كنت بالأمس مع أحد كبار رجال الأعمال؛ وطلب مني أن أبحث له عن رجل مخلص، وأمين في عمله، وصاحب أخلاق عالية، ولديه قدرة على أداء العمل، وأنا لم أجد شخصا فيه هذه الصفات التي طلبها إلا أنت؛ فما



رأيك أن نذهب سويا لنقابله، ولنتعرف عليه! فتهلل وجه هذا الولد، وقال في نفسه: لعلها دعوة الوالد، فلما ذهب إلى رجل الأعمال فما إن شاهده رجل الأعمال حتى شعر بارتياح شديد، وقال: هذا الرجل الذي أبحث عنه، ثم سأله عن راتبه في العمل الذي كان فيه، فقال ما يقرب من خمسة آلاف ريال، فقال له: اذهب وقدم استقالتك، وراتبك من الآن خمسة عشر ألف ريال، وعمولة من الأرباح عشرة في المائة، وراتبين بدل سكن، وسيارة، وراتب ستة أشهر تصرف لك لتحسين أوضاعك، فما إن سمع الشاب ذلك إلا وأجهش بالبكاء، وهو يقول: أبشر بالخير يا والدي! أبشر بالخير يا والدي! فسأله رجل الأعمال عن سر بكائه؛ فحدثه بما حصل له قبل يومين مع من جاء يطالب بدين والده، فأمر رجل الأعمال بتسديد جميع ديون والده، وكانت محصلة أرباح الولد في ذلك العام نصف مليون ريال.

فلا إله إلا الله! ما أعظم الإحسان إلى الوالدين! هذا هو جزاء البر في الدنيا، وما

عند الله خيرٌ وأبقى!

وتعالوا بنا لنرى بعض الجوانب، والنماذج المظلمة، من أصحاب القلوب

القاسية المتحجرة، إلى بعض أولئك العتاة القساة، الذين تنكروا لأبائهم،

فأصبحوا عبرة، ومضربا للسوء في عقوقهم.

هذه قصة حصلت في إحدى دول الخليج، تناقلتها الأخبار، وانتشرت انتشار الشمس في رائعة النهار، يقول راويها: خرجت يوما لنزهة مع أهلي على شاطئ البحر، فرأيت امرأة عجوزة جالسة على بساط صغير، كأنها تنتظر أحدا، فجلسنا على الشاطئ كثيرا، حتى إذا أردنا الرجوع إلى بيتنا - وقد كانت ساعة متأخرة - جئت للعجوز فسألتها: ما أجلسك هنا يا خالة؟ فقالت: جاء بي ولدي إلى هنا وقال: إنه سيذهب لعمله ثم يرجع، فقلت لها لكن الساعة متأخرة الآن، قالت دعني انتظر لولدي،

وبينما هي ترفض الذهاب معنا، كانت تحرك ورقة في يدها؛ فقلت لها هل تسمحين لي بقراءة هذه الورقة؟ وقال في نفسه: لعله يجد رقم هاتفه، أو عنوان منزله، فيا ترى ماذا وجد في هذه الورقة؟! اسمعوا، اسمعوا يا عباد الله، اسمعوا إلى أصحاب القلوب القاسية، اسمعوا إلى أين وصل العقوق في هذا العصور المتأخرة، وجد في هذه الورقة مكتوب فيها من وجد هذه العجوز فارجو منه أن يذهب بها إلى دار العجزة!

الويل، ثم الويل، ثم الويل لمن عق والديه، أهكذا تكون الطاعة؟! أهكذا يرُد الجميل للوالدة؟! أهكذا تكون الخاتمة؟! هذا هو جزاء التربية؟! من الذي ربك،



ورعاك؟ من الذي احتضنك، وأرضعك، وغسّل أذاك؟ ويل لك أيها العاق، وأبشر بعقوبة الله لك في دنياك قبل أخراك!

وهذا أحد العاقين خرج مع زوجته وأمه ليشتري ذهباً لزوجته دون أمه، فلما اشترى لزوجته الذهب، وبينما هو يدفع المال لصاحب الذهب، إذ قال له صاحب الذهب: بقي خمسة آلاف ريال، فقال هذا العاق: من أين جاءت هذه الخمسة الآلاف؟ فقال صاحب الذهب: تلك العجوز أخذت خاتماً بخمسة آلاف! فما كان من هذا العاق إلا أن أخذ الخاتم من يد أمه وقال لها: وماذا تفعلين بالذهب؟ العجائز ليس لهن الذهب، فخرجت الأم وهي تبكي؛ لأن ولدها قهرها ونهرها، وأخذ الخاتم من يدها، فقالت له زوجته: أعطها الخاتم يا فلان، من سيحتضن لنا ولدنا؟ من سيربّه لنا؟ وهكذا للأسف الشديد أصبحت الأمهات كالخادِمات للزوجات، ثم أعطى أمه الخاتم بعد أن أخذه من يدها، بعد أن قهرها، ونهرها، لكن أمه أبت أن تأخذه، وقالت له: لا أريد الخاتم يا ولدي، لا أريد الخاتم، ولكنني كنت أريد أن أفرح في هذا اليوم كما يفرح الناس؛ فقتلت سعادتي فسامحك الله، فقتلت سعادتي فسامحك الله!

إني من هذا المنبر أوجه رسالتي، وبها أختتم خطبتي، وموعظتي، أوجه رسالة، ونداءً لكل عاق لوالديه، ولكل من متعه الله ببقاء أبويه: الله الله ببرهما، والإحسان إليهما! الله الله باغتنام الدعوة منهما! ما زلت تتمتع بوجودهما، وحياتهما، فكم

أولئك الذين قد حُرِّموا منهما، وأصبحوا يئنون، ويتحسرون على فقدتهما،
ويكون على حنانهما، ورحمتهما، ودعائهما، فيا من متعك الله بأبويك، أو
أحدهما، اغتنم بره أو برهما!

وأبوك كنز فاغتنمه فإنه إن غاب فالدنيا أسى وعناء
وكذاك أمك برها وارفق بها فغدا يعز عليكما التلقاء
والبر دين والعقوق كمثلته فانظر ودقق فالحقوق وفاء

أسأل الله أن يرزقنا البر بآبائنا، وأمهاتنا، في حياتهما، وبعد مماتهما.

اللهم ارحم آباءنا، وأمهاتنا، اللهم ارحمهما كما ربونا صغارا، واجزهم عنا

مغفرة، ورضوانا.....



(لزوال الدنيا أهون عند الله من الدماء)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ ءَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر

الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون عباد الله: لقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام بعلامات، وأمارات

تدل على قرب ذلك اليوم العظيم، وعلى زوال هذه الدنيا وأهلها.

ولقد - والله - ظهرت كثيرٌ، بل أكثر هذه العلامات التي أخبر بها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهي في ازدياد يوماً بعد يوم، نسأل الله السلامة والعافية.

وإني محدثكم اليوم عن علامة عظيمة من هذه العلامات أخبر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بوقوعها، وظهورها، فأصبحنا نعيشها، ونشاهدها، وكأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أظهرنا يصف حالنا، ويجلي واقعنا لنا، ألا وهي علامة انتشار القتل بين أوساط المسلمين؛ عيادا بالله رب العالمين.

فتعالوا بنا لننظر إلى واقعنا، ونتأمل إلى ما حدث به نبينا قبل أربعة عشر قرناً، تعالوا بنا لنعلم علم يقين أننا نعيش في آخر عمر هذه الدنيا التي قد ظهرت جلُّ علامات زوالها وفنائها، ولنعلم أن ما ذهب منها أكثر مما بقي منها:

تعالوا بنا لتأمل إلى ما رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ الهَرْجُ»، قالوا: وما الهَرْجُ؟! قال: «الْقَتْلُ! إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمُ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ، وَيَقْتُلَ أَخَاهُ، وَيَقْتُلَ عَمَّهُ، وَيَقْتُلَ ابْنَ عَمِّهِ»،



قالوا: ومعنا عُقُولُنَا يومئذٍ؟ قال: «إِنَّهُ لَتُنزَعُ عُقُولُ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَيُخَلَّفُ لَهُ

هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ، يَحْسَبُ أَكْثَرُهُمْ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَلَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ» (١).

وروى الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ عن أبي هريره رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا

يدري القاتل فيما قتل، ولا المقتول فيما قُتِلَ» (٢).

صلى الله على من لا ينطق عن الهوى، والله إن حبي ليزداد لحبيبي

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يوم أسمع وأرى ما أخبر به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فلقد - والله - انتشر

القتل في أوساط المسلمين! فأصبحنا نسمع، ونشاهد مجازر ومشاهد تنخلع منها

القلوب من قتل المسلمين بعضهم بعضاً، بل لا أكون مبالغاً إن قلت لا يخلو يوم،

ولا تخلو نشرة أخبار، ولا جريدة سياسة، ولا قناة إعلامية داخلية كانت أو

خارجية إلا وهي تبث القتل بجميع صورته؛ بالعشرات، بل بالمئات، كما هو

حاصل ومشاهد في السنوات المتأخرات؛ ناهيك عن الحروب العالمية التي ذهب

ضحيتها الآلاف والملايين؛ نسأل الله أن يطهر أيدينا من دماء المسلمين!

(١) رواه أحمد (١٩٤٩٢).

(٢) رواه مسلم (٢٩٠٨).

أيها المسلمون: وقبل الكلام على هذه العلامة العظيمة، وعلى هذه الجريمة الكبيرة، وقبل الكلام عن أسبابها، ودوافعها، ومتعلقاتها، دعونا نتكلم عن قدر الدماء عند خالقها وخاصة أصحاب الدماء المسلمة التي كرمها الله، وفضلها وشرفها على غيرها.

فلقد كرم الله هذا الإنسان تكريماً كبيراً، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وسخر له ما في السماوات والأرض جميعاً منه، ومن أجل هذا فقد أمر الله بجميع الحقوق التي تسمو بهذا الإنسان، وفي طبيعتها حق الحياة الذي هو حق كبير لا يحل لأحد أن ينتهك حرمة، أو أن يستبيح حماه.

وإن أردت يا عبد الله أن تعرف قدر حياتك عند الله، وما جعل الله لك من حرمة عظيمة؛ فاسمع إلى جزاء من قتل نفساً بغير حق ما عليه في الدنيا والآخرة، اسمع إلى الوعيد الشديد الذي توعد الله به من أسال الدماء وأزهق الأرواح بغير حقها، يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا

وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ [سورة النساء: ٩٣].

ولقد حذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ من حرمة الدماء أيما تحذير، بل قد كانت من أبرز وصاياه قبل موته وهو يودع أُمَّتَهُ، كما روى البخاري، ومسلم، عن أبي



بِكُرَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ بِمَنَى فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ!» (١).

ولقد كان تحذيره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وترهيبه من حرمة الدماء بأساليب مختلفة ومتنوعة، فهذا هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطوف مرة بالكعبة وهو يرى جمالها، وهيبتها، وعظمتها، ويستشعر مكانتها عند خالقها، فخاطبها مبينا للأمة من خلال خطابه لها حرمة الدماء المسلمة عند ربها، فقال فيما رواه ابن ماجه في سننه، وصححه الألباني رَحِمَهُمَا اللَّهُ، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يطوف بالكعبة، ويقول: «ما أطيبك، وأطيب ريحك! ما أعظمك، وأعظم حرمتك! والذي نفس محمد بيده، لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله، ودمه!»!

وقال فيما رواه البيهقي، وصححه الألباني رَحِمَهُمَا اللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَظَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْكَعْبَةِ، قَالَ: «مَرْحَبًا بِكَ مِنْ بَيْتِ، مَا أَعْظَمَكَ، وَأَعْظَمَ حَرَمَتَكَ! وَلِلْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حَرَمَةً مِنْكَ!» (٢).

(١) رواه البخاري (١٧٣٩) ومسلم (١٦٧٩).

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٣٧٢٥).

ويؤكد ترهيبه، وتحذيره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الدماء حين أخبر أن أمر الدماء هي أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة، فقد روى مسلم رَحِمَهُ اللهُ عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء» (١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: في شرحه للحديث: «وفي الحديث عِظْمُ أمر الدم، فإن البداءة إنما تكون بالأهم، والذنب يعظم بحسب عظم المفسدة وتفويت المصلحة، وإعدام البنية الإنسانية غاية في ذلك» (٢).

ومن عظيم تعظيمه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لدماء المسلمين؛ ما رواه ابن ماجه في سننه، وصححه الألباني رَحِمَهُمَا اللهُ، عن البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق!» (٣). وقال - فيما رواه الترمذي في سننه، وصححه الألباني رَحِمَهُمَا اللهُ عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار» (٤).

(١) رواه مسلم (١٦٧٨).

(٢) فتح الباري (١١/ ٣٩٧).

(٣) رواه ابن ماجه (٢٦١٩).

(٤) رواه الترمذي (١٣٩٨).



وأخبر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أن المؤمن لا يزال في فسحة من دينه ما لم يلطخ يده بدم من حرام، فقال فيما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لا يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يصب دمًا حرامًا!» (١). أي: فإذا أصاب دما حراما فإنه يضيق عليه دينه لأن صدره يضيق به حتى يخرج منه - والعياذ بالله - فيموت كافرًا.

وروى البخاري في صحيحه، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها: سفك الدم الحرام بغير حله!» (٢).

اللهم طهر أدينا من دماء المسلمين، يا رب العالمين!

أمه الإسلام، إن الدماء عظيمة وليست رخيصة، وإن وعيد الله فيمن قتل مسلمًا من المسلمين لن يذهب هدرًا، ولن يتركه الله هملاً، وإن لم يكن للمقتول من يدفع عنه، ويأخذ حقه، وإن لم يكن للمقتول عصابة، أو قبيلة تقتص له وتأخذ بثأره، بل سيجمعه الله بمن قتله، وظلمه، في يوم يقتص للمظلوم من الظالم، في يوم لا يظلم الله الناس فيه مثقال ذرة، في يوم يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء!

(١) رواه البخاري (٦٨٦٢).

(٢) رواه البخاري (٦٨٦٣).

يا لها من ساعة حرجة! يا لها من مشاهد رهيبة، ومحنة! إذا دنت الشمس فوق الرؤوس، وأتى بجهنم لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، تزفر وتزمر غضبا منها لغضب ربها، والناس كلهم حفاة، عراة، غرلا، كما خلقهم الله، وكل إنسان ينشر له كتاب لا يغادر صغيرة، ولا كبيرة، وفي هذه اللحظات يؤتى بالمقتول أمام القاتل وهو يحمل رأسه بيده بين يدي الله، ويقول: يا رب، سل هذا فيما قتلتني؟ فقد روى الترمذي، وصححه الألباني رَحِمَهُمُ اللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة، ناصيته، ورأسه بيده، وأوداجه تشخب دمًا يقول: يا رب، هذا قتلتني! حتى يدينه من العرش»^(١). أي يحضره: ويأتي به في يوم الحساب والجزاء، وشعر مقدم رأس القاتل ورأسه يمسكهما المقتول بيده، وأوداج المقتول وهما: عرقان على جانبي العنق تسيل دمًا يقول: يا رب، هذا قتلتني حتى يقرب المقتول القاتل من العرش، وهو إشارة إلى استقصاء المقتول في طلب ثاره، والمبالغة في إرضاء الله تعالى إياه بعدله. وفي رواية للنسائي: فيقول: «أي رب، سل هذا: فيم قتلتني؟»^(٢).

(١) رواه الترمذي (٣٠٢٩).

(٢) رواه النسائي (٤٠٠٥).



وقد يؤتى بالمقتولين أمام القاتل وهو لا يدري من هم، وكم عددهم، والمقتول كذلك لا يدري فيما قتل؟ وصدق الحبيب المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال لا يدري القاتل فيم قتل، ولا المقتول فيم قتل!

فها نحن نرى كثيرا من القتلة يرمون بالأسلحة المدمرة التي يذهب ضحيتها العشرات من الأبرياء، ومن المظلومين والضعفاء!

فيامن أمرك زعيمك، أو شيخك، أو أميرك بإزهاق الأنفس المحترمة، والاعتداء على الضعفاء بالأسلحة المدمرة المحرمة، ماذا سيكون جوابك أيها القاتل يوم يأتي المقتول يسوقك ويدفعك إلى الله، يوم لا ينفعك زعيمك، ولا شيخك، ولا قبيلتك، وعصابتك: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۚ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ۚ﴾ [سورة عبس: ٣٥] يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، في يوم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ بنيه، وصاحبه وأخيه، وفصيلته التي تؤويه؟!

علام يقتل أحدكم أخاه؟! علام يتقاتل الناس في هذا الزمان؟! من أجل القبيلة المقية، والعصية البغيضة تسفك الدماء؟! من أجل المال، ولعاعة الدنيا تمزق الأشلاء، ويقتل الأبرياء؟! من أجل شهوة المناصب والكراسي تباد حضارات، وتهدم دول ومصانع ومنشآت؟!

والتاريخ بين أيديكم، بل هي أحداث البلاد اليمنية في هذه السنوات الأخيرة أمام أعينكم، التي ذهب ضحيتها مئات الآلاف، ما هي أسبابها، وبواعثها؟! ومن كان من ورائها؟! نسأل الله أن يجعل لنا ولبلدنا من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.



(الخطبة الثانية)

الحمد لله أمر بتقواه، وأخبر أن من اتقاه وقاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أيها المسلمون عباد الله، لقد كثر القتل في هذا الزمان، ولقد حصل ما أخبر به المصطفى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فلقد ابتلت الأرض في هذا الزمان بدماء من كان يمشي على مناكبها، وأصبح كثير ممن كان على ظهرها في داخلها، وهذا للأسف الشديد في أمة الإسلام قبل غيرها، ولقد كان لأعداء الإسلام اليد الطولى، وقد كانوا من أبرز الأسباب الأولى فيما حصل ويحصل من الحروب، والاقتيال في بلاد المسلمين، فهي صناعة الأسلحة القتالية التي دمرت، وما زالت تقضي على الحياة الإنسانية، و تبيد أو تنقص الأعداد البشرية، فما هو غرضها، وما هو مقصدها وطلبها، حين تنفق المليارات من الدولارات، التي تصنع الأسلحة المدمرات، ثم تبيعها على الدول المسلمة بعد أو قبل أن تجتهد في وسائل الفتن، والتحرش بين أصحاب العقيدة الواحدة، ثم تجعلها تعيش في حروب وآلام، وبلدانهم في أمان وسلام، بل أصبحوا يتفرجون على المشاهد، والأفلام التي صنعوها، ونشروها في دول الإسلام؟!!

إذًا: أليس أعداء الإسلام هم الذين يشعلون فتيل الحرب والاقتيال في بلاد الإسلام، سواء بأسلحتهم المدمرة، أم بوسائلهم الماكرة الفاجرة؟! ثم لا يخفى علينا أن هناك أسبابا تؤثر على المسلمين لبث القتل فيما بينهم، وتدفع الإخوان، والأقارب، والجيران للتطاول على بعضهم، بإراقة دمائهم وإزهاق أرواحهم.

فمن ذلك، ومن أبرز ذلك: المال الذي هو فتنة أمة الإسلام، كما أخبر بذلك المصطفى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فكم نسمع عن جرائم القتل هنا وهناك؛ بسبب شبرٍ من الأرض، أو بسبب مبلغ من المال، أو بسبب مشكلة بين الأهل، أو العيال! كذلك من الأسباب الحسد الذي كان سببا في أول جريمة قتل على وجه الأرض، كما قص الله علينا من خبر ابني آدم، حين تقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، فقال: لأقتلنك!

فقد يحسد الحاسد أقرب الناس إليه؛ من أجل ماله، أو بسبب ورثته، فلا يطفئ نار حسده إلا بقتله، من أجل إرثه، ولا حظ له في ذلك في شريعة الإسلام كما أخبر بذلك **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وكم هي القصص في ذلك والآلام التي سمعناها على مر الزمان؛ والله المستعان!



كذلك من الأسباب المؤدية إلى هذه الجريمة الفظيعة، وهذه الكبيرة الشنيعة: حب المناصب، والتعالي، وحب الشهرة والكراسي؛ التي هي السبب الأعظم في الاقتتال بين الأمم، فمن كان من وراء الحروب المدمرة العالمية، التي ذهب ضحيتها عشرات الملايين من الأعداد البشرية، إلا حب الزعامات، والمناصب والرئاسات!

ما الذي تسبب في قتل خمسة عشر مليوناً في الحرب العالمية الأولى؟ كذلك في خمسة وخمسين مليون في الحرب العالمية الثانية؟ وفي ثلاثة عشر مليوناً في الحرب الأهلية الإسبانية؟ وما يقرب من مليون في الحرب العراقية الإيرانية؟ كذلك نفس العدد في الحرب الأهلية الروسية؟ وكذلك في اليمن المكلم ما يقرب من نصف مليون، إلا حب المناصب والكراسي، وعشق الزعامات والتعالي! فحب الرئيس لكرسيه، وحرص صاحب المنصب على منصبه، قد يقتل الرجل أقرب الناس كان محبباً، ومقرباً إلى قلبه.

كذلك من الأسباب المفضية إلى إزهاق الأنفس البشرية: النعرات العصبية، أو الحزبية البغيضة، أو القبلية الذميمة، فقد يحمل صاحب النسب المعجب بنسبه، أو العصبية المتعصب لعصابته وجماعته العزة بالإثم؛ فيتجرأ بسلاحه على من هو أدنى منه في نسبه؛ فيزهق روحه، ويسيل دمه؛ عجباً وغروراً وتكبراً،

وتجبراً، كما هو مشاهد عند بعض الأعراف البغيضة، وعند من لا يزالون يعيشون حياة الجاهلية المقيته.

من الأسباب كذلك الغضب - نعوذ بالله من الغضب - فقد يستحكم الغضب على بعض الجهلة، فتثور ثائرتهم، وتشتعل شراسته، ثم يوجه سلاحه على من مدّ يده إليه، أو من أخطأ عليه، وقد يكون الخطأ صواباً، ومن نقل إليه الخبر كاذباً، لذلك أوصى الحليم الكريم، وصاحب الخلق الرحيم، بوصية عظيمة، وهي: «لا تغضب! لا تغضب! لا تغضب!»^(١).

كذلك من الأسباب: حمل السلاح، الذي انتشر انتشاراً واسعاً، وأصبحت ظاهرة سيئة، خاصة في بلد الإيمان والحكمة، نسأل الله المغفرة، والرحمة، كم هي الأيام التي ملأت قلوبنا بالأحزان والآلام؛ حين نسمع في أسواقنا، أو في مجامعنا ومجتمعاتنا، وكثير من مواطن حياتنا، عن تهور أولئك المسلحين، واعتداءاتهم على كثير من المسلمين على أئفاه الأسباب، أو أدنى السباب، والله المستعان.

(١) رواه البخاري (٦١١٦).



وقبل كل هذه الأسباب، وأعظم هذه الأسباب، هو ضعف الإيمان، وقلة الخوف من رب الأرباب ومسبب الأسباب.

فيا أمه الإسلام ويا أمه محمد **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: إن للدماء حرمة ومكانة عند الله؛ لذا جعل الله لقاتل النفس عقوبة مغلظة، فقال تعالى:

﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء: ٩٣].

وإضافة إلى ما سبق من تأكيده **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** على حرمة الدماء؛ فقد نهانا عن مقدمات ذلك، وكل ما يوصل إلى ذلك، فقد نهانا عن أن نشير بالسلاح على إخواننا، فقال فيما رواه مسلم، عن أبي هريره **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال أبو القاسم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من أشار إلى أخيه بحديدة؛ فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه!»^(١)، وقال فيما رواه الشيخان-: «لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار»^(٢).

بل إنه حكم على من نوى قتل أخيه بالنار وإن لم يتمكن من قتله، فقد روى الشيخان، والنسائي، عن أبي بكر نفع بن الحارث الثقفي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: قال

(١) رواه مسلم (٢٦١٦).

(٢) رواه البخاري (٧٠٧٢) ومسلم (٢٦١٧).

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار! قال: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟! قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه»^(١).

وكما حرم علينا دماء غيرنا من إخواننا، فقد حرم علينا قتل أنفسنا التي بين جنوبنا، وجعل علينا عقوبة مغلظة إذا تسببنا بإزهاق أرواحنا، فقال فيما رواه مسلم: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها!»^(٢).

بل إن الكافر الذي لا يؤذينا، ولا يحاربنا في ديننا قد حرم الإسلام دمه علينا، فلقد روى الإمام أحمد في مسنده، وصححه الألباني رَجَّهُمَا اللهُ، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يرح رائحه الجنة؛ وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً!»^(٣).

ودونكم في الختام هذا الخبر يا أمة محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لتعلموا ولتعلم الدنيا عظمة الدماء في شريعة الإسلام: روى البخاري، ومسلم عن أسامة بن زيد -

(١) رواه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

(٢) رواه مسلم (١٠٩).

(٣) رواه البخاري (٦٩١٤)، وأحمد (٦٧٥٤).



رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال: بعثنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الحُرَقَةَ من جهينة، فصباحنا القوم على مياهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناها، قال: لا إله إلا الله، فكف عنه الأنصاري، وطعته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا المدينة بلغ ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لي: «يا أسامة، أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟!». قلت: يا رسول الله، إنما كان متعوذاً! فقال: «أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟!». فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم! (١).

ألا فلتسمع الدنيا ولتسمع أوربة ولتسمع أمريكا، وليسمع أولئك الذين يتهمون رسول الله، ودين الله أنه ما جاء للبشرية إلا بالعنف والوحشية، والإرهاب، وبالسيوف، والعذاب، فليسمع الإرهابيون الذين يقتلون الأبرياء، ويعتدون على الضعفاء، ويخدعون الناس أنهم يحاربون الإرهاب.

فيأيها المسلمون، ويأيها العالم كله: الدماء لها حرمة، يا قادة العالم يا من تسفكون الدماء باسم الحرية، وباسم الديمقراطية، وأصبحت الدماء عندكم من أرخص الأشياء، اتقوا الله في دماء المسلمين! يا وجهها القبائل! اتقوا الله في دماء إخوانكم، وأصلحوا ذات بينكم! يا من تعتدون على الناس في ممتلكاتهم، اتقوا الله في دماء المساكين! يامن تسحقون الآلاف من المواطنين من أجل كراسيكم،

(١) رواه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦).

اتقوا الله في دماء المسلمين! يا من يقتل أخاه المسلم، تذكر قبل أن تقتله، وقبل أن تطرحه على الأرض، أن جبهته كانت تسجد لله، وبين يدي الله، وأنه سيحاجك بلا إله إلا الله! تذكر قبل أن تقتله أن من ورائه أولادًا سيصبحون أيتاما، وعالة على غيرهم، وأن قلوب أرحامه، وأقاربه، ومحبيه، ستحترق بفقده، وسيتألمون على غيابه وبعده، وسيصبون عليك الدعوات صبا عند ذكره وتذكره، وقبل ذلك تذكر مالك، مصيرك وحالك، عند الله الملك العدل - سبحانه - وتذكر: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ

عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ [سورة النساء: ٩٣].

أسأل الله أن يطهر أيدينا من دماء المسلمين.....



(سوء الظن وخطره على الفرد والمجتمع)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر

الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المسلمين، والمسلمات: مما لا يخفى عليكم أن خصال الخير والشر

في الناس مفرقة، وأن بعضها أهون من بعض، وما جمعت في أحد هذه الخصال

المفرقة.

وحديثنا - بإذن الله - في هذه الجمعة عن خلقٍ ذميم، وخصلةٍ منكورة، ابتلي بها كثير من الناس، وخاصة في هذا الزمان، من خلالها فقدوا إخوانهم، وخالانهم، وأقاربهم، بل فقدوا لذة الحياة، ومتعته.

فيا ترى ما هو هذا الخلق الذميم، الذي هو موضوع حديثنا في هذا اليوم العظيم؟! إنه سوء الظن بالآخرين، إنه سوء الظن الذي انتشر في أوساط الصالحين، قبل الطالحين، إنه سوء الظن الذي لطالما كان سبباً في قطع علاقة أخوية، وخراب حياة زوجية، سوء الظن الذي ما أبقى صاحباً لصاحبه، ولا أخاً لأخيه، ولا زوجةً لزوجها، سوء الظن الذي كان سبباً في إراقة الدماء المحرمة، وإزهاقاً للأنفس البريئة المحترمة، سوء الظن الذي فكك أسراً وخرّب مدناً ودولاً، وغرس الضغائن والأحقاد بين الأقارب، والعشائر، والأحفاد!

سوء الظن الذي حرمه الله من فوق سماواته بقوله: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا

مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكُم بِبَعْضِ الظَّنِّ إِنَّمَا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُم بََعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ

لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ [سورة الحجرات: ١٢].

وقال أمراً ومؤدباً عباده الذين ما أحسنوا الظن في حادثة الإفك: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ

ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ [سورة النور: ١٢].

معاشر المسلمين والمسلمات: ليس أسعد لقلب العبد في هذه الحياة، ولا أطيب لنفسه من حسن الظن بإخوانه، فبحسن الظن تفر العين، وتطيب النفس، وتبقى الأخوة، ويرتاح الجسد، ونسعد بكل من نلقاه، ونخالطه.

لهذا كان حريًا بنا أن نطرق هذا الموضوع في يومنا هذا، وأن يكون حسن الظن على ألسنتنا، في مجامعنا، في مجتمعاتنا، وفي أسواقنا، وفي جميع شؤوننا.

ولقد اهتم نبينا الكريم اهتمامًا بالغًا بهذا الخلق العظيم، فعلمنا حبيبنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إحسان الظن بالآخرين، وعلمنا عدم التشكيك في ضمائرهم، والحكم عليهم من خلال ظواهرهم، وترك سرائرهم إلى خالقهم. فقد سئل: أي الناس أفضل؟ قال: "كل مخموم القلب، صدوق اللسان"، قيل: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي، النقي، الذي لا إثم في قلبه، ولا بغي، ولا غل، ولا حسد.

ونهى أصحابه أن يبلغوه أخبارا لا يحب أن يسمعها، فقال: عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا يبلغني أحدٌ منكم عن أحدٍ من أصحابي شيئا. فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر.

اللهم سلّم صدورنا، وألسنتنا من أعراض المسلمين. يا رب العالمين!

وكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث!» وقال يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تؤذوا عباد الله، ولا تعيروهم، ولا تطلبوا عوراتهم؛ فإن من طلب عورة أخيه طلب الله عورته حتى يفضحه، ولو في جوف بيته.

ونهى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كل مسئول أن يجعل سوء الظن أساس معاملته مع رعيته، فقال: «إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم». أي: لا يصلح لمن هو في عمله، أن يعامل عماله على سوء الظن؛ فإنهم عند ذلك يفسدون، ويصبح كل واحدٍ منهم يسيء الظن بالآخر.

وليس هذا منعا لأخذ الحيطة، والحذر، وخاصة في من ظهرت منه قرائن السوء، وعلامات الخطر.

ولقد كان سلفنا الكرام رَحِمَهُمُ اللَّهُ، و رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من أروع من ضرب جميل الأمثلة في حسن الظن بالآخرين.



فهذا فاروق الأمة الأواب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: «لا يحل لا مرئ مسلم سمع من أخيه كلمة يظن بها سوءاً، وهو يجد لها في شيء من الخير مخرجاً». (١)

وقال أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «من علم من أخيه مروءة جميلة فلا يسمعن فيه مقالات الرجال، ومن حسنت علانيته فنحن لسريته أرجى» (٢).

وقال بعضهم: «لا تظن بكلمة من أخيك سوءاً، وأنت تجد لها في الخير محملاً».

وقال المهلب رَحِمَهُ اللهُ: «قد أوجب الله تعالى أن يكون ظن المؤمن بالمؤمن حسناً أبداً، ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة النور: ١٢]» (٣).

ومن جميل ما يُذكر في هذا الباب: عن رجلٍ من أجواد العرب، أن امرأته قالت له يوماً: «ما رأيت قوماً أشد لؤماً من إخوانك، وأصحابك، قال: ولم؟ قالت: أراهم إذا اغتبيت لزموك، وإذا افتقرت تركوك، فقال لها: هذا - والله - من كريم

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق (١٠/٣٤٨).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/٢٦١).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/٢٦١).

أخلاقهم، يأتوننا في حال قدرتنا على إكرامهم، ويتركوننا في حال عجزنا عن القيام بواجبهم».

الله أكبر! ما أجمل وأحلى، وأرقى، وأنقى حسن الظن بالآخرين! فانظروا كيف جعل قبيح فعلهم حسنا، وظاهر غدرهم وفاءً، لماذا؟ لأن حسن الظن بالآخرين راحة في الدنيا، وسلامة في الآخرة.

وكان الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ يَقُول: «من أحب أن يُختم له بخير فليحسن الظن بالناس. اللهم حسن خاتمتنا يا رب العالمين».

ويقول أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «حسن الظن من حسن العبادة».

وقال بشر الحافي رَحِمَهُ اللهُ: «من سره أن يسلم فليلزم الصمت، وحسن الظن

بالخلق». ويقول الإمام عليّ - الشهير بالمصري رَحِمَهُ اللهُ -: «إذا رأيتم واعظاً

يدعو الناس إلى الخير، فإياكم أن تظنوا أنه لا يعمل بما يقول، بل ظنوا أنه متخلق

بما دعاكم إليه».

قال بعضهم: «أحسنوا الظن بالمسلمين؛ فإنه بابٌ من أبواب الخير».

ودخل الربيع بن سليمان على الإمام الشافعي يعود من مرضه، فكان من

ضمن دعائه له أن قال له: «قوى الله ضعفك يا إمام، فقال الشافعي: يا ربيع، لو

قوى ضعفي لقتلني، - أي: لو قوي هذا المرض فلعله يكون سبباً لهلاكه، وموتي،



فقال الربيع: والذي لا إله غيره ما قصدت ذلك يا إمام، فقال الشافعي: يا ربيع، والذي لا إله غيره لو شتمتني صراحاً، لعلمت، ولتيقنت أنك لم تقصد ذلك»^(١).

يا للكلام! يا للروعة والجمال! نُهدي هذا الكلام لأولئك الذين يقفون على

عبارة، لها في الخير ألف محمل، وفي الشر محمل، ثم يحملونها على الشر.

هؤلاء سلف هذه الأمة، هكذا كانت أخلاقهم، وعقولهم، وهكذا كانت

حياتهم، حياة مليئة بالصفاء، والنقاء، حياة مبنية على سعة الصدور، والتماس

الأعدار.

قف وتأمل - بالله عليك - إلى حال كثيرٍ من الناس في هذا الزمان، ممن ابتلوا

بهذا المرض الخطير، الذي لا يجعل الإنسان يعيش مع أحدٍ أبداً، يسيء الظن

بأحبابه، بأقاربه، وجيرانه، بل حتى مع زوجته وأم أولاده، وشريكة حياته، يسيء

الظن بالصالحين، بالعلماء، بالمسؤولين، بكثيرٍ من المسلمين.

هكذا أصبح بعضهم، وكأنه ما خلق إلا لهذا.

تتكلم معه بكلمة، وتقصد بها شيئاً، وهو يفهم منك قصداً آخر ويحملك ما

لم تقصد، بل لا يخطر لك على بال، وهكذا تظل هذه الكلمة في نفسه، ربما

سنوات، وكل يومٍ وهو يمتلى عليك غلاً وحقداً، وربما قطعت أرحام، ربما

(١) مناقب الشافعي (٢/٣٦١).

اشتعل فتيل الحرب في تلك القبيلة، وتوسعت المشكلة والقضية، والسبب كلمة، والسبب هو سوء الظن، تلقاه وتقول له: ما قصدت ذلك يا فلان، والله ما قصدت، ولا أردت، وتحلف له الأيمان المؤكدة لتزيل ما في نفسه، وما نتج من سوء فهمه وظنه، ولكن أعود بالله من خبث بعض الناس، وسوء مقصدهم! نعوذ بالله من أصحاب القلوب المريضة، الذين أصبح سوء الظن من طبعهم، ولا ينفك عنهم في حياتهم!

كثير من الحروب التي تنشأ بين الناس والقبائل، لو تأملنا في بدايتها، لوجدنا منشأ ذلك، هو سوء الظن، الذي أشعلها، وأججها.

يحصل لبعض الناس في بيته شيء من سرقة، أو أذية، أو غير ذلك، فيسيء الظن بجاره، أو بأحد أقاربه، لماذا يا فلان؟ قال: لأنه هو الذي يعرفني، ويعرف أسرار بيتي، ويعرف مدخلي ومخرجي! إلى غير ذلك من الشكوك، والتوهمات.

تخرج زوجته من بيته إلى جاريتها بدون إذنه - مثلاً - فيسيء الظن بها وبأهل جاريتها، بأنهم كذا، ويفعلون كذا، وصفتهم كذا، وكذا، أو جاءها اتصال عشوائي، كما يحصل أحيانا من بعض السفهاء الذين يشغلون الناس، ويؤذونهم في أعراضهم؛ فيتهمها بأن معها أصحاباً، وعلاقات، ورسائل وتواصلات، وقد



يكون سيء الظن هذا في بلد الغربية، ويظل في هم، وقلق وريبة، وهو في غربته، وكل ذلك منشؤه سوء الظن بأهله، وزوجته.

كم من امرأة تعيش في قهر، وظلم مع زوجها، بسبب كثرة اتهامه لها، لاكثر الله الرجال من هؤلاء!

وبالمقابل بعض النساء كذلك، تعيش هذا المرض مع زوجها، تتهمه في شرفه وتسيء الظن به في كثير من أمور حياته، وكل مرة وهي تنقب عن أخباره، وتقلب رسائله في جواله، وتراقبه في مدخله ومخرجه؛ عافانا الله وإياكم، ونساءنا ونساءكم، من هذا المرض الخطير!

كم - والله - هي البيوت التي دُمرت، والنساء اللاتي طلقت، بسبب الظنون السيئة، نسأل الله السلامة والعافية، وأن يجنبنا وإياكم الظنون السيئة!
أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم!



(الخطبة الثانية)

الحمد لله أمر بتقواه، وأخبر أن من اتقاه وقاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها المسلمون عباد الله: إن حسن الظن في الإنسان، إن دل فإنما يدل على سلامة صدره، وحسن سريره، والعكس بالعكس، وعلى حد قول المتنبّي: «إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه، ومن كان جميلاً رأى الوجود جميلاً».

يقول ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ اللهُ كما في كتابه الزواج: «وكل من رأته سيئ الظن بالناس، طالباً لإظهار معايبهم، فاعلم أن ذلك لخبث باطنه، وسوء طويته» (١).

نعم، إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه، وما فيك أيها الإنسان يظهر على فيك! فما أحرانا أن نحسن الظن بإخواننا، ما أحرانا أن نحسن الظن بمن تقع عليهم أعيننا، كلما رأينا شخصا نقول في أنفسنا: لعله خيرٌ منا! كم من رجل، أو شاب متلبسٍ بمعصية، إما بشرب الدخان، - والعياذ بالله - أو بلبس بنطال يحجم عورته، تظن أنه قد هلك بذلك، أو أن ذلك يعبر عن فساد قلبه، وسوء قصده،

(١) الزواج (١/١٦٤).



فإياك إياك أن تظن ذلك، ربما بينه وبين الله أعمالاً لا تطيقها، ولا تفعلها أنت، ولا أمثالك أيها الصائم، القائم، وليس هذا إقراراً للمعاصي وتقديساً للباطن وإهمالاً للظاهر، ولا ارتضاءً لما يقوله بعضهم: أهم شيء القلب، أو إن الله لا ينظر إلى صوركم... إلى غير ذلك مما يقوله بعضهم في تبرير أخطائهم،

لا ولكن العبرة كل العبرة بما بين الإنسان وبين خالقه، فكم من إنسان ليس عليه ملامح الخير والاستقامة تنظر إليه نظرة ازدراء واحتقار، وربما هو بارٌّ بوالديه أحسن منك، أو عنده من التوكل، واليقين، والحب لله ما ليس عندك، ولعل سوء مظهره ذلك هو بسبب رفقته، وبيئته التي يعيش فيها، والأمثال في هذا كثيرٌ منا يعرفها.

وينبغي أن يُعلم أننا لا نقصد من كلامنا عن حسن الظن؛ هو إغلاق لباب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فكلما رأينا خطأً أو منكراً، قلنا: ربما قصد كذا، ولعله أراد كذا.

كذلك لا يُقصد من ورائه: التبرير، والاعتذار لمن وضع نفسه في موضع التُّهم ويطلب من الآخرين إحسان الظن به، لا هذا، ولا ذاك، فقد جاءت الشريعة بالابتعاد عن الشبه، ومواطن الريبة والتهمة، والمحافظة على السمعة الطيبة،

فكثيراً ما كان رسول الله ﷺ يقول: «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» (١).

وغاية المقصود أن نقول: لأن نخطئ في حسن الظن بالآخرين، أهون من خطئنا في إساءة الظن بإخواننا المسلمين. ولأن يسألنا ربنا عن المبالغة في حسن الظن بالمسلمين؛ أهون من أن يسألنا عن الطعن في نوايا الآخرين.

فيا أحباب المصطفى ﷺ لنسعد بدياننا، لنعش حياتنا ولنرحم أجسادنا، بحسن ظننا بإخواننا، أحسن الظن - يا عبد الله - بأقاربك، بجيرانك، بإخوانك، بالمسلمين أجمعين، التمس لهم الأعذار ما استطعت، إن لم تجد، قل: لعل لهم عذرا لا أعرفه، ولم أطلع عليه. يتصل بك أخ لك، ويقول: إنه سينتظرك في مكان كذا، أو سيضع لك ما لا عند فلان، لكنك ذهبت وما وجدت شيئا، فقبل أن تبادر بالسب والالتهام، وقبل أن تسبح في الظنون والأوهام، قل: لعله تأخر وسيأتي، لعله حصل له شيء أو نسي، لعله شغل، لعله ولعله.

ابحث له عن عذر ما استطعت، لعله مات، كل هذا - والله - خير لك من إساءة الظن بإخوانك المسلمين!

(١) رواه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤).



الرجل في بيته يتصل بزوجه لأمر ما، فما ردت عليه، قل: لعلها ما سمعت، أو أنها في مطبخها، وجوالها في غرفتها، أو أنها تصلي، أو أنها نائمة، أو أنها تقضي حاجتها، أهم شيء لا تسيء الظن بها،

مررت على شخص، وسلمت عليه بصوت عال وبصوت واضح، وما رد عليك، لا تتهمه بالجفاء أو الكبر، أو أن في نفسه شيء عليك، فربما في باله أمر، أو مشكلة، أشغلته عن رد السلام، أو لعله ضعيف السمع أو... إلى غير ذلك، ولن تعدم المخرج إذا سلمت نيتك وشفى قلبك.

استدان منك شخص مالا على أن يؤديه لك في يوم كذا، لكنه ما فعل، وما وفي بما وعد، قل لعله نسي، لعله ما وجد فاستحى مني، ومن الاعتذار لي، لعله حصل له مرض، أو عرض له عرض، إلى غير ذلك، وجدت شابا يمشي مع فتاة، فجاءك الشيطان، فقل لعلها أخته، أو ابنة أخته، أو إحدى قريباته، ممن يحل له الاختلاء بها، والمشي معها، غاب عن المسجد شخص معروف، ثم فقدته، قل: لعله سافر، لعله مرض، لعله يصلي في مكان آخر، وغير ذلك من الأعذار التي يعرفها الأتقياء الأخيار.

بلغك - أيتها المرأة - أن امرأة تكلمت مع زوجك، أو اتصلت به أكثر من مرة، قولي لعلها جاءت تشتكي له من زوجها، أو أنها تسأل عن مسألة شرعية في أمر دينها، إلى غير ذلك.

رأيت أيها الجار مع جارك سيارة، أو رأيت يبيني له عماره، أو أنه اشترى شيئاً له قيمة ومكانه، ووظيفته لا تسمح له بشرائها، قبل أن تقول من أين؟ من أين له، وأنا أعرف حالته، ومستوى وظيفته؟! إلى غير ذلك مما نسمعه في هذه الأيام، انتبه! واحذر، وإياك من الظنون السيئة؛ فربما معه عمل آخر ولا تعرفه، أو باع شيئاً، أو ورث عن أبيه أرضاً، أو جاء إنسان ودفع له كل زكاة ماله، بسبب حاجته إلى غير ذلك من الأعدار.

ذهبت إلى صاحب تجارة، أو صاحب أموال أو شركة، وعرضت له كفالةً لیتيم، أو دفع حالة مسكين، لكنه ما استجاب لك، وما تفاعل معك، فقبل أن تتهمه بالبخل والشح، قل: لعله ينفق لجهة أخرى، أو ربما غيري كثير ممن جاء يسأل سؤالي؛ فساهم وبذل لهم ولم يبذل لي، وليس شرطاً أن يلي دعوتي أو دعوة من يسأل كسؤالي.

بلغك عن أحد الصالحين أنه طلق زوجته، ثم تزوج أخرى وطلقها، أو إحدى النساء طلبت الخلع من زوجها، فإياك أن تبادر بالاتهام والافتراء، بأن فلانا مطلق



للنساء، أو غير ذلك مما يسمع في هذه الأيام، فحذارٍ ثم حذارٍ أيها الأخيار، فالبيوت - كما يقال -: أسرار.

أيها الإخوة والأخوات، أحسنوا الظن فيما بينكم و لتدم أخوتكم، ولتستمر صحبتكم، ومحبتكم، كلُّ يحسن الظن بالآخر، إن بلغه عنه ما يكره، أو رأى منه ما يسوء، فليحسن الظن به، إن طلبت أيها الصاحب من صاحبك شيئاً فردك، واعتذر إليك، فاقبل اعتذاره وصدقته، ولا تتهمه، لا تتهمه بالبخل أو الجبن، ونحو ذلك.

إن أمنت فلانا على سرك، فأبداه للناس وأفشاه، فأحسن الظن به، قل: لعله مع الأيام نسي أنه سرٌّ، وأنني لا أحب أن يطلع عليه أحد، إلى غير ذلك، اتصلت به وكررت اتصالك، ولم يرد عليك، قل: لعل جواله صامت، أو عاطل، لعله يصلي، لعله، لعله، لعل مصيبةً نزلت به...

وهكذا بظنك الجميل، وحسن سريرتك ستجد له مخرجا وعذرا، بل لعلك ستحزن له، وتخاف عليه، بعدم رده على اتصالك بعد أن كنت ستغضب لو أسأت الظن به، بأنه لا يبالي بك ولا بمشاعرك.

أيها الأزواج، والزوجات: الله الله بحسن الظن فيما بينكم، فأنتم أولى بحسن الظن من غيركم، وأنتم أحق من يجسّد هذه الأخلاق في واقعكم.

أيها الزوجات، أيها الضرائر المباركات، ارحمن أنفسكن، ولا تسئن الظن ببعضكن، وارفقن بأزواجكن ليكون ذلك عوناً له على أداء حقوقكن، والعدل بينكن.

أيها الجيران، الله الله بحق الجوار، إن حصل بينكم، أو بين أولادكم، أو نساءكم شيء، فلا تهدموا جوار السنوات الذي كان بينكم، فكم هي الخصومات، والمشاحنات، التي بين الجيران، وسببها ربما كلمة، أو نظرة غير مقصودة، إلى غير ذلك.

يا طلاب العلم، ويا حملة الشريعة، ويا أصحاب الجماعات الدعوية، والأحزاب الإسلامية، ويا أصحاب العقيدة الصحيحة، كلكم ينهل من معين واحد، وكلكم يصب في مصب واحد، وكلكم يحمل ديناً واحداً، ويعبد رباً واحداً، فالله الله في حسن الظن فيما بينكم.

ثم نقول في الختام، وأهم ما يكون من بدء الكلامك لئن كان حسن الظن في الآخرين واجباً، فهو في العلماء والأمراء والدعاة أكد وأشد وجوباً، فالعلماء لحومهم مسمومة، وسنة الله في منتقصيهم معلومه، والظن فيهم ليس كالظن في غيرهم.



حذرا، ثم حذرا، ثم حذارٍ من الطعن في العلماء، واتهامهم بما نسمع في هذا الزمان، وهذه الأيام؛ فالعلماء ورثة الأنبياء، والطعن فيهم، طعن في الشريعة، والعلم الذي يحملونه!

ولسنا نقصد من هذا الكلام هو تبرئتهم، وادعاء عصمتهم، لكن القصد هو حفظ اللسان عن ذكرهم بالنقص، أو التقصير، أو السب، والتحقير، لكن القصد أن تعلم أن العالم يعلم أكثر مما تعلم، ويدرك ما لا تدرك، فإذا رأيت العالم - مثلاً - يُفتي بتحريم شيء، ثم بعد زمنٍ رأيت له فتوىً بتحليل ما قد كان أفتى بتحريمه، فإياك أن تتهمه بالهوى أو التلون، ولكن قل: لعله عثر على دليل أقوى من دليله الأول الذي بنى عليه فتواه، أو أن الزمن تغير فرأى بتغيير فتواه، كما هو شأن العلماء الحكماء في تعاملهم مع المستجدات التي تحصل لهم، ولسنا بصدد عرض الأمثلة على ذلك؛ فالفتوى قد تتغير باختلاف زمانها، ومكانها، وأشخاصها، خاصة إذا لم يكن ثمَّ دليلٌ فيها، وهكذا إذا استنكرت منه شيئاً يتعلق بالسلطان - مثلاً - فإياك أن تبادر بتلك الكلمة الآثمة، وتقول: علماء سلطان، أو سلطة، أو مصالح، أو مصلحة، فهذه كلمة قد يخرص الله بها لسانك، فالعالم له نظرة تختلف عن نظرتك، ويرى ما لم ترى، ويدرك ما لا تدرك، ويعلم ما لا تعلم، وقد عرف الله قبل أن تعرفه، وهو أدري بما يجيب الله به.

ولو فرضنا أنه أخطأ يوماً، أو قدم مصلحته، أو خاف على نفسه، في أمر ما، فهل من العدل والإنصاف أن نهضمه حقه، ونتقص من قدره، ونستبيح عرضه بسبب هذا الموقف، وقد كنا نحبه ونحترمه، ونعظمه؟!!

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

أوافقك، وأتفق معك أن خطأ العالم وزلته، ليس كخطي، وزلة غيره، فكما أن نفعه يعم، فكذلك خطؤه يعم ويطم، لكن لا بد من الرحمة، لا بد من العدل والإنصاف، وأنه ما زال بشراً، يحصل منه الخير، ويحصل الخطأ والضير؛ ونسأل الله أن يوفقنا لكل خير.

ثم تمام الكلام، ومسك الختام، وما ينبغي أن نولي له بالغ الاهتمام، خاصة في زمن كثر فيه الظلم، واسود الظلام؛ هو حسن الظن بالرحيم العلام.

فما أحوجنا إلى أن نحسن الظن بربنا وخالقنا، في زمن تكالب فيه أعداء الإسلام علينا، في هذا الزمان الذي فيه قُهرنا، وظلمنا، وجوِّعنا، وشرّدنا، وخوفنا، وحوصرنا، وحوربنا في ديننا، ودياننا.

ثقوا بالله يا أهل الإسلام عامة، ويا أهل الإيمان والحكمة خاصة، ثقوا بالله وأحسنوا الظن به يا أهل اليمن، واعلموا أن ما يجري في بلادكم، سيعود نفعه عليكم، في دينكم، وديانكم، اعلموا أنه ما ابتلاكم إلا ليحبكم، وما امتحنكم إلا



ليمنحكم، وما وضعكم إلا ليرفعكم، وما أبعدكم إلا ليقربكم، ويسمع صوتكم،
ودعاءكم، وإلحاحكم، وتضرعكم!

واعلموا أن الفضائل الربانية، والمدائح النبوية، مازالت، وستزال في الأمة
اليمنية اليمنية؛ فخير رجال أهل الأرض هم أهل اليمن، وأصحاب الحكمة
والإيمان هم أهل اليمن، وأنصار الإسلام هم أهل اليمن، ونفس الرحمن سيأتي
من اليمن، ومدد أهل الإسلام هم أهل اليمن، ولا يكون المدد مدداً، ولا القوي
قويا، ولا الشجاع شجاعاً، حتى يعيش بين قسوة الحياة، ومتاعبها، وحتى يبتعد
عن رغد الحياة وترفها، وهذا هو السر الذي قاله بعض العلماء الحكماء في سبب
أوضاع البلاد اليمنية، والأمة اليمنية من بداية تأريخها.

أسأل الله الرحيم، أن يغفر لنا ويتجاوز عنا، وأن يرزقنا حسن الظن بإخواننا!
ربنا لا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، واغفر لنا ربنا؛ إنك أنت الغفور الرحيم.



(ما زال جبريل يوصيني بالجار)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَآنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ، فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر

الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أمة الإسلام: لقد أوجب الله على عباده حقوقاً وواجبات، فمنها ما هي خاصة

بالخالق سبحانه وتعالى ومنها ما هي بين المخلوقات.

وسأقف معكم اليوم - بإذن الله - مع حق، وواجب عظيم من هذه الحقوق والواجبات؛ أوصى الله به في كتابه العظيم، وأوصى به رسوله الكريم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، أوصى به في حياته، وفي آخر أيام حياته في حجة الوداع، قبل وداع أمته وأصحابه، قبل أن ينتقل إلى جوار ربه.

وما زال عظيم الملائكة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يوصي به نبينا حتى ظن أنه سيورثه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

إنه حق الجار، نعم، إنه حق الجار على جاره، الذي أوصى الله به من فوق سماواته، بقوله: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ [سورة النساء: ٣٦] وأوصى به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته في حجة الوداع على ناقته القصواء.

كما روى ذلك الإمام المنذري، وصححه الألباني رَحِمَهُمَا اللَّهُ عن أبي أمامة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «أوصيكم بالجار» حتى أكثر؛ فقلت إنه ليورثه (١).

(١) رواه الطبراني في "المعجم الكبير" (٨ / ١٣٠ / ٧٥٢٣)، ورواه أحمد (٥ / ٢٦٧) مختصراً، وسندهما حسن أو صحيح، والترغيب والترهيب (٢٥٧٣).

وروى البخاري، ومسلم رَجَمَهُمَا اللهُ عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار؛ حتى ظننت أنه سيورثه» (١).
هذه وصية الله ووصية رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في هذا الحق العظيم، وفي هذا الخلق الكريم.

أيها المسلمون: لقد اهتم الإسلام بحق الجار اهتمامًا عظيمًا، وحرص عليه رسول الله حرصًا بالغًا، تارة مرغبا، وتارة مرهبا.

فقد روى الإمام أحمد في مسنده، وصححه الألباني، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «صلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار؛ يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار» (٢).

وروى البخاري، ومسلم، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلا يؤذ جاره» (٣).

وروى ابن حبان، وصححه الألباني رَجَمَهُمَا اللهُ عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أربع من السعادة:

(١) رواه البخاري (٦٠١٥) ومسلم (٢٦٢٥). وقد جاء الحديث عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في البخاري (٦٠١٤)

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٥٢٥٩).

(٣) رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).



المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء. وأربعٌ من الشقاوة! الجار السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق»^(١).

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيما رواه أحمد، وصححه الألباني رَجَمَهُمَا اللَّهُ: «خير

الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره»^(٢).

أمة الإسلام: إن حق الجار عظيم، وما سمعتموه دليل على فضله، وأهميته،

وعظيم قدره عند الله، وعند رسوله.

ومع فضله، وعظمته في شريعة الإسلام؛ إلا أن الجوار قد ساء في هذا الزمان،

وكثر النزاعات، والخصومات بين الجيران، وهذا مصداق لما أخبر به النبي

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقد قال - فيما صح عنه - : «إن من علامات الساعة: أن يسوء

الجوار بين الناس».

ولنا أن نسأل أنفسنا في زماننا هذا، ونقول: هل ساء الجوار بين الناس؟!

والجواب: نعم - والله - قد ساء الجوار بين الجيران، وكثر النزاعات بين

الأقارب والإخوان، فكم من جار لا يعرف جاره، ولا يتفقد أحواله!

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٤٠٣٢).

(٢) رواه أحمد (٦٥٦٦)، والترمذي (١٩٤٤).

كم من جيران طالت عداوتهم، وتنافرت قلوبهم، وعظمت أحقادهم، وكرهتهم لبعضهم، فتمر عليهم الشهور، بل ربما السنون والدهور، وهم لا يتواصلون، وقد لا يتكلمون، هذا إن سلم بعضهم من بعض.

بالله عليكم، ألسنا نرى جيراناً في حارة واحدة، بل في عمارة واحدة، وليس هناك أية علاقة تشعرك بجوارهم، وقرب بعضهم من بعضهم؟! ألسنا نرى، ونسمع عمن يستأجرون شققاً أبوابها متقابلة، ومدخلها مشتركة، وترى الواحد منهم لا يعرف عن أخيه شيئاً، بل لعله لا يعرف اسم جاره، وعمله، وبلدته، ولعله ما عرفه، وتعرف عليه إلا بالمشكلة التي حصلت بين أولادهم، أو بسبب تلك المصلحة التي جاءت عن طريق زوجاتهم!؟

كم هم أولئك الذين يؤجرون الشقق في بيوتهم؛ ولا يعرف الواحد منهم عن جاره إلا عند مطالبته له بإيجاره، وهم على هذه الحال ربما سنوات!
تسأله: من هو المستأجر عندك يا فلان؟ فيقول: شخص قالوا إنه من كذا. أو من قرية كذا، الله المستعان!

أهكذا يكون الجوار يا أهل الإسلام؟ أهذه هي وصية محمد **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**!؟



لماذا هذا التناكر أيها الجيران؟ لماذا هذه الوحشية يا أحباب محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟! لماذا أصبحت علاقات الجوار مبنية على المصالح الشخصية، والمعاملات المادية الدنيوية، فمن كانت تجمعك به علاقة جغرافية، أو تجارية؛ جاورته وصاحبه وأدخلته بيتك، وبسطت له مائدتك، ومن لم يكن فيه الصفات المطلوبة، والمصالح المرجوة؛ ما تعرف وجهه إلا عند الإيجار، أو وقت الخصومة والشجار، أو غير ذلك مما يدل على سوء الجوار، والله المستعان.

أمة الاسلام والإيمان، أيها الإخوان، أيها الجيران، وكما رغب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حق الجار؛ فقد حذرنا من التفريط في ذلك، وبالغ فيه! فلنسمع بعض ما قاله من التحذير والإنذار؛ لنعرف عظمة حق الجوار والجار.

روى البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن! قيل: من يارسل الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه!»^(١).

وقال - فيما رواه مسلم - : «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»^(٢).

(١) رواه البخاري (٦٠١٦).

(٢) رواه مسلم (٤٦).

تأملوا - يا رعاكم الله - إلى هذا الوعيد، وإلى هذا الزجر الشديد، للذي لا يجعل جاره يأمن من شره وأذيته، ثم انظروا إلى كثير من الجيران الذين يشكون من جيرانهم، وسوء معاملتهم!

كم هم أولئك الذين يشكون من جيرانهم باختلاف أذيتهم، ومشاكلهم، فمنهم من يقول: جاري يؤذيني بلسانه، ويتكلم عليّ في غيبتى عند جيرانه، ومنهم من يقول: جاري يؤذيني بالاعتداء عليّ في مالي، فمرة يسرقني، ومرة يستدين مني ولا يقضيني، ومرة يضع القمامة والأوساخ بجوار بيتي، ومرة يخرج أسراري مع زوجتي، ومرة يماطلني بايجار بيتي وآخر يقول: إن جاري - الذي هو صاحب البيت - يهينني، ويهددني إذا أخرجت عليه إيجار بيته بدون إرادتي، فمرة يقطع علي الماء، ومرة الكهرباء...

أهذا هو حق الجوار يا أهل الإسلام؟! أهكذا يكون التعامل بين الإخوان، والجيران، الذين تجمعهم رابطة الإسلام، والإيمان؟! أهذه هي وصية رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟! أهذا هو زجره، ونفيه، ونفيه الإيمان عن آذى الجار بقوله: والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن؟!!

وينبغي لنا أن نعلم، ويعلم كل جار أن أذية الجار ليست كأذية غيره، فالجار له حق الإسلام، وحق الجوار؛ فقد روى الإمام أحمد وصححه الألباني رَحْمَهُمُ اللَّهُ



عن المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «لئن يزني الرجل بعشر نسوة؛ أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره! ولئن يسرق من عشرة أبيات؛ أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره!» (١).

وسئل: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزني بحليلة جارك» (٢).

وقال الكريم بن الكريم يوسف - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم - كما قال الله عنه في كتابه العظيم: ﴿وَرَوَدَتْهُ الْمِيَاهُ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأُبْرَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة يوسف: ٢٣] - أي: إن خنت سيدي الذي آواني، وأحسن إليّ؛ سأكون من الظالمين!

قال العلامة الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكون حليلة الجار أعظم؛ لأن الجار يتوقع من جانبه الذب عنه، وعن حرمة، ويأمن من بوائقه، ويركن إليه، فإن قابله بالزنا فهو غاية القبح - والعياذ بالله - . فعظموها - رحمكم الله - ما عظمه الله، وامثلوا ما وصاكم الله».

(١) رواه أحمد (٢٣٨٥٤).

(٢) رواه البخاري (٤٧٦١)، عن ابن مسعود، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وروى البخاري، ومسلم رَجَمَهُمَا اللَّهُ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال - رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يمنع جارٌّ جاره أن يغرز خشبة في جداره». ثم يقول أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مالي أراكم عنها معرضين؟! والله لأرmin بها بين أكتافكم» (١) - أي: إذا احتاج جارك إلى غرز خشبة بجدارك فلا تمنعه، وتعطل حاجته ومصالحته، فهذا من حقه عليك، فليت شعري كيف لو رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجيران في هذا الزمان، وفي هذه السنوات حين يتقاتلون على الستيمترات؟! وكيف أصبح الجار يقاتل جاره؛ لأنه دخل شيئاً في حقه، أو مس حدود أرضه؟!!

وترى بعضهم قد يسد، أو يغلق فتحة الممر الذي بجوار بيته وبيت جاره؛ ليجعل جاره يطوف في أركان بيته، حتى يدخل إلى بيته، وبعضهم يمنع جاره أن يبني بجواره حتى لا يغطي عليه الإضاءة التي تدخل إلى بيته، - وجاره بأمس الحاجة إلى توسعة بيته، وإذا لم يقدر على منعه سلط عليه أولاده، أو بعض ذريته! وبعضهم يلزم جاره بأن يبني له جداراً؛ خشية أن يقرب من حقه، وغير ذلك من القضايا التي نراها في المحاكم، ونسمع عنها في دور القضاء والمظالم، التي تنبيك

(١) رواه البخاري (٢٤٦٣)



على حماقة، وسقاية، وقساوة بعض الجيران للأسف الشديد، فإلى الله المشتكى من سوء تعامل بعض الجيران مع إخوانهم في هذا الزمان.

وروى الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ** عن أبي ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله -

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا أبا ذر إذا طبخت مرقاً فأكثر ماءها وتعاهد»^(١)

ما أجمل هذا الدين! وما أشد حرص صاحب الخلق العظيم، ومن أرسله الله رحمة للعالمين، على الجيران والمساكين!

إن من حق جارك عليك: أن تُطعمه من طعامك، نعم؛ هذا من حق جارك، وأقل شيء لا تحرمه من مرق لحمك، وإدامك، من حق جارك عليك ألا تشبع وشارك جائع بجوارك، فقد روى الإمام الطبراني، وصححه الألباني **رَحْمَهُمَا اللَّهُ** أن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قال: «ما آمن بي من بات شبعان، وجاره جائع إلى جنبه، وهو يعلم به!»^(٢).

نعم، لا يتم إيمانك بالله، ورسوله؛ إذا كنت تملأ بطنك، وأنت تعلم أن جارك يتلوى من الجوع مع أولاده.

(١) رواه مسلم (٢٦٢٥).

(٢) الطبراني في الكبير (٧٥١) عن أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

بالله عليكم، أليس من المسلمين، والمسلمات من تمر عليهم أيام؛ بل شهور
متتابعات؛ وهم يأكلون أطيب المأكولات، والمشتهيات، وجاره جائع بجواره؛
ما يجد اللقمة التي تسد جوعه، وجوع أولاده؟! بالله عليكم أليس منا من يأكل ما
يملاً بطنه؛ وما بقي من أكله فيرميه في الزبالات، وجاره مع أولاده يتمنون بعض
المأكولات، واللقيمات؟! - والله المستعان-

بيت يموت الفأر خلف جداره جوعاً ويبت بالموائد متخم
وكم ن جارة ترسل لجارتها تطلب منها قليلاً من الدقيق، أو السكر لإصلاح
طعامها، فتردها، وتكذب عليها بأنه قد كُمل عليها، أو لا يوجد لديها، وغير ذلك
من الأعذار التي ترد بها جارتها التي وصاها الله بها. كم من جار يطلب من جاره
مالاً لعلاج زوجته، أو ليسعفها بسيارته، أو يطلب منه إمهاله في إيجار بيته؛ ومع
ذلك لا يجد منه تجاوباً، ولعله يحتقره، أو يجيبه متوعداً ومهدداً.

فأين الرحمة أيها الجيران؟! أين حق الجوار يا أمة الإسلام؟ لماذا أصبحنا
إلى هذا الحد بقسوة قلوبنا؟ لماذا ساء الجوار بيننا، وأصبحنا وحوشاً على
بعضنا؟!

أما تعلم - يا عبد الله - أن الجار يتعلق بجاره يوم القيامة؟



فقد روى البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني رَحْمَهُمُ اللَّهُ عن عبد

الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كم من جار متعلق

بجاره؛ يقول: يا رب سل هذا لما أغلق عني بابه، ومنعني فضله؟!»^(١).

قل لي - بربك - ماذا سيكون جوابك يوم يقول الله لك: لقد أحسنت لك يا

عبدي فلم لم تحسن إلى عبادي من جيرانك؟! لقد أطعمتك، وأغنيتك، وفضلتك

بالمال على غيرك، فلماذا لم تفضل على المحتاجين من إخوانك؟!

فما الذي يمنع الجار أن ينظر إلى جاره، ويسأله عن أحواله، وعن صحته

وعياله؟! ما الذي يمنعك إذا حصل لك شيءٌ يفرحك أن تجعل لجارك شيئاً منه

ليفرح معك؟! ما الذي يمنعك أيتها المرأة أن تكثري مرقك، أو طبخ طعامك،

وتذهبي إلى جارتك لتأكل مثل أكلكِ ولتسعد مع أولادها بسعادتك، فقد قال

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا نساء المسلمين، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاه»^(٢).

ما الذي يمنعك يا من تأخذ من جارك إيجار بيتك كل شهر أن تعفو عنه شهراً،

أو شهرين؟! وإن زدت فهو خير لك، أو أقل شيء لا تضيق عليه بالسداد، كذلك

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١١)

(٢) رواه البخاري (٢٥٦٦)، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

أنت أيها المستأجر لا تماطل جارك بإيجار بيته؛ خاصة من تعلم أن إيجار بيته يعد مصدر رزقه وقوت أولاده.

ولا ننسى جميعاً أن خير الجيران عند الله خيرهم لجاره.

أسأل الله أن يوفقنا وإياكم للعمل بهذا الحق العظيم، وأن يجعلنا من

المحسنين لجيرانهم والناس أجمعين! أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم

ولجميع المسلمين؛ فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.



(الخطبة الثانية)

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وصلى الله على نبينا محمد القائل: خير الجيران عند الله خيرهم لجاره.

أيها المسلمون عباد الله: لقد كان العرب في حال شركهم، وقبل أن يأتي الإسلام إليهم؛ يعظمون حق جيرانهم، فكانوا يفخرون، ويشرفون بثناء جيرانهم عليهم، وكانوا يمدحون أنفسهم بمحافظتهم على حقوق جيرانهم، فقال قائلهم - وهو عنتر بن شداد:-

وأغض طرفي إن بدت لي جارقي حتى يوارى جارقي مأواها
كذلك كانوا يتفاخرون بمطعمهم، ويجعلون لهم ما يدخلونه في بطونهم.

فقد قال مسكين الدارمي:

ناري ونار الجار واحدة وإليه قبلي تنزل القدر
بل كانوا يذمون غاية الذم من بيت شعبان ولا يطعم جاره، فقد جعلوا أهجى

بيت - كما قال الثعالبي - : قول الأعشى:

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى بيتن خمائصا
وكانوا يقولون: الجار قبل الدار، والجار ولو جار، والرفيق قبل الطريق، هكذا

كانت نخوتهم، وهكذا كان كرمهم، وجوارهم، فجاء الإسلام فأكد هذا الخلق

العظيم، وحث عليه، وجعل الجار للجار كالقريب إليه؛ حتى كاد أن يورثه من جاره؛ كما قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه!» (١).

ويظهر عظيم حق الجار على جاره حين أمر الله بالإحسان إليه بعد الأمر بعبادته بقوله: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۗ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [سورة النساء: ٣٦].

هكذا جاءت هذه الشريعة المباركة لتؤكد لنا قدر المعاملة الطيبة لإخواننا؛ بما في ذلك جيراننا الذين لهم حق علينا، جاءت لتبين لنا أن إحساننا إلى جيراننا، وتأمينهم من شرنا وأذيتنا، قد يكون أقرب إلى ربنا من كثرة صلاتنا، وصيامنا.

فقد روى أحمد في مسنده والبخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني -رحمة الله عليهما- عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رجل: يا رسول الله: «إن فلانة تكثر من صلاتها، وصدقتهما، وصيامها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها».

(١) رواه البخاري (٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٥)، وقد جاء الحديث عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** في البخاري (٦٠١٤).



قال: هي في النار! فقال: يا رسول الله: إن فلانة يذكر من قلة صيامها، وصلاتها، وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذي جيرانها، قال: «هي في الجنة!»^(١).

الله أكبر! وكان رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول لأصحابه، ولأمته من بعده: إن الله لم يأمرها بكثرة صلاتها، وصيامها؛ إلا ما افترضه عليها، ولكنه أمرها، ووصاها بالإحسان إلى جيرانها، وكأنه يقول: إن كثرة صلاتها، وصيامها؛ يعود خيره لها، وأجره قاصرٌ عليها، أما أذيتها، أو إحسانها إلى جيرانها فهو يعود إلى غيرها، وكلما كان الخير، أو الشرُّ أعم؛ فهو عند الله أكبر، وأعظم، والمصلحة القاصرة ليست كالمصلحة المتعدية.

ألا فليتق الله الجار في حق جاره، وليحسن إليه بكل إحسان قدر عليه، فمن ذلك مراعاة حالته، وتفقدته في قوته وزاده؛ عملاً بالوصية النبوية: إذا طبخت مرقاً فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك.

فهذا -والله- دليل رحمتك أيها الجار بجارك، وهذا دليل إحسانك أيتها المرأة، وحسن مشاعرك تجاه أختك، حين تهدين إليها من طعامك، لاسيما وقد فاحت رائحة طبخك إلى بيت جارتك، تفقديها -رحمك الله- سلي عن حالتها، وحاجتها من أجل الله؛ لاسيما إذا علمت أن الذي معك ليس معها، وأن حالتك

(١) رواه أحمد في مسنده (٩٦٧٥)، ورواه البخاري في الأدب (١١٩).

ليست كحالتها، وتذكري قول نبيك **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «ما آمن بي من بات شبعان، وجاره جائع بجواره، وهو يعلم به!».

من الإحسان إلى الجار؛ بل ومن حق الجوار: عدم تتبع عوراته، وكشف ستره، وإشهار أخطائه، بل الواجب بين الجيران الذي يدل على صدق الجوار هو التناصح والتصالح، وليس الغش والتفاضح، فإذا رأى الجار خطأ من جاره؛ سواء من سوء معاملته، أو من خلق زوجته، أو إزعاج أولاده، فليكلمه بكل رفق، وحب، وصفاء، وليشعره أنه مع جاره كالبيت الواحد في التلاحم والإخاء، وليشعره أن أهله كأهله، وأن أولاده مثل أولاده، أما أن يظل الجار مع جاره في حي واحد، وفي عمارة واحدة، و كل واحد يرى أخطاء جاره، سواءً من جهة أولاده، أو من قبل أهله، ثم يجمعها له، ويحفظها في قلبه، فإذا جاء اليوم الموعود أخرج كل واحد ما في نفسه على أخيه، وجاره؛ فهذا ليس من حسن الجوار، وليس من فعل الصالحين الأخيار.

كذلك من الإحسان إلا الجار، ومن حق الجوار: ترك الحسد الذي يتعب القلب، والجسد، فإذا رأى الجار شيئاً مما فضل الله به جاره عليه، سواء في مسكنه، أو سيارته، أو في عدد أولاده، وتعدد موارده، أو في جماله، أو في طيب طعامه، وغير ذلك مما أنعم الله به على جاره؛ فليثق الله، وليعلم أن



هذا فضل الله، وليقنع بما رزقه الله، ولا يحمله ذلك على حسده، وكرهيته، أو مراقبة ما الذي يدخله ويخرجه من بيته، ويحمله في يده، وخاصة إذا كان مستأجرا عنده، وجاء ليطالبه بإيجار بيته؛ كما هو حال بعض المستأجرين، أصلحهم الله! من الإحسان إلى الجار، ومن حق الجوار هو: الصبر والتغافل بين الجيران، فقد يُبتلى الجار بمن لا يعرف حق الجوار، ولا يعرف للجار أي قدر ومقدار، فليس كل جار يعرف حق الجوار؛ سواء بسوء خلقه، أو بشدة معاملته وقسوته أو بأذية زوجته، أو بشغب وإزعاج أولاده.

فصبر الجار على جاره ليس كصبره على غيره، فقد روى الإمام أحمد في

مسنده، وصححه الألباني -رحمة الله عليهما- عن أبي ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ثلاثة يحبهم الله، وثلاثة يشنؤهم الله.... وذكر من الذين يحبهم الله: الرجل يكون له جار يؤذيه جواره؛ فيصبر على أذاه، حتى يفرق بينهما موت، أو ظعن - أي: سفر-» (١).

فإذا ابتليت أيها الجار بجار يؤذيك؛ فصبرت عليه؛ فهنيئا لك محبة الله لك،

فإذا نصحتة، وأحسنت إليه فحسنت أخلاقه، وتبدلت أحواله بنصحك، وصبرك

عليه؛ فقد عملت بحق الجوار وزيادة، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٦١﴾ [سورة يونس: ٢٦].

فلتصبر، ولتحتسب أيها الجار؛ فهذا أعظم لأجرك، ولتعلم أنك بانتقالك من جوار جارك لعلك قد تبلى بأسوأ منه، فقد جاء رجل إلى أبي العباس أحمد بن ثعلب يشاوره في الانتقال من مكانه الذي هو فيه لتأذيه بجاره، فقال له: العرب تقول: صبرك على من تعرفه خير من استحداثك من لا تعرفه.

وليعلم الجار إذا وفقه الله لمجاورة جارٍ صالح: أن هذا من إسعاد الله له، فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما تقدم في مطلع الحديث: أربعٌ من السعادة؛ وذكر منها الجار الصالح، وقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعوذ من الجار السيء، فقد روى ابن حبان، وصححه الألباني رَحِمَهُمَا اللَّهُ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة؛ فإن جار البادية يتحول» (١). نعوذ بالله من جار السوء، ومن كل سوء، كمن جار جيرانه يتأذون منه، بل ويكون منه، ويتمنون زواله في كل وقت وحين، وقد يهربون منه، ومن جواره، ومن القرب من الحي الذي يسكن فيه، ولو عرضت عليهم المساكن بجواره ما

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (١٠٣٣).



قبلوها، وأصبح هذا الجار كالحالة المجذومة كل الناس يفرون منها، ومن جوارها، والاقتراب منها!

ذكر عن أبي الأسود الدؤلي أنه قال - وقد لامه بعض الناس على بيع منزله -

يلوموني أن بعت بالرخص منزلي ولم يعلموا جارا هناك ينجص

فقلت لهم كفوا الملامة إنما بجيرانها تغلو الديار وترخص

وبالمقابل: كم من جار - والله - إن جواره سعادة؛ كما أخبر بذلك رسول الله

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ! كم من جار يُشترى جواره، ويبكي على فقده، ويحزن على

بعده! كم من جارة تبكي على جاريتها التي كانت لها مثل أختها؛ فتظل تبكي

عليها، وكأنها فقدت أحد أعضائها؛ لأنها كانت وفيه معها، ناصحة لها، تحسن

إليها، وتحزن لحزنها، وتشاركها أفراحها، وأحزانها، وتعاونها في حوائجها،

وأتعب بيتها!

كذلك كم من رجل ما طاب في عيشه، ولا هداً من أئنه، ولا جفت الدموع من

عيونه، بل قد همَّ بالانتقال من بيته، كل ذلك حزنا على جاره الذي كان كسنده في

حياته، وعونا له على طاعة ربه، وصلاح أولاده، كما قال الأول - عندما مات

جاره -:

هاجت لذكرهم في القلب أحزان

في ذمة الله جيران إذا ذكروا

ذُكر عن عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ: «أنه كان له جار يهودي أراد أن يبيع داره، فقبل له: بكم تبيع دارك؟ قال: بألفي درهم، فقبل له: لا تساوي إلا ألفاً فقط، قال: صدقتم، ولكن ألف للدار، وألف لجوار عبد الله بن المبارك، فأخبر ابن المبارك بذلك فأعطاه ثمن الدار وقال له: لا تبعها».

الله أكبر ما أحسن الثناء الحسن! وما أحسن السمعة الطيبة من الجار لجاره!
ما أحسن أن يقال عنك هذا من أحسن الجيران، وهذا كان، وكان.
فقد روى ابن حبان، وصححه الألباني رَحِمَهُمَا اللهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة أهل أبيات من جيرانه الأذنين، أنهم لا يعلمون عنه إلا خيراً؛ إلا قال الله جَلَّ وَعَلَا: قد قبلت علمكم فيه، وغفرت له ما لا تعلمون» (١).

أيها المسلمون عباد الله، بهذه الحقوق التي ذكرنا، وبغير ما ذكرنا نكون قد سعدنا، وأسعدنا جيراننا، بهذا الجوار تعمر الديار، وتزد الأعمار، كما قال سيد الأبرار صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ماتعاقب الليل والنهار.

(١) رواه أحمد في مسنده (١٣٥٤١)، وابن حبان في صحيحه (٣٠٢٦).



وطريقة معرفة حسن الجوار؛ هو بشهادة الجار، كما صح عنه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فقد روى ابن حبان، وصححه الألباني **رَحْمَةُ اللَّهِ**، أن رجلاً قال يا رسول الله: «متى أكون محسنًا؟! قال: إذا قال جيرانك: أنت محسن فأنت محسن، وإذا قالوا: إنك مسيء فأنت مسيء»^(١).

نسأل الله أن يعيننا على حقوق جيراننا، وأن يجعلهم من أحب الناس إلينا، أسأل الله أن يوفقنا لجيران صالحين، نستعين بهم على أمور الدنيا والدين.....



(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٥٢٥).

(خطورة التساهل بالديون، وحقوق الآخرين)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠]. ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث، كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر

الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المسلمين، والمسلمات، حديثنا في هذا اليوم عن أمرٍ عظيم، وقضية

خطيرة، فرط في أدائها، وقضائها كثير من الناس في هذا الزمان، وقد اهتم بها رسول

الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وجعل لها شأنًا عظيمًا، فعلق دخول المسلم الجنة بأدائها، فإن أداها وإلا كانت نفسه معلقةً بها حتى يؤديها.

لعلكم عرفتموها؟ إنها قضية الدين، وحقوق العباد، التي لا تكفرها الصلاة، ولا الصيام، ولا الجهاد.

فلقد روى الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللهُ** عن أبي قتادة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** أن رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قام فيهم فذكر أن الجهاد في سبيل الله، والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقام رجلٌ فقال يا رسول الله: رأيت إن قتلت في سبيل الله، تكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «نعم. إن قتلت في سبيل الله وأنت صابراً، محتسب، مقبلٌ غير مدبر»، ثم قال له رسول الله - **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** -: «كيف قتلت؟» قال رأيت إن قتلت في سبيل الله، تكفر عني خطاياي؟ فقال له **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «نعم، وأنت صابراً محتسب، مقبلٌ غير مدبر، إلا الدين؛ فإن جبريل قال لي ذلك (١).

أيها المسلمون عباد الله، إن حال الناس في هذه الأيام، وتعاملاتهم مع الديون التي عليهم يؤكد علينا أن نتحدث مرهبين، ومحذرين من الديون، والتلاعب في حقوق الآخرين.

فكم هم أولئك الذين يتهاونون، أو يماطلون من لهم حقٌ عليهم، سواءً كانوا أصحابًا، أو تجارًا، وسواءً كان هذا الدين إرثًا لأقاربه، أو صداقًا لزوجته، أو حقوقًا لجيرانه، كم هم - والله - أولئك الذين يأكلون أموال الناس، ويماطلونهم بحقوقهم؟! كم هم أولئك الذين يأكلون أموال المساكين، وأموال الأرحام، والأيتام، والمستضعفين؟ فيا من لا يعرف قدر الدين، ويستدين من هذا، وذاك، وينكر هذا، ويماطل هذا، اسمع كيف عظم النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** من شأن الدين، بل ورفض الصلاة على من عليه دين.

فلقد روى الإمام أحمد، والمنذري، وصححه الألباني **رَحْمَهُ اللهُ** - عن جابر بن عبد الله، قال: توفي رجلٌ فغسلناه، وحنطناه، وكفناه، ثم أتينا به النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ليصلي عليه، فخط خطأ، ثم قال: «هل عليه دين؟» قلنا نعم، ديناران، قال: «صلوا على صاحبكم»، فقال أبو قتادة: يا رسول الله، دينه عليّ! فقال النبي - **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «هما عليك حق، وبرئ الميت؟» قال: نعم، فصلى عليه، ثم لقيه في الغد، فقال: «ما فعل الديناران؟». فقال يا رسول الله: إنما مات أمس، ثم لقيه من الغد فقال «ما فعل الديناران؟» فقال يا رسول الله: قد قضيتهما، فقال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «الآن بردت جلده» (١).

(١) رواه أحمد (١٤١٥٩).



لا إله إلا الله! خبر - والله - تقشعر له الجلود، وترتجف منه القلوب. وروى الإمام أحمد، وصححه الألباني رَجَهُمَا اللَّهُ عن سعد بن الأطول، أن أخاه مات، وترك ثلاث مائة درهم، وترك عيالاً، قال: فأردت أن أنفقها على عياله، قال: فقال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن أخاك محبوس بدينه، فاذهب فاقضها عنه، فذهبت فقضيتها عنه»، ثم جئت، فقلت يا رسول الله: قد قضيت عنه إلا دينارين ادعتها امرأة وليس لها بينة، قال: «أعطها؛ فإنها محقة!»^(١). وفي رواية «إنها صادقة»^(٢).

وروى الترمذي، وحسنه الألباني - رَجَهُمَا اللَّهُ - أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه»^(٣).

وقال - فيما رواه الإمام أحمد - : «إن صاحبكم محبوس عن الجنة بدينه»^(٤).
 ما أعظم الدين - أيها الناس -! ما أعظمه، وما أشد خطره، وما أكثر المتساهلين فيه! ما أحرانا أن نوجه رسالة ناصحة، بعد هذه النصوص المنذرة، والمحذرة، لكل من يستهين بأمر الديون، وحقوق الآخرين، ونقول لكل من

(١) رواه أحمد (٢٠٠٧٦).

(٢) رواه أحمد (١٧٢٢٧).

(٣) رواه الترمذي (١٠٧٨)، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رواه أحمد (٢٠٢٢٢).

يستدين من هنا، وهناك، وقد سمع ما سمع من امتناع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصلاة على صاحب الدين، وأن نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه، وأن الشهادة في سبيل الله تكفر الخطايا إلا الدين.

ألم تسأل نفسك لماذا لا أقضي ديوني؟ ألم تسأل نفسك حين تموت وأنت مثقل بديونك، من سيقضي عنك ديونك؟ ألم يخطر ببالك يوم تموت أن أولادك سينسونك، وينسون ديونك، وسيتنعمون بمالك وأنت محبوسٌ عن الجنة بدينك؟! ألم تسمع عن أبناء طولبوا بديون آبائهم، فجحدوها، وأنكروها، بل - والله - بعضهم صار يأخذ الصدقات، والأوقاف التي أوقفها آبائهم، فعقوا آباءهم، وظلموهم، واعتدوا عليهم وهم في قبورهم، والله المستعان.

فأفق وانتبه يا عبد الله، واخرج من هذه الدنيا خفيفاً، قبل أن تحبس عن الجنة بديونك، فما سينفعك - والله - أحد، ولعلك ستتألم وتتحسر، وأنت في قبرك، يوم تحبس عن الجنة بدينك.

لا إله إلا الله، ما أشد حسرتك يوم تترك في قبرك، وتخرج من بيتك، وقصرك، وأهلك، وأولادك يتنعمون بأموالك، ويتركونك معذباً بدينك، حقيقةً - والله - قد سمعناها، وعشنا بعض مواقفها.



وقد يقول أحدنا: الحمد لله أني قد أوصيت، وكتبت الديون، والحقوق التي في ذمتي، أقول لك: ما دمت قادراً على السداد، والقضاء فأدها، أدها وأرح نفسك، فالدين همُّ في الليل، وذُلُّ في النهار.

ثم -أيضا - ما يدريك؟ لعل أولادك يتنكرون لك ولوصيتك بعد موتك، وسيتقاتلون على تركتك وما خلفته بعد موتك، ولست مبالغاً في هذا، بل قد يرونك في منامهم، وأنت تطالبهم أن يقضوا عنك ديونك، وتقول لهم يا أولادي: اقضوا ديوني فأنا محبوسٌ عن الجنة بحق فلان، وفلان، ولعلمهم سيفزعون من هذه الرؤية ساعات، ولحظات، ثم بعد ذلك وكأن شيئاً لم يكن، والله المستعان. معاشر المسلمين، إن الناس في هذا الزمان قد أسرفوا على أنفسهم في الديون، وإن أصحاب الديون يشكون ديونهم، ويطلبون حقوقهم وأموالهم، كم من تاجرٍ أفلس في تجارته، وأصبح يئن من عملائه وزبائنه؛ بسبب كثرة الديون التي عندهم، وبسبب الوعود الكاذبة منهم!

وامتلات السجلات بالأسماء الوهمية، فمنهم المماطل، ومنهم المنكر، ومنهم المسافر، ومنهم من مات ورفض الورثة الأداء والسداد! وللأسف هذا حال كثيرٍ من الناس، تجد بعضهم يجلس أمام البائع، أو التاجر، بكل مسكنة، واستعطاف، ويستدين منه، ويحلف، ويقسم أنه سيعطيه في يوم كذا،

ويأتي وقت الوعد، وتمر الأيام، والشهور بعد هذا اليوم الموعد المكذوب، ثم يلقي صاحب الدين ويقضيه أيماناً أخرى، بأنه سيقضيه في نهاية الشهر، أو عندما يحصل له كذا، أو يبيع كذا، وكذا، ويأتي الموعد وقد لا يفي بوعد، أو يأتي بنصف الدين، والنصف الآخر يتعامل معه المعاملة الأولى، أو أشد، وهكذا أصبحت معاملة كثير من الناس - هدانا الله وإياهم - فنزعت الثقة بين الناس، وأصبحت أيمان الناس لا قيمة لها، والله المستعان.

وأنكر من هذا من يتنكر، ويتأسد إذا طُلب منه سداد الدين الذي عليه، فكم قد سمعنا أن فلاناً تخاصم مع صاحبه، أو جاره، وكادا أن يتقاتلا، لماذا؟ قالوا: طالبه بدينه، فأنكره وسبه، وسب أمه، وعرضه؛ بسبب أنه طالبه بدينه، وقد كان يستعطفه، ويتمسكن بين يديه، ويحلف أنه... وأنه... والآن يسبه، بل ربما يضربه، ويهدده؛ بسبب أنه طالبه بحقه، وقد قال رسول الله ﷺ: «إن لصاحب الحق مقالاً»^(١). أهذا هو جزاء الإحسان أيها الناس؟! أهذا هو امتثال

أمر الله عزَّجَلَّ: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [سورة الرحمن: ٦٠]؟!!

قل مثل ذلك فيمن يستأجرون العمال، من بنائين، ومهندسين، ممن يعملون، ويكدون بعرقهم ويتعبون، وما إن يفرغ الواحد منهم من عمله إلا ويبدأ يماطلة

(١) رواه البخاري (٢٣٠٦)، ومسلم (١٦٠١).



صاحب العمل، ويلاحقه، ويتصل به من مكان إلى مكان، ثم يدفع له ربع الأجرة، واليوم الثاني مثل ذلك، وهكذا ينتهي من عمله وقد حجز صاحب العمل عنده مبلغاً كبيراً، ثم يدخل معه في مشاجرة، ومخاصمة، وربما تنتهي إلى المحاكم؛ والله المستعان!

أهكذا يكون التعامل مع الناس، ومع الأجير؟! أهذه هي وصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أعطوا الأجير أجره، قبل أن يجف عرقه»! (١).

وقال: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة»... «ومنهم: رجلٌ استأجر أجيراً فاستوفى منه، ولم يعطه أجره» (٢).

وقال - فيما رواه الحاكم، وصححه الألباني رَحِمَهُمَا اللَّهُ: «إن أعظم الذنوب عند الله: رجلٌ استعمل رجلاً، فذهب بأجرته» (٣).

وهكذا من يستدين، ويماطل أقاربه وأرحامه، فكم من رجلٍ يأخذ إرث أرحامه، ويستدين منهم حليهن، أو أموالهن، فيظل عنده سنوات، تتلوها السنوات، ومن حين أن قُسمت التركة وهو يماطلهن ويواعدهن، ولعلهن ييأسن

(١) رواه ابن ماجه (٢٤٤٣).

(٢) رواه البخاري (٢٢٧٠).

(٣) رواه الحاكم في مستدرکه (٢٧٤٣).

ويترك هذا المال لا عن طيب نفس؛ ولكن لأنهم فقدن الأمل في أموالهن،
وخفن من التبعات والمشاكل التي تحصل من وراء مطالبتهن بحقوقهن؛ وإلى
الله المشتكى!

وأعظم جرماً من هذا، من يحرم أرحامه، وأخواته من حقوقهن، وميراثهن،
لماذا يا فلان؟! قال: هي امرأة، وماذا تفعل بالمال أو بكذا وكذا، مما هو من
حقها، ونصيبيها.

ويقول بعض الظلمة: هذا حق أبنينا؛ فلماذا أعطيها؟! ليأخذها الغريب عنا، أو
من ليس منّا؟! ويقصد زوجها.

ألا لعنة الله على الظالمين! ألا لعنة الله على الظالمين! هذا حقها الذي قسمه
الله لها، أيها الجاهل الظالم، هذه فريضة الله لها من فوق سماواته، وقسمته لخلقه،
وعباده.

فإلى كل من يعتدي على ميراث أرحامه، وحقوق زوجته وأخواته، أبشر
بالعقوبة العاجلة، قبل الآجلة، فوالله إن عقوبتك في الدنيا قبل الآخرة؛ فقد قال



رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من ذنب أجدر من أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في

الدنيا، مع ما يدخره له في الآخرة، مثل البغي وقطيعة الرحم!» (١).

مثل ذلك من يأخذ مهر زوجته، ربما في أول عامٍ من زواجها، يعريها من زيتتها،
ومن حليها. وسنوات بعد سنوات إلى أن يشيب شعره، وهو يلعب على زوجته،
ويماطلها: لما أبيع الأرض، لما أسافر، لما يفتح الله علينا، لما، ولما... وهي
مسكينة ما بيدها حيلة، ولا معها لأخذ حقها أية وسيلة.

ويُلُّ للظلمة، ويُلُّ للذين يأخذون حقوق أرحامهم، ويُلُّ للظلمة الذين
يأخذون مهور زوجاتهم، ويُلُّ للظلمة الذين يظلمون نساءهم، وأخواتهم،
وأرحامهن في نصيبهن، وصداقهن!

كم سمعنا عن رجل قد بلغ الستين، والسبعين من عمره، وذهب زوجته من
حين أن تزوج بها في ذمته، أين هؤلاء من دين الله؟! أين الخوف من الله؟! أين هم
من الوعيد من أخذ أموال الناس؟ أين هو من قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«مطل الغني ظلم» (٢)!

(١) رواه الترمذي (٢٥١١)، وأحمد (٣٦/٥، ٣٨)، وأبو داود (٤٩٠٢)، وابن ماجه (٤٢١١)، وابن حبان (٢٠٠/٢)

(٤٥٥)، والحاكم (٣٨٨/٢، ١٧٩/٤). عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

(٢) رواه البخاري (٢٤٠٠)، ومسلم (١٥٦٤).

ومن قوله: من أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله، وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَيُّمَا رَجُلٍ يَدِينُ دِينًا وَهُوَ مُجْمَعٌ أَنْ لَا يُوفِيَهُ إِيَّاهُ، لَقِيَ اللَّهَ سَارِقًا»^(١).

أين العقول؟! أين أصحاب الديون؟ أين المماطلون؟! أين هم من قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ رَجُلًا، قَتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أُحْيِيَ، ثُمَّ قَتَلَ، ثُمَّ أُحْيِيَ، ثُمَّ قُتِلَ، وَعَلَيْهِ دِينٌ، مَا دَخَلَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ دِينُهُ»^(٢).

فلا تجوز مماطلة الناس في حقوقهم، ولا يجوز التلاعب بأموال الناس ومشاعرهم، لا يجوز مماطلة الأزواج، والأرحام؛ فلهم حقان، بعكس غيرهم. ومن رحمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن من استدان دينًا، وهو يريد أن يقضيه، فإن الله سيؤديه عنه. فلقد روى الطبراني، وصححه الألباني، رَحِمَهُمَا اللَّهُ عن ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من استدان دينًا ينوي قضاءه، أدى الله عنه يوم القيامة»^(٣).

(١) رواه الطبراني في الكبير (٧٣٠١)، وابن ماجه (٨٥١).

(٢) رواه النسائي (٤٦٨٤).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١٠٤٩).



نسأل الله أن يقضي دين المدينين، ويفرح هم المهمومين، وينفس كرب

المكرويين!

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم، ولجميع المسلمين، من كل ذنب؛

فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم!



(الخطبة الثانية)

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلاماً على نبيه المصطفى، ورسوله المجتبي،
صلى الله عليه وعلى آله ومن اقتفى، وسلم تسليمًا مادامت الأرض والسما.
معاشر المسلمين، والمسلمات: إنما ذكرناه في الدين من الوعيد الشديد، لا
يفهم منه الفرار من مداينة الناس، والتحذير منهم، لا، فليس هذا هو المقصد من
عرض هذا الموضوع، بل لقد ورد من فضل الله الخير العظيم لمن أقرض
المسلمين، وصبر على المدينين، وأنظر المعسرين؛
فقد روى ابن حبان، وصححه الألباني رَجَمَهُمَا اللَّهُ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:
قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إن ملكًا بباب من أبواب الجنة يقول: من
يقرض اليوم يُجزَ غدا، وملكٌ ببابٍ آخر يقول: اللهم أعط منفقًا خلفًا، وأعط
ممسكًا تلقًا!» (١).

وروى الطبراني، وحسنه الألباني - رَجَمَهُمَا اللَّهُ - أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
قال: «دخل رجل الجنة فرأى في بابها مكتوبٌ: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض
بثمانية عشر» (٢).

(١) رواه ابن حبان (٣٣٣٣).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٤٣١).



وقال فيما - رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني رَحِمَهُمُ اللَّهُ: «ما من مسلم يُقرض مسلماً قرضاً، إلا كان كصدقتهَا مرة» (١).

وقال - فيمن أنظر معسراً، كما روى ابن ماجه، وحسنه الألباني رَحِمَهُمُ اللَّهُ: «من أحب أن يظله الله في ظله؛ فليُنظر معسراً، أو ليضع عنه» (٢).

وقال كما - عند أحمد، وحسنه الألباني: «من نفس عن غريمه، أو محا عنه، كان في ظل العرش يوم القيامة» (٣).

وروى البخاري، ومسلم، عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تلقت الملائكة روح رجلٍ ممن كان قبلكم، فقالوا: أعملت من الخير شيئاً؟ قال: لا. قالوا: تذكرا! قال كنت أداين الناس فأمر فتياي أن ينظروا المعسر، ويتجاوزوا عن المعسر، فقال الله عَزَّجَلَّ: تجاوزوا عنه» (٤).

وفي لفظٍ: «نحن أحق بذلك منه» (٥).

(١) رواه ابن ماجه (٢٤٣٠).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٤١٩).

(٣) رواه أحمد (٢٢٥٥٩).

(٤) رواه البخاري (٢٠٧٧)، ومسلم (١٥٦٠).

(٥) رواه مسلم (١٥٦١).

وقال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «من أنظر معسراً فله بكل يوم صدقة قبل أن يحل

الدين، فإذا حل الدين فأنظره؛ فله بكل يوم مثليه صدقة»^(١).

وقال: «من أنظر مديوناً فله بكل يوم عند الله وزن أحد، ما لم يطالبه».

ولا يخفى علينا ونحن نعيش بين حلو الحياة، ومرها، أنه تمر بالإنسان

ضائقات، ونكبات تُعكر عليه الحياة، فيأتي هذا القرض فينفس الله عليه به الكرب،

ويفرج عنه به الهم، فيسعد بهذا القرض الدائن، والمدين. وينبغي لمن أعطاه

الناس أموالهم، واستأمنوه عليها، أن يكون خير الموفين، ومن أحسن الناس

قضاءً، ورداً للمعروف، والإحسان؛ فقد قال خير الخلق **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «خير

عباد الله الموفون، المطيِّبون. وقال: خياركم أحسنكم قضاءً»^(٢).

وقال جابر: أتيت النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** «وكان لي عليه دينار؛ فقضاني،

وزادني»^(٣).

(١) رواه أحمد (٢٣٠٤٦).

(٢) رواه البخاري (٢٣٩٣) ومسلم (١٦٠١).

(٣) رواه البخاري (٤٤٣)، ومسلم (٧١٥).



وأخيراً، أوصي إخواني المسلمين بعد كلامنا عن الوفاء بالدين، وبعد كل ما ذكرناه، أن نتحاشى الدين، ونبتعد عنه ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، فالدين همٌّ في الليل، وذُلُّ بالنهار، وألا نستدين شيئاً إلا إذا دعتنا الضرورة إلى ذلك.

فليس من العقل أن تذهب لتستلف مبلغاً من المال؛ من أجل كماليات الحياة! ليس من العقل أن تذهب لتستلف مالاً من أجل أن تؤثت بيتك بأثاثٍ رفيعٍ جميل، لا طاقة لك بسداد ثمنه!

ليس من العقل أن تُلزمني، أو تُخرجي زوجك أيتها المرأة أن يستلف مالاً ليشتري لك مثل جارتك من كماليات الحياة، ولا أن تستلقي مبلغاً لتشتري لك ذهباً، أو أي شيءٍ بإمكانك الاستغناء عنه، وما أشبه ذلك.

فالدين قضيته عظيمة، وحمله ثقيل، وما أحسن أن تخرج - أيها المسلم العاقل - من هذه الدنيا وأنت خفيف من أموال الناس، ومن حقوق الآخرين.

أسأل الله أن ينفعنا بما سمعنا، وأن يقضي ديوننا، ويفرح همومنا وكروبنا، وأن يجعل لأمر الدين أثراً، وهيبة في نفوسنا! أسأل الله العظيم أن يجعل هذه الموعظة خارجةً من القلب، واصلةً إلى القلب، وأن يغفر لنا، ولآبائنا، ولأمهاتنا، وأن يتقبل دعاءنا، ويصلح أوضاعنا، ويكفيننا ما أهمنا.....



(قاتل الأموال، والأجساد، والأوقات)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر

الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون عباد الله، روى الإمام الترمذي، وصححه الألباني رحمه الله عن

أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«لا تزولُ قَدَمًا عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يُسألَ عن أربعٍ: عن عُمرِهِ فيما أفنَاهُ، وعن جسديهِ فيما أبلاه، وعن عِلْمِهِ ماذا عَمِلَ فِيهِ، وعن مالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وفيما أنْفَقَهُ»^(١).

معاشر المسلمين، لقد خلق الله الإنسان في هذه الحياة ليبتليه، ثم جعل له أجلا، ومردا ليرجع إليه، وليحاسبه على نعمه التي أنعم بها عليه، ومنها ما سمعتم في هذا الحديث العظيم، ومن ذلك شباب الإنسان فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه؟

وسأقف معكم في هذه الجمعة المباركة مع أمر عظيم، ومصيبة عظيمة، ابتليت بها الأمة اليمينية، دمرت عليهم أموالهم، وأخذت عليهم أوقاتهم، وأبليت، وأنهكت، وأهلكت عليهم أجسامهم!

هذه المصيبة ابتلي بها كثير من اليمينيين، من الرجال، والنساء، والصغار، والكبار، حتى صارت من حياتهم، ومن زادهم، وضرورياتهم، وصعب عليهم تركها، والتخلص منها، بل أصبح بعضهم يمدحها، ويغضب على من تحدث عنها، وحذر منها، وإني متحدث عنها في هذا اليوم المبارك، فيا ترى ما هي هذه المصيبة التي ابتليت بها أمتنا اليمينية؟ لعلكم عرفتموها، إنها مصيبة القات، وما أدراكم ما القات! الذي قتل الأجسام، والأموال، والأوقات!

(١) رواه الترمذي (٢٤١٧).

وأظن أن كثيرا، أو أكثر من يسمعي، مبتلى بهذه الشجرة، وبهذه المصيبة، لكن حديثي معكم اليوم هو حديث الأخ لأخيه؛ عملا بقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه».

وأظن أن كثيرا من الحاضرين لن يعجبه موضوع خطبتنا لهذا اليوم؛ لأنني سأتكلم عن شيء عمت به البلوى، وابتلي به كثير من هذا الشعب اليمني المبارك، أو أن الناس قد ألقوه من صغرهم، وعاش عليه آباؤهم، أو أنه ليس لهم بديل عنه يقضون به ساعات نهارهم، إلى غير ذلك من الكلام الذي نسمعه من إخواننا المخزنيين - هداانا الله وإياهم -.

اعلم أن كثيرا من إخواني الكرام لن يعجبه هذا الكلام؛ لكني - والله - ما أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقى إلا بالله.

فأوصي إخواني بأن يوسعوا صدورهم، وأن يرفعوا الحق فوق رؤوسهم، وأن يسمعوا هذا الكلام بأذان قلوبهم لا بأذان رؤوسهم.

أوصي إخواني، وكل من ابتلي بهذه البلوى أن يجعل هذا الكلام حجة له، لا عليه، وأن يعلم أن هذا الكلام من أخ ناصح، لا معاتب؛ فإني - والله - ما جعلت هذه الخطبة للوم والعتاب، ولا لجرح شعور المخزنيين، وشتمهم، ولا حتى لحكم القات، وهل هو حلال أم حرام؟ وماذا قال العلماء فيه؟ وماذا حكموا



عليه؟ لكنني سأكل الأمر إليك، وأجعلك تحكم على نفسك بنفسك، وسأركز بكلامي على الأضرار التي تحصل بسببه قاصرة كانت، أو متعدية، وسأجعل يدي في يدك لأكون عوناً لك على إنقاذك من هذا البلية، التي أنهكت جسمك، وأهلكت وقتك، وحرمتك، وحرمت أولادك، وأهلك التمتع بمالك، وأسأل الله اللطيف بعباده، أن يلفظ بنا، وأن يكفينا بحلاله عن حرامه، وأن ينفع بهذه الخطبة كلَّ مبتلى، بهذه الشجرة وهذه البلية.

وعذراً لإخواني الذين أكرمهم الله، وأنعم عليهم، وعافاهم من هذه الشجرة؛ فحديثنا ليس موجهاً لهم، لكن عليهم أن يحمداً الله، ويشكروه، أن أنقذهم الله وعافاهم، ويجعلوا هذا الكلام نصيحة ينصحون بها إخوانهم، ويحبون لهم ما يحبونه لأنفسهم.

فأقول - والله المستعان، ومن بغيره استعان لا يعان - : أضرار القات، ومفاسده كثيرة، وكبيرة، والمخزنون يعرفون هذا أكثر من غيرهم، فمن أين أبدأ؟ هل أبدأ بأضرار القات ومفاسده على المال، أم على الجسم، والجمال؟ أم أبدأ بأضرار القات، ومفاسده المتعدية التي تحصل من المخزنين على غيرهم من حرمان أولادهم التربية، والعطف والحنان والتغذية، أم ما يتعلق بالاعتداءات على

الناس، والسرقات، أم بجمع الصلوات، وترك كثير من الفرائض، والواجبات، أم بأذية الآخرين بالروائح المزعجات، وغير ذلك من المفاسد المتعديات.

وسأقتصر منها على ما يحضرني في هذا المقام، والله المستعان.

أيها المسلمون عباد الله، إن من أعظم المفاسد التي تحصل من قبل المخزنين

- هداانا الله وإياهم - الإسراف في المال والذي هو كما سمعتم في مطلع الكلام،

في قوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** «لن تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن ماله من

أين اكتسبه وفيه أنفقه»^(١)، فماذا ستقول لربك أيها المخزن يوم تخزن في اليوم

بالألف والألفين، ومرتبك خمسون، أو سبعون ألف ريال، أو أكثر من ذلك،

ونعني بهذا المثال، وتحديد هذا المال، أصحاب الطبقات، الضعيفة، أو

المتوسطة، أما أصحاب الآلاف المؤلفة فهؤلاء لهم كلام في غير هذا المقام.

ماذا ستقول لربك يوم تبعثر أغلب مرتبك في شراء القات، وتحرمه أولادك

الذين جعل الله هذا المال بينك وبينهم.

والله - أيها الناس - إن بعض الناس يشتري القات بالألف، أو الألفين وأكثر،

وأعني أصحاب الدخل المحدود، ومع ذلك أهله في بيته لا يجدون ما يسد

(١) رواه الترمذي (٢٤١٦).



رمقهم، ويشبع بطونهم! وآخر يشتري بأكثر من ذلك، إضافة إلى الدخان، والمشروبات، والشمة؛ أكرم الله أجسادكم من هذه الجيفة القذرة!
 نعم يخزن بالألفين، والثلاثة، وأكثر، ويشتري طعاماً لأولاده، وزوجته بربع، أو عُشر ما صرفه في تخزينته، والله المستعان.

وترى بعض الناس يئن، ويشكو من أن مرتبه لا يكفي، ولا يشفي، وهو الذي يحرق ماله بيده، وأولاده -ربما- محرومون من كل شيء يشتونه، وزوجته مسكينة تجلس في هم طوال الشهر كيف ترتب هذا المرتب؟!
 وهكذا يعيش حياة عشوائية، مضطربة، بسبب هذه الشجرة، وهذه البلوى، وصدق من قال: اشترِ قاتلي وقاتلك. نعم، اشترى من يقتلني ويقتلك، ويدمر حياتي وحياتك! ولن تزولَ قدما عبد حتى يسأل عن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه؟

أقسم بالله إنك ستسأل عن هذه الأموال التي أنفقتها في هذه الشجرة، وحرمت بسببها الأهل وجميع أفراد الأسرة، وكفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول، كما قال الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ومن مفسد، وأضرار القات: أنه يقتل الأوقات، فالوقت هو عمر الإنسان، وهو شبابه الذي سيسأل عنه عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فتجد المخزن تمر عليه الساعات وهو كالمقيد في مقيله، فما إن يتغدى، ثم بعد ذلك يجلس في متكئه، وساعة، وبعدها ساعة، وهكذا يأتي وقت صلاة العصر وهو كالجدار في محله، ثم يأتي المغرب وبعده العشاء وهو في حالة؛ عافانا الله وإياكم منها!

ثم بعد ذلك تأتيه الهواجس، ويطير النوم من عينيه حتى منتصف الليل، ثم ينام، ولعله لا يعرف صلاة الفجر إلا في رمضان، بالله عليكم، أليس هذا حاصلًا يا أمة الإسلام، ويأهل اليمن والإيمان؟! أليس هذا حال كثير من المخزنين، ولا نعمم؛ فالتعميم ليس من شأن المصلحين؛ فمنهم القائم الصائم المحافظ على صلواته، وواجباته.

وبعضهم ما إن يتغدى، ثم يصلي، - وللأسف - يجمع بين الظهر، والعصر. جمع تخزين وبكل جرأة، وسوء أدب مع رب العالمين. وبعضهم يصبر نفسه حتى يأتي وقت العصر، ويأتي المسجد؛ لكنه يؤذي المصلين بكثرة كلامه، واستعجاله، وبتهم الإمام بالثقل، والتطويل، وهكذا.. وكأنه يريد أن يطير حتى ينفذ، وينقلب إلى هناك، وما أدراك ما هناك؟! إلى تلك المقاليل، التي ما يحصل من وراء أكثرها إلا القيل، والقال، وضياع الأعمار، والأموال؛ نسأل الله السلامة والعافية!



من مفسد القات التي تحصل عند كثير من إخواننا المخزنين - هداانا الله وإياهم - أن القات قد أصبح من ضروريات حياتهم، فإذا لم يجد الواحد منهم تخزينة يومه يقيم الدنيا ولا يقعدھا، فيصبح طوال اليوم يفكر: من أين سيخرج قيمتها؟ على من سيكذب، ويحتال من أجلها؟! وبعضهم إذا لم يجدها ذهب وأخذ شيئاً من ضروريات بيته لبيعها بربع قيمتها؛ نسأل الله السلامة والعافية.

من مفسد القات أن بعض ماضغیه يصبح كالمجنون بعد مضغه، وإلقاءه، فلا يهدأ باله، ولا يقر قراره، إلا بتناول بعض المسكرات - والعياذ بالله - . فلا تسأل بعدها عن الجرائم، والمنكرات التي تحصل في الحارات، والطرقات، من القتل، والنهب، والسلب وغير ذلك من المآسي، التي نسمع بها بين الحين والآخر؛ نسأل الله السلامة والعافية!

من مفسد القات أنه ينهك جسم الإنسان؛ فتجد صاحبه كثير السهر، كثير المرض، كثير الأرق والضرر، وكيف لا يكون كذلك وهو يرى السّم يُرثس على القات بأم عينيه، بل يتعمد ألا يزيل السّم بغسله من فوق القات حتى يُزيل طعم السّم الذي قد أصبح يجري في دمه وعروقه.

نسأل السلامة والعافية، وأن يطهر البلاد اليمنية، من هذه المصيبة، التي دمرت

عليها اقتصادها وحياتها!

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم؛ فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم!



(الخطبة الثانية)

الحمد لله أمر بتقواه، وأخبر أن من اتقاه وقاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليفه، صلى الله وسلم على محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن استن بسنته.

أيها المسلمون عباد الله :

سمعتم شيئاً من مفسد القات، وأضراره، وما ذكرت إلا ما سمح لي الوقت بذكره، فليس المقصد الأول من هذه الخطبة هو عرض مفسد القات وأخطاره، ولا تعداد آفاته وأضراره، فهذا كلنا يعرفه، بل يعرفه السامع أكثر من المتكلم، لكن المقصد من هذه الخطبة، وعرض هذا الموضوع الذي هو في غاية الأهمية؛ هو كيف نتخلص من هذه المصيبة، ومن هذه البلية.

أعرف كثيراً من المخزنين - أصلحنا الله وإياهم - يخزن طوال حياته، ومع ذلك يخطئ نفسه، ويدعو الله أن يُبعده من القات، وأن يُبغضه إلى قلبه، بل ربما يدعو الله على شجرة القات أن يدمرها، ويزيلها، يعترف أن القات هو السبب في فقره، ومشاكله، وهو الذي منعه من بناء البيت لأولاده، وجعله يسكن بالإيجار طوال حياته، وإذا جئت تسأله أو تنصحه، وتقول له: لماذا يا فلان؟! لماذا لا تترك القات الذي دمر عليك الأموال، والأوقات؟! قال: لا أستطيع، ويا ليتني أستطيع، قد حاولت وفعلت وفعلت، فأقول: أسأل الله الكريم أن يكرمك بهذه الموعظة،

وأن يجعلها سببا لإنقاذك من هذه الشجرة، ومن هذه المصيبة التي تشكو منها، وأن يجعل هذا اليوم هو آخر عهدك بها، فأعني على نفسك، وافتح لكلامي قلبك لما سأذكره لك من أسباب النجاة بإذن الله، وتوفيقه.

أقول لك - أولاً - موافقا لك، ومتفقا معك؛ أن من المعقول، المحسوس الملموس، أن ترك المؤلف صعب على النفوس، وأن ترك القات عند كثير من المخزنين قد يكون عليهم صعباً في بداية أمرهم؛ لأنهم سياترون شيئاً عاشوا عليه طوال حياتهم، لكن اسمع مني هذه التوجيهات، وهذه الأسباب، والتوصيات، التي أسأل الله أن ينفعك بها.

أوصيك أولاً: أن تدعو الله من ساعتك هذه، وفي كل وقت وحين، أن يدفع عنك هذا البلاء، نعم - والله - هو بلاء عظيم، فكم هي المفاسد، والأضرار التي عرضناها؟! وما لم نذكره أكثر، وأكثر منها، فادعوا الله أن يبعدك منها؛ لكي تسعد بحياتك، ولتنعم بمالك مع أولادك، ولتسعد بفراغك بطاعة ربك، فهذه - والله - هي الحياة السعيدة، وهذه هي الحياة المباركة الكريمة، لا كحياة المقاييل التي تقتل الأوقات، وتشغلك عن رب الأرض والسموات ثم أوصيك -



ثانياً - أن تفعل ما استطعت من الأسباب التي تبعدك منها، ومن ذلك الابتعاد عن المخزنيين الذين يظنون أن الحياة لا تطيب لهم، ولا تنسجم معهم، إلا بالقات قاتل الأوقات، فابتعد عنهم، واحذر من كثرة مخالطتهم؛ فالصاحب ساحب:

ومن يصحب الأردى يردى مع الردي

أوصيك بمصاحبة الأخيار الذين يصرفونك عن القات، ويشغلونك عنه بخير ما تُصرف فيه الأوقات، وما ينفعك عند رب الأرض والسموات.

من الأسباب - أيضاً - أن تشغل وقتك الذي كنت تخزن فيه بأي شاغل ينفعك في دينك، ولو تشغل نفسك ابتداء حتى في المباحات.

ادخل، اخرج، افعل ما شئت مما أباحه الله لك، إن استطعت أن تصوم فصم، اطلب العلم، اقرأ، اسمع شريطاً، عش مع الله، اقرب منه، فستجد - والله - حياتك الحقيقية، وتعلم أن أيامك الأولى ليست من عمرك، وإنما الحياة الحقة هي التي تكون فيها قريباً من ربك وخالقك.

اعلم أنك ستلاقي صعوبة في بداية أمرك؛ لأنك ستتركه فجأة، وقد عشت معه سنوات من عمرك، صحيح هذا، وأنفق معك على هذا، لكن لتعلم كما قد علمت أن ترك المؤلف صعب على النفوس، فبالمقابل من تعود شيئاً هان عليه، فعود نفسك على ترك القات من الآن، صحيح أنه سيكون صعباً عليك في اليوم الأول،

لكن اليوم الثاني - لا شك - أنه سيكون أخف عليك من اليوم الأول، وهكذا اليوم الثالث سيكون أهون، وهكذا...

فإن صعب عليك الترك، فاجعل لك مرحلة قبل ذلك، ألا وهي التقليل في تعاطيه، وتناوله، ثم انتقل إلى المرحلة الأولى، وإن كان عندك حزم، وعزم في الترك كلياً فهو أولى، وأتقى، - وبإذن الله - سيأتي عليك اليوم الذي ترى فيه هذه الشجرة التي كنت تزعم أن متعتك بها، وراحتك بمضغها، تتحسر على أيامك التي أضعتها، وأفنيت شبابك معها، وأنفقت الآلاف المؤلفة فيها.

وقبل ذلك لتجعل في حسابك، وليكن في نيتك أنك تتركها إرضاءً لخالقك، وطاعةً لربك، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً. ومما يجدر التنبيه عليه، والتحذير منه، ما نسمعه من بعض الناس - أصلحهم الله - حين يقول: عندما لا أُحزن يأتيني النوم والكسل، وأحس بالفتور والملل، ولا أقدر على العمل! بل للأسف الشديد نرى بعض الأبناء الصغار في وقت اختباراتهم المدرسية، يمضغون هذه الشجرة المخزية، وحين تسأله، أو تنكر عليه، يقول: معي اختبار، وكأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً مهماً، أو ينجز عملاً عظيماً، إلا والقات في فمه؛ نسأل الله العافية!



بل بعضهم يقول: لولا القات يدخل الشباب بيوتهم، لذهبوا يفسدون ويغازلون ويفعلون، ويفعلون... إلى غير ذلك مما يقولون، ويتفوهون.

فأقول: لا تبرر لنفسك، ولإخوانك الذين هم على شاكلتك، ولا يزين لك الشيطان سوء عملك، وغير من حياتك، ونظام أيامك من الآن، واستمتع بشبابك، وعمرك قبل فوات الأوان.

أيها المخزن غير حياتك الوهمية، وستظهر لك حياتك الحقيقية التي حرمتها بسبب هذه البلية، غير حياتك وستظهر لك تغيرات، وفوارق كان القات يحول بينك وبينها، وستجد خيرات، وبركات كان القات يقتلها، ويدفنها.

فتركك للقات ستعيش مع أولادك حياة سعيدة، طيبة، كانوا قد حرموها منها في أيامك الماضية، بتركك للقات ستصلح حياتك، وستقضي ديونك، وستوثق بيتك.

بتركك للقات سيصلح أمر دينك، وستحافظ على أوقات صلاتك في بيت ربك، فوالله ما عطلت المساجد، وأصبحت لا ترى في صلاه العصر إلا أشخاصا معدودين، من الصبيان، والعاجزين؛ إلا بسبب المقاييل، - لا بارك الله فيها -.

بتركك للقات ستنعم بمرتبك، وستجد البركة فيه طوال شهرك.

بتركك للقات ستجد بركة في وقتك، وستنظم لك أمور دينك، ستجد أنك تستطيع أن تجلس مع أولادك، وزوجتك، أو تسمع درسا أو تقرأ شيئا من كلام ربك، وتفعل غير ذلك بعدما كانت هذه الساعات مقتولة في مقيلك.

فمن الآن يأهل الإسلام، ويأهل اليمن، والحكمة والإيمان، استيقظوا وأفيقوا، فقد ضحكت علينا الدنيا بهذه الشجرة التي ما أقامت لبلادنا قائمة، وجعلتها مضربا للسخرية والملامة.

وإذا أردتم أن تدركوا حقيقة المصيبة التي ابتليت بها البلاد اليمنية، فاسمعوا إلى هذه الإحصائية الغريبة العجيبة، فقد ذكر أنه يتم إتلاف ٢٠ مليون دولار في كل ليلة!

لو قدرنا أن المخزين في اليمن ١٠ مليون مخزن فقط، وكل مخزن يخزن بما يساوي دولارين فقط؛ فإن الشعب اليمني يتلف في هذه اللحظات أكثر من ٢٠ مليون دولار كل ليلة، ويرميها إلى المباحق!

وفي الشهر ٦٠٠ مليون دولار.. وفي السنة أكثر من ٧ مليار دولار.

أي بما يعادل ثلاثة ترليون و٥٠٠مليار ريال يمني!! هذا على أقل حساب..

فهي أعظم قصة بطر في تاريخ العالم، ولهذا لا يستغرب اليمنيون تعاستهم

وشقاهم، وعدم البركة في أموالهم، وأوقاتهم.



لو كان في القاتِ خيرٌ لاستعان به
واستوردته شعوبُ الأرضِ قاطبةً
وربَّما جهز الأعداءَ جندهم
لكنهم يدركون الشرَّ داخله
فكيفَ نزرعُ سمًّا في مزارعنا
هل يعلمُ الشعبُ كم من أسرةٍ حُرمت
وكم فروضِ صلاةٍ ضيعت عمداً
وكم من الوقتِ في التخزينِ نهدره
مهما كتبتُ فلن أُحصي مساوئه
خلاصةُ القولِ فيه أنه خطرٌ
فبادروا يا بني قومي لنقلعه
تذكروا أننا أحفادُ من نصروا

أهلُ الحضارةِ في روما وفي الصينِ
حتى غدونا به أهلُ البلايينِ
واستعمرونا لأجلِ القاتِ من حينِ
فحرَّموه بتشريعِ القوانينِ
ونشحتُ القمحَ من سدني وبكينِ
أكلاً وشرباً من أجلِ التخازينِ
من أجلِ جلسةِ قاتِ في الدواوينِ
لو يستغلُّ لأصبحنا كما الصينِ
مساوئِ القاتِ تُحصَى في دواوينِ
ولعنةٌ قد أصابتنا بسكينِ
من أرضنا قبلِ إخلالِ الموازينِ
دينَ الهدايةِ في كلِّ الميادينِ

أسألُ الله أن ينفع بهذا الموضوع الذي طُرق على مسامعكم، وأن يمتعكم
بأجسادكم، وأموالكم، وأن يجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون
أحسنه، وأن يرزقنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وأن يقينا عذاب النار.....

(تواضع ليرفعك الله)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ، فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد :

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر

الأمر محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون عباد الله،

لقد جرت سنة الله في كثير من أوامره لعباده أن من فعلها، وأقامها؛ فإنه يؤتى

يوم القيامة ويجازى بخير منها، وجرت سنته في كثير من نواهيه لعباده أن من

ارتكبتها، وفعلها؛ فإنه يُجازى يوم القيامة بفقدها، أو بضدها، ولا يظلم ربك أحدًا. ومن جملة المنهيات التي توعد الله من فعلها أنه يقابل بضدها؛ معصية الكبر - عياذ بالله - فقد أخبر النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** «أن المتكبرين في هذه الدنيا؛ الذين كانوا يتكبرون ويترفعون على عباد الله؛ أنهم يُحشرون يوم القيامة كأمثال الذر يطؤونهم الناس بأقدامهم، جزاء وفاقًا، ولا يظلم ربك أحدًا»^(١).

نعم - أيها الناس - من سولت له نفسه أن يتكبر، ويرفع، ويحتقر الناس؛ فإن هذا جزاؤه.

من أعجب بنفسه، ورأى نفسه أنه فوق الآخرين، وصار ينتقص من هذا، ويحتقر هذا، ويسخر من نسب هذا؛ فإن مواعده يوم القيامة أن يصير إنسانا بصورة ذرة تداس على الأقدام، والجزاء من جنس العمل.

وبمقابل ذلك فقد أخبرنا نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** «أنه ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»^(٢).

وهذا هو موضوع حديثنا في هذا اليوم المبارك، وفي هذه الساعة المباركة. وهي رسالة إلى كل من يبحث عن السعادة، والكرامة، والألفة، والمحبة؛ ولكنه

(١) رواه الترمذي (٩٠٩٢).

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٨).

أخطأ طريقها، هي رسالة لكل من يظن أن محبة الناس، وتوقير الناس، ومهابة الناس له هي بالترفع عليهم، والهنجمة أمامهم، هذا الموضوع هو رسالة لكل من أراد أن يكون إنسانا ناجحا في حياته، محبوبًا عند الله، وعند خلقه، وعند أهله، وجيرانه.

هذا الموضوع لكل من أراد أن يعيش أسوة محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فقد علم البشرية حقيقة التواضع، وحقيقة هذه الدنيا، وعرف الإنسان قدر نفسه كما ستطرب أسماعكم، وتنشرح صدوركم؛ بعرض قمة تواضعه
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فقد كان خير العالمين، وسيد الأولين والآخرين إمام المتواضعين، كان يقضي الحوائج، ويفرج الكروب، ويعلم الجاهل، ويطعم الجائع، ويسلم على الصبي، ويمسح على رأس اليتيم، ويدخل السرور على أصحابه، ويكرم من دخل عليه وربما بسط له ثوبه، وآثره بوسادته، يجيب الدعوة، يقبل الهدية، يجالس الفقراء، والمساكين، ويقول - كما في الحديث الصحيح -: «اللهم أحييني مسكينًا، واحشرنى في زمرة المساكين!»^(١).

(١) رواه الترمذي (٢٣٥٢).



كان أعظم الناس تواضعاً، لا تغلق دونه الأبواب، ولا يقوم معه الحُجَّاب، فاسمع إلى ما رواه ابن حبان في صحيحه رَحْمَةُ اللَّهِ عن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مسجده، وقد طوق الأرض هرباً، حتى وضع يده في يده، وفي ذهنه وتصوره أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إماماً ملكاً، وإماماً نبياً، قال فانطلق بي فوالله إنه لعامد بي بيته، إذ استوقفته امرأة، كبيرة ضعيفة، ومعها ابناها، فوقف لها طويلاً وهي تكلمه في حاجتها، قال فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك! قال: ثم أخذ بيدي، وانطلق بي إلى بيته وقال: «اجلس»، وألقى عليّ وسادة محشوة بليف، وقال: «خذها واجلس عليها»، قال: فجلست عليها وهو على الأرض فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك!

وفي تواضع النبوة دعاه إلى الإسلام، وقال له: «أسلم يا عدي، أسلم يا عدي، لعله إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجة أهله؟ وإيم الله، ليوشكن أن يفيض المال بأيديهم حتى لا يوجد من يأخذه، لعله إنما يمنعك ما ترى من قلة عدد المسلمين، وكثرة عدوهم، وإيم الله، لئن طالت بك حياة لترين الظعينة تخرج من الحيرة إلى بيت الله الحرام لا تخشى إلا الله، لعله إنما يمنعك ما ترى من أن الملك لغيرهم؟ وإيم الله، لئن طالت بك حياة لترين قصور كسرى قد فُتحت وأنفقت كنوزها في سبيل الله». فما كان من عدي بعد أن سمع هذه الحياة

المتفائلة، والمبشرة؛ إلا أن شهد الشهادتين، ورأى بأمر عينيه ما أخبر به
النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وأقسم ليرين ما لم ير بعد؛ إيماناً بقول رسول الله -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . ولسان حاله:

أوليتني كرماً وخلقاً رائعاً أوليتني كرماً وفضلاً زائداً
وبررتني حتى نسيت الوالداً

الله أكبر! إنه التواضع.

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالمدخان يعلو بنفسه على طبقات الجو وهو وضع

صلى الله على رسولنا، وقدوتنا وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً، اختار أن يكون
عبداً رسولاً عن أن يكون ملكاً نبياً، ولعظم تواضعه نهى عن إطرائه، ورفعته فوق
منزله، فقال - كما في الحديث الصحيح الذي صححه الألباني - رَحِمَهُ اللَّهُ -: « لا
تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد؛ فقولوا: عبد الله ورسوله.
ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله إياها.

ولما قال له رجل: يا خير البرية! قال: ذاك إبراهيم! »^(١).

(١) رواه البخاري (٣٤٤٥).



إن بعض الناس إذا لم تناديه بكنيته، أو بمشيخته ولقبه، انتفخت أوداجه، واحمر وجهه، لماذا؟ لأنك ما ناديته باللقب الذي قد ألفه، وتعود عليه.

هكذا كان تواضعه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تراه بين أصحابه دون أن يتميز عليهم، حتى إن الداخل لا يعرفه، ولا يميزه من بين أصحابه.

روى البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَالرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ لَمْ يَعْرِفْهُ، وَلَمْ يَمِيزْهُ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِهِ؛ لِعَظَمِ تَوَاضُعِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (١)!

وروى مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ؛ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ. فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَكْرَمًا، وَمَكْنِيًّا: «يَا أُمَّ فُلَانٍ، انظري أيَّ السِّكِّكَ شِئْتَ أَقْضِي لَكَ حَاجَتَكَ، فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ حَتَّى فَرَّغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا» (٢).

وروى الإمام مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنْ كَانَتِ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ شَاءَتْ» (٣).

(١) رواه البخاري (٦٣).

(٢) رواه مسلم (٢٣٢٦).

(٣) رواه مسلم (٦٠٧٢).

سبحان الله! خلق عظيم، زكاه العلي العظيم؛ وإنك لعلی خلق عظيم!
كان بشرا من البشر، يُخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويخدم نفسه، ويحلب شاته،
ويحلب دابته، ويخدم أهله، نعم كان يخدم أهله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ويقوم بخدمة
أهله.

فليس عيباً عليك أيها الزوج أن تقف مع زوجتك في مطبخها تعاونها، ليس
نقصاً في حَقِّك أن تكس بيتك مع زوجتك لتخفف عنها، فهذا هو النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يخدم أهله، ويخفف عنهم.

وجيء له مرة بتمر - كما في الحديث الذي صححه الألباني **رَحْمَةُ اللَّهِ** - ففتشه،
ثم أخرج السوس منه، ثم أكله. سبحان الله! ما أهنأ هذه الحياة! ما أهنأ هذه الحياة،
وما أسعدها! وما أجمل أن تهين الدنيا وتعرف قدرها وحقارتها، لتهنأ بها.
يقول الحسن البصري **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «أهينوا الدنيا، فوالله لأهنأ ما تكون إذا أهنئها
»(١).

لم يكن للنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فرش وثيرة، أو مجالس زاهية، وربما نام على
الحصير فأثر في جنبه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** دخل عليه عمر يوماً وقد نام على حصير فأثر

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٦٥٤).



في جنبه، فهملت عيناه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وجثا على ركبتيه، وقال: صفوة الله من خلقه فيما أرى، وفارس والروم يعبثون بالدنيا، ادعُ الله يا رسول الله، ادعُ الله يا رسول الله، فاحمر وجهه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وقال: أو في شك أنت يا ابن الخطاب؟! أولئك قوم عجّلت لهم طيباتهم، أما ترضى يا عمر أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [سورة الأحقاف: ٢٠] (١).

وها هو ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يقول: «كنا يوم بدر كلّ ثلاثة على بعير لقلة الظهر، وكان أبو لبابة، وعلي زميلي رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على دابته» (٢).

وتأمل ثم تأمل لماذا لم يُفرد رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** نفسه براحة مستقلة، بل جعل نفسه كبقية أفراد جيشه؟ لماذا لم يجعل له حراسة مشددة، ومرافقين من أمامه ومن خلفه؟ لماذا؟ ليعلمنا أن الكمال ليس في الترفع، والتعالي على الناس؛ ليعلمنا:

إن كريم الأصل كالغصن كلما تحمّل من خير تواضع وانحنى

(١) رواه البخاري (٥١٩١).

(٢) رواه أحمد (٤٠٠٩)، (ن) (٨٨٠٧)، (حب) (٤٧٣٣)، (ك) (٢٤٥٣) أنظر الصحيحة: (٢٢٥٧)، و فقه السيرة

(ص ٢١٨) ن وهداية الرواة (٣٨٣٨).

وروى ابن ماجه، وصححه الألباني رَحْمَهُمَا اللهُ عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رجلا أتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأصابته من هيئته رعدة؛ فقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «هُون عليك؛ إني لست بملك؛ إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد!» (١).

فهل رأيت مثله يا ذا الحجى لزينة الدنيا ومحو للدجى
إنه الخلق العظيم الذي زكاه العلي العظيم، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ [سورة القلم:]
علمنا حبينا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أن العظمة، والهيبة، ليست في استغلال
الناس وإرعابهم، ولا بالترفع على المساكين واحتقارهم، إنما أنا ابن امرأة من
قريش تأكل القديد.

أكرم به من مرسل ومعلم وله الشفاعة يوم نحشر في الورى
فتح الإله به قلوبا غلقت وأنار أبصارا وكانت لا ترى
والله لو عرفت قدر نفسك - يا عبد الله - ما تكبرت، ولو عرفت يا عبد الله من
أنت؟ ومم أنت؟ ومن أين خرجت؟ وما الذي تحمله الآن في بطنك؟ ما تكبرت!
قال بعضهم: عجت لمن يدخل الحمام في اليوم مرتين، كيف يتكبر!

(١) رواه ابن ماجه (٣٣١٢).



يا مدعي الكبر إعجابا بصورته انظر خلاك فإن النتن تشريب
لو فكر الناس فيما في بطونهم ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
يابن التراب ومأكول التراب غدًا أقصر فإنك مأكول ومشروب

لقد كان صاحب الخلق العظيم حليما، رفيقا، متواضعا حتى مع الأطفال، لم تكن له نظرة دونية، أو احتقارية واستصغارية للأطفال، كما يفعله بعض القساة الأجلاف.

روى البخاري في صحيحه، أن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** «وضع صبيًّا في حجره وهو يحنكه؛ فبال عليه؛ فدعا بماء فنضحه؛ وكان شيئًا لم يكن» (١).

لم يغضب عليه، ولم يتكلم على أمه، وإنما دعا بماء فنضح أثر البول! كان يداعب الحسن - كما صح عنه - فيخرج لسانه إليه، فيرى الحسن حمرة اللسان؛ فيعجبه ذلك ويسرع إليه، ويلقي بنفسه عليه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

ويخرج إلى سوق بني قينقاع يومًا - كما صحح ذلك الألباني **رَحْمَةُ اللَّهِ** فطاف فيها ثم دخل فاحتبى في المسجد، فجاء الحسن فاشتد حتى وثب في حبوته فأدخل النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فمه في فمه ثم قال: «اللهم إني أحبه فأحبه، وأحب من يحبه، اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه ثلاث مرات، وأبو هريرة

(١) رواه البخاري (٥٤٦٨).

ينظر، ويرقب الموقف، فقال: والله ما رأيت الحسن بعدها إلا فاضت عيناى» (١)

رضي الله عن الحسن، وعن جميع آل بيت رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ!**

هكذا كانت محبة أصحاب رسول الله للحسن، والحسين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَصَحَّح**

الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** أنه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** خرج مرة يحمل الحسن، والحسين، هذا

على عاتق وهذا على العاتق الآخر، حتى انتهى إلى أصحابه، فقال له رجل: كأنك

تحبهما؟ فقال: «من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني!» (٢).

وروى الترمذي، وصححه الألباني **رَحِمَهُمَا اللَّهُ** أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان

يخطب يوماً فدخل الحسن، والحسين وعليهما قميصان أحمران، يمشيان

ويعثران، فقطع خطبته ونزل إليهما، واحتضنهما، وصعد بهما على المنبر

فوضعهما ثم قال: «صدق الله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

﴿سورة التغابن: ١٥﴾، رأيت ابني هذين يمشيان، ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت

حديثي، ورفعتهما» (٣).

أكرم به من مرسل ومعلم وله الشفاعة يوم نحشر في الورى

(١) رواه البخاري (٥٨٨٤)، وراه الترمذي (١٠٨٩١).

(٢) رواه أحمد (٧٨٧٦).

(٣) رواه الترمذي (٣٧٧٤).



ومن مواقف رحمته وتواضعه مع الصبيان ما أخرجه النسائي، والحاكم
رحمة الله عليهما- عن شداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج علينا رسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إحدى صلاتي العشي وهو حاملٌ حسنًا أو حسينًا؛ فتقدم
فوضعه عند قدمه اليمنى ثم كبر للصلاة فسجد سجدة أطالها حتى ظننا أن قد
حدث شيء، قال شداد: فرفعت رأسي من بين الناس؛ فإذا الصبي على ظهر
رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو ساجد فرجعت إلى سجودي، قال فلما قضى
رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاته قال الناس: يا رسول الله؛ إنك سجدت في
صلاتك سجدة أطلتها، حتى ظننا أن قد حدث أمر، أو أنه يُوحى إليك،
فقال: «كل ذلك لم يكن، ولكن ابني هذا ارتحلني؛ فكرهت أن أعجله حتى يقضي
حاجته» (١).

والله، وبالله، وتالله لن نجد أرحم، ولا أرفق، ولا أحلم بالأطفال من رسول الله

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ !

نهدي هذه المواقف إلى بعض الآباء، إلى الذين حرموا أولادهم عطفهم،
وحنانهم، إلى أولئك الآباء الذين يتعاملون مع أولادهم معاملة شرسة، قاسية،
ونقول لهم: تأملوا في حياة نبيكم، وتعامله مع الصبيان، بل ومع الناس أجمعين.

كم قد سمعنا - للأسف الشديد- عن بعض الآباء له عدد من الأبناء؛ وما يذكر أنه قد قبل يوماً واحداً منهم! كم هم أولئك الآباء الذين يعبثون بأموالهم، ويحرمون أولادهم وزوجاتهم كثيراً من ضروريات حياتهم، - والله المستعان-!

فانتبهوا رحمكم الله أيها الآباء واقتدوا بسيد الرحماء، والكرماء، فقد كان رحمة للأمة جمعاء عليه صلوات ربي ما دامت الأرض والسماء والسلام.

أسأل الله أن يرزقنا الاقتداء بأخلاقه، والسير على منهجه وطريقه، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي، ولكم، ولجميع المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم!



(الخطبة الثانية)

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

معاشر المسلمين:

لقد علمنا نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** التواضع، وربى لنا أقواما مشوا على منواله، وعلى تواضعه، وأخلاقه وعلى رأس هؤلاء خلفاؤه من بعده **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، وأرضاهم.

هذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، خرج يوما فمر بمكان كان يرعى فيه الغنم في الجاهلية، فقال: لا إله إلا الله! قد كنت أرعى الغنم بهذا الوادي وأتعب، وإذا قصرت أضرب، وقد أمسيت ليس بيني وبين الله من أحد، ويردد: يا ابن الخطاب كنت وضيعاً فرفعك الله، وضالاً فهداك الله، وذليلاً فأعزك الله، فما حملك على رقاب الناس؟! فماذا تقول لربك غدا إذا أتيته يا عمر؟ ثم يندفع بالبكاء **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وأرضاه، ويقول لابنه وهو يودع الدنيا: «ضع خدي على التراب لا أم لك يا عبد الله». ويقول: «ويل عمر إن لم يغفر الله له! ويل عمر إن لم يتجاوز الله عنه!».«

وعثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يخطب يوم الجمعة وعليه ثوب بأربعة دراهم؛ وهو أمير المؤمنين.

وهذا سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يلبس جبة خشنة؛ فلامه بعض الناس؛ فقال: «إنما أنا عبد، ألبس كما يلبس العبد، فإذا عتقت لبست ثيابًا لا تبلى حواشيها، في جنات وعيون». نسأل الله الكريم من فضله!

والإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ كان يقول: «نحن قوم مساكين، نحن قوم مساكين». ولما قيل له: ما أكثر الذين يدعون لك يا إمام! تغرغرت عيناه وقال: أخاف أن يكون هذا استدراجًا من رب العالمين.

وأخذ الفضيل بيد سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللهُ وقال: «إن كنت يا سفيان تظن أنه بقي على وجه الأرض شر مني ومنك، فبئس ما تظن!».

ويأتي ابن المبارك على سقاية الناس يشربون، فدنا ليشرب، ولم يعرفه الناس، فدفعوه، فلما خرج قال: ما العيش إلا هكذا حيث لم تُعرف، ولم تُوقر. فيا عباد الله، مقادير العباد لا يعلمها إلا الله، والكبر، والفخر، والخيلاء، أمام الناس ليست دليل الهيبة، ولا القبول، ولا المحبة.



أرفع الناس قدرا من لا يرى قدره، فاعرف قدر نفسك يا عبد الله، ولا تضعها في غير موضعها، وإذا خرجت من بيتك فلا يقعن بصرك على مسلم إلا ظننت أنه قد يكون عند الله خيرا منك.

وتواضع، ولا تحقر من هو أصغر منك سنا، أو أقل منك قدرا، أو نسبًا، وحسبًا؛ فقد يكون أسلم منك قلبًا، وأقل ذنبًا.

قد يكون العبد عزيز في أعين الناس؛ وهو عند الله في أخبث المنازل، قد يكون الإنسان وضيعا بين الناس وهو عند الله بأعلى المنازل.

انتسب رجلان على عهد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كما في السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني - رَحْمَةُ اللَّهِ - فقال أحدهما: «أنا فلان بن فلان وعد تسعة فمَنْ أنت لا أم لك؟ فقال الآخر: أنا فلان ابن فلان ابن الإسلام، فأوحى الله إلى موسى أن قل لهذين المتسبين: أما أنت أيها المنتسب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم، وأما أنت أيها المنتسب إلى اثنين فأنت في الجنة ثالثهم»^(١).

نسأل الله السلامة والعافية! فليست العبرة بالنسب، ولا بالحسب، إن الميزان والمعيار: إن أكرمكم عند الله أتقاكم!

(١) رواه أحمد في مسنده (٢١١٧٨)، والصحيحة (١٢٧٠) للألباني رَحْمَةُ اللَّهِ.

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه فلا تترك الدين وتركن إلى النسب
لقد رفع الإسلام سلمان فارسٍ وقد وضع الشرك الشقي أبا لهب
أسأل الله أن ينفعنا بما سمعنا، وأن يرزقنا معرفة قدر أنفسنا، وأن يرزقنا
التواضع ويحببه إلى قلوبنا.....





(وقفات مع بعض أخلاق سيد الأنام عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠]. ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر

الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله، في مطلع عامٍ هجري جديد من هجرة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يطيب لنا أن نقرب بعض صفحات ماضيها المجيد؛ لتتعرف على بعض أخلاق

درة تاج الجنس البشري، وأعظم المخلوقات في العالم السفلي، والعلوي أيطيب لنا في هذا اليوم، بعد انقضاء عام، ودخول عام، من تأريخ هجرة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أن نتعرف على بعض أخلاقه، على بعض أخلاق هذا النبي العظيم، الذي زكاه العلي العظيم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [سورة القلم: ٤] لا سيما وأمة الإسلام تعيش أزمة في أخلاقها، وتقليد أعدائها؛ وذلك بسبب جهلها، وعدم الانقياد لسنة وأخلاق نبيها **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

فحيا هلا بكم في هذا اليوم، وفي ظل هذه الأزمة الأخلاقية، التي تعيشها الأمة الإسلامية، أن نستعرض بعض أخلاق الإسلام التي كانت واقعا ملموسا في حياة المصطفى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فدعونا نتعرف عن أخلاق نبينا؛ لنعلم أين نحن من أخلاق وجمال ديننا؟!!

فكلنا يعلم أن ديننا هو دين الأخلاق، ونبينا بعث ليتمم مكارم الأخلاق، ونصف مساحة العالم الإسلامي دخلت إلى هذا الدين بالأخلاق، وإنما الأمم الأخلاق. دعونا نشنف أسمعنا، ونشرح صدورنا، ونروي أكبادنا بعرض أخلاق نبينا - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - وكيف كانت أخلاقه؟ وكيف كان تواضعه، وجوده، وكرمه؟ كيف كان عفوه، وحلمه؟ كيف كان جوده، وشجاعته، وكرمه؟!!



فهو الذي زكاه ربه، زكى عقله فقال: ما ظل صاحبكم وما غوى، وبصره فقال:

﴿ مَا زَاغَ أَبْصَرٌ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ [سورة النجم: ١٧] وفؤاده، ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴿١١﴾ ﴾

[سورة النجم: ١١]، وصدوره: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾ [سورة الشرح: ١]، وذكره: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ

ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة الشرح: ٤]، ومعلمه: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ﴾ [سورة النجم: ٥]، وصدقه،

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة النجم: ٣]، وحلمه، ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ

أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾

[سورة التوبة: ١٢٨]، وزكاه كله، ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة القلم: ٤].

ويكيفك عن كل مدح مدح خالقه واقرأ بربك مبدأ سورة القلم،

أحيا بك الله أرواحا قد اندثرت في تربة الوهم بين الكأس والصنم

نفضت عنها غبار الذل فاتقدت وأبدعت وروت ما قلت للأمم

فمن أين أبدأ؟ هل أبدأ بحلمه وعفوه، أم بجوده وكرمه، أم بوفائه وشجاعته،

أم بأخلاقه وتواضعه؟ فهو الذي علم الدنيا التواضع **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ!**

هو الذي كان يقضي الحوائج، ويفرج الكروب، ويعلم الجاهل، ويطعم

الجائع، ويسلم على الصبي، ويمسح على رأس اليتيم، ويدخل السرور على

أصحابه، ويكرم من دخل عليه ولو كان من أعدائه، وربما بسط له ثوبه، وآثره

بوسادته.

هو الذي كان يجيب الدعوة، ويقبل الهدية، ويجالس الفقراء، والمساكين، ويقول - كما في الصحيح - : «اللهم أحييني مسكينا، واحشرنى مع زمرة المساكين!»^(١) عليه صلوات رب العالمين.

اختار أن يكون عبدا رسولا على أن يكون ملكا نبيا، ولعظم تواضعه نهى عن إطرائه، ورفعته فوق منزلته، فقد قال - فيما صح عنه - : «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله!»^(٢) وقال: «ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله إياها! ولما قال له رجل: يا خير البرية، قال: ذاك إبراهيم!»^(٣).

إن بعض الناس إذا لم تناد به بكنيته، أو بلقبه، ومشيعته، انتفخت أوداجه، واحمر وجهه، ونبينا سيد البرية، وأفضل الذرية يقول: ذاك إبراهيم، ولا ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله إياها».

تراه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بين أصحابه دون أن يتميز عليهم؛ حتى إن الداخل لا يعرفه، ولا يميزه من بين أصحابه، روى البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ

(١) رواه الحاكم في مستدرکه (٧٩١١)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أخرجه البغوي في السنة (٢٤٦ / ١٣).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢٣٦٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .



المسجد والنبى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بين أصحابه، فقال: أيكم محمد؟ أيكم محمد؟ (١) سبحان الله!

لم يكن له **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فرش وفيرة، أو مجالس زاهية، بل ربما نام على الحصير فأثر في جنبه! أتاه عمر يوماً وقد نام على حصير فأثر في جنبه، فهملت عيناه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وجثى على ركبتيه، ثم قال: صفوة الله من خلقه فيما أرى، وفارس، والروم يعبثون بالدنيا، ادعوا الله يا رسول الله! فاحمر وجهه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وقال: «أوفي شك أنت يا بن الخطاب؟! أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا، أما ترضى يا عمر أن تكون لهم الدنيا، ولنا الآخرة؟! **﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَّذِينَ أُذْهِبَتْ طَبِيبَتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾** [سورة الأحقاف: ٢٠]».

ها هو ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يقول: كنا يوم بدر كلُّ ثلاثة على بعير لقلعة الظهر، وكان أبو لبابة وعلي زميلي رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** على دابته! وتأمل بالله عليك ثم تأمل، لماذا لم يفرد رسول الله نفسه براحلة مستقلة، بل جعل نفسه كبقية أفراد جيشه؟ لماذا لم يجعل له حراسة مشددة، ومرافقين من بين يديه ومن خلفه؟! لماذا؟ ليعلمنا أن الكمال ليس بالترفع، التعالي على المؤمنين، ليعلمنا: إن كريم الأصل كالغصن كلما تحمل من خير تواضع وانحنى

(١) رواه البخاري (٩٣)، عن أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وروى ابن ماجه، وصححه الألباني - رحمة الله عليهما - عن ابن مسعود
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رجلاً أتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأصابته من هيئته رعدة، فقال
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُون عليك، إني لست بملك؛ إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل
القيديدا!» (١)، الله أكبر!

فهل رأيت مثله يا ذا الحجى لزينة الدنيا ومحو للدجى

إنه الخلق العظيم الذي زكاه العلي العظيم، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤)

[سورة القلم: ٤]. هكذا علمنا صاحب الخلق العظيم أن العظمة، والهيبة، ليست في

استغلال الناس وإرعابهم، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد.

والله يا عبد الله لو عرفت قدر نفسك ما تكبرت، لو عرفت من أنت؟، وممن

أنت؟ ومن أين خرجت؟ وما الذي تحمله الآن في بطنك؟ ما تكبرت.

يا مدعي الكبر إعجابا بصورته انظر خلاك فإن النتن تشريب

لو فكر الناس فيما في بطونهم ما استشعر الكبر شبان ولا شيب

يابن التراب، ومأكول التراب غدا أقصر فإنك مأكول ومشروب

هكذا كان تواضعه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وإن سألت عن حلمه، ورفقه، فهو

أحلم الناس، كيف وقد قال عنه رب الناس: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ

أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨)

(١) رواه ابن ماجه (٣٣١٢).



[سورة التوبة: ١٢٨]. سألته عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟! فقال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت؛ وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبدِ يا ليل، فلم يجبني إلى ما أردت؛ فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا في قرن الثعالب، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلتني فرفعت رأسي، ونظرت فإذا فيها جبريل؛ فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك؛ وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت، قال فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال: يا محمد، ذلك فيما شئت إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين فعلت! فقال الرحمة المهداة الذي أرسله الله رحمة للعالمين: لا! لا! بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئاً»^(١). لا إله إلا الله!

صدق الله العلي العظيم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١٠٧) [سورة الأنبياء: ١٠٧]، جرعه أهل مكة، الصاب، والعلقم أخرجوه من بلده، آذوه في نفسه، وجسده، قالوا عنه: ساحر، مجنون، كاهن، قاطعوه في الشعب، وحبسوه، ووضعوا الشوك في طريقه، وألقوا سلا الجزور على رأسه، فعلوا به ما فعلوا، لا يوماً، ولا شهراً، ولا سنة،

(١) رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

ثم بعد ذلك أظفره الله بهم، حتى صاروا تحت حكمه، وتحت قبضته ووسطوته، وسيطرته، فماذا فعل يا ترى؟ ماذا فعل بهم؟ وماذا قال لهم؟ ولكن قبل أن تسمع الكلام، عد بذاكرتك إلى الأمام، ثم تذكر أفعالهم، ولو كنت مكانه فماذا ستفعل بهم؟! ماذا ستفعل بقوم تكلموا عليك، ضربوك، رجموك، سخروا منك، وطرودوك؟ قال لهم - بعد كل أفعالهم، وأعمالهم - : «أقول لكم ما قال أخي يوسف: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [سورة يوسف: ٩٢] اذهبوا فانتم الطلقاء».

سبحان ربي العظيم! أي خلق، وأي حلم، ورفق في هذا النبي العظيم؟! عليه صلوات رب العالمين.

انظر في أخلاق المصطفى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثم تأمل كيف أصبح كثير من الناس في هذا الزمان! وكيف أصبحت قلوبهم مليئة بالأحقاد والكراهية، والحسد والأناية، كيف أصبح الأخ يقتل أخاه بسبب شبر من الأرض، أو بسبب لعاعة من هذه الدنيا الدنية، تأمل كيف أصبح الجار مع جاره؛ يكاد بعضهم يأكل بعضا، وهم -ربما- من قبيلة واحدة، بل وفي عمارة واحدة، والسبب في ذلك إما بمشكلة حصلت بين أولادهم، أو بسبب خلاف بين زوجاتهم، إلى غير من أحوالهم؛ والله المستعان!



وها هو جرثومة الشر ابن أبي - عليه من الله ما يستحق - له سجل حافل بالكذب، والمخازي، فكم وكم فعل بالمسلمين ما فعل من كيد، ومكر، فهو الذي أرجع ثلث الجيش في معركة أحد، وهو القائل: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، هو القائل: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ عَلَيْنَا أَعْرَضًا مِّمَّا أَكْرَمْنَا بِالْعِزَّةِ وَالرَّسُولِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة المنافقون: ٨] وهو الأذل الأعوج، الأهوج، هو الذي اتهم أمنا - أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها وعن من ترضى عنها - بالفاحشة، وطعن في فراش رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكم، وكم هم أولئك الذين أخرجوا من ضئضئ هذا المنافق اللئيم في هذا الزمان الأليم؟! وهكذا جاء دور ابن أبي ومات بعد أن ملأت رائحة نفاقه كل فج، جاء ابنه الصالح عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى رسول الله، وسبحان الذي يخرج الحي من الميت! فطلب الصفح عن أبيه، فصفح، وطلب منه أن يكفنه في قميصه فمنح، وأن يصلي عليه؛ فتقدم وصلى عليه، فقال الفاروق الأواب عمر بن الخطاب: أتصلي على ابن أبي يا رسول الله؟! أتصلي على هذا المنافق؟! ثم جاءت العدالة العليا لتحسم الأمر: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ [سورة

هكذا كان عفوه، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهكذا كان حلمه، مع أعدائه قبل أقربائه، وأصحابه.

وإن سألت عن أخلاقه؛ فيكفيك مدح خالقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾

[سورة القلم: ٤]. واسمع إلى هذا الخبر العجيب: روى البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني، عن جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سيد بجيلة، نعم الفتى ونعمت القبيلة، يقول: لما دنوت من المدينة أنخت راحلتي، وحللت عيبيتي، ولبست حلتي، ثم دخلت المسجد ورسول الله يخطب؛ فرماني الناس بالحدق، فقلت لجليسي: يا عبد الله، هل ذكرني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: نعم، ذكرك بأحسن الذكر! قال: بينا هو يخطب إذ قال: «إنه سيدخل عليكم من هذا الفج رجل من خير ذي يمن، ألا إن علي وجهه مسحة ملك»، وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جميلاً، حتى كان عمر يسميه، ويلقبه بيوسف هذه الأمة.

ودخل جرير بعدها على النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في بيته، وعنده جمع من الصحابة فضن الناس بمجالسهم - أي: بخلوا بمجالسهم ولم يفسح له أحد ليجلس - ثم قصد الباب ليخرج، فنزع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رداءه ثم ألقاه إليه ليجلس عليه، فأخذه جرير وألقاه علي وجهه وجعل يقبله، وهو يبكي ويقول: ما كنت لأجلس علي ثوبك، أكرمك الله كما أكرمتني يا رسول الله!

ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فيما رواه ابن ماجه، وصححه الألباني

- رَجَّهَمَا اللَّهُ -: «إذا أتاكم كريم قوم، فأكرموه» (١).

أكرم به من مرسل ومعلم وله الشفاعة يوم نحشر في الورى
 فتح الإله به قلوبا غلقت وأنار أبصارا وكانت لا ترى
 أسأل الله أن ينفعنا بما سمعنا، وأن يرزقنا الاقتداء بنبينا، أقول ما تسمعون،
 وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه؛ إنه هو الغفور
 الرحيم.



(الخطبة الثانية)

الحمد لله أمر بتقواه، وأخبر أن من اتقاه وقاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أيها المسلمون عباد الله.

سمعتكم بعضاً من أخلاقه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ومن تواضعه، وحلمه، وعفوه، وأما عن وفائه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فهو الذي علم الدنيا الوفاء، فلا يوجد من هو أوفى ذمة، ولا أنقى سريرة منه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، كان وفياً مع أصحابه، مع زوجاته، مع الحيوانات، مع الجمادات بل حتى مع أعدائه، وإن لم تسمع فاسمع إلى ما رواه الإمام مسلم في صحيحه: عن حذيفة بن اليمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أنه قال: ما منعتني أن أشهد بدرًا؛ إلا أني خرجت أنا وأبي فأخذنا كفار قريش وقالوا: إنكم تريدون محمدًا، قلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة.

فأخذوا علينا عهد الله وميثاقه لنصرفن إلى المدينة ولا نقاتل مع رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قال فأتينا رسول الله، وأخبرناه الخبر.

ولك أن تتأمل ماذا فعل سيد البشر **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** تأمل إلى وفاء سيد الأوفياء، في هذا الوقت هو أحوج ما يكون إلى زيادة فرد في جيشه؛ ليتقوى به



على عدوه، الذي هو أضعاف، أضعاف عدده، ومع ذلك قال لحذيفة: انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم (١).

الله أكبر! والذي نفسي بيده؛ ما فتح نبينا قلباً غلفاً ولا أسمع آذاناً صمّاً، ولا هتفت الدنيا بذكره إلا بسمو أخلاقه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

وروى الإمام أحمد، وصححه الألباني **رَحْمَهُمَا اللَّهُ** عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قالت: اشتري رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** جزوراً من رجل من الأعراب بوسق من تمر العجوة، ورجع به النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** إلى بيته ليعطيه حقه، فالتمس التمر فلم يجده، فخرج وقال: «يا عبد الله، التمسنا التمر فلم نجده»، فقال الأعرابي: واغدراه! واغدراه! فنهاه الناس، وانتهره، وقالوا: قاتلك الله! اتغدر رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**؟! فقال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «دعوه؛ فإن لصاحب الحق مقالاً!»، ثم قال لرجل من أصحابه: اذهب لخولة بنت حكيم فأوف له حقه، ثم قال الأعرابي: جزاك الله خيراً! قد أوفيت، وطيبت، فقال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «أولئك خير عباد الله الموفون المطيبون» (٢).

نعم أيها الناس، نعم معاشر المسلمين والمسلمات، إن لصاحب الحق مقالاً.

(١) رواه مسلم (١٧٨٧).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٦٣١٢).

بالله عليكم - أيها الناس - كم هي الحقوق التي تُؤخذ في هذه الأيام؟ أليس منا من يجحد حق أخيه، بل ويحلف على ذلك؟ أليس منا من يستدين أموال الناس، ويماطلهم وهو قادر على سدادهم، بل ويسبهم إن طالبوا بحقوقهم؟ أليس من المسلمين من يأخذ حق زوجته، وربما يأخذ حُلِيها من أول عام من زواجه بها؟ وإذا طالبت بحقها؛ أخذ يسبها، أو يضربها، وربما يهددها بطلاقها، بل كم هم أولئك أصحاب المحلات الذين يشكون من دين ومماثلة المدينين لهم، كم رأينا أناسا أغلقوا محلاتهم بسبب كذب بعض الناس عليهم، ومماطلتهم لهم، وإذا جاءوا يطالبون بها ما يسمعون إلا الأيمان الكاذبة، والوعود الفارغة، والله المستعان.

«إن لصاحب الحق مقالاً، إن لصاحب الحق مقالاً»، هكذا قال

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ومن وفائه: أنه كان وفيًا مع أصحابه الذين ناصروه، وبذلوا مهجهم في سبيل دعوته، ونشر سنته، فقال يوصي الأمة جمعاء بصحابته: «احفظوني في أصحابي!»^(١).

(١) رواه ابن ماجه (٢٣٦٣)، والحاكم في مستدرکه (٣٩٠)، عن سعد بن أبي وقاص وجابر بن سمرة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .



وقال: «الله الله في أصحابي!» (١).

وقال: «لا تسبوا أصحابي» (٢).

وقال: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين!» (٣).

وقال: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً؛ ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه!» (٤).

وقال: كما عند البخاري - عندما وقف في أحد حزينا على شهدائهم: «أنا شهيد

عليهم يوم القيامة!» (٥).

ولما مات أبو سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد قتل في سبيل الله، خلفه رسول الله، وقال لأُم

سلمة - كما روى الإمام أحمد - : «عيالك عيالي يا أم سلمة!» (٦)،

ويقول لامرأة جعفر - كما في الحديث الذي صححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ ، عندما

قتل زوجها العيلة: «العيلة تخافين عليهم، وأنا وليهم في الدنيا والآخرة!» (٧).

(١) رواه أحمد (٢٥٤٩)، والترمذي (٣٨٦٢)، عن عبد الله بن مغفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠) عن أبي هريرة وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١٢٧٠٩)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٤) رواه أبو داود في سننه (٤٦٥٨)، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٥) أخرجه أبو داود (٣١٣٦) (٣١٣٧)، والترمذي (١٠١٦)، وأحمد (٣ / ١٢٨)، والدارقطني (٤ / ١١٦-١١٧)،

والحاكم (١ / ٣٦٥، ٢ / ١٢٠، ٣ / ١٩٦)، والبيهقي (٤ / ١٠-١١).

(٦) رواه أحمد (١٦٣٤٤)، عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(٧) رواه أحمد (١٧٥٠)، عن عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

ومن وفائه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه كان وفياً مع أول من صدقه، وآمن به، فقد بين مكانته للناس ليعرفوا قدره، ومنزلته، حيث قال - فيما صححه الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ -
: «ما لأحد عندنا يدٌ إلا وقد كافأناه بها؛ ما خلا أبا بكر فإن له يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة!»^(١) ، وقال: «ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر!»^(٢). وقال: «ولو كنت متخذًا خليلاً غير ربي، لاتخذت أبا بكر خليلاً»^(٣). وقال: «لا يبقين باب في المسجد إلا سُدَّ، إلا باب أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، فهو الذي لو وزن إيمانه بإيمان الأمة لرجح إيمانه، وما طلعت الشمس، ولا غربت على أفضل من أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ!»^(٤).

ومن وفائه: أنه كان وفياً لعمه أبي طالب الذي رباه حتى بلغ أشده، وأعانه على إبلاغ رسالته، ومنعه من سفهاء قومه؛ فلم يخلصوا إليه بسوء في حياته، ولما حانت وفاة عمه اهتزت مشاعر الوفاء في قلبه فحرص كلَّ الحرص على أن ينقذه من النار، فجعل يناشده: أي عم، قل: «لا إله إلا الله، كلمة أحاجُّ لك بها عند الله!

(١) رواه الترمذي (رقم ٣٧٤١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) رواه أحمد (٧٤٤٦) وابن ماجه (٩٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) رواه البخاري (٤٦٧)، ومسلم (٢٣٨٣).

(٤) رواه البخاري (٣٦٥٤)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .



يا عم قل: لا إله إلا الله». ثم مات على غير لا إله إلا الله؛ فوجد عليه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وجدًا شديدًا؛ لما يعلم من مصيره، فقال له العباس بعد موته: ما أغنيت عن عمك يا رسول؟! فقد كان يحوطك، ويغضب لك، فقال - كما روى البخاري ومسلم -: «هو في ضحضاح من نار؛ لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار!»^(١).

ويظهر سمو وفائه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لمن عاش معه ريعان شبابه، خديجة أم المؤمنين - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاهما - لها منقبة لم تعرف لامرأة سواها؛ إذ أرسل الله إليها السلام مع جبريل - كما روى ذلك الشيخان - «وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»^(٢).

أحبها حبا جما، لم يتزوج عليها حتى توفاه الله؛ فحزن عليها حزنا شديدا، فقد ماتت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لكن حبها لم يمت في قلبه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقد كان يكثر من ذكرها، ويقول - كما روى الإمام البخاري -: «إني رُزقت حبها، وقال إنها كانت... وكانت... وكان لي منها ولدا!»^(٣).

(١) رواه البخاري (٦٢٠٨)، ومسلم (٢٠٩)، عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه البخاري (٣٨١٨)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

كان يذبح الشاة ويقطعها أوصالا ويبعث بها إلى صدائق خديجة - كما روى

البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ.

ولما استأذنت هالة أخت خديجة عليه، تذكر استئذان خديجة وهش وارتاح

لصوت ذكره بخديجة، فقال: «اللهم هالة بنت خويلد!»، قالت عائشة: فغرت

وقلت: وما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين - يعني: لا أسنان

لها من الكبر - هلكت في الدهر أبدلك الله خيرا منها، قالت: فتمعر وجهه تمعرا ما

كنت أراه إلا عند نزول الوحي، أو عند المخيلة، - أي: عند السحاب - ثم قال:

«ما أبدلني الله خيرا منها! آمنت بي إذ كفر بي الناس، واستني بمالها إذ حرمني

الناس، رزقني الله منها الولد إذ حرمت أولاد غيرها!»، قالت عائشة: والذي بعثك

بالحق، لا أذكرها بعد هذا اليوم إلا بخير!

ولما أتته عجوز يومًا - كما صحح ذلك الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ - أحسن لقاءها،

وأكرم مثواها، وسألها عن حالها، كيف أنتم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت بخير

- بأبي أنت وأمي - يا رسول الله، فقالت عائشة: أقبلت على هذه العجوز هذا

الإقبال!! قال: إنها كانت تأتيني زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان.

معاشر المسلمين والمسلمات، ما أحوجنا اليوم إلى أن نستلهم هذه الدروس

العظيمة؛ للحفاظ على الود وحسن العهد في الحياة الزوجية!



ما أحوج الزوج مع زوجته أن يتعلما الوفاء من هذه الدروس الوافية،
والمواقف النبوية التربوية؛ من سيد البشرية، عليه صلوات رب البرية!

كم نسمع عن زوج تزوج على زوجته - ولا لوم في هذا - لكنك تراه ينسى
زوجته الأولى، ويهملها، ويتنكر لها، ويقهرها، وهي التي لطالما صبرت عليه،
وعلى تربية أولاده، وفقره، هي التي تقلبت معه بين حلو العيش ومره، هي التي
عاشت معه حياة مليئة بالمواقف، والذكريات، مع البنين، والبنات، أصبح بعد
ذلك يسبها ويعيرها، ويهددها بطلاقها، وهي صابرة لأجل أولادها، وأصبحت
كالخادمة له ولزوجته التي تزوج بها عليها!

فأين الوفاء أيها الأزواج؟! أين الوفاء؟! وأين أنت أيها الزوج من هذه
المواقف الوافية، وهذه الأخلاق النبوية على صاحبها الصلاة والسلام؟!
ولا يعد هذا الكلام إقرارًا، ورضاءً لمن يجعل زوجته الثانية للمتعة، أو أنه ما
تزوجها إلا للخدمة، ويصرف حبه للأولى لأنها أم عياله، ورفيقة دربه أو ابنة عمه
كما يقول بعضهم، لا ولا، ولكن: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ
مِنَ النِّسَاءِ مَتْنًى وَتِلْكَ وَرُبَّ عَفْوَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا

فيا أمة الإسلام، ويا أحباب محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هذا هو جمال دينكم،
الذي أكرمكم الله به وشرفكم، وهذه هي أخلاق نبيكم، الذي به فضلتم على
غيركم.

فو الله ما خلق الإله ولا برئ خَلَقَا وَلَا خُلِقَا كَأَحْمَدَ فِي الْمُرَى
فعليه صلى الله ما قلم جرى أو لاح برق في الأباطح أو قبا
اللهم ارزقنا الاهتداء بدينك، والافتداء بنبيك، واجعلنا من أوليائك
وأصفيائك! اللهم صل على محمد عدد خلقك، ورضا نفسك، وزنة عرشك،
مداد كلماتك.....



(واجبنا نحو شبابنا)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر

الأمر محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون عباد الله، إن الإنسان في هذه الحياة ليمر بعدة مراحل وأطوار،

من طفولة، إلى شباب، إلى كبر، ثم إلى ضعف، وهم؛ نسأل الله أن يحسن

الختام!

ومن نظر في الطور الذي كان مليئًا بالمواقف والإنجازات، والذكريات والتغيرات؛ لوجد أنه في طور، وسن الشباب، من تأمل في تأريخ الإسلام لوجد أن أبطاله، وحماته هم الشباب، لكن حديثنا اليوم ليس موجهًا لمعشر الشباب في المقام الأول، حديثنا اليوم هو رسالة ونصيحة، وتذكير لمن أهمل الشباب، وطاقات الشباب، وحياة الشباب.

حديثنا لمعشر الآباء، أو لبعض الآباء الذين كان لهم النصيب الأكبر، والحظ الأوفر، فيما أولادهم فيهم من الضياع، وذهاب الرجولة، والعطالة، والبطالة. حديثنا اليوم فيه تذكير، وتوجيه، وهمسة عتاب، بل هو عتاب صريح لكل من يشكو من أولاده، ويعاني من تربيتهم بعد إهمالهم، ويتجرع الغصص، والآلام من سوء أخلاقهم، حديثنا عن مسؤولية الآباء تجاه أولادهم، والرجال أمام شبابهم.

معاشر المسلمين والمسلمات، لقد أمر الله الإنسان بحفظ الأمانة، وحرّم عليه الخيانة، والأمانة هي كل ما أمر الله به، ونهى عنه، وفي طليعة هذه الأوامر، بل من أهمها؛ الأمانة بحفظ الأولاد، وتربية فلذات الأكباد، ووقايتهم من سخط

الله وعذابه في يوم المعاد، يقول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْمًا أَنفُسُهُمْ**

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ

وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [سورة التحريم: ٦]،



وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [سورة طه: ١٣٢] وقال:

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [سورة النساء: ١١] وقال - مادحاً نبيه إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [سورة مريم: ٥٥] وقال عن عباد

الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فَرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا

لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [سورة الفرقان: ٧٤]

ويقول المعلم الأول، والمربي الأعظم، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كلكم راع وكلكم

مستول عن رعيته»^(١) وقال: «علموا أولادكم الصلاة وهم أبناء سبع»^(٢)، وقال

لابن عباس: «يا غلام، احفظ الله يحفظك»^(٣).

وأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أن الإنسان إذا مات انقطع عمله، إلا من

ثلاث... وذكر منهن: أو ولد صالح يدعو له»^(٤).

وأخبر أن الولد: إذا حفظ القرآن يلبس والداه تاج الوقار، الياقوتة فيه خير من

الدنيا وما فيها، وأخبر أن درجة الوالد سوف ترفع له بعد موته؛ فيقول: يا رب، من

أين جاءت هذه؟! فيقول هذه باستغفار ولدك لك.

(١) رواه البخاري (٥١٨٨)، ومسلم (١٨٢٩).

(٢) رواه أبو داود (٤٩٥).

(٣) رواه الترمذي (٢٥١٦).

(٤) رواه مسلم (١٦٣١).

أيها المسلمون عباد الله، إن اليأس قد يدب أحيانا في هذا الزمان، ويعتصر القلب بالآلام والأحزان، يوم يرى شباب هذه الأيام، بل حتى الأولاد الصغار للأسف، يوم يرى أخلاقهم، وتربيتهم، وتعاليم الإسلام فيهم، وأين تُقضى أوقاتهم؟ من قدواتهم؟ كيف هي أشكالهم؟ ملابسهم، قصات شعورهم، الكلمات، والألفاظ التي تخرج من أفواههم، ما الذي يشاهدونه، ويحملونه في جوارحهم.....إلى غير ذلك من أحوالهم.

ولا يخفى أن الآباء لهم نصيب، ودور كبير فيما عرضناه من أحوالهم، نسأل الله أن يعين الآباء على تربية أولادهم، وقبل التوجيه والإرشاد، وعرض الحقوق التي تجب على الآباء تجاه الأولاد، تعالوا بنا - أولاً - لنقلب صفحات من تأريخ ماضينا المجيد، لننظر، ولنتأمل في حال أولئك الآباء، وإلى تلك الأمهات اللاتي عرفن حق هذه المسؤولية، وأخرجن لنا أجيالا، وشبابا ترتفع الرؤوس بذكرهم، وتدمع العين بمواقفهم إذا ما قارناها بشباب هذا الزمان، وهذه الأيام، لتعلموا، ولنعلم جميعا أن الآباء، والأمهات لهم دور في فساد البنين، أو البنات.

تعالوا بنا لنبدأ بالمدرسة، - التي هي الأم -

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

تعالوا بنا لتتعرف على المدرسة المربية، ولنبدأ بصفية وما أدراك ما صفية

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها-، تلك المرأة التي ربت وليدها فأحسنت تربيته،



تلك المرأة التي ربت لنا أول فارس سل سيفاً في سبيل الله، إنه الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه - كانت تربيته على الجلد والخشونة، لا على الترف والميوعة، حتى أصبح الشباب والرجال في هذا الزمان أشباه رجال لا رجالاً، كانت تربيته على المخاوف؛ فإذا أحجم ضربته، حتى قال لها بعض أعمامه: يا صفية، إنك تضربينه ضرب مبعوضة لا ضرب أم، فارتجزت قائلةً:

من قال قد أبغضته فقد كذب وإنما أضربه لكي يلب
ويهزم الجيش ويأتي بالسلب

رضي الله عن صفية، من الذي أخرج الزبير؟ إنها صفية، من الذي أخرج عبد الله بن الزبير؟ إنها أسماء بنت أبي بكر، فحين أن استشارها ولدها في قتال الحجاج قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «اذهب يا ولدي، والله لضربة بالسيف على عز أهون من ضربة بالسوط على ذل»، وعندما نعي إليها ولدها قالت: ما يمنعي أن أصبر وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل. أقسم بربي أن امرأة كهذه خير من الدنيا وما فيها من زخرف ومتاع.

انظر وتأمل في تراجم أعلام الإسلام، من الذي أخرجهم، من الذي أخرج الإمام أحمد بن حنبل؟ من؟! من يا رجال اليمن؟ لقد كانوا وكنا فلسنا مثلهم أبداً، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.

كانت أم سفیان الثوري تربي ولدها على الشرف، وعلى الملك الذي لا يعرفه إلا من تذوقه، وطعم حلاوته، كانت تربيته على العلم الشرعي، وتقول له: يا بني،

اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي، يا بني إذا كتبت عشرة أحرف ولم تشعر بزيادة
أدب، ولا خشية لله، فاعلم يا ولدي أنها تضرك لا تنفعك.

ولو كن النساء كمثل هذي لفضلت النساء على الرجال
من كان من وراء ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ** شيخ الإسلام الذي - ربما - لا تمر ساعة
من ساعات هذه الدنيا إلا ونحن نسمع عن شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ** قال شيخ
الإسلام، وذكر شيخ الإسلام.

ذُكر أنه لما أرسل **رَحْمَةُ اللَّهِ** إلى أمه رسالة يعتذر فيها عن بعده عنها، وإقامته في
مصر لبعض شئون الدين، والدعوة، وصلت الرسالة إلى أمه، ثم ردت عليه
وقالت: ولدي الحبيب، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ومغفرته، ورضوانه،
فإنه - والله - لمثل هذا ربيتك، ولخدمة الإسلام والمسلمين نذرتك، وعلى
شرائع الدين علمتك، ولا تظنن يا ولدي أن قربك مني أحب إلي من قربك من
دينك، وخدمتك الإسلام والمسلمين، بل يا ولدي إن غاية رضائي عليك لا يكون
إلا بقدر ما تقدمه لدينك، وللمسلمين، وإني يا ولدي لن أسالك غداً أمام الله عن
بعدك عني؛ لأني أعلم أين، وفيما أنت، لكن يا أحمد سأسلك غداً أمام الله،
وأحاسبك إن قصرت في خدمة دين الله، وخدمة أتباعه من إخوانك المسلمين.



رضي الله عنك، وأنار بالخير دربك وسدد خطاك، وجمعني الله وإياك تحت ظل

عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

ولو جاز حكمي في العالمين وقسمت أسماءها في الوري

لسميت بعض النساء الرجال وسميت بعض الرجال النساء

هؤلاء النساء والله إنهن يعدلن آلاف الرجال في هذه الأيام، الذين ما أخرجوا

لنا من بيوتهم إلا أولاداً، وشباباً قد مسخت عقولهم الأفلام والمسلسلات،

وأصبح الواحد منهم لا يعرف كيف يقرأ ولا يكتب، وشاربه قد ملأ وجهه

وعارضه، وظهرت الميوعة، والأنوثة، من شكله، ومن ملابسه. أسأل الله أن

يهدينا، وأن يصلح شبابنا، وشباب المسلمين أجمعين!

أيها الآباء، أيتها الأمهات والأولياء، إني مذكر نفسي وإياكم بحقوق أولادكم

عليكم، فأعيروني أسماعكم وأوسعوا الكلامي صدوركم؛ فإن الله سائلكم عنهم.

ولكن قبل عرض الحقوق التي تجب علينا تجاه أولادنا، نقول: إنه لا يوجد

في تربيتهم وسيلة ناتجة، ومؤثرة ومثمرة في تحقيق تربية أولادنا، مثل أن نجعل من

أنفسنا أنموذجاً حياً، وواقعا ملموساً أمامهم.

قال عتبة بن أبي سفيان رَحِمَهُ اللهُ لمؤدب ولده: «ليكن أول إصلاحك ولدي

إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودةٌ بك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبیح

عندهم ما تركت».

تعجب من بعض الآباء حين يريد من ولده أن يكون صادقاً في حديثه، وتعامله وغير ذلك، لكنه يتعامل أمامه بالكذب، والخداع وإخلاف الوعود، وما أشبه ذلك!

يأتيه أحد لبيحث عنه، ويطلب باب بيته، فيقول الأب لأولاده، أو لأحد أولاده: قل له: ليس بموجود! فيذهب الطفل ببراءة الطفولة، ويقول له: قال لك أبي: إنه ليس بموجود، والله المستعان، يعد الزوج زوجته، وأولاده أن يفعل لهم كذا وكذا، أو يشتري لهم شيئاً، ومع ذلك يكذب في كلامه، ويخلف في وعده.

يطلب الأب من ولده أن يكون محافظاً على صحته، وماله، ومع ذلك تراه يدخن، ويخزن بالآلاف - والعياذ بالله - بل لعله قد ملأ البيت بشم الدخان وربما قد تغير لون الجدران - نسأل الله العافية - يريد منه أن يصلي؛ وهو قاطع للصلاة، يريد منه أن يحفظ القرآن؛ ولا يُرى منه مس المصحف إلا في رمضان، **وصدق ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - حين قال في كلامه القيم: «إنك لو تأملت إلى عامة فساد الأولاد، لوجدته من قبل الآباء».**

من خالفت أقواله أفعاله تحولت أفعاله أفعى له
أسأل الله أن يصلح شبابنا وشباب المسلمين أجمعين، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه إنه هو الغفور!



(الخطبة الثانية)

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

أيها المسلمون عباد الله: إني مذكرٌ نفسي وإياكم بحقوق أولادكم عليكم،

فأعيروني أسماعكم، وافتحوا لكلامي صدوركم، فإن الله سائلكم عنهم!

وموضوعنا هذا لا يعد فتحة لباب جرأة الأولاد على الآباء، لا ولا؛ فحق الآباء

عظيم، ولو لم يكن إلا أن الله قرن طاعتهم بطاعته، فقال سبحانه -:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا

أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ [سورة الإسراء: ٢٣].

فأول حقوق ولدك عليك أيها الأب: - وفي المقام الأول - **الاهتمام بدينه،**

وصلاحه، فانظر أين هو من دين الله تعالى، وخذ مثلاً على ذلك الصلاة التي هي

عمود هذا الدين، هل تهتم به في صلاته؟ هل إذا دخلت المسجد جعلته بجوارك،

أو سألت عنه، أو سألته أين صلى؟ هل إذا صليت الفجر وقمت إلى المسجد

أخذته معك ليشهد هذه الصلاة التي لا يعرف قدرها إلا من تذوق حلاوتها،

وعرف بركتها، وللأسف القلة من الناس هم الذين يشهدونها، ويؤدونها في وقتها،

ومكانها. أين أنتم يا رجال الفجر؟ أين من يصلي الفجر منذ زمن وما رأيناه ولو

يوماً يأخذ معه حتى ولداً من أولاده؟ من تنتظر أن يدفعه لصلاة الفجر إذا كنت أنت معه في بيت واحد، وكل يوم تخرج ولا تأخذه معك، وأنت تعلم أنك مسئول عنه، وأنه سيكون - ربما - خصماً لك بين يدي الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**

كذلك من حق ولدك عليك: أن تنظر في أوقاته، أين يصرفها؟ وفيما يصرفها؟

نعم هذا من حقه عليك، أما أن تكون مثل بعض الناس يتعامل معهم، وكأنه غريب عنهم، من عمله إلى ماكله، إلى مقيله، فهذه - والله - حسرة عليك، ستتجرع غصصها في الدنيا قبل الآخرة، فلقد أصبحنا نرى محلات الإنترنت، والمقاييل مكتظة بالصغار قبل الكبار - للأسف الشديد - وأصبح ابن سن العاشرة، والثانية عشرة، يقضي الساعات في محلات الإنترنت، والضيق، وأصبح الواحد من هؤلاء، في هذا السن يعرف استخدام الإنترنت، ويفعل له صفحة وموقعا - كما يقال - ولكن الأب ليس أباً، لكنه في واد آخر، لا يدري عنهم شيئاً، ولا يعرف لهم خبراً، وأعظم، وأطم من قد عرف ذلك؛ لكنه ما حرك ساكناً، «ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته».

إن من حق ولدك عليك أن تنظر في جلسائه من؟ وأولاد من؟ ما دام ولدك في

يدك، وتحت قبضتك، فالصاحب صاحب، قبل الندم، قبل أن تمسح فطرته، وتتغير أخلاقه، قبل أن تفجع فيه، وتسمع الأخبار المزعجة، والمؤلمة عنه، سلّه



وأكثر عليه، - خاصة - إذا كنت في بيئة سيئة، وكان أمرد وخفت عليه، فانظر في جلسائه، وهل هم في سنه؟ فقضية المردان قد ابتلي بها كثير من السَّفلة، وأصبحوا يتبعونهم إلى كل مكان - عافانا الله وإياكم -.

إن من حق ولدك عليك أن تنظر إلى هدفه، وتوجهه في هذه الحياة، ما هي الأشياء التي يسعى إلى تحقيقها؟ وما هي الأهداف التي يريد أن يصل إليها، انظر في هدفه في هذه الحياة، وما الذي يريده فيها؛ لكي تعينه عليه، وترشده إليه.

ألسنا - بالله عليكم - نرى شبابًا في سن العشرين وأمنياتهم، وأهدافهم في أقدامهم، حديثهم، وأوقاتهم كلها، أو جُلها عن كرة القدم، وأخبار اللاعبين والمباريات، والأفلام والمسلسلات، ألسنا نرى شبابًا ما قد نبت شاربهم، ومع ذلك ينفخون وجوههم بالشجرة المخزية، - شجرة القات التي دمرت الأجساد، والأموال، والأوقات - وذلك على مرآء ومسمع من آبائهم وأقربائهم، والله المستعان.

من حقه عليك - أيضًا - أن تنظر في ملابسه، وشكله، ومظهره فقد ابتلي بهذه الظاهرة، وبهذا المرض كثير من الشباب، وأصبحت مظاهرهم محزنة، وأشكالهم، مقززة، وبهيئة غريبة لا إسلامية، إن جئت إلى شعره وجدته يقلد اللاعب اليهودي في قصته، وإلى بنطاله وجدته يقلد المغني النصراني في ملبسه، وربما في البيت الواحد عدة أولاد، وكل واحد قد تقمص له شخصية مزرية.

هذه مصيبة، وأي مصيبة، وتعظم هذه المصيبة يوم ترى آباء هؤلاء الشباب يسكتون عليهم وكأن الأمر لا يعينهم، وهم يرون أشكالهم ومظاهرهم بأم أعينهم، والله إن القلب ليحزن يوم نرى مثل هؤلاء الشباب، ويشتد الحزن يوم ترى الآباء الذين تربوا على الرجولة، وعلى الفطرة السليمة، والملابس الإسلامية وهم يرون فلذات أكبادهم بهذه الحالة المزرية، وما كأنهم يعلمون قول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: « ما من عبد استرعاه الله على رعية فأمسى غاشا لهم، إلا لم يرح رائحة الجنة».

وإذا أردنا أن نستشعر حقيقة هذه الظاهرة، وإلى انتشار قدر هذه المصيبة؛ فلننظر إلى رؤوس شبابنا في هذه الأيام، ولنتأمل إلى قصات شعور أولادنا وضيق ملابسهم في هذا الزمان! تأمل في نسبة الحلاقات الإسلامية، والحلاقات الغربية الغربية، فقد لا تكاد تجد في الحي الواحد من يحلق الحلاقة المستوية إلا القلة القليلة؛ نسأل الله أن يصلح شبابنا، وشباب المسلمين أجمعين!

من حق ولدك عليك - وهذا من أهمها، وأخطرها - وكان حقه أن تفرد له خطبه لوحدها لسمعها الآباء الذين لا تُرى وجوههم إلا في الجمععات، والاجتماعات، ألا وهي قضية الجوالات، التي دمرت الشباب والفتيات، وظهرت بسببها الفواحش، والمنكرات، فلقد - والله - توالى الأخبار المزعجات، كثرت جرائم



القتل، والفواحش، والموبقات بشكل لم يعهد، ولم يسبق، وكل ذلك بسبب مشاهد الدعارة التي تشاهد من قبل الشباب والشابات. بالله عليكم - أيها الناس - من كان من وراء جرائم الزنا والقتل التي انتشرت في السنوات، والأشهر الماضية، إلا مقاطع الجنس المتداولة؟! من كان من وراء الاختطافات، والاعتصابات التي تدمي القلب، وتحرق الدم، إلا المراسلات بين الشباب، والشابات؟!!

فقل لي بربك: هل نظرت يوماً إلى جوال ولدك، وفلذة كبذك، وفتحت ملفاته، ومقاطعته؟ هل فكرت يوماً حين يظل ولدك الساعات أمام جواله؟ ما الذي يشاهده؟ ولماذا يخرج من البيت يظل واقفا ومرجوما بالشوارع أمام تلك الشبكات - لا بارك الله فيها - ولا أظن أن أصحابها سيسلمون من الآثام، والأوزار التي تحصل من ورائها، أسألکم بالله أيها الآباء ما هو الداعي لولدك، أو ابنتك عندما تمتلك جوالاً خاصاً بها، باستطاعتها، وبلمسة يدها أن ترى الفواحش بأقبح، وأقدر صورها؟ من الذي سيتصل بها، وأي مصلحة، أو أي فائدة تستفيدها أمام تلك المفاسد، التي تلاحقها، وتحرق أخلاقها؟ فكم هن الفتيات اللاتي بدأنا يسبحن في مستنقع العشق، والمغازلات - وللأسف - قد نبه بعض أولياء هؤلاء الشباب؛ بأن ابنتك تفعل كذا، ورئيت مع فلان، وفلان في وقت كذا، ويقول الناصح في نفسه قبل أن يُخبر بعض أشباه الرجال على ابنته أنه سيفعل بابنته كذا،

وكذا، لعله سيقتلها، سيشبعها ضربا وسيهينها، وأقل أحواله معها أنه سيمنعها من خروجها من بيتها، أو يأخذ جوالها من يدها الذي كان سببا في ربط العلاقات، وتحديد اللقاءات مع غيرها، هكذا يحدث الناصح نفسه بناءً على ما تعودنا، وتربينا من الغيرة التي قد كانت تدب في آبائنا، وأجدادنا، حتى كانوا يقولون: القبر ولا العار.

وهكذا يقدم الواحد رجلا، ويؤخر أخرى هل يكلم أباه، أو يسكت على هذا المنكر الذي يلحق عاره على الأسرة، والقبيلة بأجمعها، وربما على المنطقة كلها، لكن الغيرة في بعض أهل النخوة، والرجولة قد تدفعه إلى أن يخبر بعض أشباه الرجال بأخبار ابنته، وما الذي يحصل لعرضه، وأهل بيته فيا ترى ماذا سيفعل بعض السفلة من هؤلاء، وأمثاله من أصحاب الغيرة الباردة الميته؟ بعضهم يهز رأسه معبرا عن استنكاره، وعدم رضائه، والبعض قد يكذب من جاء ينصحه، ويتهمه بالطعن في عرضه، وشرفه، وأعظم، وأحقر من هذا وذاك من يتكلم، أو ينهر من كلمه بذلك باعتباره تدخُّلٌ بخصوصيات أهله، وهكذا.. وبعد كل هذا كأن أمرا لم يكن، تخرج البنت من بيتها ومازالت بلباسها، وجوالها مازالت تحمله في حقيبتها، وعشاقها، وأصحابها مازالوا يصحبونها، ويلاحقونها، ولعلمهم يزيدون على ذلك فيجعلون أصحابهم يتعرفون عليها وغير ذلك، وما هو فوق ذلك.



وإذا الأخلاق قد ولى ذوها فقل يا موت مربنا سريعا
 فالى كل من قد مات ضميره، وتبلد إحساسه، فلم يعد معه نخوه
 الرجولة، ولا إباء ذوي المروءة، اسمع إلى جائزتك، وإلى جزائك يقول
**عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ثلاثة حرم الله عليهم الجنة....، وذكر منهم الديوث الذي يقر
 الخبث في أهله».**

ختاما أيها المسلمون، لا ننسى ونحن في صدد عرض حقوق أولادنا علينا، أن
 نلفت النظر إلى أن اختيار الزوج، أو الزوجة؛ سبب عظيم في صلاح الأولاد أو
 فسادهم، وأن أخلاق وطبائع الوالدين تنعكس على الأولاد، شعر الإنسان أم لم
 يشعر:

بابه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم
 ثم لنعلم - في ختم الختام- أن لكل مجتهد نصيباً، ومن جد وجد، ومن زرع
 حصد، وأن الآباء الذين يجتهدون في تربية أولادهم، ويضحون بأموالهم
 وأوقاتهم؛ لن يعدموا خيراً، ولن يذهب تعبهم هدراً، بل سيجنون الثمار الطيبة،
 ويدوقون حلاوتها، ويسعدون بها، وسيطعمون من كسب أولادهم وهم في بيوتهم
 وعلى فرشهم، وأعظم من ذلك كله أن يرفع الله درجاتهم بعد موتهم؛ بسبب
 استغفار أولادهم لهم، وبالمقابل من فرط في تربية أولاده بإهمالهم، وإهمال

الرقابة عليهم، وسلمهم للذئاب البشرية ومحلات الإنترنت لتحتضنهم، ولتربيهم؛ فهذا الذي على نفسه جنى، ولحياته هدم وما بنى، هذا الذي سيأتي عليه يوم يتجرع فيه الغصص والآلام، واللوم والوبال؛ جزاء التغافل، والتقصير، والإهمال، الذي كان منه تجاه أولاده.

هذا الذي سيُطأ رأسه، ويندى جبينه، بتصرفات، وأفعالٍ ولده، هذا الذي سيأتي عليه يوم لا يهنأ فيه بطعام، ولا يغمض فيه بمنام، يوم يُقال له: ولدك فعل كذا، وارتكب كذا، وأخذ كذا، يمر عليه يوم يود لو يخرج من هذا المكان، بل ومن هذا البلد الذي يسكن فيه، يود أنه ما عرف ذلك اليوم الذي بشر في هذا الولد، هذا الذي سيأتي عليه يوم يتمنى فيه لقمة من تسد من جوعته، ويكفيه مؤنة بيته وعائلته، بعدما كبر سنه، وانحنى ظهره، ورق عظمه، هذا إن سلم من الشتم و النهر، والسب، والقهر، بل ربما الضرب - والعياذ بالله - فكم نسمع من كثير من الآباء - هداانا الله وإياهم - يتنون من أولادهم، من عقوقهم، من سوء أخلاقهم، من بخلهم، من قسوتهم، بل حتى من سطوتهم، ومد أيديهم عليهم، كم نسمع - كثيراً - ونحن نمشي في طريقنا، أو نسمع من أقاربنا، وجيراننا أن فلانا شتم أباه، وسبه، وسب شكله وأصله، وربما يقال: كان يريد ضربه لولا لطف الله بخروج الجيران.



فإلى كل من يشكو من أولاده، ويذوق الويل والمُر من سوء تربيته، وإهماله؛
 ألم تسأل نفسك يوماً ما وولدك يسبك، ويشتمك، ويهددك؟ كيف كانت تربيته
 لولدي؟! وأين كانت أوقاتي أثناء عمر وشباب ولدي؟ هل علمته؟! هل أدبته؟!
 هل ربيته، واجتهدت في تربيته؟!

نعم، سل نفسك أيها الأب: هل عرفته بحق الله ليعرف حقك؟! فحقك من
 حق الله، وإذا عرف حق الله فسيعرف حقك، وأقسم بالله إن كثيراً من هؤلاء الآباء
 الذين يعانون، ويشكون من أولادهم، ومن سوء أخلاقهم، وانحرافهم، وبخلهم،
 أن لهم دوراً كبيراً في فساد أولادهم، فقد جاء رجل إلى أحد العلماء يشكو أن ولده
 ضربه في وجهه، - والعياذ بالله - فقال له العالم: هل علمته، وأدبته؟! قال: لا. قال
 العالم: أنت السبب، وأنت الذي جنيت على نفسك، فألقِ باللوم على نفسك لا
 على ولدك!

ولا نريد، ونقصد من هذا الموضوع أن نُحزن به كثيراً من الآباء، من الذين قد
 عرفوا بين الناس بتربية أولادهم، وبذل اجتهادهم، ولكن أخلاق أولادهم جاءت
 منعكسةً، ومخالفة لتربية آبائهم، معاذ الله أن نقصد هذا، ونريد هذا لكن كلامنا هو
 عن التربية، وعن الاجتهاد في التربية؛ ليعذر الأب بولده عند رب البرية، وإلا فله
 الأمر من قبل، ومن بعد، فالهداية - أيها الآباء - لا تنال بالوراثة، ولا بالحسب

ولا بالذكاء، وإنما هي اصطفاء، يصطفي الله بها من يشاء، فقد يخرج الله المسلم من الكافر، والصالح من الفاجر، يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، ولا يسأله سائل عن فعله ولنا في الصالحين، والأنبياء، والمرسلين في هداية أولادهم، عظة، وعبرة.

أسأل الله بمنه وكرمه أن يصلح شبابنا، وشباب المسلمين أجمعين!





(بعض علامات الساعة التي نعيشها في هذا الزمان)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر

الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون عباد الله: اتقوا الله واستعدوا لليوم الآخر فقد أنذرتموه،

واستقبلوه بالأعمال الصالحة، واخشوا من عقابه واحذروه!

معاشر المسلمين والمسلمات لمثل هذا اليوم وشدته؛ قدم الله له أشرافاً وعلاماتٍ تدل عليه وتذكر به، فهو اليوم الذي يجازي الله به الخلائق، فيجزى المؤمن بحسناته، والمسيء بسيئاته.

وستتكلم في هذه الجمعة المباركة عن بعض هذه العلامات التي تدل على زوال هذه الدنيا، واقتراب خرابها وهلاكها.

وهذه العلامات تتعلق بأحوال أمة محمد **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وما الذي سيكون ويحصل لهم في آخر الزمان، وما الذي سيكون عليهم من أعداء الإسلام، ونبداً هذه العلامات بعلامة عظيمة، وخطيرة انتشرت انتشاراً باهراً، ألا وهي تداعي أعداء الإسلام على أمة الإسلام، فلنسمع ماذا قال رسولنا - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - فيما رواه الإمام أحمد، وأبو داود، عن ثوبان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة على قصعتها، فقال قائل: من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟! قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من قلوب عدوكم المهابة منكم، وليقذفن



في قلوبكم الوهن! قيل: وما الوهن يا رسول الله؟! قال: حب الدنيا وكراهية الموت»(١).

اللهم ارحم أمة الإسلام، يا رحيم يا رحمان.

هل سمعتم ما قاله رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ألم تروا كيف يُحارب الإسلام؟ ألم تروا كيف سيطرت دول الغرب - على رأسها أمريكا دمرها الله-، كيف سيطرت على أمة الإسلام، وصارت تلعب بها، وتسيرها كيفما تريد، وتفرض لها ما تشاء، وتحرم عليها ما تشاء؟!!

ألم تروا إلى أعداء الإسلام كيف يجعلون المسلمين يتناحرون فيما بينهم، ويدخلون الفرقة، والاختلاف والعداوة، في قلوبهم؟! ألم تروا ما حصل في هذه السنوات المتأخرة في كثير من بلدان العالم الإسلامي، حين خرجت الشعوب تحاكم حكامها، والحكومة تقتل شعوبها، كل ذلك وأعداء الإسلام يستلذون ويتفرجون إلى هذه الأفلام التي صنعوها، وطبخوها، وبلداتهم بأمن واستقرار؟! جعلها الله في خراب وبوار ودمار، كل ذلك بسبب الداء الذي أصابنا، ألا وهو

حب الدنيا، وكراهية الموت كما أخبر المصطفى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**

فيا شديد الطول والإنعام إليك نشكو محنة الإسلام

العلامة الثانية: التي أخبر بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يأكل قوئنا ضعيفنا، فلقد روى الإمام أحمد في مسنده، وحسنه الألباني رَحْمَةُ اللهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت دخل عليّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقول: «يا عائشة قومك أسرع أمتي بي لحاقًا»، قالت فلما جلس قلت: يا رسول الله، جعلني الله فداك، لقد دخلت وأنت تقول كلاما ذعرتني قال: «وما هو؟» قالت: تزعم أن قومي أسرع أمتك بك لحاقًا؟ قال: «نعم» قالت: وكيف ذلك؟ قال: «تستحلهم المنايا» - أي: أن الموت يراهم صيداً حلواً؛ فيهجم عليهم، قالت: فقلت يا رسول الله: وكيف الناس بعد ذلك؟ قال: «الناس بعد ذلك دباً - وهو الجراد قبل أن يطير- يأكل شداده ضعافه حتى تقوم عليهم الساعة»^(١).

صلى الله على من لا ينطق عن الهوى، بأبي هو وأمي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ!

فهيا بالله عليكم تأملوا في حديث رسول الله، وقفوا مع حال كثير من الناس في جميع شؤون حياتهم، وانظروا، وتأملوا كيف أصبح قوئهم يأكل ضعيفهم، وكبيرهم يستضعف صغيرهم، وغنيهم يحتقر فقيرهم، كم من رجل والله مات قهراً لأنه ذهب يطالب بحقه، وما وجد أحداً ينصفه، أو وينصره، بل ربما انقلب الذي له عليه.

(١) رواه أحمد (٢٤٥١٩).



تأملوا وتأملوا في الدوائر الحكومية، تأملوا في المحاكم والسجون الإجرامية في البلدان الإسلامية، ستجدون أن السجون مليئة بالضعفاء والمستضعفين، والفقراء والمساكين، وأما الغرماء المعتدون الظالمون فهم يلهون ويلعبون، ولكن الموعد الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [سورة إبراهيم: ٤٢].

العلامة الثالثة: هي عدم المبالاة بمصدر المال، هل هو من حرام أم من حلال، فقد روى البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن حلال أم حرام»^(١)، صلى الله على من لا ينطق عن الهوى!

فهذا -والله- أمر مشاهد في كثير من البلدان، خاصة في هذا البلد، وفي كثير من المجمع، والدوائر الحكومية، فلقد أصبح كثير من الموظفين -إلا من رحم الله - قد غدى جسمه بالحرام، يشتري السيارة بالحرام، ويبني العمارة بالحرام، تستغرب يوم تراه يشتري بالآلاف الحوائج لبيته، ويأكل ما لذ وطاب مع أولاده وزوجته، وربما يبني، ويشتري، ويفعل ما يفعل مما لا يتناسب مع دخله الشهري، نعم تستغرب، وتتعجب، لكن يزول عجبك واستغرابك يوم تدخل بعض الدوائر

(١) رواه البخاري (٢٠٨٣).

الحكومية - مثلاً - لمعاملة، أو لأي غرض ما، تراهم يستقبلونك وكأنك فريسة وصلت إليهم، وكأنك غنيمة جُعلت بين أيديهم، كل واحد يريد أن يأكل منك، ويأخذ نصيبه منك، ترى القتره في وجوههم، - والعياذ بالله - تأتلك الوحشة، والقلق، والخوف عند رؤيتهم، فالواحد منهم - وهو في عمله - لا يتحرك حركة، ولا يتكلم بكلمة، أو يأخذ القلم والورقة، إلا بمقابل، ما يفعل لك شيئاً بينانه إلا وكلمة القات على لسانه، حق القات، حق القات، والثاني يدلك على الثالث، وهكذا ولا تخرج إلا وقد أكلوك، ما تخرج إلا وكل واحد قد أكل منك جزءاً، وجعل له منك نصيباً، وربما عملك لا يأخذ إلا دقائق معدودة، لكنهم يجعلونها معاملة صعبة ممدودة، ولا تخرج إلا وقد ضاق صدرك، وتحجر قلبك، وأصبحنا - للأسف الشديد - نعيش في حالة مزرية، وفي قمة السقوط؛ ونسأل الله السلامة والعافية.

العلامة الرابعة: ترك الحكم بما أنزل الله، فقد روى الإمام أحمد، والطبراني،

عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لتنقضن



عري الإسلام عروة عروة، فكلمنا انتقضت عروة تبعها أختها، وأولهن نقضا هو الحكم وآخرهن الصلاة»^(١).

لا إله إلا الله! بالله عليكم أيها الناس أين الحكم بما أنزل الله؟ وأين هو تطبيق حدود الله على أصحابها؟ هل رأينا سارقا قطعت يده؟ هل رأينا زانيا رجم، أو جلد جسده؟ هل رأينا سارقا، أو معتديا أُقيم عليه الحد الذي يستحقه؟ هل رأينا قطاع الطرق قتلوا، أو صلبوا، أو قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف؟ هل حكم بما أنزل الله، لا وكلا وألف كلا، بل قد استبدل حكم الله بالقوانين الوضعية، وأصبح المسلمون يُحكمون من الدول الشرقية أو الغربية، ونقض حكم الله كما أخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نسأل الله أن يجعل ولايتنا فيمن خافه واتقاه واتبع رضاه. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم!



(الخطبة الثانية)

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليته، صلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

العلامة الخامسة من علامات زوال هذه الدنيا: ذهاب الأخيار والصالحين، وكثرة

الأشرار المفسدين، فقد روى الإمام أحمد **رَحِمَهُ اللهُ** عن عبد الله بن عمرو **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريطته من الأرض - أي: أهل الخير، والصلاح - فيبقى فيها عُجاجة لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا»^(١)

وروى الإمام أحمد في مسنده، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده، عن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قال: «يأتي على الناس زمان يغربلون فيه غربلة، ويبقى منهم حثالة، - والحثالة هو الرديء من كل شيء - يبقى منهم حثالة قد مرجت عهودهم، وأماناتهم - أي: قد اختلطت عهودهم وأماناتهم - واختلفوا فكانوا هكذا، وشبك بين أصابعه»^(٢).

(١) رواه أحمد في مسنده (٦٩٦٤).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٧٠٤٩).



صلى الله على الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

ذهب الصالحون، نعم ذهبوا، ذهب الأخيار، ذهب الصالحون الأبرار على دين الله، ذهب العلماء الذين لا تأخذهم لومة لائم في الله.

كم نسمع من آبائنا من يقول: رعى الله فلانا، فقد كان وكان! كم نسمع من يقولون: كان الأولون يفعلون ويفعلون! كم نسمع تلك الكلمة التي تردد على كثير من الألسنة "ذهب من كل شيء أحسنه"! وصدق الحبيب المصطفى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: « لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريطته من الأرض »^(١).

العلامة السادسة: كثرة موت الفجأة.

فقد روى الطبراني وصححه الألباني رَجَمَهُمَا اللَّهُ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن من أمارات الساعة: أن يظهر موت الفجأة»^(٢)

وهذا أمر مشاهد في هذا الزمان، فترى الرجل في غاية صحته، ثم إذا به يموت

فجأة على فراشه، أو وهو يمشي في طريقه، أو وهو راكب على سيارته!

كم من رجل خرج من بيته وما رجع إلا ميتا، كم من إنسان ركب سيارته وما رجع

إلا وقد اختلط لحمه وعظمه بحديدتها!

(١) رواه أحمد في مسنده (٦٩٦٤).

(٢) رواه الطبراني.

كم من رجل نام وما قام! وذهب وما رجع! كم هم أولئك الشباب الذين يموتون بعز شبابهم، وفي كامل صحتهم وقوتهم!

قف وتأمل في أكثر من يموت في هذه الأيام، هل رأيتم رجلا مات وقد جاوز السبعين، والثمانين من عمره؟ هذا قليل في هذا الزمان، وإلا فأكثر من يموت بموت الفجأة، تصلي مع أحدهم صلاة، وإذا بك تصلي عليه الصلاة الأخرى، تراه قبل ساعات وبعدها تتفاجأ بأن يقال لك: فلان مات، كيف مات؟! قالوا ذبحة صدرية، وآخر سكتة قلبية، أو جلطة أو رصاصة طائشة، وغير ذلك من الأعراض التي نسمع بها في هذا الزمان؛ ونسأل الله حسن الختام.

العلامة السابعة: كثرة شهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، فقد روى الإمام

أحمد، وصححه الألباني رَحِمَهُمَا اللهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ شَهَادَةُ الزُّورِ، وَكُتْمَانُ شَهَادَةِ الْحَقِّ» (١). إي - والله - لقد ظهرت شهادة الزور، وأصبح كثير من الناس يستطيع أن يبيع دينه، ويشهد زورًا بلقمة عيشه، أو بتخزينة يومه - كما يقال - فإذا أراد أحد الظلمة أن يبرئ نفسه، ويجعل الحق الذي عليه له: أخذ له واحدا

(١) رواه أحمد (٣٨٧٠).



ممن لا خلاق لهم من جوار المحكمة، ووعده أن يملأ كرشه، أو ينفخ وجهه بتخزينه يومه، فيدخله إلى الحاكم، ليشهد له بما أراد، وإذا به يشهد، ويتكلم، ويرعد، ويزبد بالأخبار الكاذبة، ويحلف الأيمان الفاجرة، وهكذا يصبح المظلوم ظالماً، والبريء متهماً، بشهادة الزور ظلماً وبهتاناً!

كم - والله- في السجون من الأبرياء والمظلومين الضعفاء؛ بسبب شهداء الزور، بل كم قد حُكم بالإعدام على أناس برآء، ولكن الموعد الله، وعند الله تجتمع الخصوم.

يقول أحد العلماء: قلت لأحد القضاة ما هي أغرب، وأعجب قضية عُرضت

عليك؟ قال: قضية رجل سجن بتهمة القتل بشهادة زور، وسجن وهو متهم بالقتل ظلماً وعدواناً، حتى حكم عليه بالإعدام، وبالفعل وُقِّعت أوراقه وانتهى من قضيته، قال: فلما قرأت البيان، وكان المجلس ممتلئاً، والمشهد رهيباً، وفي نهاية القراءة قلت: وقد حكمت المحكمة بناء على ما سبق، قال: وبدل أن أقول بإعدام المتهم، قلت - وبدون شعور-: ببراءة المتهم، - لا إله الا الله! قال: والناس منهم من يصرخ، ومنهم من يبكي، وأنا لم أتمالك أعصابي، فتركت منصة القضاء وعدت إلى مكتبي، ووضعت رأسي بين يدي، وظللت أبكي، قال: وأقسم بالله لقد عرفنا القاتل الحقيقي، فقد جاء واعترف تفصيلي بجريمة قتله،

وبرأ الله المتهم من فوق سماواته قبل أن تبرئه المحكمة، ولكن شاهد الزور له يوم لن يفلت منه، فسيجمعه الله بمن ظلمه، وشهد عليه زورًا وبهتانًا: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [٤٢]

[سورة إبراهيم: ٤٢]

فشهادة الزور من أعظم الكبائر، كما قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟... ثم قال وشهادة الزور!»^(١).

أسأل الله العظيم أن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعل لنا وللمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجًا...



(١) رواه البخاري (٥٩٧٦)، ومسلم (٨٧)، وهذا لفظ مسلم.



(أربع إذا كانت معك ، فقد ملكت الدنيا بحذاقها)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر

الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون عباد الله، لقد خلق الله عباده فأحسن خلقهم، وصورهم

فأحسن صورهم، ثم أخرجهم إلى هذه الدنيا؛ ليختبرهم، وليبلوهم أيهم أحسن

عملاً.

كما قَسَمَ الله رزقه في عباده، فأعطى من شاء بفضله، وحرَمَ من شاء بعدله. فنعم الله على عباده، لا تُعد ولا تحصى، ولكن أكثر الناس لا يشكرون، كما قال رب العالمين.

ولو تأمل الواحد منا في نعم الله عليه، وتفكر في خلق نفسه كيف جعله الله على هيئته، كيف رعاها، وحفظه في بطن أمه، ثم أخرجه إلى هذه الدنيا وتكفل برزقه، وحفظه من بين يديه، ومن خلفه، ثم حد له أجلاً ليعيش فيه حتى يلاقيه بعد ذلك؛ فيجازه بما عمل تجاه هذه النعم الوافرة، فنعم الله كثيرة، وغزيرة ولقد أصبح الناس يئنون من حال هذا الزمان، ومن تدهور أوضاع هذه الأيام وُسْمِعَ من بعضهم التأفف، والتضجر، والتسخط، مع أنهم لم يلاقوا عشر معشار ما لاقاه آباؤهم، وأسلافهم من قتر العيش، ومتاعب الحياة، - نسأل الله الستر والعافية. حريٌّ بنا في ظل هذه الغفلة التي يعيشها كثيرٌ من الناس، أمام نعم الله المنسية، أن نبرز أهمها، ونجعلها نُصب أعيننا،

فإن الذي يتأمل في نعم الله على عباده، ثم ينظر في تعاملهم معها؛ ليعجب عجباً مزوجاً بالحسرة، والندم، وما ذاك إلا لجهلهم بحقيقتها، وبقدرها.

فحيّ هلا بكم لنعيش في هذه اللحظات، مع هذه العبارات، وهذه الكلمات الجامعات، التي أخبرنا بها **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، والتي تبين لنا حقيقة الملك، وحقيقة



النعم التي نحن فيها، والتي غفل عنها كثيرٌ من الناس، والله المستعان.
يقول رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من أصبح منكم آمناً في سربة، معافى في جسده،
عنده قوتٌ يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقها»^(١)

نسأل الله أن يعيننا على ذكره، وشكره، وحسن عبادته، تعال معي يا عبد الله،
لنتأمل في هذه الكلمات، ولنقف وقفةً تذكيرية، مع هذه العبارات، ومع هذه
المفردات العظيمة، التي يقول فيه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «من أصبح منكم»^(٢) أي
من أمة محمد - **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - إذا أصبحت مؤمناً قائلاً: لا إله إلا الله، محمد
رسول الله، فاحمد الله، وقل بملء فيك: لك الحمد يا الله أن اخترتني، واصطفيتني
من بين مليارات الناس، ووفقتني، وجعلتني من أهلها.

وتأمل بالله عليك لو لم تكن من أهلها، أين سيكون مصيرك؟ تأمل لو ولدت في
بلاد الكفر، والإلحاد، وأخرجت من صلب رجلٍ لا يعرف الإسلام، كيف يكون
حالك؟ إلى أين سيكون مالك؟ سيكون حالك معيشةً ضنكا، وجحيماً يتوقد في
صدرك في كل وقتٍ وحين، تتمنى الموت في كل صباح، ومساءً، وإن ملكت
العقارات، والسيارات، والمليارات، وإن ملكت الدنيا بحذاقها، وما أهل

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٦).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٤٦).

الانتحارات إلا أهل الأموال، والثروات، لماذا؟ لأنهم ما وُفقوا لهذه الكلمة؛ لأنهم لم يكونوا من أهل لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وأنت وفقت لها، وتموت عليها بإذن الله عزَّوجلَّ.

هذه الكلمة التي حرمها مليارات الناس، هذه الكلمة التي حرمها أقرب الناس إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنه عمه أبو طالب، الذي كان يبذل ماله، وجاهه للدفاع عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع هذا؛ حرم هذه الكلمة العظيمة، فدخل عليه - رسول الله في مرض موته، وقال له: يا عم، قل: لا إله إلا الله! كلمة أشفع لك بها عند الله، وكان عنده وزراء السوء، يقولون: له أترغب عن ملة عبد المطلب يا أبا طالب؟ ستعيرك قريش، ورسول الله يقول: يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله، ومع ذلك كله، ومع هذا الحرص من رسول الله على عمه، مات ولم يقلها!

فدخل العباس على رسول الله، فقال يا رسول الله: هذا عمك قد مات، فماذا أغنيت عن عمك يا رسول الله؟! قال: يا عباس، إنه الآن في ضحضاحٍ من نار! ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار!

إذن احمد الله يا عبد الله، أن جعلك الله من أهل لا إله إلا الله، وإلا - والله - لكان مصيرك النار، وبئس القرار، ونعوذ بالله من النار، ولو أدخلت النار كم



ستعيش فيها؟ آلاف السنين؟ ملايين؟ بلايين؟ أبدا، خالدین فيها أبدا، يكاد - والله - يطيش العقل، يوم يتفكر الإنسان بهذه الكلمة، وكم سيكون هذا الأبد؟! ملايين، بلايين، أكثر، وأكثر، خالدین فيها أبدا!

إذن احمد الله يا عبد الله على نعمة هذه الكلمة العظيمة، ووالله لو لم يكن من شؤم وحرمان هذه الكلمة إلا الضنك، والشقاوة، وتمني الموت في كل وقتٍ لكفى، فكيف بالمصير الأبدي، والحياة النارية، الأبدية؟! - عافانا الله منها -

فيا عبد الله، إذا نزل بك ما تكره، وحلَّ بك ما لا تطيقه، فتذكر نعمة الإسلام، إذا ارتفعت الأسعار، أو ضاقت معيشتك، وسكنت بالإيجار، فتذكر نعمة الإسلام، واعرف حقارة هذه الدنيا الدنيئة: ﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ

﴿١٦٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٦٧﴾ [سورة آل عمران: ١٩٦-١٩٧].

فاللهم لك الحمد ملء السموات والأرض؛ أن وفقتنا لهذه الكلمة، لا إله إلا

الله، محمد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ!

من أصبح منكم آمناً في سربه، وقفه أخرى مع الكلمة، والعبارة الثانية، «آمناً

في سربه»^(١) الأمان أمان أيها الناس، إن الأمان نعمة لا يعرفها إلا من فقدوها، لا يعرف الأمان إلا من أصبح، وأمسى على أزيز الدبابات، وأصوات الطائرات،

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٦).

فمن أعظم النعم يا عبد الله أن جعلك الله آمناً مطمئناً، تخرج من بيتك في وقت ليلٍ، أو نهار بأمان، زوجتك، وأولادك، يخرجون، ويرجعون بأمان، تضع سيارتك في باب بيتك بأمان، تسافر لوحدك بأمان، تنام في غير مدينتك وقريتك بأمان، تترك زوجتك مدةً طويلةً وأنت في غربتك بأمان، أليس الأمان نعمةً من نعم الله؟! ولا يعرف قدرها إلا من فقدوها،

بعض إخواننا في بعض المدن، والدول، يصبحون، ولا يظنون أنهم سيمسون، يخرج أولادهم إلى مدارسهم يرجعون، وقد لا يرجعون، ولا تذهب بعيداً، ربما جارك بينه وبين خصومه وأعدائه دماء، أو عِداء، ولهم في ذلك شهور، ودهور، ولعلمهم قد عرفوا جميع المحاكم، والسجون، وانتقلوا من قضيةٍ إلى قضيةٍ، لا يهتئون في طعام، ولا يغمضون في منام، وأنت ما عرفت شيئاً من ذلك؛ فاللهم لك الحمد على نعمة الأمن والإيمان!

من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، العافية لا يعرفها إلا من فقدوها، ونودُّ، ونتمنى لو أذن لنا، أن ننطق، ونتكلم، ونعبر عن هذه النعمة، بجميع حواسنا، يوم نرى الأمراض على أسرة المستشفيات، يوم نرى أولئك الذين يتنقلون بين العيادات، والسفرات؛ بحثاً عن العافية التي أنت تتقلب فيها، يوم نرى بعض الناس قد امتلأت بيوتهم بكراتين العلاجات، بل ربما يمشون وفي جيوبهم أوراق



الفحوصات، وكثيرٌ منا لا يعرف شيئاً من ذلك، لا يهنتون في طعام، ولا يغمضون في منام، بل ربما يعدون ساعات الليل لانتظار الصباح، يتمنى الواحد منهم نومةً ينعم بها، ويرتاح. فلا تعرف - أيها الصحيح - قدر العافية إلا إذا رأيت المريض! ادخل، وتأمل، وانظر، وتفكر، في المستشفيات، والعيادات، كم هم أولئك الذين يعيشون بين أنواع الأمراض، وأصنافها؟!!

كم هم أولئك الذين قد سجنوا في بيوتهم سنوات، من أصحاب الشركات، والأموال، والثروات، ممن أصيبوا بالأمراض المزمنة، والأسقام المقعدة، يتمنون، ويقولون بلسان حالهم، بل وبمقالهم: لو خيرنا الله بين أن يرد علينا صحتنا، وعافيتنا، وبين أن يأخذ منا جميع ممتلكاتنا لقلبنا، ورضينا. فاللهم لك الحمد على الصحة والعافية!

هكذا ليعلم كل من متعه الله بالصحة، والعافية، أنه بصحته وعافيته، قد أُعطي ما لم يعطه أصحاب الأموال، والثروات، وصدق من قال: إذا عافاك، أغناك. فاحمدوا الله أيها الأصحاء على صحتكم التي تدب في أجسادكم، احمد الله أيها الصحيح على نعمة العافية، التي من خلالها تستعين بها على أمر دينك ودينك!

بالعافية تستطيع أن تدخل وتخرج، وتأكل، وتشرب، وبدونها قد لا تفعل شيئاً
من ذلك، بل حتى الابتسامة، ستصعب عليك ابتسامتك، ويتعكر عليك مزاجك،
بسبب مرضك، فاحمد الله على العافية!

واحمد الله إذا أصبحت وأنت تأكل بدون مشهيات، وإذا أمسيت وأنت تنام
بدون منومات؛ فاحمد الله على العافية! ولنحمد الله جميعاً على الصحة والعافية.
ونسأل الله أن يديمها علينا، ويجعلها عوناً لنا على طاعته، وعبادته، أقول قولي
هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه إنه هو
الغفور الرحيم!



(الخطبة الثانية)

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلاماً على نبيه المصطفى، ورسوله المجتبي،
صلى الله عليه وعلى آله ومن اقتفى، وسلم تسليمًا مادامت الأرض، والسما.
عباد الله، مازلنا معكم مع هذا الحديث العظيم الذي يبين لنا قدر نعم الله علينا،
وقد تكلمنا على قدر نعمة الإسلام، ونعمة الأمان، ثم نعمة الصحة والعافية،
وما زال للحديث بقية، ثم نتقل إلى قوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «عنده قوت يومه»،
واسمحو لي أن أطيل النفس فيها، لحاجتنا إليها خاصة في هذا الزمان، وفي هذه
الأيام، لا سيما ونحن نعيش جنونًا في الأسعار، وطمعًا وجشعًا لدى التجار، من
خلال الغلاء والاحتكار.

فنقول: أيها الناس، إننا نأكل في هذه الحياة لنعيش، لا نعيش لنأكل، وإن
تحصيلنا للقيمة عيشنا، وقوت يومنا، هو من أسباب مواصلة السير إلى ربنا، فهذه
الدار ليست دارنا.

فما بالنار نرى كثيرا من الناس في هذا الزمان، لا تطمئن قلوبهم، ولا يقر قرارهم،
إلا إذا كان عنده قوت عامه، وأعوامه، وأعوام أولاده، إلى غير ذلك من حب
الدنيا، وطول الأمل الذي يعيشه كثير من الناس في هذا الزمان؛ والله المستعان.

ما بالنّا نرى أناساً حب الدنيا قد غُرس في قلوبهم، فأصبحت لا تراهم في كل وقتٍ إلا وهم يتحدثون عن الدنيا، حتى في مساجدهم التي يصلون فيها، نسأل الله السلامة والعافية. وترى بعض الناس معه ثروةٌ تعيِّشه، وتعيش أولاده، وأولاد أولاده، ومع هذا تراه يجري على الدنيا جري الوحوش، والعياذ بالله! فيأبى المسكين، إلى أين؟! وكم ستعيش في هذه الدنيا؟ ولمن تؤمل، وتبني فيها؟! فيأبى، ثم إياك، و حذار ثم حذار من طول الأمل في هذه الدنيا الدنيئة! وحمد الله على ما أنعم به عليك. وتفرغ لعبادته، إذا كان معك ما يكفيك، ووالله ما خلقت لتعمر الدنيا، ولكن لتعبرها، و خلقت لك، ولم تخلق لها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ

الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ [سورة الذاريات: ٥٦].

وأعظم قبحاً من هذا هو الذي يبني دنياه بالحرام، معه القوت والمسكن، وتراه قد بنى فوق بيته من الحرام، أو أخذ أرضاً بجوار بيته ليوسعه بالحرام، وهكذا لا تراه عاماً بعد عام إلا وهو يشتري، ويبني من الحرام؛ والعياذ بالله!

رويدك يا مسكين، و يا قليل الدين، وحنانيك، حنانيك، فإنك -والله- ستموت، وسترحل عن كل ما لديك، ولن تأخذ شيئاً مما جمعته، وحصلته، ولن يبقى لك إلا ما قدمته وعملته، عماراتك، وعقاراتك، وجميع أموالك سترجع إلى غيرك، وما سيدخل منها شيئاً في قبرك، أولادك الذين اجتهدت في تأمين مستقبلهم



كما تقول في الدنيا، لن ينفعوك، ولعلك ستعذب في قبرك وهم سيتنعمون بمالك، فانتبه، ثم انتبه، «فأيما جسمٍ نبت من سحت فالنار أولى به، ولن تزولا قدما عبدٍ يوم القيامة، حتى يُسأل عن ماله، من أين اكتسبه، وفيما انفق»، كما قال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وترى بعض الناس عنده قوت عامه، وقوت حياته، وما معه قوت يومه، كيف ذلك؟! ترى معه من العقارات، والمبيعات، ما لو باع بعضه لكفته مع أولاده طوال حياتهم، لكنهم يعيشون في بؤسٍ وفقر، غالب أوقاتهم، فالتاس يأتون له من كل مكان ليشتروا منه بعض ممتلكاته، لكنه يرفض، ويأبى أشد الإباء، ما السبب؟ قال: سيأتي زمان على هذا العقار الذي كان بكذا سيكون بكذا، وكذا، وهكذا تمر الأعوام، تلو الأعوام، وأولاده يحتاجون إلى شيءٍ من هذه الثروة التي مع أبيهم، لزوجاتهم، أو لدراساتهم، وغير ذلك من ضروريات حياتهم، وربما يأتيه قبل ذلك أو يأتيهم الأجل؛ ونعوذ بالله من طول الأمل!

قال: عنده قوت يومه، ما هو هذا القوت؟ هو قدر ما يُغديك، ويعشيك يا عبد الله، فإذا أصبحت، مؤمناً، معافاً في جسدك عندك قوت يومك، فقد حيزت لك الدنيا بحذافيرها.

قال أبو العتاهية رَحِمَهُ اللهُ:

رغيف خبزٍ يابسٍ آكله في زاوية
ومصحفاً أقرأه مستنداً لساربه
هو النعيم كله فالعفو ثم العافية
وقال بعضهم: إني لأصبح وما في جيبى إلا درهم، وكأن الدنيا قد حيزت لي.
فإياك ثم إياك يا عبد الله أن يكون همك هو غداءك وعشاءك:

الجوع يطرد بالرغيف اليابس فعلام تكثر حسرتي ووساوسي
فبعض الناس همه ما يأكله، وقيمته ما يخرجه، يفكر من حين أن يصبح ماذا
سيكون الغداء اليوم؟ وما إن يفرغ من غدائه، إلا وتراه يتكلم عن موعد الأكلة
الأخرى، وهكذا حال كثير من الناس؛ نسأل الله العافية!
فارفع - يا عبد الله - نفسك، واحذر أن تشغل نفسك ببطنك، وأن تجعلها أكبر
همك!

ولتعلم أن الذي يأكل ما لذ وطاب، والذي يعيش بين قتر العيش، وخشن
الثياب، كلاهما يعيش على وجه الأرض، كلاهما يعيش ويتنفس، ويدخل
ويخرج، بل إن من كثرت له، كثرت عليه، ومن كثر نعيمه، عظم حسابه، والفقراء
يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسائة عام،



أضف إلى ذلك أنه - كما قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ -: «كلما كان طعامك أطيب، كان أذاك أتنن!».»

ويقول الشافعي رَحْمَةُ اللَّهِ: «والله ما شبت منذ ست عشر سنة! قال: لأن الشبع يقسي القلب، ويذهب الفطنة، ويجلب النوم، ويفتر عن العبادة».

والأكل والشرب لحتى تمتلي فإنه مفتاح باب العلل
فيها فساد الفهم والبلاده وفترة الأعضاء عن العباده

مر هارون الرشيد برجلٍ فقير، يظهر فقره من هيئته، ومن صورته؛ فتعجب هارون الرشيد من هذا الفقير، فقال الفقير: مهلاً يا أمير المؤمنين، لا تعجب مني، فوالله إني آكل كما تأكل، وألبس كما تلبس، أي أنك تأكل ما يملأ بطنك، وتلبس ما يستر جسمك، وأنا أنا كذلك، وبغض النظر عن نوع هذا المأكل، والملبوس، ثم قال له: غير أنك يا أمير المؤمنين ستسأل ولا أسأل؛ فبكى هارون الرشيد رَحْمَةُ اللَّهِ!

معاشر المسلمين، والمسلمات - السعادة ليست - والله - بالمأكل،
والمشرب، والراحة ليست بطيب الملبس، وجمال المسكن، فكم من رجل قد
ملىء بيته بما لذ وطاب، ومع ذلك يعيش في قسوة، وضنك، واكتئاب، بل وعذاب

لا يعلمه إلا رب الأرباب، وكم من رجل ما معه من الطعام إلا غداؤه، وعشاؤه، وهو في سعادةٍ لا يجدها الملك وأبناؤه.

فالراحة، والسعادة - والله - ليست إلا في طاعة الله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ

أَوْ أَنْفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

﴿سورة النحل: ٩٧﴾، والمال، والدنيا ليست علامةً، ولا دليلاً على رضی الله، وحبه

لعبه، بل إن الله يعطي الدنيا، من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من

يحب، وإلا - بالله عليك - انظر، وتأمل إلى حال أكرم خلق الله على الله، رسول

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انظر كيف كان يعيش في هذه الدنيا فقد روى مسلمٌ رَحِمَهُ اللهُ

عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَظَلُّ يَلْتَوِي مَا

يَجِدُ مِنَ الدَّقْلِ مَا يَمَلَأُ بِهِ بَطْنَهُ (١).

وروى البخاري، ومسلم رَحِمَهُمَا اللهُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «مَا شَبِعَ آلَ

مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَبْزِ الشَّعِيرِ يَوْمِينَ مُتَتَابِعِينَ، حَتَّى قَبِضَهُ اللهُ!» (٢)

وروى البخاري، ومسلم، عن عروة، عن عائشة، أنها كانت تقول: «والله يا ابن

أختي إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلة، وما أوقد في بيت

(١) رواه مسلم (٢٩٧٧).

(٢) رواه البخاري (٥٤٢٣)، ومسلم (٢٩٧٠).



رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نار! قلت: يا خالة، فما كان يعيِّشكم؟! قالت: الأ سودان: التمر، والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح، وكانوا يرسلون لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ألبانها فيسقيننا»^(١)

وروى البخاري رَحِمَهُ اللهُ أن أبا هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «مر بقوم بين أيديهم شاةٌ مصلية، فدعوه فأبى أن يأكل، وقال: خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير»^(٢).

ويقول - أيضًا - كما روى البخاري: «والذي لا إله هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد رأيتني وإني لأخِرُّ فيما بين منبر رسول الله إلى حجرة عائشة مغشياً عليّ، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي، ويرى أني مجنون، والله ما بي من جنون؛ وما بي إلا الجوع!»^(٣)

بالله عليكم هل نذكر يوماً من الدهر أننا قد سقطنا من الجوع؟ لو سئلنا، أو سئلت يا عبد الله، ما هي أصعب الظروف التي مرت بحياتك؟ ربما سيقول الواحد

(١) رواه البخاري (٢٥٦٧)، ومسلم (٢٩٧٢).

(٢) رواه البخاري (٥٤١٤).

(٣) رواه البخاري (٦٤٥٢).

منا: ذلك اليوم الذي تغديت فيه على كذا، وكذا. أو عندما نمت مع أولادي مرة من المرات بدون عشاء. قلت لك أبو هريرة كان يصرع من شدة الجوع، قلت لك أبو هريرة يربط بطنه بالحجارة، ومع ذلك ما ضر أبو هريرة أن تعب، وجاع، فهذا نحن نذكر أبو هريرة في المنابر، والدروس، والمجامع، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وروى الترمذي وصححه الألباني، رَحِمَهُمَا اللهُ: عن فضالة بن عبيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «كَانَ إِذَا صَلَّى بِالنَّاسِ يَخْرُجُ رَجُلًا مِنْ قَامَتِهِمْ فِي الصَّلَاةِ، مِنَ الْخِصَاصَةِ، وَهُمْ أَصْحَابُ الصَّفَةِ، حَتَّى يَقُولَ الْأَعْرَابُ هُوَ لَاءَ مَجَانِينَ، فَإِذَا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انصرفت إليهم، فقال: لو تعلمون ما لكم عند الله؛ لأحببتهم أن تزدادوا فاقةً، وحاجةً»^(١).

والله إن الفقر قد يكون خيراً لبعض الناس؛ فإن من عباد الله، من لو أغناه الله لأفسد دينه!

(١) رواه الترمذي (٢٣٦٨).



وروى الترمذي، وصححه الألباني رَحْمَهُمُ اللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال:
«كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبيت الليالي المتتابعة طويلاً وأهله لا يجدون ما
يملاً بطونهم، وكان أكثر خبزهم الشعير» (١).

رسول الله، خير خلق الله، يبيت ليالي بدون عشاء، اسمع يا من ليس لك همٌّ
إلا ما يدخل في بطنك، ولو بالحرام! اسمع يا من تأكل من هنا ومن هناك، وتدخل
إلى بيتك الحلال، والحرام، وأهم شيء أن تأكل مع أولادك، انظر كيف عاش
رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وروى البخاري رَحْمَهُ اللَّهُ عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما رأى رسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النقي من حين ابتعثه الله، حتى قبضه الله، فقيل له: هل كان لكم في
عهد رسول الله مناخل؟ قال: ما رأى رسول الله منخلاً من حين ابتعثه الله حتى
قبضه الله، قيل كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال: كنا نطحنه، وننفضه،
فيطير ما طار، وما بقي ثريناه فأكلناه» (٢).

(١) رواه الترمذي (٢٣٦٠)

(٢) رواه البخاري (٥٤١٣)

هكذا فلتكن الحياة، هكذا عرف محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه حقيقة،
وحقارة هذه الدنيا الدنيئة، هذا هو زاد رسول الله من هذه الدنيا، والآخرة خير
وأبقى.

فاقتدوا -رحمكم الله بنبيكم- ولا تحملوا الدنيا فوق رؤوسكم، واعلموا أنكم
عنها راحلون، وانظروا:

وانظر إلى من حوى الدنيا وزيتها هل راح منها بغير الحنط والكفن
أسأل الله أن ينفعنا بما سمعنا، وأن لا يجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا،
ولا غاية رغبتنا. ونسأل الله أن يقنعنا بما رزقنا، ويكفيننا ما أهمنا.....



(مواعظنا من فيروس كورونا)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر

الأمر محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

معاشر المسلمين والمسلمات، لقد شاهدتم، وسمعتهم، وتابعتم، كما شاهد

العالم أجمع؛ ما أصاب الدول، والأمم من والخوف، والجزع، والهلع، عبر

جندي صغير، من جنود الله التي يرسلها الله على من يشاء، في الوقت الذي يشاء،
كما يشاء، وما يعلم جنود ربك إلا هو.

إنه مرض الطاعون المسمى بفيروس كورونا، الذي أطفئ العالم، وأخمد
حركته، واقتصاده، وأقضى مضجعه، مع أنه لا يُرى بالعين المجردة، لكنه جعل
الدول كالخشب المسند، وكالسُّحْب المبدد.

فلا إله إلا الله الواحد القهار، العزيز الجبار، جلَّت قدرته، وعظمت قوته،
وسطوته، ما أرحمه بعباده، وما أشد بطشه إذا بطش بمن صد عن عبادته، وأشرك
في وحدانيته.

وهذه سنة الله وعادته في كل ملحد كفور، عبر العصور، والدهور، وقرأوا
القرآن لتعلموا مصير كل كافر مغرور؛ فقد قص الله علينا أخبار ومصارع
الظالمين، وكيف أنذرهم وأمهلهم، وبعث إليهم من يذكرهم، فلما عتوا وطغوا؛
أخذهم الله وقطع دابرهم، فبعدا للقوم الظالمين!

هذا فرعون الطاغية اللئيم؛ الذي كفر بالله رب العالمين، وعذب قومه العذاب
الأليم، أرسل الله إليه موسى وهارون ليذكراه، وليقولوا له قولاً لنا، لكنه طغى،
وبغى وقال: أنا ربكم الأعلى؛ فأخذ الله نكال الآخرة والأولى، وافتخر بالأنهار
التي كانت تجري من تحته؛ فأجراها الله من فوقه، ونجاه ببدنه، وجعله عبرة لمن



جاء من بعده: ﴿ وَجَوْرْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ۖ إِذْ لَأَنَّكَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنَّاكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنَّا يَنِئِنَّا لَكٰفِرُونَ ﴿٩٢﴾ [سورة يونس: ٩٠-٩٢].

وهذا قارون الذي أعطاه الله ما أعطاه من الكنوز والأموال؛ لكنه تنكر لربه، وكذب وافترى بملكه جاء من عنده، فخشف الله به وبداره؛ جزاء فرحه، وبطره، وتنكره!

وتلك الأمة الباغية التي أرسل الله عليهم الريح العاتية حين تفاخرت بقوتها، وجبروتها، ونادت بكبريائها: من أشد منا قوة؟! فأرسل الله عليهم جندا من جنوده، ألا وهي الريح الصرصر العاتية: ﴿ فَأَمَّا ءَادُ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَن أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۗ أُولَٰئِكَ رِبُّوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۗ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ [سورة فصلت: ١٥]. وهكذا تتوالى آيات الله الكونية على عباده لتكون

لقوم بلاءً واختباراً، ولآخرين عقوبة وإنذاراً، فلقد نزلت بالأمة الأمراض، والأوبئة الخاصة، والعامّة، والتي هلك فيها من هلك؛ كوباء الطاعون الذي حل بالأمة في عهد عمر بن الخطاب، فمات فيه كثير من أصحاب رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ

وهكذا مر بالأمة كهذه الأمراض العامة، وإلى زماننا هذا الذي انتشر فيه هذا الوباء في هذه الأيام، وهو المشهور بفيروس كورونا؛ الذي أحدث زلزلة، وخوفًا ورعبًا في بلدان العالم؛ وخاصة تلك الدول التي سمت نفسها بالدول العظمى لكنها مع هذا الوباء أصبحت عظمى وصارت عقمًا.

فيا لله كم هي الآيات، وكم هي العبر والعظات التي عشناها في الأيام الماضية؟ حتى - والله - لكأننا نعيش في أحلام المنامات!

يا لله كم فعل في قلوبنا هذا الفيروس، من العبر والمواعظ والدروس، فما أحرانا في هذه الأيام، وفي هذه اللحظات، أن نستلهم الدروس، والعبر، والعظات، من هذا الوباء الذي انتشر، ما أحرانا اليوم أن نحیی قلوبنا بالمواعظ والدروس، من هذا الوباء، وهذا الفيروس.

حديثنا اليوم يقول ويحمل عنواننا لأصحاب العقول، مواعظنا من فيروس

كورونا.

فما أحوجننا إلى أن نغرس في نفوس أمتنا المسائل العقدية، والرجوع إلى رب البرية، من خلال هذه الأحداث، والأمراض التي تنزل بأمتنا فنقول - والله المستعان -:



إن موعظتنا الأولى من فيروس كورونا، وهي التي أبهرت العقول، وجعلت العالم يقف حائراً ومذهولاً، ألا وهي: هذا الجندي الصغير الذي لا يُرى بالعين المجردة، والذي أرسله الله ليعطل العالم عن حركته، ولْيُري الدنيا أنه ليس شيء فوق قوة الله وقدرته، ليري قادة الدول العظمى التي تشيد بقوتها، وبرقيها، وحضارتها، أن ما وصلت إليه من التقدم كسراب، أو كظل زائل، وأنه لا يحول بينها وبين جند الله، وقوته حائل، ومهما تزينت الدنيا وتزخرفت لأهلها، فإن الله قادر على حصدها، وإبادتها: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا آتْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ [سورة يونس: ٢٤].

إن الجابرة وإن وصل جبروتهم إلى ما وصل، والملوك وإن وصل ملكهم، وقوتهم كل موصل؛ إن أراد الله بهم شيئاً فلا راد لقضائه: ﴿إِن نَّشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ [سورة الشعراء: ٤].

فيا ترى ماذا حصل للدول جمعاء؟! ماذا حصل للعالم أمام هذا الوباء، وهذا العذاب الذي أقض مضاجعهم، وأرعب قلوبهم؟! وأي عذاب أنزله الله عليهم؟! هل ثور الله عليهم البراكين؟ أم هل أرسل الله عليهم الريح العقيم؟ هل زلزل

عليهم الأرض والجبال، أم أراهم بعض الشدائد والأهوال؟ وهل فجر البحار والأنهار، أم جعل النهار ليلاً والليل نهاراً؟! إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار. بل - والله - ما كانت حتى صيحة واحدة، ما كانت حتى صيحة واحدة، ولكنها جرثومة لا ترى بالعين المجردة، لكنها فعلت في العالم ما لم تفعله الأسلحة المدمرة، وهزمت ما يقرب من سبعة مليارات، إما بالمرض، أو بالرعب، أو الهلع والانهيار.

ها هو هذا الجندي الخفي يمر على الدول العظمى، وعلى القادة والزعماء ليرغم أنوفهم، وليعرفهم بقدرهم ابتداء من الصين؛ تلك الدولة الكافرة التي افتخرت بقوتها، وعبقريتها، وصناعتها، ثم إلى إيران، وعمان والبرازيل، ثم أمريكا صاحبة أقوى ترسانة عسكرية على ظهر الأرض، نسأل الله أن يخسف بهم الأرض، فماذا فعلوا؟ فماذا فعلوا، وقالوا؟ وإلى من لجأوا؟! ها هو وزير الدفاع الأمريكي، ها هو قائد أقوى جيش في العالم، مسجون بيته بسبب كورونا، وكذلك غيره من القادة والزعماء، ها هو رئيس الولايات المتحدة الملحده أعلن حالة الطوارئ في البلاد، وطلب خمسين مليار دولار لمواجهة كورونا.

وها هو رئيس الصين الذي كان يفتخر بقوته قبل أيام من ظهور هذا الوباء، ويقول: إننا نخوض معركة خطيرة، شديدة، مع فيروس شيطاني!



والرئيس الفرنسي يقول: إننا نمر بأسوأ كارثة صحية على الإطلاق!
والرئاسة الإيطالية تقول: لقد فقدنا السيطرة على المواجهة!

ورئيس وزراء إنجلترا يقول: تجهزوا تجهزوا لفقْد أحبة لكم قبل الأوان!

فلا إله إلا الله! لا إله إلا الله القوي العظيم: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا

مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُزَيِّقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ۗ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ

لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ [سورة الأنعام: ٦٥]، فما الذي حصل من وراء عجز هؤلاء القادة،

ومن وراء تلك القوى التي أصبحت مبددة، ومهددة، ها هي إيطاليا إحدى الدول

العظمى دخلت بأكملها بالحجر الصحي، وأصبحت بمنأى، وبمعزل عن العالم،

ها هي أعظم أندية العالم التي كان يحضرها الملايين كريال مدريد؛ أُغلقت،

وأُخمدت. ها هي أعظم دوريات العالم التي لها من الميزانيات ما ليس لدول

عظمى؛ كالدوري الأسباني والإنجليزي، والإيطالي، والأوروبي، والأمريكي،

كلها أوقفت، وتعطلت بسبب كورونا.

الطائرات، والمطارات، وحدود الدول أُغلقت، أو كاد الدعارة، والمنتديات،

وأماكن التجمعات أُغلقت، حتى بيوت الله، بل وأشرف بقعة في أرض الله، قبله

المسلمين، ومأوى أرواح وأفئدة المؤمنين خلت، وتعطلت.

فلا إله إلا الله! ويا الله ما الذي حصل لهذا الكون؟ ما الذي حصل لهذا

الكون؟! وأي قدرة لرب الكون ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٧﴾ [سورة الزمر: ٦٧]،

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ

أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ

غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُم بَلَيَّلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۗ أَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴿٧٢﴾ [سورة القصص: ٧١-٧٢]

أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟! أين قادة الدول العظمى؟! أين الأساطيل

وأين رواد الفضاء؟!

أين الجيوش التي تزهو بقوتها كأنها في نهار العرض بركان

أين الملايين من أموال أمتنا فما لها في مجال الفعل برهان

فما أحوجنا يا أمة الإسلام، ما أحوجنا في موعظتنا الأولى من فيروس كورونا،

وقد علم العالم أجمع ضعف القوات المزعومة أمام هذا الفيروس وهذه

الجرثومة!

ما أحوجنا أن نغرس تعظيم الله في قلوبنا، وقلوب أمتنا وقلوب الأمم جمعاء،

التي وقفت مكتوفة الأيدي أمام هذا البلاء، وهذا الوباء، ما أحوج الدعوة إلى الله

في ظل هذا الحدث الذي أخرس الدول المتحضرة، وأرغم أنوف الجبابرة،



المتكبرة، أن يبينوا لكل مفتون بقوة الولايات المتحدة، وحضارات، وتطورات الدول الملحده؛ أن الله إذا قضى أمر فلا راد لقضائه، وأنه لو أراد أن يخسف بهم، أو يشل كل حركاتهم، واقتصادهم، ويبين للعالم مدى ضعفهم، وحقارتهم؛ لسلط عليهم أصغر، وأحقر، وأهون خلقه، ولكنه لطيف بعباده، يعاملهم بلطفه، وبفضله، لا يعدله.

جدير بنا في أيام كورونا، وفي جميع أيام حياتنا أن نعرف قدر أنفسنا، وأن نعمل أفكارنا، وعقولنا، ونتفكر في ضعف خلقنا: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٦)

تفكر، وتأمل أيها الإنسان في ضعفك، ومقدار حجمك في هذا الكون؛ ثم تأمل في جرأتك، وعصيانك ومخالفتك لخالقك.

أيها العقلاء تأملوا، وتفكروا في مخلوقات الله، وملكوته، وقوته، وقدرته، تفكر يا عبد الله في عناية الله بك، من الذي خلقك؟ من الذي شق سمعك، وبصرك؟ من الذي رزقك وأطعمك؟ فلم التكبر، والإعراض عن الذي خلقك؟!

﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (سورة الانفطار: ٦)

يا قادة الدول الكافرة، ويا أيها المفكرون والعباقرة، ما الذي أبعادكم عن

خالقكم؟ فإنما وصلتكم إليه هو من الله لا منكم، وبإرادته لا بإرادتكم!

سخرت يا ربي له دنياكا
علمته فإذا به عاداكا
حتى أشاح بوجهه وقلاكا
يمنى بني الإنسان لا يمناكا
دت لظلت الذرات في مخباكا
أو لو أردت لما استطاع حراكا
واشكر لربك فضل ما أولاكا
مستحدثات العلم من مولاكا
هو صنعة الله الذي سواكا
ما الله لم يكتب له الإدراكا
لأقلها هو ما إليه هداكا
عجب عجاب لو ترى عيناكا
حاولت تفسيراً لها أعياكا
يا شافي الأمراض من أرداكا
من بالمنايا يا صحيح دهاكا
فهوى بها من ذا الذي أهواكا

يا رب هذا العصر ألحد عندما
علمته من علمك النووي ما
ما كاد يطلق للعلا صاروخه
واغتر حتى ظن أن الكون في
أو ما درى الإنسان أنك لوأر
لو شئت يا ربي هوى صاروخه
يأيها الإنسان مهلا واتئد
واسجد لمولاك التقدير فإنما
كل العجائب صنعة العقل الذي
والعقل ليس بمدرك شيئاً إذا
الله في الآفاق آياتٌ لعل
ولعل ما في النفس من آياته
والكون مشحون بأسرار إذا
قل للطبيب تخطفته يد الردى
قل للصحيح يموت لا من علة
قل للبصير وكان يحذر حفرة



م بلا اصطدام من يقود خطاكا
 راعٍ ولا مرعى من الذي يرهاكا
 عند الولادة ما الذي أبكاكا
 فاسأله من ذا بالسموم حشاكا
 تحيا وهذا السم يملأ فاكا
 شَهدا وقل للشهد من حلاكا
 ن دم وفرث ما الذي صفاكا
 يا ميت فاسأله من أحيكا
 في عن عيون الناس من أخفاكا
 ورعاية من بالجفاف رماكا
 بت فاسأله من الذي رباكا
 أنواره فاسأله من أسراكا
 عد كل شيء ما الذي أدناكا
 بالمُر من دون الثمار غذاكا
 فاسأله من يا نخل شق نواكا
 فاسأل لهيب النار من أوراكا
 قمم السحاب فسله من أرساكا

بل سائل الأعمى خطا بين الزحا
 قل للجنين يعيش معزولا بلا
 قل للوليد بكى وأجهش بالبكاء
 وإذا ترى الشعبان ينفث سمه
 واسأله كيف تعيش يا شعبان أو
 واسأل بطون النحل كيف تقاطرت
 بل سائل اللبن المصفى كان بي
 وإذا رأيت الحي يخرج من حنا
 قل للهواء تحسه الأيدي ويخ
 قل للنبات يجف بعد تعهد
 وإذا رأيت اللبث في الصحراء بين
 وإذا رأيت البدر يسري ناشرا
 واسأل شعاع الشمس يدنو وهو أب
 قل للمرير من الثمار من الذي
 وإذا رأيت النخل مشقوق النوى
 وإذا رأيت النار شب لهيبها
 وإذا ترى الجبل الأشم مناطح

وإذا ترى صخرًا تفجر بالميا
ه فسله من بالماء شق صفاكا
وإذا رأيت النهر بالماء الزلا
ل جرى فسله من أجراكا
وإذا رأيت البحر بالملح الأجا
ج فسله من الذي أطغاكا
وإذا رأيت الليل يغشى داجيا
فاسأله من يا ليل حاك دجاكا
وإذا رأيت الصبح يُسفر ضاحكا
فاسأله من يا صبح صاغ ضحاكا
هذي عجائب طالما أخذت بها
عيناك وانفتحت بها أذناكا
يأيها الإنسان مهلا ما الذي
بالله جل جلاله أغراكا

اللهم ارحم ضعفنا، واجبر كسرنا، ولا تؤاخذنا بذنوبنا، ولا بما فعله السفهاء

منا، اللهم املأ قلوبنا بحبك، وخشيتك، ومعرفة قدرك، وعظمتك، يا رب

العالمين! أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل

ذنب؛ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم!



(الخطبة الثانية)

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا -.

عباد الله، إن مما تعلمناه، ووعظنا به من فيروس كورونا - وهي وقفنا، وموعظتنا الثانية - : هو أن نسأل أنفسنا لماذا أنزل الله هذا البلاء؟ وما هي الحكمة من وجود هذه المصائب، وهذا الوباء؟ ربما لحكم كثيرة لا نعلمها ولكن الله يعلمها؛ فقد يجعلها الله على قوم بلاء واختباراً، وعلى آخرين عقوبة وإنذاراً، فإذا حصل الفساد والطغيان، والبغي والعصيان؛ أنزل الله بأسه، وعقوبته التي لا ترد عن القوم الظالمين، ومنها هذه الأوبئة العامة.

فقد روى ابن ماجه وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللهُ أَنْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشي فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا!»^(١).

فبالله عليكم يا أهل الحكمة والإيمان، كم هي الفواحش التي ظهرت، وانتشرت في البلدان، والتي هي تدين بدين الإسلام؟! كم هي أوكار الدعارة،

(١) رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

والخنا، ومحلات الخمر والزنا؛ التي هي محاطة، ومحمية من قبل من لا خلاق؟! لهم، نسأل الله أن يعجل بزوالهم!

كم هي المظالم التي نعيشها، والظلمة الذين أفسدوا في الأرض وبغوا فيها؟ فإن الظلم في الأمة هو من أسباب انتشار العقوبات التي تعمها، فإذا كثرت الطاغوت أرسل الله الطاعون - كما قال الزمخشري رَحِمَهُ اللهُ.

الموعظة الثالثة من فيروس كورونا: ينبغي لنا أمام هذه الحادثة، وأمام كل مصيبة وبلية، أن نعلم علم يقين أنه لا يصيبنا إلا ما كتبه الله لنا، وما من بلاء ينزل علينا، ولا مصيبة تحل بنا، إلا وقد كتبت قبل أن نخرج من بطون أمهاتنا، وأن كل نفس لن تموت حتى يأتي أجلها الذي قدره الله عليها، ولن تموت نفس حتى تستوفي رزقها الذي كتبه الله لها، ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة الحديد: ٢٢] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة التباين: ١١].

ينبغي لنا من خلال فيروس كورونا وفي جميع المصائب والابتلاءات التي تمر بنا؛ أن نعلم علم يقين أن العالم كله وإن وصل إلى ما وصل برقيه، وتقدمه، وتحضره، لن يستطيع أن يقي نفسه من أهون، وأحقر شيء قد كُتِبَ في قضاء الله وقدره الله.

فها هو الفيروس دخل بأمر الله إلى تلك الدول التي بلغت في التطور مداها، ووصلت في التقنيات أبعادها، بينما بعض البلدان بهشاشة وضعها، وحصار برها، وبحرها، وغياب الرقابة من دخول البضائع، والسلع المهربة والمنتهية عليها، وانعدام الأجهزة الوقائية، والضرورات الطيبة فيها، إلا أن الله يريد أن يقول للعالم أجمع، الذين أصيبوا بالخوف، والقلق، والهلع: الأرض أرضي، والسماء سمائي، والعباد عبادي فلو كان الأمر عائداً إلى الحضارة، وإلى الفقر والبطالة، لكانت تلك البلدان الفقيرة أكثر تعرضاً، وإصابة من هذه الفيروسات الصغيرة؛ ولكن كل شيء بقضاء وقدر، والكل في نص الكتاب مستطر.

إذاً: من أعظم مواعظنا من فيروس كورونا أنه لا يصيبنا إلا ما كتبه الله لنا، ولا يغني حذر من قدر، فقد ذكر أن أعرابيا خرج هاربا من الطاعون، فبينما هو سائر إذ لدغته أفعى فمات، فقال أبوه يرثيه:

طاف يبغي نجوةً من هلاك فهلک
والمنايا رُصدُ للفتى حيث سلك
ليت شعري يا فتى أي شيء قتلك؟
كل شيء قاتل حين تلقى أجلك

موعظتنا الرابعة من فيروس كورونا: أن نقول ما قاله ربنا: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا

فلقد - والله - رأينا وما زلنا نرى خيرا عميما، وعظيما من نتائج هذا الوباء،
 وحق لنا أن نصف هذا الفيروس بأنه جاء ليعلمنا العبر، والدروس.
 فمن دروس هذا الفيروس: أنه أرجع البشرية كلها إلى معرفة إنسانيتها،
 وحقيقة آدميتها، أعادها إلى خالقها، وأعادها إلى أخلاقها، فقد أغلق جميع
 الملاهي والبارات، والمجون، والدعارة، والمنتديات، ومنع القبل والمصافحات،
 بين الشباب والفتيات.

فلا إله إلا الله! أي عبر ودروس تلقيناها، واستفدناها من هذا الفيروس!
 ومن ذلك - أيضا - أنه جعل منظمة الصحة العالمية تعترف بأن تناول الخمور تُعد
 كارثة على الإنسان، وجعل المؤسسات الصحية الكبرى تقر بأن تناول كل ذي
 ناب من السباع، ومخلب من الطير من أعظم المصائب على جسم الإنسان، وقد
 حرم الله ذلك ولكنهم قوم لا يعقلون.

من دروس هذا الفيروس أنه عرّف الدول التي كانت تسمي نفسها بالدول
 العظمى عرفها بقدرها، وبضعفها.

عرّف أمريكا التي كانت تكتب في جوازها: أنت تحت حماية الولايات
 المتحدة الأمريكية، فوق أي أرض وتحت أي سماء.



وكندا التي كتبت نحرك أسطولا من أجلك، ومع ذلك هلك من هلك منها،
ومن غيرها، فلا أمريكا حتمه بحمايتها، ولا كندا حركت أسطولا من أساطيلها،
وأصبحت شعاراتهم زائفة لا حقيقة لها!

من دروس هذا الفيروس: أنه أعلم العالم بأنه لا سعادة، ولا سيادة، ولا فلاح
ولا نجاح، إلا بمبادئ هذا الدين وتعاليمه، وأنه جاء لسعادة البشر، ولينفي عنهم
الشر والضرر.

وكل ما ينفعنا قد شرعه وكل ما يضرنا قد منعه

جاء هذا الفيروس ليلقن بعض مفتونينا الدروس؛ الذي كانوا يتهكمون علينا،
ويقولون: الناس قد صعّدوا القمر، وأنتم قاعدون في المساجد بين قال الله، وقال
الرسول، جاء كورونا ليقول لك أيها الجاهل المفتون، يا من لم تطلع القمر، ولم
تتعلم من سيد البشر: إن منظمة الصحة العالمية تؤكد عليك أن تحرص على
طهارة جسدك، وغسل أنفك ويدك، وتؤكد على المتبرجات أن يغطين وجوههن،
ويلتزم بتعاليم دينهن، وأن السعادة، والكرامة، هي بلزوم الاستقامة.

فإلى كل مفتون بالحضارات الغربية، دين الله هو السبيل إلى السعادة الأبدية،

وإلى الحضارة الإنسانية الحققة.

هذه بعض المواعظ والدروس. التي جاءت من وراء هذا الفيروس، وكم من
محن تحمل في طياتها منح، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن
تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً.

أسأل الله أن ينفعنا بما سمعنا، وأن يجعل من وراء هذا البلاء الذي نزل بنا
الخيرات، والبركات في ديننا ودينانا.....





(خطورة العين وتأثيرها)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر

الأموار محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

معاشر المسلمين والمسلمات: لقد جعل الله لكل شيء سبباً، فجعل للحياة

أسباباً، وللموت أسباباً، وللمرض أسباباً، وللصحة أسباباً، ولا يخفى علينا ما

يعيشه كثير من المسلمين في هذا الزمان من الأمراض الغريبة، والمستعصية. وسنقف في هذا اليوم مع سبب عظيم من أسباب كثير من الأمراض المنتشرة في أوساط المسلمين، وغيرهم، بل هو سبب كبير من أسباب الوفاة، وخروج الروح من جسدها.

حديثنا اليوم عن العين العائنة التي تدخل الرجل القبر، والجمل القدر، والتي هي أكثر أسباب موت الأمة، كما أخبر بذلك رسولنا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** ولقد أخبرنا الله في كتابه الكريم: أن المشركين قد كادوا يزلقون النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بأبصارهم فقال سبحانه: **﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾** [سورة القلم: ٥١]. قال ابن عباس، وغيره: «ليزلقونك أي: لينفذونك بأبصارهم أي: يعينوك بأبصارهم».

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «هذه الآية دليل على أن العين حق، وإصابتها وتأثيرها بأمره - **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**» (١).

ويقول **جَلَّ وَعَلَا** عن نبي الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** لما أراد أن يرسل أبناءه إلى مصر ليأخذوا الميرة - أي: الطعام - : **﴿وَقَالَ يَبْنَى لَأَتَدَخُلُوا مِنْ بَابٍ وَجِدِ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٧﴾﴾**

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٧٨).



[سورة يوسف: ٦٧]. قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وغيره: «إنه خشي عليهم العين، وذلك أنهم كانوا ذوي جمال، وهيئة حسنة، وبهاء، فخشى عليهم أن تصيبهم الناس بعيونهم، فإن العين حق»^(١).

وقد أخبر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: عن العين، وخطورتها، ومدى تأثيرها، وأمرنا أن نستعيز بالله منها، فأخبر أنها تنزل الرجل القبر، والجمل القدر، وأنها حق، وأنها أكثر الأسباب في موت الأمة بعد قضاء الله، وقدره، فهيا لنسمع ما صح عن رسولنا - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في العين، والتحذير منها.

روى ابن ماجه، وصححه الألباني رَحِمَهُمَا اللهُ عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «استعينوا بالله من العين، فإن العين حق»^(٢).

وروى مسلم رَحِمَهُ اللهُ عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - : «العين حق، ولو كان شيء يسبق القدر؛ لسبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا»^(٣) - أي إذا طلب من أحدكم أن يغتسل لأخيه؛ لأنه أصابه بالعين، فليلب طلبه، وليغتسل لأخيه.

(١) تفسير ابن كثير (٤/٣٤٢).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٥٠٨).

(٣) رواه مسلم (٢١٨٨).

وروى الإمام أحمد، وصححه الألباني رَحْمَهُمَا اللهُ عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال:
قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن العين لتؤلع بالرجل، حتى يصعد حاليًا،
فيتردى منه» (١)، - والمعنى أن العين تصيب الرجل فتؤثر فيه، حتى إنه ليصعد
مكاناً مرتفعاً، ثم يسقط من أعلاه من أثر العين.

وروى أبو نعيم في الحلية، وصححه الألباني، عن جابر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: قال
رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «العين تُدخل الرجل القبر، وتُدخل الجمل
القدر!» (٢) والمعنى: أن العين تصيب الرجل فتقتله، فيموت، ويدفن في القبر،
وتصيب الجمل فيشرف على الموت فيذبح، ويطنخ في القدر.

وروى البخاري في التاريخ، وحسنه الألباني، - رَحْمَهُمَا اللهُ - عن جابر -
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - : «أكثر من يموت من
أمتي بعد قضاء الله، وقدره، بالعين» (٣).

(١) رواه أحمد (٢١٣٠٢).

(٢) حلية الأولياء (٩٠).

(٣) أخرجه الطيالسي (ص ٤٤٢، رقم ١٧٦٠)، والبخاري في التاريخ الكبير (٤/٣٦٠)، والحكيم (٣/٤٦)،
والبزار كما في كشف الأستار (٣/٤٠٣، رقم ٣٠٥٢).



ولنسمع إلى هذا الخبر العجيب، الذي يدل على عظيم ما تفعله العين من أثر في جسم الإنسان، روى الإمام أحمد والنسائي، وابن ماجه، وصححه الألباني - رحمة الله عليهم أجمعين - عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال: اغتسل أبي سهل بن حنيف بالخرار، - وهو واد بالمدينة - فنزع جبة كانت عليه وعامر بن ربيعة ينظر إليه، وكان سهل شديد البياض، حسن الجلد، فقال عامر: ما رأيت كالיום ولا جلد مخبأة، عذراء - أي: مثل الفتاة التي تختبئ في خدرها - فوعك سهل - أي أصيب بمرض شديد - في مكانه، واشتد وعكه، فأخبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوعكه، فقيل له: ما يرفع رأسه يا رسول الله! فقال: هل تتهمون له أحدا؟ قالوا: عامر بن ربيعة، فدعاه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتغيظ له، فقال: «علام يقتل أحدكم أخاه؟! ألا بركت؟! هلا قلت: تبارك الله، اغتسل له؟!»، فغسل عامر وجهه، ويديه، ومرفقيه، وركبتيه، وأطراف رجله، وأدخل إزاره في قدح، ثم صب عليه من ورائه، فبرئ سهل من ساعته (١).

لا إله إلا الله! العين حق أيها الناس، إنها لتصنع في الإنسان الأعاجيب، قد تمرضه، قد تهلكه، قد تهدم بيوتها، قد تدكدك جبالا، قد تفعل ما لا تفعله الآلات،

(١) رواه أحمد في مسنده (١٥٩٨٠)، وابن ماجه (٣٥٠٩)، والنسائي في "الكبرى" (٧٦١٨).

والقوات، والتأريخ مليء بالمواقف، والقصاص، فلنسمع إلى بعضها، ولنعتبر بما فيها:

ذُكر أن امرأة معروفة بإصابة الناس بعينها، ينفر منها سكان العمارة بسبب ما يحدث لهم بعد رؤيتها، قالت عنها جارتها: زارني ذات يوم ولم أكن أعرف شيئاً عنها، وكنت لابسةً لعقد من لؤلؤ، فأخذته هذه المرأة، وقالت ما أجمل هذا العقد! ما أجمل هذا العقد! وبعد هذه الكلمات، خرجت من عندي، وجلست أشاهد التلفاز، فوجدت حبات العقد تنفرط قطعاً صغيرة، لكنني ما شككت فيها لأنني لا أعرفها، لكنها زارني مرة ثانية، وكان في يدي خاتم، فأخذته، وأعجبت به، وقبل أن تخرج من بيتي تفتت أحجار الخاتم، فقلت: أعوذ بالله! فقالت: لا تقولي إني حسدته، وإن عيني حارة، كما يقول الجيران، عندها أيقنت أن عينها - فعلاً - حارة، وقطعت علاقتي بها!

أعوذ بالله من الغفلة عن ذكر الله، ومن الجهل بدين الله، فاذكروا الله - رحمكم الله - اذكرون الله أيتها النساء عندما ترين شيئاً يعجبكن، وليس شرطاً، ولازماً ألا يذكر الإنسان ربه إلا إذا عرف بالحسد، والعين، فليس الحسد شرطاً في العين والإصابة؛ فقد تعين أيها المسلم بإعجابك من دون شعور، وإرادة، قد يعين الواحد بإعجابه وهو من أتقى الناس سيرة، وسريرة.



وهذه قصة أخرى: يقول أحد الناس: كنت أسكن في إحدى القرى، وكان هناك عداً مستحكماً بين رجلين من أهالي القرية، فجاء أحدهم إلى رجل مشهور بالعين، وأراد منه أن يصيب ويعين خصمه، وقبل أن يصل إلى الخصم، وقفاً سوياً على شاطئ البحر، نظر الرجل إلى مركب في البحر على مسافة بعيدة، فقال لذلك العائن انظر إلى ذلك المركب - أي: من أجل أن يعينه، ويجرب إصابة عينه، فنظر هذا العائن إلى المركب ولم يره لبعده، فقال انظر إليه هناك، فقال العائن للرجل: معك عيون كالصقر، وما انتهى من هذا الكلام، وهذه الكلمات؛ إلا وعمي الرجل من ساعته!

أعوذ بالله من العين، ومن شر كل حاسد، فقد يصاب الواحد منا بأمراض، وبأشياء وهو لا يدري أن العين هي السبب في إصابته، قد يصاب الواحد بحادث سيارة، ويكون سببها العين، والناس لا يعلمون، قد يصاب الواحد منا بمرض خطير في جسده، ولا يجد له دواء، وقد تكون العين هي التي أصابته. كم هي الأمراض المنتشرة التي عجز الأطباء عن مداواتها، وعجز الطب عن اكتشاف أدوية لها، السرطان بأنواعه، تليف الكبد، العقم، وما يسمى بالأمراض النفسية، وغير ذلك، وقد تكون سببها العين، والناس لا ينتبهون لذلك، سواء من الأمراض، أم من الأطباء،

فقد يأتي المريض، ليشكو علته للطبيب، فيجيبه الطبيب: عندك مشكلة في القولون، أو زيادة في الدهون، أو ارتفاع، وانخفاض في كذا، وكذا، إلى غير ذلك. ولا نقصد من وراء ذلك تعطيل كلام الأطباء، ولا ترغيباً عن أخذ العلاج، والدواء، معاذ الله أن نقصد أو نريد ذلك، كذلك لا يعد فتحا لباب الشكوك عند الناس، فكلما وُجد مرضٌ، أو حدث حادث، وعرض، قيل عين، لكن المقصود هو التنبيه لهذه المسألة التي غفل عنها كثير من الناس، والتي هي من أكثر أسباب موت الأمة بعد قضاء الله وقدره، كما قال رسول الله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.

وقد ذكر العلماء للعين علامات، حتى نعرف، ونميز بين ما تصيبه العين، من غيره، فمن ذلك كثرة العرق، والنسيان، وشروذ الذهن، والفتور، وكثرة الثآؤب، وغير ذلك مما هو مشاهد عند كثير من الناس.

أسأل الله أن يحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وأن يجعلنا من المحافظين على ذكر ربنا الذي هو أعظم حصن لنا من كل ما يضرنا ويسوؤنا، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم!



(الخطبة الثانية)

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أيها المسلمون عباد الله، إن العين حق، وإن فعلها عظيم، ومع عظم فعلها، لا بد أن نعلم أنها لا تصيب، ولا تؤثر إلا بإذن خالقها، وهذه قضية عقدية لا بد منها، نعم، لا بد أن نعلم أنها سببٌ كغيرها من الأسباب، وأن الأمر بيد الله مسبب الأسباب، وما قدره الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولن يصيبنا إلا ما كتبه الله لنا. وقد أبطلت طائفة من الناس أمر العين، ممن قل نصيبهم من السمع والعقل، - كما قال ابن القيم قدس الله روحه - وقالوا: «إنما ذلك أوهام لا حقيقة لها»، يقول ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: «وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم، ونحلهم، لا يدفعون أمر العين، ولا تنكره، وإن اختلفوا في سببه، ووجه تأثير العين....، ثم قال: وأنت ترى الوجه كيف يحمر حمرة شديدة إذا نظر إليه من يحتشم، ويستحي منه، وكذلك يصفر صفرة شديدة عند نظر من يخاف منه» (١).

ثم قال **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «والتأثير - أي: تأثير العين - تارة بالاتصال، وتارة بالمقابلة، وتارة بالرؤية، وتارة بالوهم والتخيل، قال: ونفس العائن لا يتوقف تأثيرها، على الرؤية، بل قد يكون أعمى، فيوصف له الشيء فتؤثر نفسه فيه، وإن لم يره، وكثير من العائنين يؤثر في المعين بالوصف من غير رؤية....، قال: وهي سهام تخرج من نفس العائن فتصيب المعين تارة، وتخطئه تارة، فإذا صادفته مكشوفاً، لا وقاية له أثرت فيه ولا بد»^(١).

وهنا مسألة لا بد أن ننتبه لها وهي: قول ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «فإن صادفته مكشوفاً لا وقاية له، فما هو الذي يقينا من العين؟ وما هو الذي يصرف عنا خطر وشر العين»^(٢) إنها الأذكار اليومية، والرقى الشرعية، التي هي أعظم حاجز، وواقٍ من شر كل ذي شر، وسيأتينا بعض منها في نهاية حديثنا إن شاء الله.

قال **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «وقد يصيب الرجل نفسه، وقد يعين غيره بغير إرادته»^(٣)

وقال الحافظ بن حجر **رَحْمَةُ اللَّهِ** في فتح الباري: «حقيقة العين هي نظر

باستحسان مشوب بالحسد من خبيث الطبع، يحصل للمنظور فيه ضرر»^(٤).

(١) زاد المعاد (٤/ ١٥٣-١٥٤).

(٢) زاد المعاد (٤/ ١٥٤).

(٣) زاد المعاد (٤/ ١٥٤).

(٤) فتح الباري (١٠/ ٢٠٠).



ولنعلم أن الجن قد يعينون كما يعين الإنس، فلقد روى الشيخان عن أم سلمة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** رأى في بيتها جارة في وجهها سفعة - أي: بقعة سوداء - فقال: «استرقوا لها؛ فإن بها النظرة - أي: من الجن -».

فلذلك ينبغي لكل مسلم أن يذكر اسم الله عندما يخلع ثوبه، وعندما يجمع أهله، وعندما يدخل الحمام ليقضي حاجته، وهكذا... كي يدفع عن نفسه أذى الجن، من عين ومن غيرها.

ولا بد أن نعلم، ولا بد أن يرتكز هذا أيضا في حسابنا، وأن نجعله نصب أعيننا، أن العين وإن كانت داءً فتاكاً، فما أنزل الله من داء إلا وجعل له دواءً. فمن دواء العين: الاغتسال، فإذا عُرف العائن، - ولا بد من معرفته، والتأكد من حقيقته - أما اتهام الناس في أعراضهم، وجرحهم في مشاعرهم، وسوء الظن بهم، فهذا حرام.

فإذا عُرف بذلك، واشتهر بذلك، فيؤمر بالاغتسال، ثم يؤخذ هذا الماء الذي اغتسل فيه، ويصب على المحسود من خلفه؛ فيبرأ بإذن الله، تعالى كما حصل لسهل بن حنيف **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وصفة الغسل - كما قال الإمام الزهري **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «أن يُؤْتَى للرجل العائن بقَدَح، فيدخل كفه فيه، فيتمضمض، ثم يمجه في القدح، ثم يغسل وجهه في القدح،

ثم يدخل يده اليسرى فيصب على كفه اليمنى في القدح صبة واحدة، واليسرى مثل ذلك، ثم يفعل ذلك على مرفقه، ثم على قدمه، ثم على ركبتيه، ثم يُصب على رأس الرجل من خلفه صبة واحدة» (١).

وينبغي لمن طلب منه الاغتسال أن يغتسل، وهذا أمرٌ نرى خلافه عند كثير من الرجال، والنساء، فإذا حصل شيء، أو أصيبت امرأة من النساء وطلبت من أخواتها، وجيرانها الاغتسال، تظن بعض النساء أنها من المتهمات، وأنها هي التي أصابتها وأعانتها، فتأبى وترفض الاغتسال، وربما يحصل ما يحصل من المشاكل والشجار، مع أن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أرشد وأمر بذلك بقوله: "وإذا استُغْسِلْتُمْ فاغْتَسِلُوا" وقال لعامر: "اغتسل له".

وأخيراً أيها الإخوة الكرام، في ختام هذا الموضوع العظيم الذي طُرق على مسامعكم، ينبغي بداية الأمر، على من رأى شيئاً وأعجب به، أن يذكر الله **عَزَّ وَجَلَّ**، ويقول: تبارك الله، ما شاء الله، لماذا؟ لأن العين حق، كما سمعنا جميعاً: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۗ إِنَّ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (٣٩).

[سورة الكهف: ٣٩].

(١) شرح السنة للبخاري (١٢/ ١٦٥ / ٣٢٤٦).



ثم نقول، وآخر ما نقول: إن من أعظم الأسلحة التي يتسلح بها المرء، ويقي نفسه من الشر، والحسد، والعين، والضيق، وجميع الأمراض، هو المحافظة على الأذكار، وأن يعلق الإنسان قلبه، ولسانه بطاعة الملك الغفار: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ

وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [سورة البقرة: ١٥٢]:

وأكثر ذكره في الأرض دأبا لتُذكر في السماء إذا ذكرتا
ونادٍ إذا سجدت له اعترافا بما ناداه ذو النون ابن متى
أسأل الله العظيم بمنه، وكرمه، أن يقينا شر أعين الحاسدين، وأن يحفظنا
قائمين، وقاعدين، وراقدين.....



(أهمية الرقية الشرعية وعظمة أثرها)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].
 ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].
 ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧١-٧٠].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.
 معاصر المسلمين، لا يخفى علينا ما انتشر في هذا الزمان، وفي هذه الأيام من أمراض غريبة ومستعصية، حتى أصبحت كثير من بيوت المسلمين مليئة

بالأمراض بشتى أنواعها، وأصنافها، وأصبح كثير من الأمراض يبحثون عن أدوية يرفعون بها أمراضهم، واختلفت توجهاتهم باختلاف أمراضهم، فمنهم من يذهب إلى طبيب ماهر، ومنهم من يذهب إلى كاهن، أو ساحر، ومنهم من يدعو ويستغيث بأهل المقابر، نعم تنوعت توجهات الناس وأسبابهم باختلاف عقولهم، وعقائدهم، فمنها المباحة، ومنها المحرمة،

لكننا سنتحدث اليوم عن طب مفقود عند كثير من الناس، إلا من رحم ربي - وقليل ما هم - أنزله الله، وجعل فيه الشفاء والرحمة، وجعل فيه البركة والعافية، لا من مرض، ولا من عشرة، ولكنه شفاء لكل الأمراض الحسية، والمعنوية، شفاء للأمراض المزمنة، والمستعصية، شفاء للأمراض التي عجز الأطباء عن تطبيها، شفاء للعلل التي عجز طب عن مداواتها، وسماها بالأدواء التي ليس لها دواء، شفاء للقلب والكبد، والسرطان وغير ذلك، شفاء لهم، والقلق، والحزن، والضيق، والاكتئاب، وما أشبه ذلك: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ

وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ [سورة الإسراء: ٨٢]،

إنه القرآن الذي به حياتنا، وسعادتنا، وشفائنا، إنه القرآن الذي يفعل ما لا يفعله طب أطباء الدنيا ولو اجتمعوا له، إنها الرقية الشرعية، التي أمرنا وحثنا عليها حبيبا

محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

إنها الرقية الشرعية التي استغنى عنها، أو جهلها كثير من الناس، وأصبحوا يلجئون، ويطلقون كل الأسباب، ونسوا كلام رب الأسباب، ومسبب الأسباب جَلَّ وَعَلَا.

حديثنا اليوم عن الرقية الشرعية، التي هي الدواء الشافي، والعلاج المعافي، والتي كان معلم البشرية عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يحث أصحابه عليها إذا جاءوا يشكون إليه أمراضهم، فقد روى الإمام مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْ عِثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ شَكُوتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَجَعًا أَجَدَهُ فِي جَسَدِي مِنْذُ أُسَلِّمْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ يَرْبِي أَصْحَابَهُ عَلَى الْاعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ - قَالَ: ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأْلَمُ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: «بِسْمِ اللَّهِ، بِسْمِ اللَّهِ، بِسْمِ اللَّهِ، ثُمَّ قُلْ سَبْعًا: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَازِرُ!» (١).

ما أعظم التربية الإيمانية! ما أعظم اليقين برب البرية سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى! ما أعظم أن يعلق الإنسان قلبه بالله، الذي بيده الضر، والنفع، الذي بيده الشفاء، والعافية، فمن منا أيها الناس، من منا من الرجال أو النساء إذا أصيب بأي مرض من الأمراض، قبل أن يفكر بطبيب متخصص، قبل أن يفكر بمستشفى ما،

(١) رواه مسلم (٢٢٠٢).



قبل أن يتصل بمخلوق ضعيف، يتصل بالله ويعظم رجاءه بالله، ويملاً قلبه ثقة بالله، ويستشعر قوله سبحانه: ﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا آسَافًا﴾ [سورة الإسراء: ٨٢]، ثم يفعل ما أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عثمان بن أبي العاص، لماذا أيها الناس، لماذا قلّ الاعتماد على الله؟! لماذا ضعفت الصلة بالله؟! لماذا أصبحنا لا نلجأ إلى ربنا إلا بعد أن ييأس منا الأطباء؟!

لماذا يُسأل بعض الأمراض الذين يأتون إلى الراقين عن مدة مرضه، فيجيب بأن له سنوات في هذا المرض، وقد طاف، وعرف جميع المستشفيات، وعرف الأطباء وجميع العلاجات، فما وجد في ذلك نفعاً، ولا فائدة، ولا دواء، ثم يأتي بعد هذا الطواف الطويل ليحرب القرآن - كما يقول بعضهم -!

لماذا أصبح القرآن، والرقية الشرعية لا يُلتفت إليها إلا بعد أن ييأس المريض من حياته، وشفائه، أين الثقة بالله؟ أين تعظيم الله؟ أين اليقين بموعد الله؟! ربما لو عدك أيها المريض، مخلوق ضعيف مثلك، لركنت إلى وعده، ولفرح بموعده والذي بيده ملكوت السماوات، والأرض يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٦]، ويقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبَادَتِي

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر: ٦٠]. نسأل الله أن يردنا إليه رداً جميلاً!

والله لقد أصبح كثير من الأمراض يأتون إلى الأطباء ويتذللون بين أيديهم، ويحفظون أوامرهم، وتوجيهاتهم، وترى المريض يمتنع عن كل شيء يحبه، لا شيء ولكن لأن الطبيب أمر، ونهى، ومنع من هذه الأكلة ومن هذه الشربة، وقال اشرب كذا، ولا تشرب كذا، وكل من هذا كذا، واحذر من كذا، ولا إله إلا الله! ورب الطب والأطباء يعرض أوامره ولا يآتمر بها إلا القليل، ولا ينتهي عما نهى إلا النزراً اليسيراً!

ولا يعد هذا الكلام تنفيراً، أو تحريماً للذهاب للتداوي عند الأطباء، لا ولكن نأسف، ونتأسف على حالنا، وضعف اعتمادنا على خالقنا، ورازقنا.

وروى البخاري في صحيحه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث مجموعة من

الصحابة، ففني الطعام الذي كان معهم، فوقفوا على حي من أحياء العرب، فطلبوا منهم أن يضيفوهم، فمنعوهم، ثم لدغ سيد القوم، فجاء واحد منهم إلى الصحابة، وقال: إن سيد القوم لدغ، فهل عندكم راق؟! - أي: هل عندكم من يعالج بالرقية الشرعية - فقال أبو سعيد: أنا راق، لكن لا أرقيه إلا بقطع من الغنم! فوافقوا على ذلك، ثم أقبل، وقرأ عليه الفاتحة، فقفز المريض، أو سيد القوم، كأنما نشط من عقال، إلى آخر الحديث.....(١)

(١) رواه البخاري (٢٢٧٦).



فسبحان الله! انظروا يا عباد الله، وانظر أيها المريض إلى يقين هذا الصحابي الجليل بكلام الله العلي العظيم، واعتقاده بأنه شفاء محقق، لا للتجربة، ولا للحفظ، ولا للظنون، وإنما لأنه كلام الله المحفوظ.

هكذا ينبغي لمن يقرأ القرآن أن يستشعر عظمة القرآن، وأن يعلم علم يقين، أنه شفاء محقق، دون أي شك وقلق، ومن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله، ومن لم يكفه القرآن فلا كفاه الله، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (١)

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: أيضاً، «وهو يتحدث عن الفاتحة: ومكثت بمكة تعتريني أدواء لا أجد لها دواء، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة، وأرى لها تأثيراً عجيباً، فكان بعضهم يشكون إليّ أمراضهم، فأصفها لهم - أي: الفاتحة - فبراً كثير منهم سريعاً بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى « (٢) - .

هذه هي الفاتحة، هذه هي الفاتحة التي نحفظها كلنا، ونردها كل يوم في صلاتنا، هذه هي الفاتحة التي لا تحتاج إلى قارئ متخصص، ولا إلى صاحب صوت جميل، وإلى صاحب ترتيل عظيم، وإنما على قدر يقين المريض يأتي الشفاء بإذن الرحيم الكريم.

(١) زاد المعاد (٤/٣٢٣).

(٢) الجواب الكافي (ص ٩).

يقول أحد الدعاة: ذهبت مرة لزيارة والد صديقي، فلما دخلت غرفة الإنعاش، وكان عليه عدد من الأجهزة، وبجانبه ممرضة بريطانية، ومعها كتاب تقرأ فيه، ثم وضعت يدي على رأسه وجعلت أقرأ سورة الفاتحة سبع مرات، وقرأت آية الكرسي والمعوذات، قال: سبحان الله! وأنا أقرأ، وأرقي هذا المريض، إذا بالجهاز يصفر، فقامت الممرضة وأغلقت الكتاب، وعدلت الجهاز ثم جلست، ثم عدلت شيئاً آخر، ثم عدلت شيئاً ثالثاً، وصاحبي عبد الله يقول: هذا قرآن، هذا قرآن، قال: وأنا منشغل بالقراءة، ولم أدرِ بالذي يحصل، ثم لما انتهيت قلت: يا عبد الله ما الذي حصل؟ قال: أبي كان ضغطه منخفضاً انخفاضاً شديداً بعد العملية، حتى كاد يموت، فوضعوا له علاجاً ليرفع ضغطه بقدر معين، ولم يتحسن الوضع، فزادوه إلى مقياس أخطر، لأجل أن يرتفع الضغط، ولما بدأت تقرأ بدأ الضغط يرتفع من السبعين، إلى الثمانين، إلى التسعين، إلى المائة، فاستغربت هذه الممرضة البريطانية من هذا الذي فعل ما عجزت عنه هذه الأجهزة.

فانظر يا عبد الله إلى بركة القرآن، وإلى شفاء القرآن، وإلى تأثير القرآن!



ويقول أحد الشباب: كان لي صديق ألماني، كنت أخرج معه كل يوم بسيارتي، فكنت أشغل في السيارة شريط قرآن، وذات يوم ركبت السيارة وما أشغلت الشريط، فقال لي صاحبي الألماني: افتح الموسيقى التي تفتحها كل يوم، قلت: هذا قرآن وليست موسيقى، قال: افتح افتح، قلت: كيف وأنت لا تفهم من ذلك شيئاً، قال: لكنني كلما ركبت معك شعرت براحة لا أحس بها في أي وقت، حتى أنني أشتاق كل صباح لسماعه.

فسبحان الله! سبحان الله القائل: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الحشر: ٢١]، وسبحان الله! كما أن الجبال تتأثر بالقرآن، فإن الماء كذلك يتأثر ويتغير بالقرآن، فذرات الماء قبل القراءة، تختلف عن ذرات الماء بعد القراءة، والذي اكتشف هذا ليس رجلاً مسلماً، بل الذي اكتشفه عالم ياباني، وهو الذي ألف كتاباً وسماه "رسالة من الماء" وذكر أنه فتح شريط قرآن بجانب ماء، فلما انتهى من فحص ذرات الماء، وجدها متغيرة في أشكالها، وكان قد جرب ذلك بأناشيد، وأغانٍ، ولكن لم يحصل من التغير ما حصل للقرآن.

القرآن، القرآن يا أمة القرآن، إلى كل مبتلى، إلى كل مريض، إلى كل كئيب، إلى كل حزين، شفاؤكم بالقرآن، تداووا به؛ ثقوا بالله، فهو عند ظن عبده به،

علقوا قلوبكم بالقرآن، اقرأوا به على أنفسكم، اقرأ القرآن على نفسك أيها المريض، فأنت صاحب الوجع، وأنت صاحب الألم، وقراءة غيرك عليك، ليس كقراءتك على نفسك، وليست النائحة الثكلي كالمستأجرة.

ولا يشترط فيمن يقرأ على نفسه أن يكون عالماً، أو مجوداً، بل إن بركة القرآن تظهر بقدر يقين القارئ، وتوكله، وصدقه، وعظيم خضوعه وتذله.

أسأل الله أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا
وذهاباً لهمونا، وشفاءً لأسقامنا، وأبداننا!

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب؛
فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم!



(الخطبة الثانية)

الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

أيها المسلمون عباد الله، لقد سمعنا وتقدم معنا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعلم أصحابه أذكاراً ورقى يرقون بها أنفسهم، ويحفظون بها أبدانهم.

وهكذا ينبغي لكل مسلم، عاقل أن يحمي نفسه، ويحصنها، بالأذكار التي

شرعها الله عَزَّوَجَلَّ

ثم أوصيك أيها المريض إلى ما أرشد به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأذكار

اليومية، والرقى الشرعية، التي كان يعلم أصحابه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقد كان

يعلمهم أذكاراً، ورقى يرقون بها أنفسهم، ويحفظون بها أبدانهم، وهكذا ينبغي لكل

مسلم، عاقل أن يحمي نفسه، ويحصنها، بالأذكار التي شرعها الله عَزَّوَجَلَّ فهي

الحصن الحصين، والشفاء المبين، وإلا فإن الشياطين تعشعش في القلب الخرب

والفارغ من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ فكم هي البيوت التي امتلأت بالأمراض،

والموسوسين، والسبب هو الابتعاد عن طاعة الله رب العالمين، والغفلة عن

الأذكار اليومية، والرقى الشرعية.

ومن هذه الأذكار التي علمها النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أصحابه - : قول: «باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، فقد قال: من قالها ثلاث مرات حين يصبح، وحين يمسي لن يضره شيء!»^(١).

وقال أيضًا في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اقرأ قل هو الله أحد، وقرأ المعوذتين ثلاث مرات تكفيك من كل شيء»^(٢).

ويقول: «من قرأ الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة في ليلة، كفتاه»^(٣)، أي: حمته بإذن الله، ووقته، وحفظته من كل ما يضره، ويسوؤه. وغيرها كثير وكثير كما هو مدون في كتب السنة المطهرة.

وهنا رسالة نوجهها، وهي جواب عن سؤال كثير من الناس وهو: أنهم لا يجدون فائدة، ولا يجدون شفاء، ولا عافية؛ فقد يقرأ الواحد فترة من الزمن ثم يمل ويترك الرقية الشرعية، فنقول يا سبحان الله! قد يظل الواحد منا يتردد شهورا، بل دهورا على الأطباء، وعلى المخلوقين الضعفاء، ولا يكل، ولا يمل، ولا يأس، بل ربما قد باع بيته، وما فوقه وما تحته، كما يقول: بعضهم،

(١) رواه أبو داود في سننه (٥٠٨٨).

(٢) رواه أبو داود في سننه (٥٠٨٢).

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٧٠٩١).



وأما القرآن، والرؤية الشرعية، التي هي بدون أجر، وبدون أية خسارة مالية، فيقول ما وجدت فائدة، ولا أحسست بالعافية، والله المستعان.

فيا من تقرأ على نفسك القرآن، وما وجدت فائدة كما تقول، وتزعم: انظر في نفسك وحاسبها، ما هو السبب الذي جعلك لا تحس بالفائدة، ولا تشعر بالبركة والعافية؟ ربما أنك تقرأ القرآن، وليس في قلبك أي توكل على الله، أو ليس في قلبك يقين بموعد الله، كما نشاهده في هذا الزمان، فكثير من الناس لا يلجئون، ولا يعودون للقرآن إلا بعد الأطباء والمستشفيات، وبعد السفريات والعمليات، بل ربما - والعياذ بالله - بعد السحرة والمشعوذات! نسأل الله السلامة والعافية!

فانظر في نفسك - أيها المريض - ما الذي حجب عنك الفائدة؟ وما الذي أبعاد منك العافية،

صحيح أنه قد ربما تقرأ القرآن بيقين، بتوكل وخشوع، وبكاء وخضوع، لكن لا بد لك من التأمل، وإعادة النظر في السبب الذي حجب عنك العافية، ربما دعوة أصابتك من مظلوم ظلمته، فحالت بينك وبين بركة القرآن، وشفاء القرآن، فالظلم ظلمات يوم القيامة.

واختم لك بهذه القصة فلعل لك فيها عظة، وعبرة: يقول أحد من كان يعالج بالرؤية الشرعية، وممن قد شفى الله على يديه جموع كثيرة، قال: دخل علي رجل يظهر عليه أثر الغنى والثراء، ثم قال لي: يا شيخ، عندي ألم في يدي اليسرى يكاد

يقتلني، لا أنام في الليل، ولا أرتاح في النهار، ذهبت إلى أكثر من طبيب فما وجدت فائدة، ويشدد عليّ الألم حتى انقلبت حياتي عذابا، مع أن عندي يا شيخ مؤسسات، وشركات، وأخشى أني أصبت بعين حاسدة، قال الشيخ: قرأت عليه الفاتحة، والمعوذات، فلم يظهر عليه أي أثر، فشكرني وخرج، ثم رجع لي بعد أيام، وما زال يشكو من الألم، فقرأت عليه وأكثر عليه من القرآن، ولم يظهر عليه أي تحسن، فقلت له: لما اشتد عليه الألم، قد يكون ما أصابك هو عقوبة على شيء فعلته من ظلم أحد الضعفاء، أو أكل حقوقهم، أو غير ذلك، فانظر في نفسك وراجعها فيما فعلته فيما مضى من أيامك، فلم يرق له كلامي، وقال بكبر: أبداً ما ظلمت أحداً، وأشكرك على نصيحتك، ثم خرج وغاب عني أياماً، فخشيت أن يكون وجد في نفسه بنصيحتي،

ثم تفاجأت به يوماً في مكان ما، لقيني فأقبل إليّ مسلماً ومسروراً، سألته ما خبرك يا فلان؟ قال: الحمد لله؛ يدي بخير وعافية، بدون طبيب، ولا علاج! قلت: كيف؟ قال: لما خرجت من عندك في المرة الأخيرة، جعلت أفكر في نصيحتك، وأستعيد شريط ذكريات حياتي، وأفكر هل ظلمت أحداً؟! هل أكلت مال أحد من الناس؟! فتذكرت أني لما كنت أبني قصري، كان بجواره أرض لامرأة أرملة، فرغبت في ضمها إلى قصري؛ ليكون أوسع وأجمل، لكن الأرض كانت لهذه المرأة الأرملة



الذي توفي زوجها عنها، وخلف لها أولادا، فطلبت منها أن تبيعني هذه الأرض، لكنها أبت، وقالت: هي للأولاد حتى يكبروا وأخشى أن يتشتت المال، فأرسلت لها بعد مرة وهي تأبى، فقلت له: وماذا فعلت؟ قال: أخذت أرضها بطريقي الخاصة، فلديّ علاقات واسعة، ومعرفة كبيرة، قلت له: وأم الأيتام؟ قال سمعت بما حصل لأرضها فكانت تأتي وتصرخ بالعمال وهم يضحكون، يظنونها مجنونة وفي الواقع أنني أنا المجنون الذي أخذت أرضها، كانت تبكي وترفع يديها إلى السماء، هذا الذي كنت أراه بعيني، ولعل دعاءها في ظلمة الليل كان أعظم! قلت له: أكمل ما الذي حصل؟ قال ذهبت أبحث عنها حتى وجدتها، فبكيت بين يديها، واعتذرت لها، وأعطيتها تعويضا عن أرضها، ولا زلت بها حتى قبلت وسامحتني، ورفعت يديها لتدعو لي، والله يا شيخ ما أنزلت يديها إلا ودبت العافية في جسدي.

فلا إله إلا الله!

الظلم ظلمات، الظلم قد يحجب عن الإنسان العافية، قد يحجب عنه إجابة الدعاء، وبركة القرآن... إلى غير ذلك. كيف لا؟ وقد حرمه الله على نفسه، فقال: «إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً»^(١).

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧)، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نسأل الله أن يطهر أدينا، وألستنا من أعراض المسلمين، ومن دمائهم نسأل
الله أن يجعلنا من أهل القرآن، وأن يجعله ربيع قلوبنا، وشفاء لصدورنا، وجلاءً
لأحزاننا، وذهاباً لهمومنا، وغمومنا.....



(العلم نور والجهل ظلام)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَآنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر

الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المسلمين والمسلمات، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله - جل وعلى -

وأن نقدم لأنفسنا أعمالاً تبيض وجوهنا يوم نلقى الله: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [٨٨]

﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [سورة الشعراء: ٨٨-٨٩].

أيها المسلمون عباد الله، حديثي معكم في هذا اليوم المبارك بإذن الله عن أمر عظيم؛ عظمه الله من فوق سماواته، وأشهد أهله ومن أخذه على وحدانيته، هذا الأمر من صار من أهله رفع الله قدره، وأعظم أجره، وجعله وارثاً لأبيائه، ورسله هذا الأمر من صار من أهله عرف الله وقدره حق قدره، ولا يوفق له إلا من أراد الله به خيراً. - كما قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** «من يرد الله به خيراً، يفقهه في الدين» (١).

إنه العلم بكتاب الله وسنة رسوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، إنه العلم الشرعي الذي يحتاج إليه الإنسان أكثر من حاجته إلى طعامه، وشرابه؛ لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة، أو مرتين؛ والعلم إليه يحتاج بعدد الأنفاس، كما قال الإمام أحمد عليه **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

إنه العلم الذي امتن الله به على أنبيائه، ورسله؛ حيث جعله من نعمه، ومنه عليهم، فقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن نبينا محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ، لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ^ط وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ^ع وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ^ع وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ [سورة النساء: ١١٣].

(١) رواه البخاري (١/ ٢٤) و (٧١)، من حديث معاوية **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.



وقال في حق نبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۖ وَكَذَلِكَ

نَجَّيْنَا الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ [سورة يوسف: ٢٢]، وقال في حق عيسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ

يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي

الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ

كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ

تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا

مِنْهُمْ إِنَّا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ [سورة المائدة: ١١٠]

أمة الإسلام: إن العلم نور، وإن الجهل ظلام، وإن العلم الشرعي من أعظم ما

يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الْعَلِيمِ الْعَلامِ.

العلم نور وضياء يقتبس مكرم صاحبه حيث جلس
هل يستوي ضوء النهار والغلس شتان ما بين الحمار والفرس

ومع هذا الفضل العظيم، وهذا الشرف الكريم، إلا أن الناظر المتأمل إلى حال

الناس في هذا الزمان ليتعجب عجباً ممزوجاً بالحسرة والندم؛ يوم يرى كثيراً من

الناس يعرفون عن أمور دنياهم ومعاشهم، ويعرفون عن مآكلهم ومشربهم، وربما

عن جميع متطلبات حياتهم، ويجهلون شرع الله ودينه الذي ارتضاه لهم، وصدق

الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - إذ يقول: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ

إنك لتعجب من رجل قد أمضى حياته، وذهب معظم عمره وهو يتعلم عن أمور دنياه؛ وربما إذا قام ليصلي لا يعرف كيف يصلي، كما قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ عند قوله - سبحانه: ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (٧) [سورة الروم: ٧]، قال: «إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطئ، وهو لا يحسن يصلي!» (١).

إنك لتعجب من رجل قد قضى عشرات السنوات في غربته من أجل أن يبني له بيتا، أو - كما يقول - : شيئا لمستقبله؛ لكنه قد هدم نفسه، وتربية وتعليم أولاده الذي هو مستقبله، وشرفه الحقيقي!

يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إن الله يبغض كلَّ عالم بأمر الدنيا جاهلٍ بأمر الآخرة».

أليس عيبًا عليك يا عبد الله؟ أليس عيبًا عليك أن تعرف عن أمور الدنيا أكثر مما تعرف عن أمور الدين؟! أليس عيبًا عليك أن تملك السيارة، والعمارة ولا تحسن قراءة الفاتحة؟ أليس عيبًا عليك، ونقصًا في حقك أن تعرف كيف تقرأ لغة أعجمية؛ وإذا جئت لتقرأ القرآن صدعت الرؤوس من كثرة الأخطاء الخفية،

(١) تفسير البغوي (٢/٢٦٢).



والجلية؟ أما تستحي من الله أن تعرف عن تفاصيل دنياك الدنيئة ولا تعرف كيف تصلي كما أمرك الله رب البرية.

والله إن القلب ليحزن يوم ترى أستاذًا، أو مديرًا، أو تاجرًا، أو شيخًا في قبيلة، أو صاحب منصب في قرية، أو مدينة؛ ومع ذلك يتعدى حدود الله وهو لا يعلم، ولا يدري، إما بجمع الصلوات من أجل القات، وإما بالحلف بالطلاق، وإما بغير ذلك مما يندى له الجبين، ألا تبا وأفّ لدنيا شغلتنني عن تعلم أمور ديني!

لماذا -أيها الناس- لماذا وصل كثير من الناس إلى هذا المستوى بالجهل بشرع الله؟ لماذا أصبحوا يعيرون من جهل واقعه -كما يقولون- ولا يعيرون من جهل الله وشرع الله، وعبادته كما أراد؟! لماذا انقلبت الموازين، وأصبحنا نرى أصحاب كرة القدم، والفن والعفن يقدمون، ويكرمون بالملايين؛ وحملة كتاب الله، وسنة رسول الله ربما لا يسمح لهم بنشر شرع الله رب العالمين؟!!

لماذا نرى بعض الآباء يجري على الدنيا جري الوحوش من أجل تيسير عمل دنيوي لولده؛ من وظيفة، أو ما أشبه ذلك - ولا لوم في ذلك -

بينما تراه لا يدري هل يصلي ولده أم لا؟ وإذا قام يصلي هل يعرف كيف يصلي أو لا؟ لماذا نرى بعض الآباء قد قذف الله حب الخير في قلوب أولادهم؛ من حفظ كتاب الله، أو حرصهم على ما ينفعهم في أمور دينهم؛ لكن آباءهم يقفون

لهم بالمرصاد، ويحاربونهم، ويتهمونهم بضياعهم، أو فراغهم، أو عدم رجولتهم، إلى غير ذلك من الألفاظ التي تنبيك عن غياب الهوية، وضياع المسؤولية عند بعض الآباء؛ نسأل الله أن يهدينا وإياهم!

لماذا هذا كله؟ هذا كله -وربي- بسبب الجهل بشرع الله، وبسبب الجهل بالمقصد الأسمى بوجودنا في هذه الحياة، أليس كذلك أيها الناس؟

فهيّا قف وع، واسمع معي بعض أخبار أصحاب الهمم العالية؛ فهي -والله- من خير الوسائل التي تغرس الفضائل في النفوس، وتدفع النفوس الضعيفة إلى تحمل الشدائد، والمصاعب في سبيل الغايات النبيلة، والمقاصد الجليلة: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يوسف: ١١١]، حدث حديثهم لله درهم!

دعونا نقلب صفحات قليلة من أخبار أصحاب الهمم الجليلة، ونعيش مع أولئك الذين عرفوا قدر العلم، وعرفوا منزلته عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**؛ فبدلوا الغالي والنفيس، وقطعوا الفيافي والقفار، وفعلوا ما فعلوا -مما ستسمعون، وتعجبون-؛ من أجل العلم، ومكانته؛ ومن أجل أن يرفعوا عن أنفسهم الجهل، ومذمته.

ذكر الذهبي رَحْمَةُ اللَّهِ فِي سِيرِهِ: «أن بقية بن مخلد الأندلسي كان جُلُّ بغيته ملاقاة الإمام أحمد رَحْمَةُ اللَّهِ، فخرج من الأندلس ماشياً على قدميه، قال: فلما اقتربت من بغداد اتصل بي خبر المحنة الذي دار على الإمام أحمد، وعلمت أنه ممنوع من الاجتماع معه، والسماع عنه، فاغتمت لذلك غمًا شديدًا، ولم أعرج على شيء، بل أنزلت متاعي في بيت اشتريته،

ثم أتيت الجامع الكبير وحضرت بعض الحلق، ثم خرجت أستدل على منزل الإمام أحمد فدللت عليه، وقرعت بابه، فخرج ونظر إليّ نظرة رجل غريب لا يعرفه، قلت: يا أبا عبد الله؛ رجل غريب، وهذا أول قدومي البلد، وأنا طالب حديث وجامع سنة، ولم تكن -والذي لا إله إلا هو- رحلتي إلا إليك يا إمام أفعال الإمام أحمد: ادخل الممر ولا تقع عليك عين، فدخلت الممر، فجاء إليّ وقال: من أين؟ قلت: من المغرب الأقصى من الأندلس، فقال: إن موطنك لبعيد، وما كان من شيء أحب إليّ من أن أحسن عون مثلك؛ غير أنني في حينى هذا ممتحن بما لعله قد بلغك؟

قلت: بلى قد بلغني، وأنا قريب من بلدك بعد أن قطعت ما قطعت مقبلاً نحوك، لكن يا أبا عبد الله هذا أول دخولي البلد، وأنا مجهول عندكم، فإذا أذنت لي أن أتيك في زي سائل وأقول ما يقول السائلون: الأجر رحمكم الله، الأجر رحمكم

الله، فتخرج إلى هذا الممر فلو لم تحدثني كل يوم إلا بحديث لكان فيه خير عظيم، فقال الإمام أحمد: نعم؛ على شرط ألا تظهر في حلق أصحاب الحديث، فكنت آخذ عودا في يدي، وألف رأسي بخرقه، وأضع ورقتي في كمي ثم آتي وأصيح: الأجر رحمكم الله، الأجر رحمكم الله، فيخرج إليّ في الممر، ويغلق باب الدار ثم يحدثني بالحديثين، والثلاثة، حتى اجتمع لي نحو ثلاثمائة حديث، والتزمت تلك الطريقة حتى زالت المحنة على الإمام أحمد، ثم بعدها مات المبتدع - أي الذي كان يكرهه ويلزمه بالقول بخلق القرآن - وتولى من كان على السنة، وظهر الإمام أحمد، وسما ذكره، وعظم في عيون الناس، فكانت تضرب إليه أباط الإبل، فكنت أحضر له فيعرف لي حق صبري، ويعرف لي حق تجلدي في طلب العلم، فإذا رأني هس، وبش، وقال تعالى إليّ! وأفسح لي في مجلسه، وأدناني من نفسه، ثم يقول لطلبة العلم: هذا هو الذي يستحق أن يطلق عليه اسم طالب علم! ثم يقص عليهم قصتي، قال: ثم إنني مرضت يوماً من الأيام فزارني الإمام أحمد، فما بقي أحد بعد ذلك إلا زارني، وأجلني الناس لزيارته، وخدموني فواحد يأتيني بفراش، وآخر يأتيني بلحاف، وآخر بأطياب الأغذية، وكانوا في تمرّضي - والله - أكثر من تمرّض أهلي لو كنت بين أظهرهم».



فلا إله إلا الله ما أعظم العلم، والعلماء، وما أعلى، وأرقى منزلتهم عند أهل الأرض، وأهل السماء، «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير!»^(١) ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة المجادلة: ١١].

إن الشرف كل الشرف هو بالعلم، وإن قدرك يا طالب العلم عند العقلاء هو: بدينك وعلمك، لا بجاهك ومالك، فتعلم -رحمك الله- واطلب العلم وكن حريصاً عليه، كلما رأيت معلماً، كلما سمعت درسا، حتى وأنت في عملك، وأنت في متجرك، وفوق سيارتك، وإياك أن ترضى بالجهل لنفسك، إياك أن تكون جاهلاً لا تعرف كيف تتقرب إلى ربك!

وهذا موقف آخر ذكره الذهبي -أيضاً- في سيره: أن هشام بن عمار رَحِمَهُ اللَّهُ كان شغوفاً بطلب العلم وهو صغير، وكان معاصراً للإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ جاءه، وقطع إليه المسافات، ورحل إليه الرحلات، فلنسمعها لعل لنا فيها عظة، وعبرة بإذن الله -سبحانه- يقول محمد بن الفيض الغساني: سمعت هشام بن عمار يقول: باع أبي بيته بعشرين ديناراً، وجهزني للحج، وطلب العلم، قال: فتوجهت من دمشق تاركاً أهلي، ووطني؛ رغبة في الحج إلى بيت الله، ولقاء

(١) رواه الترمذي في سننه (٢٦٨٥)، عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وجاء عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأئمة أمثال رَحْمَةُ اللَّهِ، قال: فلما جئت المدينة أتيت مجلس الإمام مالك رَحْمَةُ اللَّهِ ومعني مسائل -أي: أنه أعد مسائل يريد أن يسأل عنها الإمام مالكا، قال- وأريد مع ذلك أن يحدثني، فأتيته وهو جالس في هيئة الملوك، وغلما ن قيام حوله، والناس يسألونه فيجيبهم، ويتدفق في جوابه كالبحر، قال فلما انقضى المجلس قمت لأسأله، وأطلب أن يحدثني، فاستصغرنى ورآني لست أهلا للرواية، فقال: حصلنا على الصبيان! أي لم يبق إلا الصبيان، فقال لأحد غلمانة الذين حو اليه: احملة، فحملني كما يحمل الصبي وأنا يومئذ غلام مدرك، يقول ابن جزرة ودخل هشام ذات يوم على الإمام مالك بغير إذن، وقال: حدثني، فرفض الإمام مالك، قال هشام: فكررت عليه، وراجعتة، ورا ددته، فقال لغلما نه: خذ هذا واضربه خمسة عشر سوطا، فأخذه، وذهب به، وضربه خمسة عشر سوطا، فوقف هشام يبكي على الباب، فخرج الإمام مالك فرأه يبكي، فقال: ما يبكيك يا هشام؟ أو أوجعتك؟ فقال هشام: إن أبي باع بيته بعشرين دينار، ووجهني إليك لأتشر ف بالسماع

منك، فضربتني، وظلمتني بغير جرم فعلته سوى أني أطلب حديث رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والله لا جعلتك في حل، لأسأئناك بين يدي الله!

فتأثر الإمام مالك، وعلم أنه طالب علم، وأنه طالب حديث، وجامع سنة بحق، فقال يا بني، ما يرضيك؟ ما كفارة ذلك؟ فقال هشام: أن تحدثني بكل صوت ضربتنيه حديثاً عن رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فجلس الإمام مالك وقال: حدثنا فلان، عن فلان عن فلان، وسرد له خمسة عشر حديثاً، فقال بعدها: يا إمام: زد في الضرب وزدني من الحديث، فضحك الإمام مالك - **رَحِمَهُ اللهُ** - وقال: اذهب.

فانظروا - رحمكم الله -، انظروا كيف عرفوا العلم، وفترة، واستعذبوا العذاب في سبيل الحصول عليه، باعوا بيوتهم، قطعوا الفيافي والقفار حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه؛ لأنهم يعرفون أنه بواسطة العلم يعبد الله على بصيرة، بواسطة العلم ينشر الدين، ويعلو أمر المسلمين، وينقاد العباد لرب العالمين.

ثم انظروا أيها الآباء إلى أولئك الذين كانوا يعرفون حقيقة المسؤولية، انظر يا من استرعاك الله على رعية، انظر في أبنائك، انظر في أوقات فلذات كبذك، انظر في جلسائهم، وانظر في أوقاتهم، واشغل نفسك بتعليمهم، وتربيتهم قبل أن تأتيك المزعجات من أخبارهم، عرفهم بحق خالقهم لكي يتعرفوا على حقوق آبائهم، وإلا تفعل كنت أنت أيها الأب أول ضحيتهم.

فقد جاء أحد عوام الناس إلى بعض العلماء، فقال: إن أبنِي ضربني، ومد يده في وجهي! فقال له العالم: هل علمته؟ قال: لا. قال: أنت الذي جنيت علي نفسك! نعم أنت الذي جنيت علي نفسك؛ فلو أنك عرفته بالله لعرفك، ولو أطاع الله لأطاعك!

وها هو الحافظ ابن عساكر رَحِمَهُ اللهُ لاقى في تحصيل العلم ما لاقى من الشدائد، كما ذكر ذلك الذهبي وغيره، هجر من دمشق إلى نيسابور، وكانت ذات ثلج شديد، وبرد زمهرير لم يألفه في موطنه دمشق، وفي ذات ليلة تحت وطأة الغربة، وفراق الأحبة، وشدّة برد البلدة، قال وهو يصور معاناته، ويذكر لأهله أنه لا يزال على عهدِه في طلب العلم ثم العودة إليهم، فكان مما قال:

لولا الجحيم الذي في القلب من حرقٍ لفرقة الأهل والأحباب والوطن
لُمْتُ من شدة البرد الذي ظهرت آثار شدته في ظاهر البدن
يا قوم دوموا على عهد الهدى وثقوا أني على العهد لم أغدر ولم أحن

ثم ذكر ما كان له من أسفار متواصلة، ورحلات في الأرض متباعدة في طلب

العلم، فقال رَحِمَهُ اللهُ :

وأنا الذي سافرت في طلب الهدى سفرين بين فدادن وتنائف
وأنا الذي طوفت غير مدينة من أصبهان إلى حدود الطائف



الشرق قد عاينت أكثر مُدنه
بعد العراق وشامنا المتعارف
وجمعت في الأسفار كل نفيسة
ولقيت كل مخالف ومؤالف
وسمعت سنة أحمد من بعد ما
أنفقت فيها تالدي مع طائفي
لله درهم، ما أمضى عزائمهم!، وما أشد جلدهم، وشوقهم، وشغفهم، ولهفهم

لطلب العلم، وما أقواهم على الدخول فيما يريدون حين يريدون،
طافوا الدنيا لتحصيل العلم، ذرعوها بالأقدام، يوم لم تكن هناك لا كمبيوترات،
ولا سيارات، ولا طيارات، وإنما ذرعوها ذرعا بأقدامهم، حتى قال ابن حبان:
«لقد بُلت الدم مرتين في طلب العلم؛ مرة ببغداد، ومرة في مكة».

ويقول بعضهم: «لقد شربت بولي أكثر من مرة في طلب العلم».

وبعضهم يقول: «لقد مشيت في طلب العلم أكثر من ألف فرسخ - أي: ما

يقرب من خمسة آلاف كيلو متر مربع - خمسة آلاف كيلو متر طافها بقدمه!

قال: ثم تركت العد بعد ذلك؛ -أي: أنه لم يعد المسافات بعد أن وصل وجاوز
الخمسـة الألف فرسخ».

وهذا أبو بكر بن سالم بن سليمان رَحِمَهُ اللهُ قال: رحل أبي من نيسابور؛ ليكتب

عن ابن المبارك؛ فلما وصل إليه أنشده هذه الأبيات فقال:

يا بن المبارك تبكييني برنات

ففي فؤادي منها شبه كيات

وسرت نحوك في تلك المفازات

وما أمنت بها من لدغ حيات

أخاف صولتها في كل ساعات

إن خف ذاك وإلا بالعشيات

عنا وإلا رميناكم بأبيات

وليس نرجو سوى رب السماوات

خلفت عرسي يوم السير باكية

خلفتها سحرا في النوم لم أرها

أهلي، وعرسي، وصبياني رفضتهم

أخاف والله قطاع الطريق بها

مستوفزات بها رقص مشوهة

اجلس لنا كل يوم ساعةً بكرةً

يا أهل مرو أعينونا بكفكم

لا تضجرونا فلنا معشرٌ صبرٌ

هكذا كانوا رَجَّهْمُ اللَّهِ! باعوا بيوتهم، ابتعدوا عن نسائهم، وعن أعز ما لديهم؛

من أجل أن يرفعوا الجهل عن أنفسهم.

إذا ما أنت ربك قد عرفت

فليس يضرك الإعسار شيئاً

إذا بالجهل نفسك قد هدمت

وما يغنيك تشييد المباني

ليس عيباً عليك أن تكون فقيراً، أو أن تكون ذميماً، أو مريضاً، إن العيب كل

العيب أن تكون غافلاً، وبدين الله جاهلاً.

تجرع ذل الجهل طول حياته.

فمن لم يذق مر التعلم ساعة

فمن شرف العلم وفضله أن كل من نسب إليه فرح بذلك، وأن من نسب إلى

غيره ساء ذلك.



وها هو الإمام الزمخشري **رَحْمَةُ اللَّهِ** كان يعبر عن راحته، ولذته في سهر الليالي

في طلب العلم فيقول:

سهرى لتنقيح العلوم أذلي
وصرير أقلامي على صفحاتها
وألذ من نقر الفتاة لدفها
وتمايلي طربا لحل عويصة
وأبيت سهران الدجى وتبيته
من وصل غانية وطيب عناق
أحلى من الدُّغَاء والعشاق
نقري لألقي الرمل عن أوراقى
في المدرس أشهى من مدامة ساقى
نوما وتبغى بعد ذاك لحاقى

شتان شتان بين من يجد، ويجتهد، ويتعب، وبين من ينام، ويلهو، ويلعب،

أيها الناس: إن للعلم لذة لا يعرفها إلا من ذاقها، وطعم حلاوتها، **حتى قال قائلهم**

-مرغبا ولده بذلك -:

ما لذة الناس في الدنيا بأجمعهم
كلذتي في طلب العلم يا ولدي
ولا الملوك ولا أهل اللهو والطرب
فالعلم معتمدي حقا ومكتسبي

ووالله لولا جهل الناس بحلاوة هذه اللذة، وعظم قدرها لتجالدوا عليها

بالسيوف، لكنها حُفَّت بحجاب من المكاره، وحجبوا عنها بحجاب من الجهل؛

ليختص الله بالعلم من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

نعم - والله - لولا جهل العالم بالعلم لأصبح العالم علماء، ولكنه فضل الله

يؤتیه من يشاء.

ومن عجائب ما ورد في ذلك: ما جاء في ترتيب المدارك: أن ابن القاسم - عليه
رحمة الله - تزوج ابنة عمه، ثم حملت منه، وكان **رَحْمَةُ اللَّهِ** شغوفا بطلب العلم،
فقرر أن يرتحل لطلب العلم، ثم خيرها عند سفره بين صبرها، أو طلاقها،
فاختارت البقاء إعانة منها لزوجها، فسافر حتى أتى المدينة وترك زوجته في بلده
حاملًا، فاسمع ماذا يقول عن نفسه:

كنت آتي كل يوم الإمام مالك **رَحْمَةُ اللَّهِ** في آخر الليل فأسأله عن مسألتين، أو
ثلاث، أو أربع، وكنت أجد منه في ذلك الوقت انشراحًا؛ فكنت أستغل ذلك
الانشراح فأتيه كل سحر، ثم جئته يومًا فتوسدت عتبة بابه، فغلبتني عيناى فنمت،
وخرج الإمام مالك إلى المسجد ولم أشعر به، قال: فخرجت جارية سوداء
فركظتني برجلها وقالت: إن الإمام قد خرج إلى المسجد ليس يغفل كما تغفل،
إن له الآن تسعًا وأربعين سنة قلما صلى الصبح إلا بوضوء العشاء، يصلي الصبح
بوضوء العشاء لمدة تسع وأربعين سنة!

يقول ابن القاسم: فأنخت بباب مالك سبع عشرة سنة أطلب العلم، والله ما بعث
فيها ولا اشتريت شيئًا، وإنما أطلب العلم، قال: وبينما أنا عنده إذ أقبل حجاج
مصر، وإذ بشاب ملثم دخل علينا فسلم على الإمام مالك وقال: أفيكم ابن
القاسم؟ فأشير إليّ، قال: فأقبل عليّ يقبلني بين عيني، ويدي، فوجدت منه رائحة



طيبة، وإذا هي رائحة الولد؛ وإذا هو ولدي الذي ذهبت وهو في بطن أمه، قد أصبح شابًا يافعًا.

فلا إله إلا الله! ما أعظم أخبارهم، وما أعجب قصصهم، وهممهم، تركوا كل شيء، وأعطوا العلم كل شيء؛ ففتح الله عليهم فتحًا لا يخطر بالبال، ولا يدور بالخيال، وقصة ابن القاسم أعظم مثال، ترك زوجته وهي حامل ولم يفاجئ إلا وابنه يسلم عليه، ويقبله وما قد رآه طوال حياته، لماذا؟ لأن كل شيء يهون أمام العلم، ومن يعرف المطلوب يحقر ما بذل، وإن العالم وجوده في الأمة يضيؤها وينورها؛ كالقمر يضيء الدنيا كلها.

إخواني الكرام هذه بعض أخبارهم في نصبهم، وفي تعبهم، وهجرهم لراحتهم، وترك نسائهم، في الصبر على شغف العيش، ومرارة الفقر، في ذهاب أموالهم ونفقاتهم وأعز ما لديهم، فهلا كانت مجلة للقلوب من الصدا ولكسل، ومدعاة لتحريك الهمة للجد والعمل، فأنتم كههم، ومن يشابهه أبه فما ظلم:

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب؛

فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم!



(الخطبة الثانية)

الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أيها المسلمون عباد الله،

وبعد أن سمعنا ما سمعنا من الأخبار، ومن قصص همم سلفنا الأخيار، في قطعهم الفياقي والقفار، وتركهم النساء، وبيعهم الديار. نعم ذرعوا الأرض على أقدامهم، وآثروا العلم عن متعتهم، وراحتهم؛ كل ذلك من أجل أن يرفعوا الجهل عن أنفسهم؛ ولكي يكونوا ضياءً، وسراجا، ونورا لأمتهم، نعم تعبوا، وسافروا، واجتهدوا، ثم بعد ذلك أصبحوا نعم الرجال، وخير من تستنير بهم الأجيال، بل صاروا ملوكا، وأعظم - والله - من الملوك، وإن أردت أن تعرف حقيقة ذلك فدونك بعض النماذج على ذلك:

هذا عبد الله بن المبارك -عالم أهل خراسان- حين كان الناس مجتمعين حول هارون الرشيد؛ إذ قبل عبد الله بن المبارك، فما إن رآه الناس إلا وتركوا هارون الرشيد، وأقبلت إليه قلوبهم وأجسادهم، وعلت أصواتهم، وتقطعت نعالهم،



وارتفع غبارهم من شدة الشغف واللهف إلى لقاء العلماء أمثال عبد الله ابن المبارك، وفي هذا المشهد الرهيب، خرجت من أعلى القصر جارية لهارون الرشيد، فقالت: ما هذا؟! ما الذي حصل؟! وما هذه الضجة، ما هذا الصباح وما هذه الجلبة؟ قالوا: هذا عالم من أهل خراسان!

فقالت الجارية قولتها الخالدة: هذا -والله- هو الملك، لا ملك هارون الذي ما يأتيه الناس إلا بالشرطة والمال!

إي وربي، إن هذا هو الملك، وهذه هي السيادة، وهذا هو الشرف وهذه هي الريادة!

ورحم الله الألبيري حين قال:

لئن جلس الغني على الحشايا لأنت على الكواكب قد جلستا
لئن ركب الجياد مسومات لأنت مراكب التقوى جلستا

وها هو الخليفة المأمون كان قد وكل الفراء أن يعلم ابنه النحو؛ فلما أراد الفراء أن يقوم يوماً إلى بعض حوائجه، ابتدره إلى نعله أبنا الخليفة يقدمان له الحذاء، ويتنازعان على تقديمه، ثم اصطلحا أن يقدم كل واحد منهم فردة من أحذيته، وكان للمأمون على كل شيء صاحب خبر- أي من يوصل له الخبر- فوجه إلى الفراء يوماً فاستدعاه، فلما دخل عليه قال له: من أعز الناس؟ قال: ما

أعرف أحدا أعز من أمير المؤمنين، قال: بلى، من إذا نهضت قاتل على تقديم نعليه
وليا عهد المسلمين، حتى رضي كل واحد منهم أن يقدم فردة من أحذيته!
سبحان الله العظيم! أولاد أمير المؤمنين، وخليفة المسلمين يتنازعان في تقديم
أحذية العالم الفراء رَحْمَةُ اللَّهِ

إن الأكابر يحكمون على المورث وعلى الأكابر تحكم العلماء.

وقيل لأبي جعفر المنصور - الخليفة العباسي -: يا أمير المؤمنين، هل بقي من

الذات شيء لم تنله؟ قال: شيء واحد، قالوا ماهو؟ قال: قول المحدث للشيخ:
من ذكرت رحمتك الله؟ فما كان من وزرائه إلا أن اجتمعوا، وجلسوا حوله وقالوا
ليملي علينا أمير المؤمنين - أي من أجل أن ينال هذا الشرف - قالوا: ليملي علينا
أمير المؤمنين شيئا من الحديث، فقال: لست منهم، إنما هم الدنسة ثيابهم،
المشقة أرجلهم، الطويلة شعورهم، رواد الآفاق، تارة بالشام، وتارة بالعراق،
وتارة باليمن، وتارة بالحجاز، هؤلاء هم نقلة الحديث.

الله أكبر!

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللجهال مال
فعز المال يفنى عن قريب وعز العلم باقٍ لا يزال



وهذا علي بن الحسين بن علي بن طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا دخل مكة يوماً وأراد أن يزور الكعبة، فلما رآه الناس أفسحوا له الطريق، ثم دخل وقبّل الحجر الأسود ثم خرج، وكان هشام بن عبد الملك قد دخل قبل ذلك وما أوسع له أحد، وما استطاع من الزحام أن يقبل الحجر الأسود، فلما رأى رجلاً من الشام هذا الموقف الذي حصل لزين العابدين قال -متعجباً- من هذا؟! - أي من هذا الذي أوسع الناس له وما أوسعوا للخليفة - قال هشام بن عبد الملك متنكراً وحاسداً: لا أعرفه، فقال الفرزدق قصيدته العصماء سلمي عنه يا شامي:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا النقي التقي الطاهر العلم

وليس قولك من هذا بضائره العُربُ تعرف من أنكرت والعجم

إي -والله- إن العلماء هم الملوك حقا، وهم أصحاب السيادة، والريادة

صدقاً، حتى ولو لم يملكوا شيئاً من الأموال والحشم، ولو لم يكن لهم شيء من

الزعامة والخدم.

أدرك هذه المنزلة، وهذه الرفعة والمكانة، بعض الأمهات فكن يربين أولادهن

على هذا الشرف، لا على العطالة، والبطالة، والترف!

فكانت أم عبد الرحمن بن الأوقص تقول لولدها - وقد كان مشوهاً في خلقته؟ أسود في بشرته، أفتس في وجهه، أنيابه بارزة، كتفاه ناتئتان، - كانت تقول له: يا بني -والله- ما كنت في قوم إلا كنت المسخور به، المضحوك عليه؛ فاطلب العلم يا ولدي عل الله أن يرفعك! - رفعك الله يا أم عبد الرحمن في الدنيا والآخرة- فطلب العلم ولدها؛ فكان إذا جلس إليه خصمان ليتحاكما إليه يرتعدان من المهابة قبل أن يتكلما بين يديه.

ومثله عطاء بن أبي رباح، ذكر الذهبي: أنه كان مشوهاً في خلقته، أفتس الوجه، مقطوع اليد، وأسود اللون، قال: وكان يحدث الناس بمكة ويحضر مجلسه المملوك.

ومن جميل ما يذكر، ما ذكره ابن حجر في الجواهر والدرر: أن الإمام الكسائي رَحِمَهُ اللهُ كان قد بلغ الأربعين من عمره ولا يزال يرعى الغنم، وبينما هو يسير في طريقه يوماً من الأيام، رأى أمًا تحث ولدها على الذهاب إلى حلقة العلم والقرآن، وهو لا يريد أن يذهب، فقالت له: يا بني اذهب، حتى إذا كبرت لا تكون مثل هذا الذي يرعى الغنم، فتأثر الإمام الكسائي من كلام هذه المرأة وقال: أنا الذي يضرب به المثل بالجهل!



فذهب فباع غنمه وانطلق إلى طلب العلم وتحصيله؛ فأصبح إمامًا في القراءة واللغة، ومضرب المثل في العلم والهمة!

ما أجمل هذه الأخبار العجيبة! وما أعظم هذه الهمم العالية! نسأل الله الكريم من فضله!

أيها الإخوة الكرام: هذا الموضوع الشريف الذي طُرق على مسامعكم، ينبغي لكم أن تجعلوه نصب أعينكم، ونبراسًا في حياتكم، وتعلموا أن الجهل رأس كل بلية، وأصل كل رزية، فالجهل مع الفقر يجلب الإجرام، ومع الثراء يأتي الفساد ومع الحرية والسلطة يكون الفوضى والاستبداد، ولكن إذا كان مع الفقر علمٌ جاءت القناعة، وإذا كان مع الثراء تولد منها الإبداع، ومع الحرية السعادة الأبدية، وإذا صحب السلطان جاء من العدل لا الاستبداد والأنانية.

فلا بد أن نعلم أن طلب العلم ليس مقصوراً على فئة معينة، أو في بيئة مخصصة، الحرص على طلب العلم ليس خاصاً بمن كان فارغاً، أو مثقفاً، أو معلماً، بل لا بد من تحصيل العلم، والاهتمام به على كل مسلم رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً.

فاغتنموا- رحمكم الله- أوقاتكم بما ينفعكم في أمور دينكم، واعلموا أن منزلتكم عند خالقكم هي بأعمالكم، وصلاح دينكم، ومعرفتكم بشرع ربكم.

اغتنم وقتك - يا عبد الله - بحضور الدرس الذي في مسجدك، احرص على سماع وقراءة المفيد وأنت في متجرك، وأنت تمشي بسيارتك، وأثناء سفرك، اغتنم وقتك وأنت في مقيلك مع أصحابك، ورفاقك، أو على نقاش مفيد مع جلسائك، أو على تسييح، وتمجيد، لخالقك، فإن لم يكن هذا، ولا ذاك، فاعتزل تلك المجالس، فقد قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: ما من قوم اجتمعوا في مجلس ولم يذكروا الله فيه إلا كانت عليهم من الله ترة - أي: حسرة - وفي رواية: إلا قاموا على مثل جيفة حمار!

نسأل الله السلامة والعافية، نسأل الله أن يفقهنا في ديننا، وأن يجعلنا من الدعاة المصلحين لإخواننا، ولأمتنا! اللهم فقهنا في ديننا، وعلمنا ما ينفعنا، وزدنا علماً! اللهم أجعلنا من علماء دينك، وحماة شريعتك، ومن المحسنين لعبادك يا رب العالمين!



(أحوال الناس في استقبال رمضان)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].
 ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].
 ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.
 أيها المسلمون عباد الله، وما هو الزمان يجري، وما هي الأيام تنقضي، وما هي الشهور قد انسلخت، وما هي الأعوام قد انقضت، وما هي أمة الإسلام، في

مشارك الأرض ومغاربها لم يبق لها إلا بضعة أيام حتى تستقبل هلال شهر رمضان، وشهر الصيام، والقيام، والقرآن: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥].

أتى رمضان مزرعة العباد لتطهير القلوب من الفساد
فأدّ حقوقه قولاً وفعلاً وزادك فاتخذه إلى المعادي
فمن زرع الحبوب وما سقاها تأوه نادما يوم الحصاد
أمة الإسلام، لقد جعل الله جَلَّ وَعَلَا الصيام أحد دعائم الإسلام العظام، وجعل فيه من الآيات ما يعجز عنه جميع الأنام، فها هو العالم كله يعيش في بحار الشهوات، والمشتهيات، والماديات، والمغريات، فيأتي الله بالصيام في شهر رمضان ليجعل سدس العالم طوعاً يقف عن شهواته، ومشتهياته، ليحلق بروحه مع جمال الصوم، ونفحاته،



وليري بقية العالم المعرض عن خالقه، وعبادته، والذين يسعون ويجتهدون في غرس الشهوات، والانكباب حول الملذات بين عباده، أن المسلمين لا يقدمون رغباتهم، وشهواتهم، ولا ما يفتنون، ويُغرون به من قبل أعدائهم، عن طاعة خالقهم، وأن حبه في قلوبهم أعظم من حاجتهم إلى طعامهم، وشرابهم، وضروريات حياتهم.

فلو اجتمعت وأجمعت دول العالم، ومفكروها، وعباقرتها، وفلاسفها، ليجعلوا مئات الآلاف من الملايين تصوم حتى يوما واحدا ما وجدوا لذلك سبيلا، ولو جدوا فيهم اختلافاً كثيراً.

فما أعظم هذا الشهر الكريم! وما أجمل أن ترى المسلمين في العالم أجمع وهم في عبادة واحدة لله رب العالمين! إنها شعيرة جليلة، وعبادة مهيبة، تنبيك بعظمة هذا الدين، وبانقياد المسلمين لخالق الأولين والآخرين.

ها هو أحد الذين كانوا يعيشون على غير ملة الإسلام يحكي قصة إسلامه، وأنها كانت بسبب رمضان، قال: إنه تعجّب من المسلمين في قريته، كيف كانت وجوههم تتقلّب في السماء عندما انصرم الشهر الذي قبل شهر الصوم، وكأنهم ينتظرون إشارة من خالق الكون، فلما رأوا الهلال فرحوا فرحا عظيما، وكأنهم بُشّروا بأعظم البشري، ولم أتوقّع أن يكون فرحهم، وبشراهم بأنهم سيتمتعون

عن الشهوات طيلة شهر بأكمله، وسيحرمون أنفسهم من الطيبات، والمشتهيات كلُّ باختياره، ومن تلقاء نفسه!

هذه الشهوات التي يتنافس البشر عليها، وتزهق الأرواح من أجلها، وتقوم الحروب، وتباد أمم بسببها، لكنَّ المسلمين في شهر رمضان يمتنعون عن نساءهم، وعن طعامهم وشرابهم؛ استجابة لخالقهم الذي أمرهم، وكتب الصيام عليهم، قال: فصمتُ معهم، وأنا لا أعرف الإسلام، ولم أنطق بالشهادتين، بل أكتفي بالامتناع عن الشراب والطعام، وكنت أفطر إذا سمعت أذان المسجد لصلاة المغرب، وأذهب فأصلي معهم في الليل - صلاة التراويح - وأصنع مثل ما يصنعون، غير أنني لا أتكلم بشيء، لكنني أجد راحة عجيبة، وسكينة لم تعرفها روحي من سنوات عديدة،

حتى إذا انتصف الشهر، لاحظني إمام المسجد وكأنني غريب عن القوم، فسأل عني، فلما أخبرته بأمره دهش من قصتي اندهاشاً حملة على أن يجمع الناس حولي ليسمعوا مني، فلما سمعوا قصتي علموني الإسلام، فنطقت بالشهادتين، فكبروا وقالوا: أنت أسلمت على يد رمضان، وسموني رمضان.



فديتك زائراً في كل عام تُحيًا بالسلامة والسلام
 وتقبل كالغمام يفيض حيناً ويبقى بعده أثر الغمام
 وكم في الناس من كلف مشوق إليك وكم شجي مستهام

فيا لله من هذه الآية العظيمة، ومن هذه الشعيرة الجليلة! وكيف لا تكون
 كذلك، وقد جعل الله في هذا الشهر من الأعمال والفضائل العظام ما لم يجعله في
 جميع أشهر العام!

فمن ذلك تفتيح أبواب الجنان، وتغليق أبواب النيران،

فقد روى البخاري ومسلم رَحْمَهُمَا اللهُ عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب
 جهنم، وسلسلت الشياطين»^(١)

سبحان ربي العظيم! أي عون، وأي إكرام من الكريم الرحيم بأن يصفد لك

الشياطين في هذا الشهر الكريم!؟

وقد يقول قائل ويسأل سائل: وإذا كان ذلك كذلك فما بالنا نرى ما نرى من

الشجار والخصام في شهر رمضان؟! يجيبك الإمام القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ - بقوله:

فالجواب من أوجه:

(١) رواه البخاري (١٨٩٨)، ومسلم (١٠٧٩).

أولاً: إنما تغل عن الصائمين الصوم الذي حوِّظ على شروطه، وروعت آدابه، أما من لم يحافظ عليه فلا يُغَل عن فاعله الشياطين.

ثانياً: وقوع الشر له أسباب أخرى من غير الشياطين؛ وهي النفوس الخبيثة، والعادات الركيكة، والشياطين الإنسية»^(١).

وروى الترمذي، وابن ماجه، وصححه الألباني رَحِمَهُمُ اللَّهُ أن النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة»^(٢).

ومن فضائل شهر رمضان، أنه يسمى شهر الصبر كما وصفه بذلك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقد روى الإمام أحمد في مسنده، وصححه الألباني رَحِمَهُمُ اللَّهُ عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ، وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ يَذْهَبْنَ بِوَحْرِ الصَّدْرِ»^(٣).

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم (٣/ ١٣٦).

(٢) رواه الترمذي (٦٨٢) وابن ماجه (١٦٤٢).

(٣) رواه أحمد (٢٣٠٧٠).



فرمضان هو شهر الصبر يا أمة الإسلام، فإن الصبر لا يظهر في شيء من العبادات كظهوره في الصيام، لذلك خصه الله لنفسه، وضاعف في أجره؛ فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قال الله: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي، وأنا أجزي به.

والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم؛ فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله؛ فليقل إني صائم. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه!»^(١).

وفي رواية له: «يترك طعامه، وشرابه، وشهوته من أجلي، الصيام لي، وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها»^(٢).

وفي رواية لمسلم: «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به؛ يدع شهوته، وطعامه من أجلي. للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، واخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك»^(٣).

(١) رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).

(٢) رواه البخاري (١٨٩٤).

(٣) رواه مسلم (١١٥١).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: ومعنى (وأنا أجزى به): «أن الأعمال قد كشفت مقادير ثوابها للناس، وأنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله، وأنا أجزى به، أي: أجازي عليه جزاءً كثيرًا من غير تعيين لمقداره، وهو كقوله: إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» (١).

لهذه الفضائل ولغيرها؛ كان السلف: «يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم».

فلتهنأ الأمة اسلامية بحلول هذا الشهر العظيم، وليهنأ المسلمون جميعا في مشارق الأرض ومغارها بهذا الموسم الكريم.

إنه فرصة للطائعين؛ للاستزادة من الأعمال الصالحة، والمنافسة في التجارة الرباحة، وفرصة للمذنبين للتوبة والإنابة، والاستغفار عما كان من تقصير في الشهور الماضية، وكيف لا يفرح المؤمن بتفتيح أبواب الجنان، وكيف لا يفرح المذنب بتغليق أبواب النيران؟ يا لها من فرصة لا يحرمها إلا محروم، ولا يفرط فيها إلا خاسر مشئوم.

فالله الله يا عباد الله بالجد والتشمير، دون استئثار للصيام، واستطالةً للأيام:

(١) فتح الباري (٤/ ١٠٨).



رمضان أقبل يا أولي الأبوابِ فاستقبلوه بعد طول غيابِ
عامٌ مضى من عمُرنا في غفلةٍ فتنبَّهوا فالعمرُ ظلُّ سحابِ
وتهيئوا لتصبُّرٍ ومشقَّةٍ فأجورٌ من صبروا بغيرِ حسابِ
فاللهُ يجزي الصائمينَ لأنَّهم من أجله تعبوا بكلِّ صعبِ

معاشر المسلمين والمسلمات، في ظل هذه الخيرات، وهذه الفضائل والبركات، التي ستحل بنا بعد أيام معدودات، دعونا نتأمل في أحوال كثير من العالم الإسلامي في استقبالهم لشهر رمضان، وكيف هو استعدادهم، لشهر القرآن، والغفران،

فنقول - للأسف الشديد- إننا نجد العجب العجاب، ونرى في الناس ما يثير الحزن، والاستغراب، فالناس ألوان وأشكال في استقبال رمضان، معظمها مخالفة لشرع الله **جَلَّ وَعَلَا** فمنهم من يستقبله بالاحتفالات، والمسابقات، واعداد برامج الأفلام والمسلسلات، التي تظهر فيها المتبرجات السافرات، ومنهم من يستقبله بإعداد الأغاني واللقاءات، مع المطربين والمطربات، والممثلين والممثلات، ومنهم من يستقبله بإعداد المباريات والأمسيات الرمضانية، والانشغال عن الطاعات، والأعمال الإيمانية، وما هكذا تورد يا سعد الإبل! ما هكذا -والله- يُستقبل رمضان؛ بالمعاصي والحرام، ومحاربة الملك الديان.

ومنهم من يستقبله بشراء الشاشات؛ ليرى فيها القنوات الهابطات، الساذجات؛ التي تسحق وقته، ووقت أهله، وأولاده، ولا يخرج عليه رمضان إلا وقد ملاً أفكار رعيته، وشحن عقول أهله، وأولاده بالأفلام الساقطة الكرتونية، أو بمشاهدة الألعاب والمسابقات الوهمية، - والله المستعان-.

أهكذا يكون الصيام، يا أمة الإسلام، أهذا هو حظك من الصيام، ومن شهر رمضان، وشهر القرآن!

إذا لم يكن في السمع مني تصاوون وفي بصري غض وفي منطقي صمت
فحظي إذا من صومي الجوع والظماً فإن قلت إني صمت يوماً فما صمت

ومنهم من يستقبله بالنزول إلى الأسواق والازدحام فيها؛ لشراء ألوان الشراب والطعام، وإذا لم يتيسر له ذلك أظهر الهم والاعتماد، وكأنه شهر أكل وشرب، لا شهر صيام وقيام، وكأنه شهر الملذات، والمشتهيات، لا شهر الطاعات والقربات، لمثل هؤلاء نقول:

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته أتطلب الريح فيما فيه خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالروح لا بالجسم إنسان



هذا - للأسف حال كثير من الناس في استقبال رمضان، وأعظم غرابة، ومرارة،
وأشد لؤماً ونكارة من لا يحبون الصيام، ويتشاءمون، بل ويكرهون رمضان،
ويعدون قاطعا لشهوراتهم، ومانعاً لهم من مشترياتهم، وملذاتهم، حتى قال قائلهم:
إذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلى بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار فإن الوقت ضاق عن الصغار
وذكر ابن رجب رَحْمَةُ اللَّهِ فِي لطائف المعارف^(١)، قال: كان رجل في زمن
الرشيد ينشد ويقول:

أتاني شهر الصوم لا كان من شهر ولا صمت شهرا بعده آخر الدهر
فلو كان يعديني الأنام بقوة على الشهر لاستعديتهم على الشهر
قال فأصابه مرض فكان يصرع في اليوم مرات، ومات قبل أن يبلغ رمضان
التالي، بل قد وصل لؤم بعضهم إلى أن يأمر الناس بترك الصيام زعما منه أن ذلك
يعطلهم عن أعمالهم، ويخفف من إنتاجهم،

كما زعم الرئيس التونسي أبورقية حين طلب من الشيخ العلامة الطاهر بن
عاشور أن يفتي للعمال بالفطر في رمضان، فظهر العلامة الطاهر بن عاشور على
الإذاعة، فتلى قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

(١) لطائف المعارف (ص ١٤٦).

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ [سورة البقرة: ١٨٢] ثم قال: صدق الله، وكذب

أبو رقيبة: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة الأنعام: ٤٥].

فالصوم جنة، وباب من أبواب الجنة.

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ -: «وناهيك به من عبادة تكف النفس عن شهواتها،

وتخرجها عن شبه البهائم إلى شبه الملائكة المقربين» (١).

أيها المسلمون عباد الله، اعلموا - رحمكم الله - أن وجودنا في هذه الدنيا إنما

هي لحظات، نعم هي لحظات قليلة، وأنفاس معدودة، وأعمار قصيرة، وآجال

محدودة، وكما أننا سوف نستقبل هلال شهر، رمضان بعد ساعات وأيام

معدودات، فإننا - والله - سوف نودعه عما قريب، وهل تدري يا عبد الله هل

سيدخل عليك رمضان بعد هذه الساعات، أم أنه سيقال: فلان مات؟ وإذا دخل

عليك هل ستدرك بقيته، أم أنك ستكون في عداد الأموات؟ كيف لا وقد فارقنا،

ورحل عنا العشرات، والعشرات، فأين الذين صاموا معنا في العام الماضي؟! بل

أين الذين كانوا معنا في الشهر الماضي؟!!

(١) مفتاح دار السعادة (٣/٢).



هو الموت ما منه ملاذ ومهرب متى حُطّ ذا عن نعشه ذاك يركب
 نؤمل آمالاً ونرجو نتاجها وعل الردى مما نرجيه أقرب
 اليوم يا عبد الله أنت على ظهر الأرض، وغدا في باطنها، اليوم تنام في غرفتك،
 وغدا في خارجها:

فيا نفس ما هي إلا صبر أيامٍ كأن مدتها أضغاث أحلامي
 فيا من أعرض عن الله طوال عامه، ويا من جعل الدنيا أكبر همه؛ ها هو رمضان
 قد أقبل عليك؛ فأقبل عليه، يا ذا الذي ما عرف المساجد ولزم المقاييل، ويأبها
 المفطر الغافل، التوبة التوبة، والبدار البدار، يا من هجر القرآن، ها هو شهر
 رمضان، شهر القرآن،

يا كل معرض عن أوامر رب العالمين، إن لم تتب، وترجع إليه في هذا الشهر
 العظيم، الذي قد تصفدت فيه الشياطين، فمتى؟ إن لم تغير من حياتك، وتعمل
 فيه ليوم وفاتك في هذا الشهر الكريم، فمتى؟ فالله الله يا عباد الله، الله الله يا عبد الله
 بالرجوع إلى الله، عُد إلى ربك، واجعل رمضان أول أيام عمرك، كفى بعدا عن
 الله، كفى تضييعاً لأوقاتك التي ستسأل عنها بين يدي الله، كفى!

كفى يا نفس ما كانا كفاك هوىً وعصيانا

ويا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجبٍ
 حتى عصي ربه في شهر شعبان
 ها قد أظلك شهر الصوم بعدهما
 فلا تصيره أيضا شهر عصيان
 واتل القرآن وسبح فيه مجتهداً
 فإنه شهر تسبيح وقرآن
 كم كنت تعرف ممن صام في سلف
 من بين أهلٍ وجيران، وإخوان
 أفناهم الموت واستبقاك بعدهم
 حيا فما أقرب القاصي من الداني

فاحمد الله إن أبقاك الله حيا لتدرك رمضان، فإن جيرانك، وأصدقاءك الذين كانوا معك، تحت أطباق الثرى يتمنون لو يفتدون بهذه الدنيا لأجل أن يصوموا رمضان، ولكن هيهات هيهات، فلا رجعة للدنيا لمن مات وفات، إن أدركت رمضان، وتمعك الله بصيام نهاره وقيام ليله، فقد أعطاك الله خيراً كبيراً، وفضلك على من حرم منه تفضيلاً عظيماً.

نعم -أيها الناس- إن من يشهد رمضان ويجتهد فإن درجته في الجنة تعلقو على درجة الشهيد الذي استشهد قبل رمضان؛

فقد روى الإمام أحمد في مسنده، وصححه الألباني رَحْمَهُمَا اللهُ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ بَلِيٍّ [وهو حَيٌّ مِنْ قُضَاعَةَ] قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ إِسْلَامُهُمَا جَمِيعًا، فَكَانَ أَحَدُهُمَا أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنَ الْآخَرِ، فَغَزَا الْمُجْتَهِدُ مِنْهُمَا فَاسْتُشْهِدَ، ثُمَّ مَكَثَ الْآخَرُ بَعْدَهُ سَنَةً ثُمَّ تُوُفِّيَ، قَالَ طَلْحَةُ:



فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ بَيْنَا أَنَا عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِهِمَا فَخَرَجَ خَارِجٌ مِنَ الْجَنَّةِ، فَأَذِنَ لِلَّذِي تُؤَفِّي الْأَخِرَ مِنْهُمَا، ثُمَّ خَرَجَ فَأَذِنَ لِلَّذِي اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ، فَقَالَ: ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ يَأْنِ لَكَ بَعْدُ، فَأَصْبَحَ طَلْحَةَ يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ فَعَجِبُوا لِذَلِكَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَدَّثُوهُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: «مِنْ أَيِّ ذَلِكَ تَعْجَبُونَ؟! فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا كَانَ أَشَدَّ الرَّجُلَيْنِ اجْتِهَادًا ثُمَّ اسْتُشْهِدَ، وَدَخَلَ هَذَا الْأَخِرُ الْجَنَّةَ قَبْلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً»، قَالُوا: بَلَى! قَالَ: «وَأَذْرَكَ رَمَضَانَ، فَصَامَ وَصَلَّى كَذَا وَكَذَا مِنْ سَجْدَةٍ فِي السَّنَةِ»؟! قَالُوا: بَلَى! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(١)

أسأل الله الكريم أن يبلغنا رمضان وأن يجعلنا فيه بخير وسلام وأمان!

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب؛

فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



(الخطبة الثانية)

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وصلى الله على نبينا محمد القائل: "من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه".

معاشر المسلمين، والمسلمات، لو تأملنا في حال إخواننا، في بعض الدول، والمحافظات، وهم يستقبلون رمضان في شدة حرارة الصيف، أو في ظل الظروف القاسيات، وليس معهم ما يبرد أجسادهم، ولا ما يسهل عليهم صيامهم، وفوق ذلك اندلاع الحرب التي دبت بينهم، فمن دخل عليه رمضان وهو في سلامة، وأمان، وغير ذلك مما فقد في كثير من البلدان؛ فليحمد الله وليشكره؛ فإن الله شكور يحب الشاكرين

يا من يدخل عليكم رمضان، وأنتم تتنعمون بالأجواء الجميلة، والأمطار الغزيرة، اشكروا الله على ما حباكم من جمال الطبيعة، والسلام، والأمان والطمأنينة! معاشر المسلمين والمسلمات، ونحن نعيش بفرحة تهب مشاعرنا، وبشوق يملأ قلوبنا؛ بانتظار شهر رمضان الذي عمّا قريب سيطرق أبوابنا، دعونا نعد عدتنا، ونتأهب لاستقبال هذا الضيف الذي سيهل علينا، وينزل بنا، فمن حق الضيف أن يُحسن استقباله، وأن يُجهز له زاده، ومكانه،



فمن أوائل عدتنا، وأخذ أهبتنا لاستقبال شهرنا العظيم، وضيفنا الكريم: **تعلم أحكامه، ومعرفة فضله، وآدابه،** فكم هي المحظورات، وكم هي الأخطاء والمخالفات التي يقع فيها كثير من الصائمين، والصائمات ولا يسألون عنها عند اقترافها، أو بعد الوقوع فيها، وكل ذلك منشؤه الجهل والتقصير فتعلم أيها المسلم أمور دينك، لتعبد الله بالطريقة، والكيفية التي يريدنا منك؛ فإن الله يبغض كل عالمٍ بأمور الدنيا؛ جاهلٍ بأمور الآخرة.

من الاستعداد كذلك لشهر رمضان: **إظهار رابطة الأخوة والتلاحم،** وتحقيق خلق التعاطف والتراحم، وخاصة في هذه الأوضاع الخطيرة، وهذه الفواجع والمواقع المريرة التي تمر بها البلاد اليمنية، وسائر البلدان الإسلامية، فرمضان جاء ليهدب نفوسنا، ويحقق تقوانا وإيماننا، فليس من التقوى والإيمان، أن يبيت الواحد منا شعبان، وجاره بجواره جوعان، كما قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** «ما آمن بي من بات شعبان، وجاره جائع بجواره وهو يعلم به!»^(١)،

ليس من التقوى والإيمان أن يظهر الجشع والهلع منا في شهر رمضان فتتنافس في احتكار السلع، أو تخزين الطعام، ليس من الإيمان أن يظهر اغتامنا، أو نُظهر اهتمامنا بشراء ألوان الطعام، أكثر من بقية العام، وكأنه شهرُ طعام لا شهر صيام،

(١) رواه الطبراني في الكبير (٧٥١).

فالله الله - يا أمة الإسلام- بتحقيق مقاصد الصيام، والله الله بالنظر إلى المساكين، والأيتام، والرحمة بمن لا يجدون الشراب والطعام في شهر الصيام- خاصة في هذه الأيام، وفي ظل هذه الأزمة التي تمر بها بلاد الحكمة والإيمان، فالراحمون يرحمهم الرحمن، الراحمون يرحمهم الرحمن.

كذلك من الاستعداد لشهر الصيام، ومما ينبغي أن يصرف له بالغ الاهتمام في شهر رمضان: **الابتعاد والحذر، بل والتحذير من كل ما يخل بالصيام،** ويمحق علينا بركة الأيام، ويبعدنا من الخيرات، والرحمات التي تنزل في هذه الأيام العظام؛ بما في ذلك، بل وأعظم ذلك وأخطر من كل ما هنالك فتنة القنوات؛ التي تسحق، وتقتل الأوقات، وتفسد الصيام على المسلمين والمسلمات، وهذا - وربى - مقصد عظيم من مقاصد أعداء الإسلام؛ الذين يريدون أن يفسدوا على المسلمين الصيام، ويشغلوهم عن طاعة الرحمن.

فأعظم ما نستقبل به شهر رمضان؛ هو الحذر من أعداء الإسلام الذين يبارزون الله بالمعاصي والحرام، وخاصة في هذا الشهر الكريم، وهذا الموسم العظيم وأعظم ما نستقبل به شهر رمضان هو المحافظة على أوقاتنا، والحذر من أعدائنا الذين يريدون أن يقتلوا علينا أوقاتنا، ويفسدوا علينا صيامنا ولنعلم أن أعداء الإسلام مذ بزغ نجم هذا الدين، من يهود، ونصارى، ومنافقين؛ ما زالوا



وسيزالون يحاولون إفساد هذا الدين، بشتى وسائلهم الماكرة، وطرقهم المحرمة البائرة، لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة، لا يفرقون بين مكان وبين آخر، ولا بين رمضان وبين غيره، هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون.

كُلِّ الْعِدَا قَدْ جَنَدُوا طَاقَاتِهِمْ	ضِدَّ الْهُدَى وَالنُّورِ ضِدَّ الرَّفْعَةِ
إِسْلَامُنَا هُوَ دِرْعُنَا وَسِلَاحُنَا	وَمَنَارُنَا عَبْرَ الدَّجَى فِي الظُّلْمَةِ
هُوَ بِالْعَقِيدَةِ رَافِعٌ أَعْلَامُهُ	فَأَمِشِي بِظِلِّ لِيَوَائِهَ يَا أُمَّتِي
لَا الْغَرْبُ يَقْصِدُ عِزَّنَا كَلَّا وَلَا	شَرْقُ التَّحَلُّلِ إِنَّهُ كَالْحَيَّةِ
الْكُلُّ يَقْصِدُ ذُلَّنَا وَهَوَانَنَا	أَفْغَيْرُ رَبِّي مُنْقِذٌ مِنْ شِدَّتِي

أيها الغيورون على أعراضهم، ومبادئهم، وقيمهم، وأخلاقهم، إن أعداء الإسلام يعرفون تمام المعرفة، أين، ومتى، وكيف يفتكون بالإسلام وأهله، يعرفون خير شهورنا، وأيامنا، وساعاتنا؛ فلذلك هم يلقون شرَّ سموماتهم، ومكائدهم للمسلمين في خير أوقاتهم، حتى يصرفوهم عن صيامهم وعن طاعة ربهم، لكن أنى لهم أن يفلحوا، أنى لهم أن ينجحوا ما تمسكنا بديننا، وعقيدتنا:

لَنْ تَسْتَطِيعَ حِصَارَ فِكْرِي سَاعَةً	أَوْ نَزَعَ إِيمَانِي وَنُورَ يَقِينِي
فَالنُّورُ فِي قَلْبِي وَقَلْبِي فِي يَدِي	رَبِّي وَرَبِّي نَاصِرِي وَمَعِينِي

أمة محمد **صلى الله عليه وسلم** اعلموا أن أمتنا أمة الإسلام ما فضلت على غيرها إلا بمزاياها، وفضائلها، ومن أبرز مزاياها أنها لا تقر منكراً، وتأمّر بالمعروف، وإن أمة محمد **صلى الله عليه وسلم** ما بقي لها إلا أيام معدودات حتى تستقبل هلال شهر رمضان، حتى يدخل عليها شهر الخيرات، والبركات، شهر تصفد فيه الشياطين، وتفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، شهر الصيام والقيام، شهر الرحمة والغفران، شهر يطعم فيه المسكين، ويكسى فيه اليتيم.

والذكر والقرآن يا رمضان

والخير باد فيك والإحسان

حنت لطيب عبيرها الرهبان

والليل فيك نسائم هفافة

وإن غاية المقصود من هذه الإشارات، وهذه المقدمات أن نعلم أن أصحاب القنوات، وأصحاب الأفلام والمسلسلات، يبارزون الله بالمعاصي في رمضان أكثر من بقية شهور العام، ألسنا نشاهد في رمضان منكرات، ومسلسلات ما رأيناها ولا شاهدناها في غير رمضان؟ أليس إعلام من ينتسبون إلى الإسلام، يبثون تمثيلات وأغنيات وأفلاماً، ساعات معدودة، وفي أوقات محدودة قبل رمضان، ثم إذا جاء رمضان تراهم يشحنون اليوم شحنا بالأفلام والتمثيلات، واللقاءات والمسرحيات، ولا يذكرون الله إلا قليلاً، وتراهم يلعبون بعقول المسلمين،



ويسرقون أوقاتهم، ليصرفوهم عن طاعة رب العالمين، حتى في أوقات الصلوات، وحتى في الليالي الأخيرة، وفي الأوقات المباركات.

إذاً: أليس إعلام المسلمين يبارزون الله بالمعاصي في رمضان، أكثر من بقية شهور العام؟ فيا بن الإسلام، ويا من منَّ الله عليك بحلول شهر رمضان، حذار ثم حذار من أن تُخِلَّ بصومك، وتضيع من وقتك، ووقت أولادك وأهلك.

إياك ثم إياك، أن تسكت على هذه المنكرات التي في بيتك، وعلى هذه القنوات التي ستسأل عنها بين يدي ربك، والتي هي - والله - من أعظم ما يُعصى الله بها في هذا الشهر العظيم، وقتك وقتك يا عبد الله، إياك إياك أن يأخذه عليك أعداء الله، فتخرج من هذا الشهر الكريم مفلساً، خاسراً لم تشملك مغفرة الله، ولا رحمة الله؛ كما قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه، قيل من يا رسول الله؟ قال من أدركه رمضان ولم يغفر له».

فإياك إياك أن يمرَّ عليك يوم من رمضان، وأن تنسلخ عليك ليلة من تلك

اليالي العظام، وما عمرتها بذكر وطاعة الرحمان

فاجتهد -رحمك الله - واجتهد يابنة الإسلام، ويا أمة الرحمان، لنجتهد

جميعاً من أول ساعات هذا الشهر العظيم، ولنملاً نهاره، وليله بما يقربنا من

رحمة الرب الكريم، ويبيض وجوهنا يوم لقاء الله رب العالمين:

مضى رجبٌ وما أحسنتَ فيه
 فيا من ضيِّع الأوقات جهلاً
 فسوف تفارق اللذاتِ قهراً
 تدارك ما استطعتَ من الخطايا
 على طلب السلامِ من الجحيمِ
 وهذا شهرُ شعبانَ المباركَ
 بحرمتها أفق واحذر بواركُ
 ويخلي الموتُ كرهاً منك داركُ
 بتوبةٍ مخلصٍ واجعل مداركُ
 فخيرُ ذوي الجرائمِ من تداركُ
 أسأل الله العظيم أن يبلغنا وإياكم رمضان سالمين، غانمين، وأن يغفر لنا ولكم
 ولجميع المسلمين.....



(ما ينبغي فعله وتركه في رمضان)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].
 ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر

الأمر محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون الكرام، بارك الله لكم شهر رمضان، وبارك الله لكم أول

جمعتكم من شهر القرآن، والغفران، وبارك الله للمسلمين جميعا في مشارق

الأرض ومغاربها في أول ساعات هذا الشهر الكريم، ودخول هذا الموسم العظيم. أيها المسلمون الصائمون، لا أدري بما أتكلم معكم في هذه اللحظات، ولا أدري ما أختار لأعبر عن فرحي من الكلمات والعبارات؛ بشهر الرحمات، والبركات. شهر رمضان ما شهر رمضان، شهر الخيرات، والبركات، شهر الاعتكاف، والليالي المباركات، شهر القيام والصيام والدعوات، شهر تُعمر فيه المساجد، والناس فيه ما بين راعع وساجد، شهر الأنفس فيه سخيّه، والأعمال فيه زاكية وتقية. فيامرحبًا مرحبًا بك يا رمضان، ونشهد الله على حبك يا شهر القرآن، والغفران.

أيها الصائمون، لقد فتح الله لنا قبل ساعات أبواب جنانه، وأغلق أبواب نيرانه، وصفد المردة من الشياطين؛ لنستعين بذلك على طاعته، ونيل رضوانه.

فقد روى البخاري ومسلم رَحِمَهُمَا اللهُ عن أبي هريره رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وُعُلِّتْ أبواب النيران، وصفدت الشياطين»^(١).

إن رمضان أيها الناس محطة تغييريه، ومرحلة انتقالية إيمانية، إن رمضان فرصة لكل مسرف على نفسه بالسيئات، ولكل مقصر في الطاعات، والواجبات، لكل

(١) رواه البخاري (٣٢٧٧) ومسلم (١٠٧٩)



من هجر المساجد، وترك الصلوات، لكل من ابتعد عن القرآن والقربات، لكل من أراد أن يتوب، أو يؤوب وما وجد من يعينه، ها هو رمضان قد جاءك فأقبل إليه، وعض عليه بالنواجذ قبل أن ينسلخ منك فتندم عليه.

أيها المسلمون، ونحن نعيش في أول أيام شهرنا، والأيام ما زالت بين أيدينا نقول: إن رمضان قد أقبل علينا فلنقبل عليه، وقد جاء إلينا فلنأت إليه، إن رمضان أيها الصائمون ليس شهر النوم والكسل، وليس شهر الفتور والملل، إن رمضان ليس شهر المباريات والأمسيات، وليس شهر القنوات والمسلسلات، إن شهر رمضان ليس شهر التجول في الأسواق والمحلات، وليس هو شهر التفتن في الأكلات والطبخات، إن رمضان شهر الصيام والقيام، شهر الغفران وتلاوة القرآن، شهر الجود والكرم، شهر البكاء والندم، شهر لا يُحرمه إلا محروم، ومن أدركه ولم يغفر له فرغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه؛ كما قال الصادق المعصوم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

عباد الله، لقد جاءنا رمضان ونحن بأمن وأمان، وصحة واطمئنان، فلنشمر ولنجتهد في أيامه، وأوقاته، ونحن ما زلنا في أول ساعاته ولحظاته، قبل التحسر على ذهابه وفواته، فما هو إلا كما قال الله تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [سورة

أيها المسلمون عباد الله، لقد فرض الله على عباده فرائض وواجبات، وجعل فيها ما جعل من الحكم والآيات، علمها من علم، وجهلها من جهل، ومن ذلك فريضة الصيام، التي فيها ما فيها من الفوائد العظام، فمن ذلك وأهم ذلك:

تقوى الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ ءَلصِّيَامُ كَمَا كُنِبَ

عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَلَكُمْ تَنَقُّونَ ﴿١٨٣﴾ [سورة البقرة: ١٨٣]، وختم الله عزَّوَجَلَّ آيات

الصيام أيضا بذكر التقوى، فقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ [سورة البقرة: ١٨٧]

ومن ذلك: كسر النفس، وتواضعها؛ فإن الشيع - غالبًا - ما يحملها على

كبريائها وأشرها، ويدعوها إلى مخالفة ما أمرها الله ونهاها.

ومنها: تخلي القلب لذكر الله وتفكره بعظمته؛ فإن خلو البطن من الطعام

والشراب ينور القلب، ويجلب رفته، ويشغله بالذكر، ويزيل قسوته:

ومنها: أن الصيام يضيق مجاري دم الإنسان التي هي مجاري الشيطان، فتسكن

بالصيام وساوس الشيطان، ومن خلاله يهدأ الغضب، وتنكسر شهوة الإنسان،

ولهذا جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصوم وِجَاءً؛ لقطعه عن شهوة النكاح.

ومنها: أن الغني يعرف قدر نعمة الله عليه حين يشعر، ويحس أثناء صيامه ما

يعانيه أخوه الفقير من الجوع طوال عامه.



ومن فوائد صيام رمضان: أن فيه إظهاراً لعبادة الله عَزَّوَجَلَّ عند أمة الإسلام بأجمعها، حين تتوحد بعبادة الصيام لخالقها، وتعلن الانقياد التام لربها، لتظهر جمال دينها، وتغيظ بذلك أعداءها

ومما يذكره المتخصصون من فوائد الصوم الطبية: أنه يقي - بإذن الله تعالى - من كثير من الأمراض، يقول أحد الباحثين: إن في فرنسا مراكز مخصصة لدراسة أمراض التغذية والعلاج لها، وقد تبنت لمرضها الصيام الكامل الدوري، ووسمته (بالعلاج الرمضاني) بعد ما تأكد لها جدوى هذه الطريقة من الصيام وفوائده على أعضاء الجسم كلها، ونذكر أمثلة على ذلك:

• **القلب:** ينتظم خفقانه، وينعم بفترة راحة من الناحية الوظيفية المرهقة الناجمة عن عملية الهضم.

• **الدم:** تنتفي منه الزوائد من الشحوم والدهون والحموضات.

• **الكبد:** هذا المعمل الكبير المتعدد الخصائص يقوم بوظائفه دونما إجهاد، فيصنع للجسم المواد الحيوية، دونما إرهاق بوجود المعوقات الهضمية وسمومها.

• **المعدة:** إن الصوم لبضعة أيام متوالية يدفع بالغدد الهضمية إلى أن تقلل من إفرازاتها، وهذا مما يحميها وأغشيتها من زيادة الإفرازات التي هي من أهم أسباب التقرح في المستقبل.

والصوم يحمي الإنسان من البدانة، ومرض السكري، والروماتيزم الناجم عن ترسيب الأملاح البولية في الأنسجة والمفاصل، والحصى الكلوية، وحصى المرارة الدهنية والكلسية، وارتفاع الضغط الشرياني ومضاعفاته على الرأس والدماع والعين والقلب والكلية.

فسبحان اللطيف القدير، الذي لا يأمر بشيء ولا ينهاى عن شيء إلا وهو به خبير بصير.

أيها المسلمون، وبعد عرض بعض فوائد هذه الشعيرة العظيمة، ومقاصد هذه العبادة الجليلة؛ دعونا نذكر أنفسنا بأعظم مقاصد الصيام التي صرح الله بها في القرآن، ألا وهي التقوى لأمة الإسلام، ووسيلة تحقيق ذلك في هذه الأيام المباركات، يكمن في المحافظة على الأوقات، فأول ما ينبغي أن يُعتنى به في بداية هذه الأيام المباركات؛ المحافظة على الأوقات، نعم وقتك هو حياتك - يا عبد الله - ومادة عمرك، وكل يوم يمر عليك منه يدنيك من أجلك، ويقربك من قبرك.



إنا لنفرح بالأيام نقطعها وكل يوم مضى يديني من الأجل
كل يوم مضى يُذهب بعضي يورث القلب حسرة ثم يمضي
وما من يوم يمر على ابن آدم إلا وهو ينادي، يا ابن آدم، أنا يوم جديد، وعلى
عملك شهيد؛ فاغتنمني فإذا غربت شمسي فلا أعود إلى يوم القيامة.

إن ما مر وما سيمر من هذه الأيام المباركات لن يعود إلينا، وما مضى منه
سيكون شاهدا لنا أو علينا، فيامن أنت في زمن الاختبار والمهلة، اغتنم مواسم
الخيرات والطاعات قبل أن تؤخذ روحك منك فلتة، يامن متعك الله بصحتك،
وحياتك، اغتنم نعم الله عليك واحرص على أوقاتك.

فالبدار البدار أيها الصائمون باغتنام هذا الشهر قبل أن نتحسر ونندم على أيامه،
فها نحن ما زلنا في بدايته وأوائل ساعاته.

إنك والله لتعجب من حال كثير من الناس في رمضان، سهر في الليل على
المقاييل والقنوات، ثم النوم في النهار من سبع إلى عشر ساعات، ثم ما بقي في
النهار من ساعات ففي الأسواق والمحلات لشراء المأكولات والمشروبات.
والمرأة كذلك ليها على القنوات، وجُلُّ نهارها في مطبخها من أجل أن تتفنن
في الطبخات والأكلات.

فيا عباد الله، إن الله ما منعكم من الطعام والشراب إلا لتكونوا من المتقين،
ولتغنموا تلك الرحمات والنفحات في هذا الشهر الكريم، فإياكم أن تهملوا

مقصود الصيام فتكونوا فيه من الغافلين، وحذار ثم حذار من ضياع أوقات هذا الشهر؛ فتكونوا من الخاسرين.

عباد الله، إن من أعظم ما تصرف له الأوقات في شهر رمضان هو **قراءة القرآن**، القرآن ما القرآن يا أمة القرآن، كلام الله المنزل على عبده، الذي أعجز البلغاء والفصحاء في بيانه وفصاحته، ومعجزاته، القرآن الذي أنزله الله هدى وشفاء، الذي لو أنزل على جبل لرأيته من خشية الله خاشعاً متصدعاً.

القرآن القرآن أيها الناس، فأنتم في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن. فقد كان كثير من العلماء إذا أقبل رمضان تركوا مجالس الحديث وأقبلوا على القرآن؛ ويقولوا هذا شهر القرآن، فاقرأ القرآن يا صائم إن أردت الكرامة، وأدم تلاوته إن أردت منه الشفاعة في يوم القيامة، فقد روى الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللهُ** عن أبي أمامة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: سمعت رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «اقرأوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده، وصححه الألباني - **رَحِمَهُمَا اللهُ** -، عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَمْرٍو **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا**، أَنَّ رَسُولَ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «الصَّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ

(١) رواه مسلم (٨٠٤).



لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصَّيَّامُ: أَيُّ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ. وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ. قَالَ: فَيُشَفِّعَانِ» (١).

فاغتنموا - رحمكم الله - شهر رمضان بتلاوة القرآن، تنافسوا على قراءته إن أردتم الشفاعة، والغفران، إن أردتم مضاعفة الحسنات والعلو في الجنان، فمن قرأ حرفاً فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، ومن دخل الجنة كان منزلته عند آخر آية كان يقرأها.

فهنيئاً ثم هنيئاً لمن عاش مع القرآن في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، هنيئاً لمن كان مع القرآن في أغلب أوقاته، ولا تراه إلا وهو يتلو كتاب الله ويرتل آياته.

مما يتقرب به الإنسان إلى ربه ويحرص عليه في شهر الصيام: **الاجتهاد في صلاة القيام**، ومناجاة الكريم الرحمن، فما أجملها، وما أعظمها من أيام يوم يقف المصلون خلف الإمام، فيسمعون منه كلام الله خلال ليالي شهر رمضان، فقد كان سيد الأنام **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يقوم الليل حتى تتفطر قدماه؛ من طول القيام!» (٢).

(١) رواه أحمد (٦٦٦٦).

(٢) رواه البخاري (٤٨٣٧).

فأطل قيامك - يا عبد الله- بين يدي ربك، وتضرع إليه لعله يقضي لك حاجتك وينفس عنك كربك، اغتنم ليالي رمضان المباركة، احذر أن تفوتك صلاة التراويح ولو ركعة، استشعر- رحمك الله - وأنت تصلي أنك واقف بين يدي ربك، اعلم علم يقين أن كل لحظة تمر عليك وأنت في صلاتك ستجدها في صحيفة حسناتك، لا تمل ولا تتعب من صلاة الإمام و لو كانت - كما تقول- ثقيلة، لا تنتقل من مسجد إلى مسجد لتبحث عن التخفيف والأصوات الجميلة، لا تحشو بطنك بالشراب والطعام؛ لتستعين بخفة بطنك على الصلاة خلف الإمام.

فالأكل والشرب لحتى تمتلي فإنها مفتاح باب العلل
فيها فساد الفهم والبلاده وفترة الأعضاء عن العبادة

وتذكر فضل الله العظيم؛ الذي أعده للقائمين والصائمين، فعن أبي هريرة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا،

غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ!»^(١)، وقال: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا

تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ!»^(٢).

(١) رواه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠).

(٢) رواه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).



ومن عظيم الأعمال والطاعات التي ينبغي الاعتناء بها في هذه الأيام
المعدودات: **الإكثار من الإنفاق والصدقات.**

ففي الصحيحين عن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: «كان رسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجودَ الناس، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضان حين يلقاهُ جبريلُ،
فإذا لقيه جبريل **عَلَيْهِ السَّلَامُ** كان أجودَ بالخير من الريحِ المرسله!»^(١)

قال ابن حجر: **رَحِمَهُ اللَّهُ** وقوله: «أجود بالخير من الريح المرسله» أي:
المطلقة، يعني في الإسراع بالجود أسرع من الريح، وعبرَ بالمرسله إشارة إلى دوام
هبوبها بالرحمة، وإلى عموم النفع بجوده، كما تعمّ الريح المرسله جميع ما تهبّ
عليه»^(٢).

يقول ابن رجب في لطائف المعارف^(٣): «وفي تضاعف جوده **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**
في رمضان بخصوصه فوائد كثيرة،
منها: شرف الزمان ومضاعفة أجر العمل فيه.

(١) رواه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

(٢) فتح الباري (١/ ٣١).

(٣) لطائف المعارف (ص ١٦٦).

ومنها: إعانة الصائمين والذاكرين على طاعتهم، فيستوجب المعين لهم مثل أجورهم، كما أن من جهَّز غازياً فقد غزاً، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا.

ومنها: أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة، كما في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن في الجنة عُرفاً يُرى ظهورُها من بطونها، وبطونها من ظهورها». فقال أبو موسى الأشعري: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «لمن طَيَّبَ الكلامَ، وأطعمَ الطعامَ، وأدامَ الصيامَ، وصَلَّى بالليل والناس نيام» (١)

وكان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «صَلُّوا في ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور، وصوموا يوماً شديداً حرَّةً لحرِّ يوم النُّشور، تصدَّقوا بصدقة السرِّ لهول يوم عسير» (٢).

لأنَّ الصَّيام لا بدَّ أن يقع فيه خللٌ أو نقصٌ، وتكفيرُ الصَّيام للذنوب مشروطٌ بالتحفُّظ مما ينبغي أن يُتَحَفَّظَ منه، فالصدقةُ تجبر ما كان فيه من النقص والخلل، ولهذا وجب في آخر رمضان زكاةُ الفطر، طهرة للصائم من اللغو والرفث.

(١) رواه أحمد (٦٦١٥).

(٢) بغية الإنسان في وظائف رمضان" (ص ٢٩).



فتصدقوا- رحمكم الله - واشكروا نعم الله عليكم ولا تكفروا، وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين.

انظروا إلى إخوانكم الذين يحملون هم صيامهم، ولا يجدون كفايتهم عند إفطارهم، أعينوهم على صيامهم، وإراحة أجسادهم، وطاعة ربهم، ليكون عملهم في ميزان حسناتكم وحسناتهم.

فتصدقوا من أموالكم، واعلموا أن المال مال الله، ولكنه أعطاكم إياه ليختبركم.

اللّٰهُ أَعْطَاكَ فَابْذُلْ مِنْ عَطِيَّتِهِ فالمال عارية والعمر رحاٌ

أسأل الله أن يرزقنا وإياكم الجود والكرم، وأن يرزقنا حب الإنفاق في سبيله

قبل الحسرة والندم، حين يقول من ظلم: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ

الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ

نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ [سورة المنافقون: ١٠-١١].

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب

فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم!



(الخطبة الثانية)

الحمد لله الذي منَّ علينا بمواسم الخيرات، وخص شهر رمضان بالفضل والتشريف والبركات، وحث فيه على عمل الطاعات والإكثار من القربات. معاشر المسلمين والمسلمات، وبعد أن تحدثنا عن بعض ما يُحرص عليه من الأعمال الصالحات، دعونا نتكلم عن بعض ما يحذره الصائم من الأخطاء والمخالفات.

وأبرز ذلك وأخطر ما هنالك هو **تضييع الأوقات** التي هي مادة هذه الأيام المباركات، فترى كثيرا من المسلمين والمسلمات لا يباليون بأوقاتهم، ولا يهتمون بساعات ليلهم ونهارهم، حتى أصبح حالهم في وقت صيامهم أسوأ من حالهم أثناء فطرهم!

وهم في تضييع أوقاتهم مختلفون، فمنهم المقلون ومنهم المكثرون، وكثير منهم يبدأون تضييع أوقاتهم من أول ليلة من ليالي رمضان، فتراهم يحيون أول ليلة من رمضان ويتكلمون فيها السمر، وتضييع هذه الليلة الأولى إلى وقت السحر، وكل ذلك حتى لا يحسوا بثقل الصيام في صباح أول يوم من رمضان، ثم يَغُطُّون بنومهم إلى وقت الظهر، ومن هنا تبدأ الحياة الجديدة، وتبديل برامج الحياة التي كانت منذ أشهر عديدة، ثم يتحول النهار إلى ليل، والليل إلى نهار، ثم يستيقظ الكثير من



هؤلاء وقد أذهب على نفسه بركة بكور يومه، وذلك لتعبه وطول نومه، قد يتأخر عن حضور صلاته، وقد يُحرم الجماعة ويصلي في بيته لوحده، ثم بعد ذلك يذهب يتجول في الأسواق والمحلات؛ ليشتري له ما يحتاج إليه من المشروبات والمأكولات، وهكذا تضيع عليه الأوقات، وينشغل عن الطاعات والقربات، ويكون حاله على ذلك إلى قرب المغرب، ثم يُجهز له ما يفطر عليه، ويظل حوله وقتاً ينظر إليه، ويتكلم مع من حواليه، ثم بعد المغرب يملأ بطنه بما قد اشتراه، وأشغل به نفسه، وأهله،

وحين يفرغ من عشاءه يذهب ليصلي، وقد يصلي في بيته ثم يذهب ليرمي بنفسه في أحد المقابيل ليقتل فيها الأوقات، ويضيع تلك الليالي الفاضلات، ولا تسل عما يحصل في تلك الساعات من القيل والقال والتصنيفات، ومشاهدة المسلسلات والبرامج الهابطات، وغير ذلك مما يقتل به ساعات هذه الليالي المباركات،

وهكذا إلى قرب الفجر، فمنهم من يغلبه النوم فينام عن صلاته، أو قد يستثقل المسجد ويصلي في بيته، ومنهم من يقاوم النوم ويأتي المسجد وهو بحالة من طول إرهاقه وسهره، ولعله يطالب المؤذن بإقامة الصلاة أو يشعره بتأفقه وتضجره، وقد يتهمه بطول صلاته وتشدده، وحين يصلي لا تسل عن صلاته

الغريبه، لأنه قد أصبح بحاله عجيبه، وبعد ذلك يذهب لينام نومته العميقه، التي لا يقوم منها إلا في وقت الظهيره، هذا إن وفق للقيام لصلاته؛ نسأل الله السلامة والعافيه!

فإذا أخذ المصحف قرأه وهو يتململ ويتثاب؛ وذلك من نقص النوم، وشدة الإرهاق والتعب، ثم يقلب أوراقه دقائق معدودات، ثم يرجعه إلى مكانه وكأنه قرأ إحدى الصحف والمجلات، ثم يخرج إلى السوق ليأتي بوجبة العشاء كاملة، ويشترى له تلك الشجرة القاتلة، التي تقتل أيام وليالي هذه الأيام الفاضلة؛ نسأل الله السلامة والعافيه!

وهكذا حتى يأتي المغرب ثم يكون عيشه، وحاله كما سمعتم، فبالله عليكم أليس هذا حال كثير من الصائمين؟! أليس هذا حال كثير من المقصرين الغافلين؟! أهدأ هو شهر رمضان يا أمة الإسلام؟! أهذه هي التقوى التي من أجلها شرع الصيام؟! أين هي عقولنا حين نقتل أعمارنا، في هذا الشهر الذي جعله الله سببا لرحمتنا ومغفرة ذنوبنا؟!!

ألا وإن من المخالفات التي تتنافى مع مشروعيه الصيام، ارتكاب واقتراف ما يخل بالصوم أو يبطله، وسبب ذلك هو الجهل بأحكام الصيام وآدابه، وسبب ذلك هو إعراض بعض الناس عن تعلم أمور دينه، تعجب، وتحزن، وتتحسر



على بعض الناس وهو يسمع من يقرأ، أو يُدرّس بعد الصلوات مسائل تتعلق بأحكام الصيام، وهو يقول: قال الله، وقال رسوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وترى بعض الجهلة يبادر بالقيام، وذلك على سبيل الاستمرارية والدوام، وهو يسمع مسائل وأحكاماً تتعلق بحكم ركن من أركان الإسلام، وتكاد تجزم أنه جاهل بها، ويحتاج إلى معرفتها وتعلمها؛ ومع ذلك ينفّض من مجلسه وكأنه سمع شيئاً يؤذيه، ويزعجه -والعياذ بالله- وقد يأتي بعض هؤلاء ليسأل، ويكثر من السؤال في مسائل كانت في الدروس التي قام منها وأعرض عن سماعها، والإصغاء إليها، والله المستعان.

فواجب واجب على كل مسلم أن يتعلم أمور دينه؛ فإن الله يبغض كل عالم بأمر الدنيا جاهلٍ بأمر الآخرة!

كذلك من المخالفات، بل ومن المنكرات التي يقع فيها بعض الصائمين والصائمات، **تغير طباعهم، وتنكر أخلاقهم حال صيامهم**، فترى بعض من لا يعرفون مقاصد الصيام، وجمال وحرمة شهر رمضان، إذا جاء رمضان تغيرت أخلاقهم، وكثرت مشاكلهم، وعظم أذاهم، وسبابهم، حتى إن الناس يخافون منهم، ومن سلاطة لسانهم في رمضان أكثر من بقية العام.

فأين هؤلاء الأقوام من قوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فيما رواه الشيخان عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، ولا يجهل، فإن شاتمته أحدٌ أو قاتله فليقل: إني صائم!»^(١)

وذكر الإمام ابن رجب **رَحِمَهُ اللَّهُ** أن بعض السلف قال: «أهون الصيام ترك الشراب والطعام».

وقال جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء»^(٢).

نعم أيها الصائم، أصلح حالك، وأخلاقك، وأر الله أن الصيام نفعك، وأن رمضان أثرٌ فيك وغيرك.

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «وللصوم تأثيرٌ عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوة الباطنة، وحماتها عن التخليط الجالب لها المفسد التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها.

(١) رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).

(٢) لطائف المعارف (ص ١٥٥).



فالصوم يحفظ على الجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى؛ كما قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٣].

وختام هذه المخالفات، بل هي من أعظم المنكرات والموبقات التي تحصل من بعض العصاة اللئام، الذين يجاهرون بمعصية الله بترك الصيام، وفطر بعض أيام رمضان، وقد قال الله: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [سورة البقرة: ١٨٣]. «(١)

ومن أراد أن يعرف عظيم الإجمام ممن يعتدون على شهر الصيام؛ فليستمع إلى عقوبة من تعجل الفطر قبل أوانه، قبل أن يسمع عقوبة من أفطر يوماً بتمامه:

ثبت في مستدرک الحاكم وسنن البيهقي، وصححه الألباني رَحِمَهُمُ اللهُ عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أَتَانِي رَجُلَانِ، فَأَخَذَا بِضَبْعِي فَأَتَيَا بِي جَبَلًا وَعُرًّا، فَقَالَا: اصْعُدْ. فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أُطِيقُهُ! فَقَالَا: إِنَّا سَنَسْهَلُهُ لَكَ. فَصَعِدْتُ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي سَوَاءِ الْجَبَلِ إِذَا بِأَصْوَاتٍ شَدِيدَةٍ، قُلْتُ: مَا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ؟! قَالُوا: هَذَا عَوَاءُ أَهْلِ النَّارِ. ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِيهِمْ، مُشَقَّقَةً أَشْدَاقُهُمْ، تَسِيلُ أَشْدَاقُهُمْ دَمًا، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟!»

قال: الَّذِينَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحَلَّةِ صَوْمِهِمْ»^(١). نعوذ بالله من غضبه وعذابه! نعوذ بالله من سخط الله وعقابه!

هذا جزاء من صام - يا عباد الله - لكنه ما صبر حتى يتم الصيام، فكيف بمن تجرأ على الله وأفطر اليوم والأيام، ولم يَأْتِمْرَ بأمر خالقه الملك العلام، ولم يقتدِ برسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ!؟

ويقول الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: «وعند المؤمنين مُقَرَّرٌ أَنْ مَنْ تَرَكَ صَوْمَ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ عَذْرٍ أَنَّهُ شَرٌّ مِنَ الزَّانِي وَمَدْمَنِ الْخَمْرِ، بَلْ يَشْكُونَ فِي إِسْلَامِهِ، وَيُظَنُّونَ بِهِ الزَّنْدَقَةَ وَالْإِنْحِلَالَ!»^(٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إِذَا أَفْطَرَ فِي رَمَضَانَ مُسْتَحِلًّا لِذَلِكَ وَهُوَ عَالِمٌ بِتَحْرِيمِهِ اسْتِحْلَالًا لَهُ، وَجَبَ قَتْلُهُ، وَإِنْ كَانَ فَاسِقًا عَوْقِبَ عَنْ فِطْرِهِ فِي رَمَضَانَ»^(٣).

(١) رواه الحاكم (١٥٦٨)، والبيهقي (٨٠٠٦).

(٢) نقله المناوي عن الذهبي. فيض القدير (٤/ ٤١٠ - ٤١١).

(٣) مجموع الفتاوى (٢/ ٤٧٣).



نسأل أن يعيننا على القيام بحق رمضان أحسن قيام، وأن يوفقنا لأداء الصيام على وجه الكمال والتمام، وأن يجعلنا فيه من المرحومين المقبولين، وأن يجعل في هذا الشهر الكريم النصر والتمكين للإسلام والمسلمين....





الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد :

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون عباد الله: لقد خلق الله خلقه وفاضل بينهم، وجعل ملكه، وفضله، متفاوتا، ومختلفا بينهم، ليلوهم، وليختبرهم، ففضل دين الإسلام على

الأديان والملل، وفضل أمة الإسلام على جميع الأمم والنحل، وفضل الرسل من بين المخلوقات، وأيدهم بالآيات والمعجزات، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، واختار من بينهم نبينا محمدا - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وأيده بأعظم وأكرم المعجزات.

وكما فضل الله من شاء من خلقه، كذلك جعل التفاضل بين جميع مخلوقاته، فجعل من الأماكن ما هو أشرف من غيرها، ومن الأزمنة ما هو أفضل من بعضها، فأشرف مكان هو بيت الله الحرام، وأفضل شهور الزمان: هو شهر رمضان، وأشرف ليلة هي ليلة القدر، وأشرف يوم هو يوم النحر، وأفضل أيام الدنيا هي أيام العشر، - أعني العشر الأول من ذي الحجة، والتي هي موضوع حديثنا في هذه الجمعة المباركة.

أيام العشر، وما أدراكم ما هي أيام العشر! أيامٌ دل الكتاب العظيم، وسنة نبينا الكريم، على شرفها، وعظيم شأنها، وتفضيلها على غيرها.

وحتى تعظم هذه الأيام في نفوسنا، وتشرّب لقدمها، واستقبالها، أعناقنا، وأجسادنا؛ دعونا نستعرض شيئا من فضلها، وكيف عظم الله من أمرها، وشأنها، وماذا قال رسولنا **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** عنها - وما هي المناقب، والمزايا، والفضائل، والعطايا، التي وردت فيها، وفي بعض أيامها.

دعونا نعرف السر في تفضيل أيامها، ولماذا جعلت أفضل أيام الدنيا دون غيرها، دعونا نتعرف على فضلها، قبل حث أنفسنا على استغلالها؛ فلا يقدر الأشياء إلا من عرفها، ومن جهل حقيقة الأشياء أنكرها.

فإليكم شيئاً من فضائلها، وعظيم شأنها:

أولاً: عند خالقها، ومنشئها يقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالْفَجْرِ ١﴾** **وَلَيْالٍ عَشْرِ ٢﴾** [سورة الفجر: ٢] وليال عشر: هي العشر الأول من ذي الحجة، عند جمهور المفسرين، فانظر-رحمك الله - انظر لعظم شأنها، وكيف أقسم الله بها، فقد تقرر عند المفسرين، وفي حس المسلمين، أن العظيم لا يقسم إلا بعظيم.

معاشر المسلمين: العشر الأول من ذي الحجة: هي الأيام المعلومات التي أمر الله بذكره فيها بقوله: **﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ﴾** [سورة الحج: ٢٨]، وهي خاتمة الأشهر المعلومات التي قال الله عنها: **﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾** [سورة البقرة: ١٩٧]، وهي شوال، وذو القعدة، والعشر من ذي الحجة، وهي العشر التي أتمها الله لنبيه موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** حين واعده بالكلام في جبل الطور بقوله: **﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ﴾** [سورة الأعراف: ١٤٢] كما نقل ذلك الطبري في تفسيره، عن مجاهد وغيره، - رحمة الله عليهم أجمعين - (١).

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٩٦ - ٣٩٧).

أما فضلها من خلال الأعمال العظام التي حصلت، وتحصل فيها، فاعدد منها، وابدأ بأعظمها: ألا وهو الركن العظيم، الذي تتجلى فيه المصالح العظيمة، والرهيبية، والمهيبية، للمسلمين، ويكون فيها ما يكون من البركات، والرحمات، من رب العالمين.

فهي أيام عظيمة، ذات فضائل عميمة لجميع المسلمين، فكيف بالحجاج الذين اجتمع لهم شرف الزمان، والمكان، فتراهم طائفين، وملبين، يرجعون إلى بيوتهم كيوم ولدتهم أمهاتهم، سالمين، غانمين. قد غفر الله لهم أجمعين؛ نسأل الله الكريم من فضله!

ومما يكون في هذه الأيام المباركة: يوم عرفة وما أدراك يوم عرفة؟!

يوم يقوم الحجاج في صعيد واحد، فيفيض الله عليهم من ألطافه، ورحماته، ما تعجز الأذهان عن تصويره، واللسان عن تصويره، فقد روى الإمام النسائي، وصححه الألباني رَحْمَهُمُ اللَّهُ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله عزَّجَلَّ فيه عبداً، أو أمة من النار، من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة، ويقول: ما أراد هؤلاء؟ سبحانك ما أعظمك، وما أحلمك، وما أكرمك!»^(١).

(١) رواه النسائي (٣٠٠٣).

وروى ابن خزيمة، وصححه الألباني - رَجَمَهُمَا اللَّهُ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ اللَّهَ يباهي بأهل عرفات أهل السماء، فيقول لهم: انظروا إلى عبادي؛ جاؤوني شعثًا، غربًا» (١)، سبحانه ما عبدناك حق عبادتك!

هذا هو يوم عرفة، هذا هو اليوم الذي أكمل الله فيه دينه، وأتم على عباده نعمته، - سبحانه - . فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه - أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، أية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً! قال: أي آية؟! قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٣]. فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قد علمنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه، نزلت على النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «وهو قائم بعرفة، في يوم الجمعة» (٢).

(١) رواه ابن خزيمة (٤٨٣٩).

(٢) رواه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧).



يوم عرفة، وما أدراكم ما يوم عرفة! هو اليوم المشهود؛ الذي أقسم الله به في كتابه، بقوله: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [سورة البروج: ٣]. فالشاهد هو يوم الجمعة، ويوم عرفة هو اليوم المشهود، كما قال ذلك علي، وابن عباس، وابن عمر، وأبو هريرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى يوم الخلود.

يوم عرفة أيها المسلمون: هو اليوم الذي من صامه كفر الله عنه ذنوب سنتين؛ فقد روى الإمام مسلم في صحيحه، عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ «عن صوم يوم عرفة، فقال يكفر السنة الماضية، والباقية»^(١)

يوم عرفة أيها الناس، أيها الراجون، الراغبون، يا من تشكون من الهموم، والغموم، والديون، هو أعظم يوم للدعاء، وأرجى ما تكون فيه الإجابة من رب الأرض، والسماء؛ فقد أخرج الترمذي، وصححه الألباني - رحمة الله عليهما - عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»^(٢).

(١) رواه مسلم (١١٦٢).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٨٥).

كذلك من فضائل هذه الأيام المباركة أن اليوم العاشر فيها، هو أعظم يوم، وأعظم أيام الله على الإطلاق، ألا وهو يوم النحر، وهو يوم الحج الأكبر؛ فقد روى الإمام أبو داود، وصححه الألباني - رَحِمَهُمَا اللهُ - عن عبد الله بن قُرط، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ يَوْمُ النَّحْرِ!»^(١).

فلا إله إلا الله، أي عطايا، وأي فضائل، ومزايا جعلها الله، وجمعها في العشر الأول من ذي الحجة؟! فإذا تبين لك ما يكون في هذه العشر الأوائل، وسمعت ما سمعت فيها، من العطايا، والفضائل، فلا تعجب من تعظيم قدر، وشرف هذه الأيام عند أعلم الخلق بالحق - سبحانه - فقد أوصى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ باغتنام الأعمال الصالحة فيها، بقوله: كما روى الإمام أبو داود، وصححه الألباني رَحِمَهُمَا اللهُ: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام! - يعني: العشر - قالوا: يا رسول الله: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه، وماله، فلم يرجع من ذلك بشيء»^(٢).

(١) رواه أبو داود (١٧٦٥).

(٢) رواه أبو داود (٢٤٣٨).



سبحان الله! تأمل، ثم تأمل ببصرك، وفؤادك، وكيانك إلى عظيم، وعظمة هذه الأيام عند الله تعالى، ثم تأمل مرة أخرى، إلى سؤال المستغرب، المتعجب، من قبل أحرص الخلق على الحق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، وأرضاهم - وهم يسألون رسولهم، وحببيهم، بقولهم: ولا الجهاد، يا رسول الله؟! ولماذا السؤال عن الجهاد؟ ولماذا خصوا الجهاد من بين سائر الأعمال؟ الجواب: لأنه قد استقر في نفوسهم عظمة ذروة سنام هذا الدين، ولما يعرفون ما أعده الله للمجاهدين الذين يبذلون أرواحهم - وهي أعز ما لديهم - في سبيل رب العالمين، قال: «ولا الجهاد»، ثم استثنى حالة خاصة، خالصة، بقوله: «إلا رجل خرج بنفسه، وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء».

لا يسعني، ولا يسعنا بعد كل ما سمعنا من فضائل هذه العشر الأيام المباركة، إلا أن نجهز نوايانا، ونعد عدتنا، لاستقبال هذه الأيام التي ستدخل علينا، وأرواحنا - بإذن الله - ما زالت بين جوانحنا، وما يكون من أعمال صالحة لاستقبال هذه الأيام المباركة، نتعرف عليه في الخطبة الثانية بإذن الله تعالى.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم، ولجميع المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم!

(الخطبة الثانية)

الحمد لله أمر بتقواه، وأخبر أن من اتقاه وقاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده، ورسوله.

أيها المسلمون عباد الله: لقد جمع الله في هذه الأيام الأولى من ذي الحجة من الفضائل العظام، وأمّهات الأعمال ما لم يجعله في غيرها من الأيام، وهذا هو السر في جعلها خير الأيام، وتفضيلها على بقية أيام العام، كما قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ

فماذا بعد كل هذا الإكرام؟! ماذا بعد كل هذا الإكرام؟! وما هو المطلوب، والمرغوب منا يا أمة الإسلام؟! إن المطلوب منا، ومن كل عاقل يعيش معنا مع هذه النصوص، ألا يتعامل معها كسائر الأيام، فلئن كان كثير منا يحدُّ، ويجتهد، ويحرص على استغلال أيام رمضان، ولياليها، وخاصة العشر الأواخر منها؛ فالعشر من ذي الحجة أولى، وأحرى أن يحرص عليها؛ فهي خير أيام الدنيا كلها، وخير من أيام رمضان دون لياليها الأخيرة، ولئن كان في العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، ففي العشر الأوائل من ذي الحجة: يوم النحر، الذي هو خير أيام الدهر، بل وأعظم يوم عند رب العالمين، كما قال رسول الله - صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.



فهي إلى الجد والتشمير، وهلموا إلى شكر العليم الخبير، وإلى تعظيم هذه العشرة الأيام، التي عظمها الكريم الرحيم، ورغب بها رسول الله عليه الصلاة وأتم التسليم -.

فعظموا - رحمكم الله - هذه الأيام العظام، كما كان يعظمها سلفنا الكرام، فقد كان سعيد بن جبير رَحْمَةُ اللَّهِ: «إذا دخلت العشر الأول من ذي الحجة، يجتهد اجتهادًا عظيمًا حتى ما يكاد يُقدر عليه، رحمة الله عليه»^(١).

وكان يحث على العبادة في ليالي العشر، ويقول: «لا تطفئوا سرجكم في ليالي العشر».

ويقول أبو عثمان النهدي رَحْمَةُ اللَّهِ: «كانوا يعظمون ثلاث عشرات، العشرة الأخيرة من رمضان، والعشر الأول من ذي الحجة، والعشر الأول من محرم»^(٢).
 فقوموا - أيها الناس - إلى طاعة ربكم، قوموا إلى طاعة ربكم يا أمة الإسلام على ما حباكم، في هذه الأيام العظام وأقول لكم من هذا المقام، ولكل من متعه الله بحياته، وجعل العافية تدب في جسده: ما دامت روحك بين جنبيك، فهذه خير أيام الدنيا بين يديك، أر الله - يا عبدالله - في هذه الأيام كل ما تقدر عليه، من

(١) رواه البخاري (٢/ ٤٠).

(٢) مختصر قيام الليل، لابن نصر المروزي (ص ٢٤٧).

طاعته، وذكره، وشكره، وكل ما يقربك إليه ومن ذلك ما أمر به ربنا في كتاب
الكريم، وحث عليه رسول الله -عليه صلوات رب العالمين -، ألا وهو ذكره
سبحانه، وتكبيره، وتهليله في هذه الأيام، فقد قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ
لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي حَيَاتِهِمْ مَعْلُومَاتٍ﴾ [سورة الحج: ٢٨] بما في ذلك تكبيره،
وتحميده، وتهليله - **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** -.

فقد روى الإمام أحمد في مسنده، أن رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قال في هذه
الأيام: «فأكثرُوا فيهن من التهليل، والتكبير، والتحميد»^(١).
ويعظم تكبيره **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في هذه الأيام برفع الصوت بالتكبير؛ فقد أخرج
البخاري في صحيحه: أن ابن عمر، وأبا هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** «كانا يخرجان إلى
السوق في أيام العشر، ويكبران، ويكبر الناس بتكبيرهما»^(٢).
ويقول ميمون بن مهران: «أدركت الناس وإنهم ليكبرون في العشر، حتى كنت
أشبهه بالأمواج من كثرتها!»^(٣).

(١) رواه أحمد في مسنده (٦١٥٤).

(٢) رواه البخاري (٢/ ٢٠).

(٣) تفسير ابن رجب (١/ ١٥٧). وأخرجه البخاري في صحيحه معلقاً (٢/ ٤٥٧ رقم الباب ١١)، فضل العمل
في أيام التشريق.

فكبروا ربكم - رحمكم الله - كبروا ربكم في هذه الأيام ليلبغ تكبيركم عنان السماء، وأكثروا على الله من الدعاء، والثناء، واستشعروا حال تكبيركم معنى التكبير، وأن الله فوق كل كبير، وتفاءلوا بنصر الله عند تكبيركم؛ فالله على كل شيءٍ قدير.

وتكبير الله في هذه الأيام على نوعين: مطلق، ومقيد.

فالمطلق: هو في جميع أيام العشر، وينتهي مع آخر يوم من أيام التشريق، ويكون في جميع الأحوال والأوقات.

والمقيد: يبدأ من فجر يوم عرفة لغير الحاج، وللحاج من ظهر يوم النحر، وينتهي بعد عصر يوم ثالث أيام التشريق.

ومما يُحرص في هذه الأيام على فعله، واستغلاله، بعد كثرة ذكر الله، وتكبيره، وتهليله، كما هي وصية رسوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** هو: قراءة القرآن، الذي هو روح الحياة، وحياة الروح، وخير أنيس، وجليس، وأعظم نافع، وخير شافع! فأكثرُوا من قراءة القرآن يا أمة القرآن في هذه الأيام، عيشوا مع آيات الرحمن، واغترفوا من حسناته، لتنعموا بشفائه، ولتسعدوا يوم القيامة بشفاعته؛ فهو الذي يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، كما قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

كذلك من القربات العظيمة التي يحرص المسلم عليها في هذه الأيام الكريمة هو الصوم من بداية هذه الأيام، كما هو مرغوب فيه، ومستحب عند أئمة المذاهب الأعلام.

فالصوم جنة أيها الناس، وللصائمين باب خاص من أبواب الجنة، وهو العمل الوحيد الذي خصه الله لنفسه، ووعده بالثواب العظيم للمجازاة به، فتزودوا من الصيام في هذه الأيام فهي سريعة الذهاب، والانصرام، وستنسى أتعابها، ويبقى لكم أيها الصائمون أجرها، وثوابها.

كذلك من الأعمال الصالحة - وهي كثيرة لا يتسع المقام لذكرها، والترغيب بها- لكن من أفضلها: الاهتمام بالمحافظة على الصلوات بأوقاتها، والتزود من نوافلها، ورواتبها، والتدبر والخشوع بها، وبقراءة القرآن، والأذكار التي تقال فيها. كذلك الدعاء، والتضرع بين يدي خالق الأرض والسماء، خاصة في هذه الأيام التي ضاقت المعيشة بأهلها، وتكالب أعداء أمة الإسلام عليها.

كذلك أفعال الخير، المتعدية للغير من الإحسان بالصدقات، والمخاطبة، والكلام بأحسن الكلمات، والنصح بأجمل العبارات، فالكلمات الطيبات من أعظم الصدقات، كذلك الإحسان إلى الأرحام، والقربات، ووصل العمات والخالات، والأخوات، والحذر من الظلم، فالظلم ظلمات، خاصة في هذه الأيام



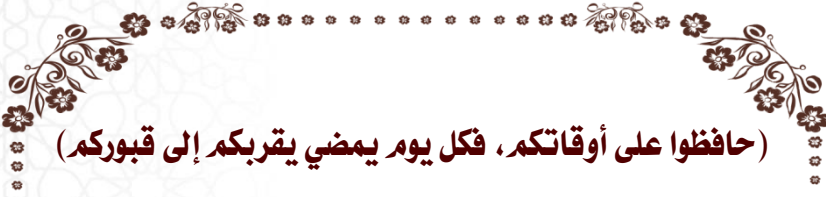
التي هي من الأشهر المحرمات، والتي قال الله فيها: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾
 [سورة التوبة: ٣٦]، إلى غير ذلك من أعمال البر التي لا تخفى عليكم.

وخلاصة المقام، وآخر الختام، وقبل أن ينسلخ علينا يوم من هذه الأيام، أو ساعة من ساعات هذه الأيام العظام، أن نقول لمن متعه الله بحياته، وصحته، ما دامت روحك بين جنبيك، وما دامت العافية تدب بين أضلعك، فهذا خير أيام الدنيا بين يديك.

فالله الله باستغلال أيامها ولحظاتها، مادامت بين يديك، والحرص عليها قبل أن تذهب عليك.

أسأل الله العظيم بمنه، وكرمه أن يوفقنا لاستغلال هذه الأيام، وأن يجعلنا من المحافظين على طاعته طوال العام! نسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره، وحسن عبادته! اللهم اغفر لنا، وارحمنا، وحسن ختامنا! اللهم تقبل دعاءنا، وتولّ أمرنا، واكفنا ما أهمنا، اللهم بارك لنا في أعمارنا، وحياتنا، وأرزاقنا من فضلك يا خالقنا! اللهم أعد إلى أمتنا عظمتها، وهيبتها، واقذف الرعب في قلوب أعدائها منها يا رب العالمين.....





الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَانْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ ءَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ، فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد :

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر

الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المسلمين، والمسلمات: أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله جَلَّ وَعَلَا وأن
نقدم لأنفسنا أعمالاً تبيض وجوهنا يوم نلقى الله: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ
آتَى اللَّهَ يَقْلِبِ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [سورة الشعراء: ٨٨-٨٩].

أيها المسلمون عباد الله، يدور الزمان دورته، وتسير الأيام، وتنسلخ الشهور،
وتمر الأعوام، ولا يدري الإنسان ما الله عزَّجَلَّ قاضٍ فيه، يومٌ يمضي ولا يعود،
ويومٌ يقبل فينبغي أن يغتنم، ما من يومٍ يمر على ابن آدم إلا وهو ينادي: يا ابن آدم
أنا يومٌ جديد، وعلى عملك شهيد فاغتنمي، فإذا غربت شمسي فلا أعود إلى يوم
القيامة.

دعونا نقف في هذا اليوم وقفةً تذكيرية، ونتكلم عن مادة حياتنا وأعمارنا، نتكلم
عن أوقاتنا، وأهميتها، وأين نحن منها، نتكلم عن الوقت وذهاب بركته، وعن
سرعة مروره وانصرامه.

ونستهل حديثنا، بحديث رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، الذي رواه الإمام
الترمذي في سننه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا
تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان»^(١).

ومعنى تقارب الزمان، فسره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه الإمام أحمد في مسنده، وصححه الألباني رَحِمَهُمُ اللهُ عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة -أي: كالأسبوع - وتكون الجمعة كالיום، واليوم كالساعة، وتكون الساعة كقدر احتراق السعفة» (١) - أي: كقدر احتراق ورقة النخيل -.

صلى الله على الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، فلقد -والله- وقعت هذه العلامة.

ألا تلاحظون يا عباد الله؟ ألا تلاحظون كيف تنسلخ الشهور والأعوام ولا يشعر الإنسان ببركتها؟! كيف نصوم رمضان ونكمله، ولا نشعر إلا ونحن ننتظر رمضان آخر!

ألا تلاحظون أسماء الشهور في أوراق التقاويم كيف تمر سريعاً، وأصبح الواحد يقلبها كأنها أسابيع؛ من سرعة انسلاخ أيامها؟!

(١) رواه أحمد في مسنده (١٠٩٤٣).



ألا تلاحظون وأنتم تسمعون إلى خطبة الجمعة، كيف يمر الأسبوع وما يشعر الإنسان إلا وهو يفاجأ بيوم الخميس، والخطيب ما إن يرتاح من إعداد خطبته إلا وهو يستعد لإعداد خطبة أخرى؟!!

ألا تلاحظون أن الموظف، أو صاحب العمل بمجرد أن يخرج إلى عمله، وما إن يفتح أوراقه، ويبدأ بعمله إلا وقد سمع أذان الظهر، المرأة تتناول إفطارها، ثم تدخل مطبخها لتعد وجبة الغداء، فما تشعر إلا والمؤذن يؤذن الله أكبر، أذن المؤذن لصلاة الظهر، الأسبوع كأنه يوم، واليوم كأنه ساعة فلماذا، فلماذا هذا التقارب؟ لماذا هذا التقارب المذهل؟ للعلماء فيه عدة أقوال.

ولابد أن نعلم أولاً: أن الساعة هي الساعة، والشهر هو الشهر بعدد أيامه وساعاته، فلماذا تنسلخ الأيام والشهور ولا نشعر ببركتها كما كنا نستشعر أيامها، وساعاتها؟ أهم هذه الأقوال التي يستريح لها القلب، وتطمئن إليها النفس: هو نزع البركة من الأوقات، أي: أن البركة تنزع من الأوقات، وما هو السبب في ذلك؟ السبب في ذلك هو الذنوب، التي هي دمارٌ للشعوب، وما يحصل لها من كرب، قال أصدق القائلين سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة الاعراف: ٩٦].

السماء، والأرض مليئتان بالبركات، والنعم، والخيرات، لكن الذنوب هي التي تمحق بركتها، الذنوب هي التي تمحق بركة الحياة، وبركة الأوقات.

الواحد منا يريد أن يصل رحمه فلا يجد بركة في الوقت، يريد أن يقيم الليل لكنه لا يجد بركة في الوقت، يريد أن يجمع بين الوظيفة والعلم والدعوة؛ فلا يجد بركة في الوقت، تريد المرأة أن تربي أولادها، وتقوم بحق زوجها، وما افترضه الله عليها؛ فلا تجد بركة في الوقت، وصدق الحبيب المصطفى **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حين قال: " لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان".

ولأهمية هذا الموضوع، وخطورته على حياة الإنسان، كان لزاماً علينا أن نتحدث أمام إخواننا في هذا اليوم المبارك، عن الوقت وأهميته، واستغلال لحظاته، وساعاته.

فأقول في مطلع حديثي عن هذا الموضوع العظيم: **ما قاله ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ** قال: «وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، وهو يمرمر السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوباً من حياته، وإن عاش فيه عيش البهائم،



فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأمانى الباطلة، وكان خير ما قطعه به النوم، والبطالة، فموت هذا خيرٌ له من حياته.» (١) نسأل الله أن يجعل حياتنا عامرة بذكره وشكره، ونسأله من فضله وجوده وكرمه!

ولبيان أهمية الوقت، فقد أقسم الله به في مطالع سورٍ عديدة في كتابه العزيز،

كما في قوله: ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢)﴾ [سورة الليل: ٢]، وقوله: ﴿وَالْفَجْرَ (١)﴾ [سورة الفجر: ١]، ﴿وَالضُّحَىٰ (١)﴾ [سورة الضحى: ١]، ﴿وَالْعَصْرَ (١)﴾ [سورة العصر: ١]، إلى غير ذلك من الآيات.

ومن المعروف لدى المفسرين، وفي حس المسلمين: أن العظيم لا يقسم إلا

بعظيم؛ ليتنبه العباد لعظمته، ومنفعته.

ولقد أكد لنا حبيبنا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قيمة الوقت، وأخبر أننا سنسأل عنه بين

يادي الله **عَزَّوَجَلَّ**. فقال - فيما صح عنه - : «لن تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى

يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه» (٢).

وذكر **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** في كتابه العزيز: مواقف للإنسان يندم فيها على ضياع وقته،

حيث لا ينفع الندم، يقول سبحانه في كتابه الكريم: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ

(١) الجواب الكافي (ص ١٥٩).

(٢) رواه الترمذي (٢٤١٦).

رَبِّ أَرْجُونَ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى

يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿١٠﴾ [سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠]، ويقول سبحانه: ﴿وَجَاءَ يَوْمٌ يُؤَمِّدُ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ

يُنذِرُ الْإِنْسَانَ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَلَيْتَنِي فَدَمَّتْ لِحْيَاتِي ﴿٢٤﴾

[سورة الفجر: ٢٣-٢٤]. ويقول - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿قَلَّ كَمَ لَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾

قَالُوا لَيْثًا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ [سورة المؤمنون: ١١٢-١١٣].

إن الوقت - يا عباد الله - هو الحياة، ومعرفة أهميته هو معرفة لأهمية

الحياة، وقيمتها، ومن لا يعرف أهمية الوقت، عاش ميتاً، وإن كان يتنفس

على وجه الأرض. وهذا هو سر قول الكافرين عندما سألهم رب العالمين:

﴿قَلَّ كَمَ لَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾؟ فأجابوا إجابة من لم يعيش في حياته إلا يوماً،

أو بعض يوم، لماذا؟ لأنهم لم يهتموا بأوقاتهم، فأحسوا بقصر أعمارهم.

إن وقتك هو حياتك يا عبد الله، إن وقتك يابن الإسلام هو حياتك، وهو عمرك

الذي تعيش فيه، وهو أنفس ما تملكه في هذه الحياة، وما مضى منه لا يعود، ولا

يعوض.



أن وقتك، وحياتك يا عبد الله يذهب عليك سريعاً، فاغتنمه وأملاً أيامه،
وساعاته بما يقربك إلى الله.

إن الليالي لأنام مراحلُ تطوى وتنشر دونها الأعمار
فقصارهن مع الهموم طويلةٌ وطوالهن مع السرور قصار

إن وقتك يذهب عليك سريعاً؛ فاجعله شاهداً لك، لا عليك، ومن جهل قيمة
وقته الآن، ومن مرت عليه الساعات والأيام، ولا يحسب لها حساباً أو يجعل لها
أي اهتمام، فسيأتي عليه يومٌ يعرف فيه قدر تلك الأيام، ونفاستها.

فلذلك أدرك العقلاء قيمة أوقاتهم، وعلموا أنه مادة حياتهم، فكانوا بأيامه
يعمرون مساكنهم في جنات ربهم، وهذه بعض أخبارهم فاسمعوها، وعوها؛
لتكون مجلّةً للقلوب من الصدا، والكسل. ومدعاةً لتحريك الهمة في الجد
والعمل.

يقول الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ «لقد أدركت أقواماً، كان أحدهم أحرص

على وقته منه على درهمه».

نعم، كانوا يحرصون على أوقاتهم أكثر مما يحرصون على دراهمهم،

وأموالهم.

ويقول ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ما ندمت على شيءٍ ندمي على يومٍ غربت فيه شمسه، نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي».

وكان بعضهم يقول: «مراعاة الأوقات من علامات التيقظ».

فإذا رأيت من نفسك - يا عبد الله - أنك حريصٌ على وقتك، وأنتك تتحسر على الساعات عندما تمر عليك، وما فعلت فيها شيئاً ينفعك، فهذا يدل على أنك يقط على وقتك، وحياتك، وأن الله يريد بك خيراً.

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ «من علامات إعراض الله عن العبد: أن يجعل

شغله فيما لا ينفعه، خذلانا له منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»، وكان رَحِمَهُ اللهُ يقول: «يا بن

آدم، إنما أنت أيام، فإذا مضى يومٌ فقد ذهب بعضك» (١)، وقال

رَحِمَهُ اللهُ: «يا بن آدم، نهارك ضيفك، فإنك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك، وإن

أسأت إليه ارتحل بدمك، وكذلك ليلتك».

وقال ابن هبيرة - شيخ ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ -:

والوقت أنفس ما عُنيت بحفظه وأراه أسرع ما عليك يضيع



وقال النحوي ابن عقيل الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ «إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة، ومناظرة، وبصري عن مطالعة، أعملت في حال راحتي» (١).

سبحان الله! حتى فكره ما جعله عاطلاً عن العمل، لا غرابة من هذا الإمام؛ فهو صاحب كتاب (الفنون) أكبر كتاب في التاريخ، الذي يتكون من سبعمائة مجلد.

هؤلاء هم الأحياء وإن كانوا قد ماتوا، ومرت مئات السنوات على موتهم، لكن ذكرهم لن يموت، والذكر للإنسان عمرٌ ثاني، وشتان شتان بين أقوامٍ موتى تحيا القلوب بذكرهم، وبين قوم أحياء تموت القلوب بمخالطتهم، رَحِمَهُمُ اللهُ، عرفوا قيمة الوقت، والهدف في هذه الحياة؛ فبارك الله في أعمارهم الذين تعمروها، ونفع الله بهم وأحيا ذكرهم بأعمالهم واغتنام أوقاتهم.

ف نجد الواحد منهم وعمره بين الخمسين، والستين، ومع ذلك فتح الله عليه، وأجرى على يديه ما لا يجري على كثيرٍ ممن تعمر الثمانين، والتسعين، وأكثر من ذلك وأكثر! وقد قيل: رب عمر طالت أماده وقلَّت أمداه، ورب عمر قلَّت أماده وكثرت أمداه

(١) قيمة الزمن عند العلماء (ص ٥٣)، وعلو الهمة (ص ٢٠٢).

يقول ابن الجوزي رَحْمَةُ اللَّهِ فِي - صيد الخاطر - عندما كان يأتي إليه بعض فارغي النفوس والعقول، قال: «فجعلت من المستعد للقائم قطع الكاغد، وبري الأقلام، وحزم الدفاتر؛ فإن هذه الأشياء لا بد منها، ولا تحتاج إلى فكرٍ، وحضور قلب، فأرصدتها في أوقات زيارتهم؛ لئلا يضيع شيءٌ من وقتي!» (١).

لا إله إلا الله! لله درهم، ما أحلى حياتهم، وما أعظم هممهم، وأشد حرصهم على استغلال أوقاتهم

ما أحلى هذه الحياة، حين يعرف الإنسان قدر وقته، حين تمر عليه الساعات وما عمل بها شيئاً فيتحسر عليها؛ لأنه يعلم أنها لن تعود، وأنها من ضمن، حياته، وعمره الذي سيسأل عنه بين يدي ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أسأل الله أن يبارك لنا في أعمارنا، ويجعلها شاهدة لنا لا شاهدة علينا!
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، ولجميع المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم!

﴿﴾﴿﴾

(١) صيد الخاطر (ص ٢٤٠).



(الخطبة الثانية)

الحمد لله أمر بتقواه، وأخبر أن من اتقاه وقاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله: إن المتأمل إلى حال سلفنا الكرام مع أوقاتهم، كيف استخدموها، وشغلوها بالخير، والنفع للإسلام والمسلمين، ثم ينظر إلى حال الناس في هذا الزمان، كيف يقتلون أوقاتهم، كيف يشغلونها بما يضرهم، لا بما ينفعهم! كيف ينسلخ عمر الواحد منا وما شعر ببركته! كيف يقتل الواحد شبابه وما كأنه مر بعمر الشباب، نعم ما كأنه مر بعمر الشباب، وما ذاك إلا لجهل الناس بقيمة الأوقات، وما ذاك إلا لأنهم يغفلون، أو يتغافلون عن ذهاب أعمارهم، وأن كل يوم يمضي عليهم هو من أعمارهم.

ألم تعلموا- يا عباد الله - أننا منذ أن خلقنا ونحن مسافرون، ولن نحط رحالنا إلا في جنةٍ أو في نار- والعياذ بالله - ونسأل الله حسن الختام، وأن يجعلنا من أهل الجنان؟!!

ألم تعلم - يا عبد الله - أن كل يوم يمر عليك يقربك من الموت منذ خلقت،
وأنت تدري، أو لا تدري، وأنت منذ خلقت وخرجت من بطن أمك وأنت تقتل
أوقاتك، وحياتك؟!!

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ «يا بن آدم، يا من أيام عمره في حياته معدودة،
وجسمه بعد مماته مع دوده، ومع ذلك - لجهل الإنسان يفرح بمرور الأيام،
وانقضاء الأعوام» (١).

إننا لنفرح بالأيام نقطعها وكل يوم مضى يديني من الأجل
ألم تعلم - يا عبد الله - أن كل يوم يمر عليك، ينهش من جسمك، ويضعف
من قوتك وأنت لا تشعر، ولا تدري:

كل يوم مضى يذهب بعضي يورث القلب حسرة ثم يمضي.
وما حالك مع الأيام إلا كقطعة الثلج الواقفة تحت حرارة الشمس، كلما طال
بقاؤها تضاءل حجمها، وذهب جرمها.

يسر المرء ما ذهب الليالي وكان ذهابه له ذهاباً
يقول داود الطائي: «يا بن آدم، فرحت ببلوغ أملك، وإنما بلغته بانقضاء مدة
أجلك، سوفت بعملك كأن منفعته لغيرك».

(١) المدهش (ص ٣٥٣).



ودخل رجلٌ على داود الطائي يوماً، فقال: «إن في سقف بيتك جذعاً مكسوراً»، فقال: «يا بن أخي، إن لي في البيت منذ عشرين سنة ما نظرت إلى السقف!». منذ عشرين سنة ما نظر إلى السقف! لأنهم منشغلون بما ينفعهم بعد موتهم، أما هذه الدنيا فهي، وكل ما فيها من أمور الدنيا حقيرة، بل هي ملعونة، كما قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «الدنيا ملعونة، ملعونٌ ما فيها، إلا ذكر الله، أو عالماً، أو متعلماً»^(١).

رأيتك في نقصان مذ أنت في المهد	تقريب الساعات عن ساعة اللحد
ودنياك ساعاتٌ سراع الزوالِ	وإنما العقبى بلوغ المالِ
فهل تبيع الخلد يا غافلاً	وتشتري دنيا المنى والضلال
أتسمع الطير أطال الصياح؟	وقد بدا في الأفق نور الصباح
ما صاح إلا نادبا ليلةً	ولت من العمر السريع الرواح

فيا عبد الله: أدرك ما بقي من عمرك، حاسب نفسك مادامت روحك في جسدك، انظر ماذا قدمت لنفسك في صحيفة عملك؟ كم هي الأوقات التي تقضيها في طاعة ربك؟

(١) رواه ابن ماجه (٤١١٢).

هل سألت نفسك يابن الثلاثين، والخمسين، والستين، كم هي الساعات التي تقضيها في نومك؟ وكم ساعات تصرفها في أكلك وشربك، وغير ذلك؟!
 ألم تعلم يابن الستين، أنك لو نمت في اليوم ثمان ساعات، لكان رصيد نومك في حياتك - يا ابن الستين - عشرين سنة؟!
 عشرون سنة في صحيفتك أنك نائمٌ فيها، هذا في النوم، قل مثل ذلك في الأكل، والشرب، والمقاييل التي تقتل الأوقات، وتسحقها.

قل لي بربك كم حظ الصلاة، والعبادة، وقراءة القرآن من وقتك؟! فانتبه يا عبد الله، انتبه لما بقي من عمرك، عسى الله أن يغفر لك ما مضى من حياتك.
 إذا غربت عليك شمس اليوم، وما قدمت في صحيفتك شيئاً لدينك، من حضور الصلوات في أوقاتها، ومن قراءة آيات القرآن وسماعها، وسماع ما يفيدك، وينفعك إلى غير ذلك من أبواب الخير؛ فابكِ على هذا اليوم، ابكي على هذا اليوم الذي ذهب منك، وسيشهد عليك لا لك!

إذا مر بك يومٌ وقد قتلت ساعاته في النوم والمقاييل، والسهر فيما لا يعود عليك خيره وفائدته؛ فابكِ عليه، نعم، ابكِ عليه، فإنه ذهب بدمك، لا بمدحك، وسيكون شاهداً عليك لا لك.



مرت سنونٌ بالموصال، وبالهناء
فكأنها من قصرها أيام
ثم انثنت أيام هجرٍ بعدها
فكأنها من طولها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها
فكأنها وكأنهم أحلام
فيا عبد الله، ويا أمة الله: لتتق الله جميعاً في أوقاتنا، ولنعلم أننا سنسأل عن
لحظات حياتنا، وأعمارنا،

اتقوا الله يا عباد الله، واعمروا أوقاتكم بذكر الله، وبما يقربكم من الله!
يا أصحاب المقاييل، إن كان ولا بد منها، وليس لكم غنائى عنها؛ فاعمروها
بذكر الله، وبما ينفعكم في دينكم، ودنياكم، لتكن شاهدةً لكم لا عليكم.
أيها الرجل، أيتها المرأة: تعلموا أمور دينكم، وتفقهوا بالذي يريد الله منكم، فإن
الله يبغض كل عالم بأمور الدنيا، جاهلاً بأمور الآخرة.

أيها الناس اعرّفوا قدر أوقاتكم؛ فإنها حياتكم، وما سيمضي منها هو من
أعماركم ويقربكم إلى آجالكم، نظموا أوقاتكم، رتبوها لتعرفوها، لتعرفوها
ولتستلذوا بها، واتقوا الله فيها لتسعدوا بها، لتدخلوا جنة الدنيا، التي من حرمها
فلن يدخل جنة الآخرة.

أسأل الله العظيم بمنه وكرمه أن يجعل حياتنا، وأعمارنا عامرةً بطاعته، وأن
يعيننا على ذكره، وشكره وحسن عبادته.....



عذاب القبر والرد على منكريه

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].
 ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد :

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.
 أما بعد معاشر المسلمين والمسلمات، فأوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عز جل، وأن نقدم لأنفسنا أعمالا تبيض وجوهنا يوم نلقى الله: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا

بَنُونَ ﴿٨٨﴾ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [سورة الشعراء: ٨٨-٨٩].

أمة الإسلام اعلموا رحمكم الله أن الدنيا مهما طالت فهي قصيرة، ومهما عظمت فهي حقيرة، والليل وإن طال لا بد من طلوع الفجر، والعمر مهما طال لا بد من دخول القبر، فالحياة تمضي بسرعة، ومعظم أهلها في غفلة عن أعمارهم واقتراب آجالهم.

معظم الخلق في غفلة عما هو آت، مثلهم كمثل أمواج البحر المتدفقة المتلاطمة، كلما انكسرت على الشاطئ موجةٌ تبعثها موجةٌ أخرى، فالماء يجري ويتغير، والحياة تجري وتتغير، أرحام تدفع، وأرض تبلع، نساءٌ يلدن كل ساعة على وجه الأرض، وأناسٌ يقبرون كل ساعة على وجه الأرض، وسيأتي اليوم الذي يتوقف فيه الوجود الإنساني، وتنطفئ نجوم السماء، وتتوقف المياه والعيون والآبار، تنتهي كل شيء وتغير، وتتوقف الوجود الإنساني كله، كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون.

قف مع نفسك يا عبد الله؛ فساعتك تبدأ بموتك، وساعتي تبدأ بموتي، لحظة من أشد اللحظات، هي لحظة السكرات والكربات، يقول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الرَّأْفَى (٣٦) وَقِيلَ مَنْ رَافٍ (٣٧)﴾ [سورة القيامة: ٢٦-٢٧] من يرقيه؟ من يقدم له العلاج؟ التف الأطباء من حوله، هذا متخصصٌ في جراحة القلب، وآخر في جراحة المخ والأعصاب، وثالثٌ دكتورٌ كبيرٌ في كذا، وكذا، التفوا من حوله وداروا، وعجز

الأطباء و حاروا، انظر إليه وقد اصفر وجهه، وشحب صوته، وبردت أطرافه، وتجعد جلده، وبدأ يشعر بزمهريرٍ قارسٍ في بدنه، وفي هذه اللحظات يحاول جاهداً وهو على فراش الموت أن يحرك شفثيه ولسانه بكلمة التوحيد، لكنه يشعر أن اللسان والشفثين كالجبل، لا يريد أن يتزحزح إلا لمن ثبته الله،

وكأني به في هذه اللحظات، وهو بين السكرات والكربات، ينظر إلى أهله، وإلى أولاده، ويقول لهم بلسان حاله أو بلسان مقاله: يا أهلي يا أحبابي، لا تركوني وحدي، لا تفردوني في لحدي! أنا أبوكم! أنا حبيكم! أنا الذي بنيت لكم البيت، أنا الذي جمعت لكم الأموال، أنا الذي أمّنت لكم المستقبل، من منكم يزيد في هذه اللحظة من عمري عاماً، أو شهراً، أو ساعة، أو ساعتين؟!

إنها بداية الرحلة إلى الآخرة، إنها بداية عظيمة، ولحظات عصبية. فتخيل نفسك يا عبد الله: إذا ضعف جنانك، وثقل لسانك، وكثرت خطوبك، وعظمت كروبك، إنها اللحظة التي يشعر الإنسان فيها بحقارة هذه الحياة، إنها اللحظة التي يحس الإنسان فيها بالحسرة والندامة على كل لحظة فرط فيها في جنب الله، يناديه: رباہ ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ

الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ

بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ [سورة المؤمنون: ١٠٠].

يا زلةً كتبت في غفلةٍ ذهبت يا حسرةً بقيت في القلب تحرقني.

فتخيل نفسك أيها الإنسان يوم تثقل لسانك، وتشتد أحزانك!

كأنني بين جل الأهل منطرحا على الفراش وأيديهم تقلبني

وقد تجمع حولي من ينوح ومن يبكي عليّ وينعاني ويندبني

ويدعى لك الأطباء، ويجمع لك الدواء، فلا ينفعك طبيبٌ، ولا دواء.

إن الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاعٍ نحبٍ قد أتى

ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان أبرأ قبله فيما مضى

هلك المداوي والمداوي والذي جلب الدواء وباعه ومن اشترى

وقد أتوا بطبيبٍ كي يعالجني فلم أرَ الطب هذا اليوم ينفعني

وبعد أن تيقنت أن الموت قد أتاك، وأن ملك الموت قد وافاك، عند ذلك

تذوق ما أخبرك الله به في حياتك، وما كنت تتوقع أنه سيغشاك،

تخيل نفسك وأنت في نزع الموت وكربه، إذا نظرت ببصرك إلى من حولك فرأيت

أمك وأباك، وأختك وأخاك، قد سالت منهم الدموع، وأنت لا ترد لهم جواباً،

تلك اللحظة التي يلقي الإنسان فيها آخر النظرات، على الأبناء والبنات، فتخرج

من صميم قلبه الآهات والزفرات.

واشتد نزعِي وصار الموت يجذبها من كل عرقٍ بلا رفقٍ ولا هون

واستخرج الروح مني في تغرغرها وصار ريقِي مريراً حين غرغرنِي

فلا إله إلا الله من ساعةٍ تطوى فيها صحيفتك؛ إما على الحسنات أو على السيئات، عند ذلك تقول: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [سورة المنافقون: ١٠] بعد ذلك:

وغمضوني وراح الكل وانصرفوا بعد الإيأس وجدوا في شرى الكفن
وقام من كان حب الناس في عجل نحو المغسل يأتيني يغسلني
فتخيل حالك يا عبد الله يوم تقلبك بين يدي الغاسل؛ وهو يقلبك كيفما شاء.

قد زال عزك عنك، وسلب مالك منك، وأخرجت من بين أحبابك، وجهزت لترايك، ونادوا: أين المغسل؟

فجاءني رجلٌ منهم فجردني من الثياب وأعراني وأفردني
وأودعوني على الألواح منطرحا وصار فوقى خريير الماء يُنظفني
وأسكب الماء من فوقى وغسلني غسلاً ثلاثاً ونادى القوم بالكفن
وألبسوني ثياباً لا كمام لها وصار زادي حنوطي حين حنطني

ثم ألبسوك الكفن، وحملت إلى العفن، وأسلمت للدود، وصرت رهيناً بين اللحود، وصار القبر مأواك، إلى يوم القيامة ومثواك، وفي لحظةٍ واحدة أصبح



العبد كأن لم يكن شيئاً مذكوراً، طويت الصفحات، وصرت في عداد الأموات،
تذكر كأن لم تكن في هذه الحياة، كأن عينيك لم تر، وكأن أذنيك لم تسمع:

وأخرجوني من الدنيا فوأسفا على رحيل بلا زادٍ يبلغني
وحمّلوني على الأكتاف أربعة من الرجال وخلفي من يشيعني
وقدموني إلى المحراب وانصرفوا خلف الإمام فصلى ثم ودعني
صلوا عليّ صلاة لا ركوع لها ولا سجود لعل الله يرحمني

فيا ساكن القبر غدا: ما الذي غرك من الدنيا؟ أين العمارات؟ أين السيارات؟
أين الشهرة؟ أين الحساب؟ أين النسب؟ تركت الدنيا بما حملت، وصرت في القبر
بين الدود والتراب مع الأموات:

وأنزلوني إلى قبري على مهلٍ وقدموا واحداً منهم يلحدني
وكشّف الثوب عن وجهي لينظرنى وأسبل الدمع من عينيه أغرقني
فقام محتدماً بالعزم مشتتماً وصفف اللبن من فوقى وفارقني

فلا إله إلا الله من ساعة نزلت فيها أول مراحل الآخرة، واستقبلت الحياة
الجديدة، فإما عيشة سعيدة وإما عيشة نكيدة، ونزلت في عداد أولئك الغرباء، هناك
وما أدراك ما هناك!

في ظلمة القبر لا أم هناك ولا أب شفيق ولا أخ يؤسّسني

أين الأنيس؟ أين المرافق؟ أين المُجالس؟ لقد وضعت في القبر على غير مهادٍ،

ولا وساد، ولا مقدمة زادٍ ولا استعداد، فتخيل نفسك بذلك المكان!

فيه الظلام كذا السكون مخيمٌ والروح رُدّ وجاءني الملكان

وهالني صورةٌ في العين إذ نظرت من هول مطلع ما قد كان أدهشني

من منكرٍ ونكيرٍ ما أقول لهم قد هالني أمرهم جدًّا فأفزعني

وأقعدون وجدوا في سؤالهم مالي سواك إلهي من يخلصني

ثم بعد الموت ما الذي يكون؟ وهل ستنقضي الحياة بالموت؟ لا وكلا.

بل الموت وراءه ما وراءه!! لأن الحياة لا تنتهي بعد الموت، والإنسان مراحلها لا

تنقضي بموته.

فلو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حيي

ولكنا إذا متنا بعثنا ونسأل بعدها عن كل شيءي

فالحياة بعدها قبر، والقبر فيه سؤالٌ وجواب، ووراء ذلك بداية النعيم أو بداية

الهلاك والجحيم.

والقبر فاذكره وما وراءه فما لأحد منه براءه

وإنه للفيصل الذي به يعرف ما للعبد عند ربه

إن يك خيراً فالذي من بعده أفضلٌ عند ربنا لعبده

وإن يكن شرًّا فما بعده أشد ويلٌ لعبدٍ عن سبيل الله صد



فالقبر قضية خطيرة، ومسألة عقدية في غاية الأهمية، ولا بد للعيش معها لكل

واحد منا.

نسأل الله أن يؤنس وحشتنا، وأن يجعل قبورنا بعد فراق هذه الدنيا خير منازلنا،

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب؛

فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم!



(الخطبة الثانية)

الحمد لله أمر بتقواه، وأخبر أن من اتقاه وقاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها المسلمون عباد الله، قبل أن نكمل الحديث عن تلك المشاهد الرهيبة، في الكلام عن تلك الحفرة الضيقة المظلمة، ينبغي لنا أن نقف قليلاً في مطلع الحديث عن هذه القضية العقديّة الخطيرة، لنوقف نبرتنا الوعظية لنقف وقفاً علمية قصيرة مع أولئك الذين يستبعدون هذه القضية الحتمية، ألا وهي قضية عذاب القبر، ويقولون إنه لا يوجد نعيمٌ أو عذابٌ للقبر، وإنما هي مجرد خزعبلات وخرافات فلا يعقل أن القبر يضيق ويتسع، ويحصل ما يحصل مما ذكره الشرع في ذلك.

فأقول: سبحانك هذا بهتانٌ عظيم، وجهل وضلال مبین، فلقد أثبت الله عذاب القبر في غير ما موضعٍ من كتابه الكريم.

يقول جَلَّ وَعَلَا عن آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ

أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ [سورة غافر: ٤٦]. وهذا قبل قيام الساعة بدليل قوله: ويوم تقوم الساعة.



وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ

أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ...﴾ [سورة الأنعام: ٩٣]، والألف واللام في

اليوم هي للعهد الحضوري، أي: هذا اليوم الذي سيدخلون فيه القبر، إلى غير

ذلك من الآيات، وأما ما ورد في السنة النبوية فهي كثيرةٌ وشهيرة ولو لم يكن من

ذلك إلا ما رواه البخاري، ومسلم، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «كان يستعيد بالله من

أربع: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا

والممات، ومن فتنة المسيح الدجال!» (١).

إذن فهذه أدلة صريحة وصحيحة، في هذه القضية المصيرية، أما أن يُردَّ ثبوته -

أي ثبوت عذاب القبر- للعقل والرأي، كذلك ترد الآيات والأحاديث الصحاح

الصراح فهذا - والله - ضلالٌ مبين.

ثم ما الذي تنكره العقول وتستبعده في القبر وعذابه ونعيمه؟ لماذا تستبعد

ذلك؟ ونحن نعيش زمن العجائب والغرائب، فكم هي الأشياء التي ظهرت لنا في

هذا الزمان، وما كانت تخطر لنا على بال!

فلو قيل لنا، أو لو حدثنا إنسان قبل خمسين أو ثلاثين سنة: أنه سيأتي زمانٌ

يكلم الواحد منا أخاه، أو أباه، وهو في المشرق وذاك في المغرب، أو ينظر إليه

(١) رواه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩).

بصورته وعلى حقيقته؛ وهو في بلد وذاك في بلدٍ آخر مما وصل إليه العلم الحديث،
إلى غير ذلك مما لم يكن يخطر لنا على بال.

وهذا من صنع مخلوقٍ مسكينٍ، وضعيف. فكيف بصنع الله، صنع الله الذي
أتقن كل شيء؟!!

فأمور الآخرة تختلف عن أمور الدنيا - والله فوق ذلك - على كل شيءٍ قدير.

ثم انظر مثلاً وأنت ترى رجلين في فراشٍ واحد، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:
انظر إليهما وأحدهما يعيش في منامه؛ يتلذذ في نعيمٍ بوده لو ينام الدهر كله، والثاني
يصرخ ويتألم وهو في نفس الفراش الذي يتنعم به صاحبه، فأى عقلٍ ينكر هذا
ويستبعده؟!!

ولا يعتبر هذا تقيلاً من شأن وقدرة العقل؛ بل إن نور الوحي لا يطمس نور
العقل مطلقاً، والنقل الصحيح لا يعارض العقل السليم، فلا تعارض بين العقل
والنقل، فالقبر حقٌّ، ولا بد لحلوله لكل واحدٍ منا، ونسأل الله أن يؤنس فيه
وحشتنا!

فعش معي يا: عبد الله هذه اللحظات، يوم تحمل على الأكتاف تاركاً للدنيا
وراء ظهرك، يوم تترك المال والزوجة، والوطن والعشيرة، والعمارة، والسيارة،
والحسب، والنسب، تركت الدنيا وأقبلت إلى تلك الحفرة وحيداً فريداً!



مهالك التراب، وأنيسك الدود، بعدما كنت بين زوجتك وبين أولادك، بعدما كنت تأكل ما اشتتهت نفسك من أطيب الأغذية، والأشربة، بعدما كنت تنام على فراشك الوثير، ولحافك اللين، بعد هذا كله، ها أنت تدخل حفرة ضيقة، ومكاناً مظلماً، وأصبحت الدنيا كأنها أحلام، أصبحت الدنيا كأنها حلم أو خيال. فيا ليت شعري كيف ستعيش هذه الليلة؟! وما الذي ستعانيه وتلاقيه في تلك الحفرة؟!!

عش ما بدا لك سالماً في ظل شاهقة القصور
يسعى عليك بما اشتهي ت لدى الرواح وفي البكور
فإذا النفوس تقعقت في ظل في حشرجة الصدور
فهنالك تعلم موقناً ما كنت إلا في غرور

هذه الليلة التي بكى منها العلماء، والحكماء، والشعراء، والبلغاء، هذه الليلة التي يتحدد فيها مصيرك، وترى مقعدك من الجنة، أو مقعدك من النار. قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ألا أحدثكم بليتين لم تسمع الخلائق بمثلهن؟! ثم قال: أول ليلة تبيت فيها في قبرك، والليلة التي صبيحتها يوم القيامة!»

والله لو عاش الفتى في عمره
متلذذاً فيها بكل نفيسةٍ
لا يعتريه الهم فيها ساعة
ما كان ذلك كله في أن يفى
يوم القيامة لا مالاً ولا ولدٌ
ألفاً من الأعوام مالك أمره
متنعماً فيها بنعما عصره
أبدأً ولا تلد الهموم بباله
بمبيت أول ليلةٍ في قبره
وضمة القبر تنسي ليلة العرس

هذه الليلة يا عباد الله التي يقدم فيها العبد إلى ربه إما أن يكون محسناً؛ فهنيئاً

ثم هنيئاً له، وإما أن يكون مسيئاً؛ فيا ويله!

سئل أبو حازم رَحِمَهُ اللهُ يا أبا حازم، كيف القدوم على الله؟ قال: «أما المطيع

فكقدوم الغائب على أهله المشتاقين له، وأما العاصي فكقدوم العبد الأبق على

سيده، الغضبان عليه!»^(١).

وهكذا القبر إما أن يضمك ضمة الأم الحنونة، وإما غير ذلك.

هذه الليلة التي يدخل الإنسان فيها مكاناً يستوحش من رؤيته لحظات وهو على

وجه الأرض؛ فكيف إذا دخله ولبث فيه أضعاف أضعاف ما لبث في هذه الحياة؟!!

(١) لطائف المعارف (ص ١٨٥).



هذه الليلة التي هي أول منازل الآخرة، فقد روى الترمذي وحسنه الألباني **رَحْمَةُ اللَّهِ**: عن هانئ مولى عثمان قال: كان عثمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** إذا وقف على قبرٍ بكى حتى تبطل لحيته! فقيل له: يا أمير المؤمنين، تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتذكر القبر وتبكي؟! قال: إني سمعت رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «القبر أول منازل الآخرة؛ فإن نجا منه أحد فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجُ منه أحد فما بعده أشد منه»، قال: وسمعت رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «ما رأيت منظرًا إلا والقبر أفظع منه» (١).

لا تركزن إلى القصور الفاخرة وانظر عظامك حين تمسي ناخرة
وإذا رأيت زخارف الدنيا فقل يا نفس إن العيش عيش الآخرة
ولقد أخبر النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: عنما يحصل للإنسان في قبره، فمن ذلك: ضمة القبر؛ التي تحصل للمسلم، والكافر، والصالح، والطالح، والكبير، والصغير، فلقد روى الإمام أحمد في مسنده، وحسنه الألباني **رَحْمَةُ اللَّهِ** عن ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجى منها سعد بن معاذ!» (٢).

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٦٧).

(٢) رواه أحمد (٢٤٢٨٣).

وقال فيما صح عنه: لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا هذا الصبي أومرت جنازة بأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فبكت؛ فقيل: لها ما يبكيك يا أم المؤمنين؟ قالت: شفقة لهذا الصبي من ضمة القبر!

وأخبر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن الميت يسأل من قبل ملكين أسودين فقال فيما رواه الترمذي وحسنه الألباني، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا قبر الميت (أو قال أحدكم) أتاه ملكان أسودان، أزرقان يقال: لأحدهما المنكر، والآخر نكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟! فيقول: ما كان يقال هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم يقال له: نم. فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم. فيقولان: نم كنومة العروس، الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه،

وإن كان منافقاً يقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلت مثله؛ لا أدري! فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك. فيقال للأرض: التئمي عليه؛ فتلتئم عليه! فتختلف أضلاعه، فلا يزال معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك!» (١).

(١) رواه الترمذي (١٠٧١).



لا إله إلا الله، هذه هي القبور يا عباد الله، هذا هو المصير المحتوم الذي ينتظرنا جميعاً، هذه هي القبور وهذه هي أحوال أهلها؛ فاعتبروا رحمكم الله، اعتبروا بالموت الذي نشاهده كل يوم، لنعتبر بالوفيات والأموات من أقاربنا وجيراننا وأحبابنا الذين لا يكادون أو لا تكاد تهدأ جفوننا، وتجف دموعنا على أحدهم إلا ونفجع بموت الآخر،

اعتبروا بهذه المقابر وتفكروا في مصيركم إليها، وسكناكم فيها.

"زوروا المقابر؛ فإنها تذكركم الآخرة". إذا قسا قلبك يا عبد الله فانظر إلى المقابر، وكم قد حوت من الرجال، والنساء، والمرؤوسين، والرؤساء، ظواهرها التباهي، وبواطنها الدواهي.

كان الحسن بن صالح رَحِمَهُ اللهُ: «إذا أشرف على المقابر قال: ما أحسن

ظواهرك، إنما الدواهي في بواطنك!»^(١).

وجلس عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ «يوماً على القبر فقال: يا عمر: ألا تسألني

عن الأحبة؟ قلت: بلى! قال: حرقت الأكفان، ومزقت الأبدان، ومصصت الدم، وأكلت اللحم،

(١) أحياء علوم الدين (٤/ ٤٨٦).

ألا تسألني عن الأوصال؟ قلت: بلى! قال: نزعت الكفين من الذراعين،
والذراعين من العضدين، والعضدين من الكتفين، والوركين من الفخذين،
والفخذين من الركبتين، والركبتين من الساقين، والساقين من القدمين».

آه له بيت البلى	والمنزل القفر الخلا
ومورد السفر الأولى	واللاحق المتبع
بيتٌ يُرى من أودعه	قد ضمه واستودعه
بعد الفضاء والسعه	قيد ثلاث أذرع
لا فرق أن يحله	داهيةٌ أو أبله
أو معسرٍ أو من له	ملكٌ كملك تبع
وبعده العرض الذي	يحوي الحيي والبذي
والمبتدي والمحتذي	ومن رعى ومن رعى
فيا مفاز المتقي	وربح عبدٍ قد وقى
سوء الحساب الموبق	وهول يوم الفزع
ويا خسار من بغى	ومن تعدى وطغى
وشب نيران الوغا	لمطعمٍ ومطمع
يا من عليه المتكل	قد زاد ما بي من وجل
لما اجترحت من زلل	في عمري المضيع



فاغفر لعبدٍ مجترم وارحم بكاه المنسجم
فأنت أولى من رحم وخير مدعوٌ دعي

أسأل الله أن يرحم أمواتنا وأموات المسلمين أجمعين، نسأل الله أن يرحمنا إذا

صرنا إلى ما صار إليه أمواتنا! اللهم ارحمنا وأنس وحشتنا في قبورنا!

اللهم اجعل القبور بعد فراق هذه الدنيا خير منازلنا، وافسح فيها ضيق ملاحدنا،

اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، يا رب العالمين!

اللهم اجعل ذكر الموت على ألسنتنا، وارزقنا الشوق إلى لقاءك، ولا تجعل الدنيا

أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، يا ربنا ويا خالقنا! اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات،

الأحياء منهم والأموات.....



الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفرهن ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].
 ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد :

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.
 أيها المسلمون عباد الله، في ظل هذه الأحداث المتلاحقة، وهذه الأخبار المتكاثرة، في ظل طغيان الماديات، والملهيات، والمغريات، وانشغال الناس عما

هو آت، دعونا اليوم نترك الدنيا وراء ظهورنا، ونبعد الأخبار، والأوضاع، والأحداث من أذهاننا، ونقف مع أوضاع، وأهوال، ومشاهد لطالما نسيناها، وتغافلنا عنها، من خلالها تحدد السعادة الأبدية، أو الشقاوة السرمدية.

دعونا نقف مع الأهوال، والشدائد التي تحصل في ذلك اليوم العظيم، مبتدئين ذلك بالنفخ في الصور، بتلك النفخة التي تفك أواصر هذا الكون، وتدمر عرابة، يوم يأمر الله ملكا- يُدعى إسرافيل - أن ينفخ نفخة عظيمة من خلالها يصاب الكون كله بخلخلة عنيفة، تنحل بها كل الروابط التي كانت تربط بين أجزاء هذا الكون، فينفخ في الصور نفخاته التي بها يموت الناس ويبعثون.

ونفخاته قيل: هما نفختان، وقيل ثلاث، والذي رجحه كثير من المحققين أنها ثلاث نفخات، النفخة الأولى هي نفخة الفزع، يقول - سُبْحَانَہُ وَتَعَالَى - ﴿ وَيَوْمَ يُفْخَخُ فِي الصُّورِ فَفَزَعَنَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَخِرِينَ ﴾ [سورة النمل: ٨٧]، إلا من شاء الله، من هذا الذي لا يفزع؟ الله أعلم؛ لأنه لم يثبت في ذلك شيء عن الصادق المصدوق عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذه هي النفخة الأولى.

فقد روى الإمام أحمد، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ عن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كيف أنعم؟! - أي: كيف أهنأ،

ويطيب عيشي في هذه الحياة-؟ كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن،
واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ؟!»^(١).

وفي رواية عند الحاكم، وصححها الألباني رَحِمَهُمَا اللهُ، قال: «إن طرف صاحب
الصور منذ وُكِّل به ينظر نحو العرش؛ مخافة أن يؤمر قبل أن يردد إليه طرفه، كأن
عينه كوكبان دريان!»^(٢).

هذه النفخة الأولى- يا عباد الله- تمتلئ منها القلوب رعبا، وفزعا!

وتأمل إلى قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ ۗ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ

شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَنَضَعُ كُلُّ ذَاتِ

حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ [سورة

الحج: ١-٢].

تصور يا عبد الله، ثم تأمل أمّا تنسى رضيعها، بل وتلقيه على الأرض من هول

ما تسمع، وهو أحب الناس إليها، وهي من أرحم الناس به، لكنها تشغل عنه في
حال إرضاعها.

(١) رواه أحمد (٣٠٠٨)، والترمذي (٢٤٣١).

(٢) رواه الحاكم (٨٦٧٦).



وتضع كل ذات حمل حملها، ثم تأمل إلى المرأة كيف تسقط جنينها من بطنها؛ لهول الرعب الذي سيطر على قلبها! نسأل الله أن يهون علينا تلك الشدائد، والأهوال!

قف بقلبك، وكيانك - يا عبد الله - وتأمل ما الذي سيحصل لهذا الكون؟ تأمل إلى هذه السورة التي تقرؤها، وتردها، وتحفظها، فلقد روى الإمام أحمد، وصححه الألباني رَحْمَهُمَا اللهُ عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى العين، فليقرأ: ﴿إِذَا اشْتَمَسَتْ كُوْرَتٌ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾»، (١) يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذَا اشْتَمَسَتْ كُوْرَتٌ﴾ أي ذهب ضياؤها، وراح نورها، و﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ تناثرت، وأظلمت، وسقطت في البحار فتصير معها نيراناً،

و﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ تدك في الأرض تدك دكاً، وتنسف نسفاً، وتصبح الجبال كالعهن المنفوش، بعد أن كانت حجارة صلبة، تصبح كثيباً مهيباً، تكون هباءً منبثاً، وسراباً،

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ العشار هي خيار الإبل، عطلت، أي: انشغل الناس عنها بعد أن كانت من أحب الأشياء إليهم، ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ جمعت وهي مرعوبة،

(١) رواه الترمذي (٣٣٣٣).

وفزعة، بعد أن كانت ترعب الناس، وتخوفهم، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾ [سورة التكاوير: ٦] أي: تأججت نيرانا، وقيل: غار ماؤها وذهب.

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾ عادت الأرواح إلى الأجساد، أو رجع كل شيء إلى نظيره - على أحد التفسيرين -.

وبعد أربعين من هذه النفخة، هل هي يوم؟ الله أعلم، شهر؟ الله أعلم، سنة؟ الله أعلم. ففي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما بين النفختين أربعون». قيل - يا أبا هريرة-: أربعون يوماً؟

قال: أبيت! أربعون شهراً؟ قال: «أبيت، سنة؟ قال: أبيت»^(١)، أي: أبيت أن

أسأل النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وبعد أربعين لا يعلم حقيقتها إلا رب العالمين،

يأمر الله إسرافيل أن ينفخ في الصور، نفخة الصعق؛ وهي النفخة الثانية، ومن

العلماء من جعلها ونفخة الفزع نفخة واحدة، لكن الذي رجحه كثير من

المحققين أن هناك فرقا بين نفخة الفزع، ونفخة الصعق. يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى

فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة الزمر: ٦٨].

(١) رواه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).



فعند أن يصعق من في السماوات ومن في الأرض، ويهلك كل شيء إلا وجهه
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفي وسط هذا السكون المذهل ينطق صوت جليل ومهيب، ينادي
 الله في عليائه ويسأل ويجيب، ويقول: ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ
 الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ [سورة غافر: ١٦] ثم يجيب نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿لِلَّهِ
 الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٣٩﴾.

ويقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك
 الأرض؟ وفي لفظ مسلم: «أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»^(١) وبعد أربعين لا
 يعلم حقيقتها إلا رب العالمين، يرسل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ماء ينزل على الأرض مطرا
 -أي: كالطل- كما عند مسلم، وهو كمني الرجال، فتنتبت منه أجساد الناس، وفي
 لفظ فينبتون منه كما ينبت البقل. فتنتبت الأجسام تحت الأرض، أو في القبور بعد
 الصعق،

فإذا أراد الله أن يحيي خلقه أحياء إسرافيل، وأمره أن يلتقم الصور، وأن ينفخ فيه
 النفخة الثالثة، ألا وهي نفخة البعث من القبور. فيؤتى بالأرواح تتوقد، أرواح
 المؤمنين نورا، وأرواح الكافرين تتوهج ظلمة، فتعاد الأرواح إلى الأجسام،

فيخرج الله كل مخلوق من لدن آدم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إلى تلك الساعة. ويُنبئ الله

أجساد الناس من عظمة دقيقة جدا تسمى عجب الذنب!

تأمل معي ما رواه البخاري، ومسلم، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال - وهو الذي

لا ينطق عن الهوى - قال: «ليس من الإنسان شيء إلا ويبلئ، إلا عظمًا واحدًا وهو

عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة» (١).

وهذا العظم هو أول ما يخلق من الإنسان، ومكانه في أسفل الصلب، وعظمه

لا يزيد على حبة العدس، وهذا لم يكتشفه العلماء إلا في السنوات المتأخرة.

لا إله إلا الله! تخيل ثم تخيل يا عبد الله هذا المشهد الرهيب، ها هي القبور

تنشق في كل أنحاء الأرض، وهاهم الخلق يخرجون من تلك القبور الموحشة،

كل واحد يخرج من قبره، وينفض التراب من على جسده، وهو يشخص ببصره

في اتجاه واحد، إلى الملك الذي يقودهم إلى أرض المحشر للحساب، والوقوف

بين يدي الله، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ

لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ [سورة طه: ١٠٨].

(١) رواه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).



أيتها العظام البالية، أيتها الأجساد العارية، أيها الناس، لقد حان وقت القيام للوقوف بين يدي الله - عَزَّوَجَلَّ - هذا الموقف الذي لطالما ذكرتم به، وخوفتم منه، ها هو الكون كله يتجه إلى أرض المحشر للوقوف في تلك الأرض لانتظار بدء الحساب. ها هم الخلق يخرجون من قبورهم، ويبعثون على ما ماتوا عليه، ها هو المجاهد يخرج من قبره، وجرحه ينبعث دما، اللون لون الدم، والريح ريح المسك! ها هو الحاج يخرج من قبره وهو يقول: لبيك اللهم لبيك!

ها هم أكلة الربا يقومون وبطونهم منتفخة، إذا أراد الواحد منهم أن يقف، أو يمشي لا يستطيع، بل يقع على الأرض، يقول - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ [سورة البقرة: ٢٧٥] ها هم أكلة أموال اليتامى، ها هم أهل الغدر، ها هم أهل السرقة، وقطاع الطرق، كلهم يبعثون على اختلاف جرائمهم، ومعاصيهم،

يبعثون في هذا اليوم، وما أدراكم ما ذلك اليوم؟! يوم القيامة، يوم الحسرة
والندامة، يوم الزلزلة، والواقعة، والراجفة، يوم الغاشية، والأزفة، والحاقة،
والطامة، والصاخة، يوم القرار، إما إلى جنة، وإما إلى نار!
نسأل الله الجنة، ونعوذ به من النار! أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم
ولجميع المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم!



(الخطبة الثانية)

الحمد لله العزيز الحميد، كتب الموت على العبيد، وتعالى أن يفنى، أو يبىد،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى
الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وما زال للحديث بقية في مشاهد يوم القيامة، وبعد أن تنشق القبور بأهلها،
وتُخرج الأرض كل من فيها، يبعث الله الخلائق كلها، ويا ترى من هو أول
المبعوثين منها؟ إنه الحبيب المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، روى الإمام مسلم
في صحيحه، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول
من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع» (١). بأبي هو وأمي
وروحي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وأول من يُكسى هو نبي الله إبراهيم عليه، وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم
التسليم.

وحين أن يبعث الناس؛ يخرجون من قبورهم حفاة، عراة، غرلا- أي: غير
مختونين-، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطِي السَّجِّلِ لِلْكُتُبِ كَمَا
بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٤].

تقول أم المؤمنين عائشة **رَضِيَ اللهُ عَنْهَا**: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟! فقال: يا عائشة: الأمر أشد من أن يهمهم ذلك! يا رب، سلم! سلم! ها هي البشرية تجمعت خلف ملك من ملائكة الله، يقودهم إلى أرض المحشر، قال -تعالى-: ﴿إِنْ كُلٌّ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [سورة مريم: ٩٣].

عند ذلك يبدأ الناس بتصنيف عجيب، فيحشر صنف على قدميه، وصنف عندما يبعث من قبره يرى الملائكة تستقبله، وتنتظره وقد هيأت له من ركائب الآخرة ما لا يعلم جمالها إلا الله، قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا﴾ [سورة مريم: ٨٥-٨٦] ويقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۗ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ [سورة فصلت: ٣١]، ويحشر صنف من الناس على وجهه، لا إله إلا الله!

تخيلوا يا عباد الله، مشهد يخلع القلب، وجهه على الأرض، ورجله في السماء، قال - **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** -: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبُهْدٍ يُضِلِّ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ۗ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَبِكُمَا وَصَمًا ۗ مَاؤُنْهُمُ جَهَنَّمَ ۗ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [سورة الإسراء: ٩٧].

قال رجل - كما في الصحيحين-: كيف يحشر الكافر على وجهه رسول الله؟ قال «أليس الذي أمشاه على رجليه قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟!»^(١) قال قتادة: «بلى وعزة ربنا!».

فإذا وصلت الخلائق جميعاً إلى أرض المحشر، وأرجو أن نتدبر بقلوبنا، وأسماعنا، وعقولنا ونحن نرى البشرية كلها من لدن آدم إلى آخر رجل قامت عليه الساعة، يحشرون في أرض بيضاء، عفراء كقرص النقي، - أي: كالدقيق الأبيض الشديد البياض-، والأرض حينئذ ليس فيها معلم لأحد، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ^ط وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ [سورة إبراهيم: ٤٨] ويقول - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ [سورة الكهف: ٤٧].

وفي ذلك اليوم تقترب الشمس من الناس حتى تكون منهم على قدر ميل، يقول العلماء: إن بيننا وبين الشمس في الدنيا ثلاثة وتسعون مليون ميل، ومع ذلك انظروا كيف يحصل لبعضنا من الحر والضيق في وقت الظهيرة. والناس في ذلك الوقت على قدر أعمالهم، - أي: عندما تكون الشمس على رؤوسهم-، منهم من يكون عرقه إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم

(١) رواه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

من يصل عرقه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إجماماً؛ وأشار رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده إلى فمه، ثم يزداد الكرب، والهم بعد ذلك، حين يؤتى

بجهنم تزفر، وتزمر غضبا منها لغضب ربها، يقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ**

بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِرُ الْإِنْسَانَ وَآنِيَ لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَلَيَّتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ [سورة

الفجر].

يقول النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يؤتى بجهنم يومئذ ومعها سبعون ألف زمام،**

مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها».

مشاهد -أيها الناس- والله لو تأملنا فيها لطار النوم من أعيننا! الشمس فوق

الرؤوس، والناس غارقة في العرق، وجهنم تزفر وتزمر لغضب ربها،

مشاهد رهيبه لا يستطيع بليغ ولو ألقى إليه البلاغة أعتتها؛ أن يصفها، حتى إن

الكرب، والهم، والغم، يلحق حتى الرسل **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ** فقد روى البخاري،

ومسلم، - في حديث الشفاعة- عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ...** وفيه: أن الناس يأتون

إلى الأنبياء، وكل واحد يعتذر ويقول: «نفسي نفسي! اذهبوا إلى فلان، ثم يذهبون في

الأخير إلى النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فيسألون منه أن يشفع لهم عند ربهم»، فيقول

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أنا لها! أنا لها!



قال: فأنطلق فأسجد تحت العرش، فأقع ساجداً للربي، ثم يفتح الله علي، ويلهمني من محامده، وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، وسل تُعطى، واشفع تُشفع. وهذا هو المقام المحمود الذي يغبطه عليه الأنبياء، فماذا يقول الرحيم؟ فماذا يقول الكريم؟ ماذا يقول الذي أرسله الله رحمة للعالمين؟ يقول: اللهم أمتي أمتي! اللهم أمتي أمتي! (١).

ثم بعد ذلك تنزل الملائكة لتحيط بالخلائق من كل جانب، ثم يتنزل حملة العرش، فيقول أهل الأرض للملائكة: أفيكم ربنا؟ فيقولون: لا، هو آت، هو آت! يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [سورة البقرة: ٢١٠]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [سورة الفجر: ٢٢]،

ثم ينادي الله على آدم فيقول- كما في الصحيحين-: يا آدم فيقول: « لبيك، وسعديك، والخير في يديك. قال: يا آدم، أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟! قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، وواحد في الجنة، فعند ذلك يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترئى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد»! قال الصحابة: يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد؟- أي:

(١) رواه البخاري (٣٣٤٠) ومسلم (١٩٣).

الذي سيدخل الجنة - قال: «أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً»،
ثم قال: «والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة!»، فكبرنا،
قال: «إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبرنا، فقال: ما أنتم في الناس إلا
كالشعرة السوداء في جلد الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في جلد الثور
الأسود!»^(١).

ثم ينادي الله نوحا - كما في صحيح البخاري - قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يُدْعَى
نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم،
فيقول لأمته: هل بلغكم نوح؟ فيقولون: ما أتانا من نذير! فيقول الله: من يشهد لك
يا نوح؟ فيقول نوح: يشهد لي محمد وأمته، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: فتشهدون أنه
قد بلغ»^(٢)، فذلك قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى
النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣].

(١) رواه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢).

(٢) رواه البخاري (٣٣٣٩).



وفي رواية ابن ماجه بسند صحيح: قال: «وما علمكم بذلك؟ - أي وما أدراكم يا أمة محمد أنه قد بلغ؟ قال: فيقولون: أخبرنا نبينا بذلك فصدقناه. يعني: آمننا بكل ما جاء به رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ» (١).

ثم ينادي الله على عيسى كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۗ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ [سورة المائدة: ١١٦] ثم ينادي الله على جميع الرسل في ذلك اليوم فيقول: - كما قال في كتابه الكريم: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ۗ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ۗ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٩﴾ [سورة المائدة: ١٠٩]، قال الحسن، ومجاهد، وغيرهما: «إنما قالوا ذلك من الهول، والفرع، والرعب»!

ثم في ظل هذا الرعب، الرهيب، وأمام هذا الموقف المهيب، لا توجد بحار، ولا أنهار، ولا أشجار، وإنما أرض بيضاء مثل الدقيق الأبيض الصافي، ينادي الله في هذا الموقف، والشمس فوق الرؤوس على مجموعة من الخلائق ليظلمهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فمن هؤلاء؟ من هؤلاء؟ إنهم: «الإمام العادل، والشاب الذي نشأ في عبادة الله، والرجل الذي تعلق قلبه في المساجد، والرجلان تحابا في

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٨٤).

الله؛ اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال؛ فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» (١).

وكذلك ورد هذا الفضل في أحاديث أُخرى، كمن أنظر معسراً، أو وضع عنه، ثم يبدأ الحساب وهذا المشهد من أصعب مشاهد يوم القيامة، لكننا سنؤخر الكلام عنه إلى الجمعة القادمة إن شاء الله، ونسأل الله أن ييسر حسابنا، ويؤمن كتابنا، ويرحم ضعفنا، فهو أرحم بنا من أنفسنا.....



(١) رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (٩٢٣).





الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].
 ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر

الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون عباد الله، لقد كان تحدثنا معكم في الجمعة الماضية عن بعض ما يحصل من أهوال يوم القيامة، وكنا قد توقفنا، وانقطع الحديث بنا عند مشهد عظيم، من مشاهد ذلك اليوم العظيم ألا وهو مشهد الحساب؛ نسأل الله أن ييسر حسابنا، ويعفو عنا!

ويتبدى هذا المشهد بتطير الصحف، كما قال سبحانه وتعالى ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلَمْنَهُ لَطْفَرُهُ فِي عُنُقِهِ ۗ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَشْوَرًا ﴾ [سورة الإسراء: ١٣-١٤]، فتعالوا بنا لتأمل في هذا الموقف العظيم، ولكن قبل أن يبدأ الحساب ستحصل هناك كرامة لهذه الأمة المحمدية المرحومة، فسيدعى فريق من أمة الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام ليدخلوا الجنة بغير حساب، ولا عذاب. فلقد روى الإمام أحمد، وصححه الألباني رحمهما الله عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن ربي وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً، لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً، وثلاث حثيات من حثيات ربي»^(١). نسأل الله من فضله!

وفي لفظ عند ابن حبان: «ثم يتبع كل ألف بسبعين ألفاً». وهؤلاء السبعون، هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون؛ كما قال عليه الصلاة والسلام

(١) رواه أحمد (٢٢٣٠٣).

فاللهم لك الحمد على هذه الكرامات، وهذه الرحمات، وهذه البشريات.

ولابد أن نعلم - أيها الناس - أن هذه الكرامات ينبغي أن لا تملأ قلوبنا جرأة

على الله، بل تملأ قلوبنا رجاءً في الله، وسعة رحمته سبحانه.

وبعد أن تدخل هذه الزمرة الكريمة إلى الجنة بغير حساب؛ يبدأ الحساب

بالعرض، ويبدأ بتطاير الصحف، فلك الآن أن تتصور، وتخيّل هذا الموقف،

ولكن قبل ذلك نقول: هل قد حضرنا يوماً محاكمة في محكمة من محاكم الدنيا؟

ورأينا ذلك الرجل يصرخ قبل الحاكم بصوت عال، ويقول: محكمة، والكل

ينصت لقوله، وتدخل هيئة المحكمة، ويتوسط الهيئة رئيس المحكمة، وبعد

جلسات، ومداومات، ومرافعات، يبدأ رئيس المحكمة في النطق في الحكم،

ونحن نرى وجوه الحاضرين؛ منهم من تسيل دموعه على خدوده، ومنهم من تندا

العرق من جبينه، ومنهم من قد تملكه الخوف والقلق، واستحکم عليه الفزع

والأرق، وترى أبصار الحاضرين شاخصة، وأسماعهم مصغية، ومنتظرة إلى

حكم رئيس المحكمة، إلى حكم هذا الحاكم الضعيف، الذي لا حول له ولا قوة،

وهذا كله في محكمة من محاكم الدنيا الدنيئة.

بالله عليك يا عبد الله، وقل لي بربك هل تصورت هذه اللحظات وأنت واقف

بين يدي الله، وعار كما خلقك الله، تتقدم لتقف بين يدي الله، وتسوقك الملائكة

سوقا إلى الله، يقول الله: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [سورة ق: ٢١] تساق سوقا إلى الله، وينادى عليك باسمك الذي كنت تعرف به في الدنيا: يا فلان يا فلان بن فلان، أقبل على العرض بين يدي الله، فيقرع هذا النداء قلبك، وترتعد منه فرائصك، وتضطرب جوارحك، فتقبل ليكلمك الله، كما روى البخاري، ومسلم من حديث عدي بن حاتم، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان! فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه؛ فاتقوا النار ولو بشق تمره!» (١)

فان كنت يا عبد الله من السعداء - ونسأل الله أن يسعدنا جميعا في الدنيا والآخرة -، فيضع عليك رب العزة ستره، كما في الصحيحين من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه، أي: ستره، فيستره فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: إي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال الله: سترتها عليك في الدنيا وأنا

(١) رواه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦).



أغفرها لك اليوم. وأما الكافر، والمنافق فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين!«(١).

فينطلق المؤمن في أرض المحشر وكتابه يمينه، وهو يبحث عن أهله، وأحبابه ويقول لهم هاؤم اقرأوا كتابيه.

وأما الكافر فيأخذ كتابه بشماله، ثم يقول: يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه.

يا حسرتا من يوم نشر كتابيه واطول حزني إن أكن أوتيته بشماليه
فيا عباد الله هل تفكرنا في هذه المواقف؟ وهل تفكرنا في هذه الأحوال، وهذه
الأهوال؟

يأيها العبد العاصي: أتدري أنك ستقف بين يدي الله، أتدري يا من أنت غارق في بحار هذه الدنيا الدنيئة أنك عما قريب ستتركها، وعما قريب ستودعها، فإنك إذا مت فقد قامت قيامتك، هل جلست مع نفسك يوماً، ونظرت في أيام عمرك، وحياة شبابك ماذا فعلت فيها؟ أين صرفتها، وقضيتها؟ ماذا قدمت لنفسك في صحيفتك التي ستؤمر بقراءتها، وتجد كل ما عملت فيها؟!

(١) رواه البخاري (٤٤٢١).

تذكر وقوفك يوم العرض عريانا
النار تلهب من غيظ ومن حنق
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل
لما قرأت ولم تنكر قراءته
مستوحشا قلق الأحشاء حيرانا
على العصاة وتلقى الرب غضبانا
فهل ترى فيه حرفا غير ما كان
إقرار من عرف الأشياء عرفانا
وامضوا بعبدي إلى النيران عطشاننا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي

أيها المسلمون عباد الله، إن الإنسان مهما عمل في هذه الدنيا من عمل فسيجده

مسطرا في كتابه، ولو كان مثقال ذرة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧)

[سورة الزلزلة: ٧]، مهما غاب العبد عن أنظار الناس، مهما عصى وبغى، وتعدى

وطغى فسيجد ذلك كله في يوم القيامة حاضرا: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ

مُحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ

رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (سورة آل عمران: ٣٠).

وفي ذلك اليوم سيظهر لك شهود -يا عبد الله- ما كنت تتوقع أنهم سيشهدون

عليك، وأنت الذي لطالما كنت تمتعهن، وتدافع عنهن، إنهن أعضاؤك،

وجوارحك، سينطقهن الله ويكن عليك شهودا، فلقد روى الإمام مسلم في

صحيحه، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال كنا عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضحك،

فقال: «هل تدرون مم أضحك؟» قلنا الله ورسوله أعلم! قال:

«من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب، ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجزى على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً. فيختم على فيه، فيقال: لأركانه انطقي. قال: فتنتق بأعماله، ثم يُخلى بينه وبين الكلام، فيقول بعداً لكن وسحقاً؛ فعنك كنت أدافع! فعنك كنت أناضل يقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ [سورة يس: ٦٥]**» (١).

ويقول - **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ۗ قَالَُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ [سورة فصلت: ١٩-٢١].**

ومن رحمة الله بهذه الأمة - أمة محمد **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - أنها أول من ينادى عليها بالحساب، وأول أمة تدخل الجنة؛ فلقد روى الإمام ابن ماجه، وصححه الألباني **رَحْمَهُمَا اللَّهُ**، عن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «نحن آخر الأمم، وأول من يحاسب، يقال: أين الأمة الأمية ونبيها؟ فنحن الآخرون الأولون» (٢).

(١) رواه مسلم (٢٩٦٩).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٩٠).

فأمة محمد **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** هي أول من تحاسب.

ومن أول من يحاسب من هذه الأمة؟ من أول من ينادى عليهم للحساب؟ هل

هم أهل الكبائر؟ هل هم أهل القتل والجرائم؟! لن تصدق إن قلت لك: إنهم قراء

القرآن؟! إنهم الشهداء، إنهم الأسخياء الكرماء.

روى الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللهُ** عن أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** أن النبي

- **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - قال: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه: رجل استشهد

فأوتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى

استشهدت. قال: كذبت؛ ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء؛ فقد قيل. ثم أمر به

فسحب على وجهه حتى ألقي في النار!»^(١).

تخيل هذا الرجل الذي سال دمه، وقطعت رقبته، اغبرت قدماه، قدم نفسه،

وروحه، لكن من أجل من؟ في سبيل من؟ انظروا إلى عظم وقدر الإخلاص لله

عَزَّوَجَلَّ، «ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال:

فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت؛

ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ. فقد قيل، ثم

أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار!»

(١) رواه مسلم (١٩٠٥).



اللهم استرنا ولا تفضحنا يا رب العالمين، اللهم استرنا ولا تفضحنا يا رب العالمين - تأمل ثم تأمل، عالم ملاً الدنيا ضجيجاً، وكلاماً وعلماً، عالم دخل علمه لكل بيت، ولكل مسجد، عالم تسابق الناس وتزاحموا على شراء كتبه، وسماع محاضراته، يُجر على وجهه في النار، يا رب، سلم! سلم! وارزقنا الإخلاص يا رب العالمين! قال: «ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت فيه لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار!».

نعوذ بالله من غضب الله، وأن تكون أعمالنا لغير الله!

يأيها المقاتل، يا أيها المجاهد: إن لم تقا من أجل الله فلا تتعب! يأيها العالم، يا صاحب المؤلفات يا قارئ القرآن ويا صاحب القراءات، إن لم يكن حفظك للقرآن، وطلبك للعلم من أجل الله فلا تتعب! يا أيها التجار، ويا أصحاب الأموال، يا أصحاب المشاريع الخيرية، ويا أصحاب الأعمال الإغاثية، إن لم تكن أعمالكم لله فلا تتعبوا! لا إله إلا الله!

وبعد مشهد الحساب هل يا ترى انتهت مشاهد يوم القيامة؟ لا، وكلا، فبعد الحساب تنصب الموازين. فالحساب لتقرير الأعمال، والموازين لبيان مقدارها، ليكون الجزاء على حسبها.

فالميزان أيها الناس قضية خطيرة، وجليلة، ونحن المؤمنون نؤمن بالميزان، ونعتقد اعتقاداً جازماً أنه لا يعلم عظمته، وحقيقته إلا الله، فقد روى الحاكم في مستدركه وصححه الألباني **رَحْمَهُمَا اللَّهُ**، عن سلمان الفارسي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزنت فيه السماوات والأرض لوسعهما، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله: لمن شئت من خلقي. فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك!»^(١).

وقد أثبت الله الميزان في غير ما آية من كتابه، فقال **سُبْحَانَہُ وَتَعَالَى**: ﴿وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبًا﴾ [سورة الأنبياء: ٤٧] وقال: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١٠٣].

وقد اختلف العلماء في الذي يوزن، هل هي الأعمال؟ أم الأجساد؟ أم هي الصحف؟ بكل قال العلماء، وقد يشكل على بعض الناس كيف توزن الأعمال وهي أعراض وليست أجساماً؟، فالجواب: أن الله قادر على كل شيء، قادر على أن يحول الأعراض إلى الأجساد، كما أنه سيجعل الموت بصورة كبش فيذبح بين الجنة والنار، كما قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

(١) رواه الحاكم في مستدركه (٧٨٣٩).



فالميزان سينصب وستوزن فيه أعمال العباد، ولا يظلم ربك أحداً: ﴿ فَأَمَّا مَنْ

ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ

هَكَوِيَةٌ ﴿٩﴾ [سورة المقارعة: ٦-٩]، يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: « فمن رجحت حسناته

على سيئاته ولو بواحدة ».

وما هي هذه الواحدة؟ الله أعلم، قد تكون بسمه ابتسمتها في وجه أخيك أو

أختك، أو في وجه زوجتك وأولادك، قد تكون صدقة تصدقت بها على جيرانك،

قد تكون سجدة سجدتها، أو محاضرة حضرتها أو سمعتها، فلا تحتقر من الأعمال

شيئا فإنك لا تدري أية حسنة سيرجح بها الميزان، وتكون سببا في دخولك الجنان،

بإذن الكريم المنان.

نسأل الله الكريم من فضله، وأن يرحمنا برحمته! أقول ماتسمعون، وأستغفر

الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه إنه هو الغفور!



(الخطبة الثانية)

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أيها المسلمون عباد الله، بعد أن توزن أعمالنا كلها، ستظهر معاييرنا الحقيقية عند ربنا، فهناك لا نوزن بجمالنا وأحسابنا، ولا بأموالنا وأنسابنا، وإنما بأعمالنا، وطاعتنا لربنا، ستظهر قيمتكم أيها المصلون الساجدون، ستثقل موازينكم أيها المحسنون المتصدقون، ستعلو مكانتكم أيها العلماء العاملون، ستسعدون سعادة لا شقاوة بعدها، وستدخلون جنة طابت وطاب نعيمها، بإذن الله تعالى.

وهنا سؤال في غاية الأهمية، ما هو وزني ووزنك عند الله؟ أقول لك: ما قاله رسول الله، فيما صححه الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ: «إذا أردت أن تعرف ما عند الله لك؛ فانظر ما الله عندك». وقد أخبر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن هناك أعمالاً تثقل الميزان؛ فمن ذلك سبحان الله، والحمد لله، كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم!

فثقل ميزانك وأنت جالس على فراشك، وأنت تمشي في طريقك، قض أوقاتك بطاعة ربك، اشغل حياتك بما يقربك إلى خالقك، فالعمر قصير،



والموت قريب: ﴿وَأَلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾

[سورة الأعراف: ٨].

كذلك مما يثقل الميزان، بل لا يثقل معه شيء، كلمة التوحيد، لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقد قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما في سنن الترمذي، عن عبد الله بن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، قال: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب! قال ألك عذر أو حسنة؟ قال: فبهت الرجل! فيقول: لا يا رب! فيقول بل إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، فيقول: يا رب، وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فيقول: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات وسط البطاقة، قال: ولا يثقل مع اسم الله شيء!«^(١).

سبحانك! ما أعظمك! ما أرحمك! ما أكرمك! ما أحلمك! هنيئاً ثم هنيئاً لكم أيها الموحدون؛ أن أكرمكم الله بالتوحيد! هنيئاً لك أيها المسلم على نعمة الإسلام، وعلى العيش في بلاد الإسلام!

(١) رواه الترمذي في سننه (٢٦٣٩).

عش فقيرا أيها المسلم في بلاد الإسلام، عش مريضا مدينا، كئيبا، يكفيك نعمة الإسلام، وأنعم بها وأكرم، فاللهم لك الحمد على نعمة الإسلام.

ثم بعد الميزان يكون الحوض، وما أدراكم ما الحوض؟! وهنا تظهر منقبة عظيمة، ومنزلة شريفة لأهل اليمن، وأصحاب الإيمان والحكمة، فهم أول من يشرب من حوض نبيهم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وتعظم منقبة أهل اليمن والإيمان عند رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** حين يطرد الناس ويذودهم عن حوضه؛ من أجل أن يشرب أهل اليمن، كما قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**

فإذا فرغ الحق **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** من الحساب، وتقرر الجزاء للعباد، أمر الملك بأن ينصب الصراط على ظهر جهنم، يا رب، سلم! سلم! وهل هناك صراط بعد الميزان؟ نعم، سيضرب صراطٌ على متن جهنم، فتكون جهنم تحت الصراط، والكل وارد عليه، قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ﴿ **وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا** ﴾ [سورة مريم: ٧١] وقد اختلف العلماء في المراد بالمرور، فقيل: الدخول أي أن كل واحد سيدخلها، لكنها ستكون بردًا وسلامًا على المؤمنين، ولكن قول جمهور العلماء: أن الورود بمعنى المرور، وقد يكون الورود للكفار دخولا، وللمؤمنين مرورا.



وأول من يمر على الصراط هو نبينا وحبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته، ولا يتكلم

يوئذ إلا الرسل، وكل واحد منهم يقول: اللهم سلم سلم! وعلى الصراط

كلاليب تخطف الناس على حسب أعمالهم.

فتخيل نفسك يا عبد الله إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد

جهنم، ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها، وقد أمرك الله أن تمشي على هذا

الصراط، هل تستطيع أن تمشي؟

يا قاطع الصلاة، يأيها الظالم، ويامن تسعى في الأرض الفساد، يا من ثقلت

بالذنوب وبمظالم العباد، يا له من مظهر ما أفضعه! وما أصعبه!

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: «قال رجل لأخيه يا أخي، هل أتاك أنك وارد النار؟

قال: نعم، قال: «فهل أتاك أنك خارج منها؟» قال: لا، قال: «ففيما الضحك؟»

قال: فما رأيي ضاحكا حتى مات! (١).

وعن قيس بن حازم قال: كان عبد الله بن رواحة واضعاً رأسه في حجر

امرأته فبكى، فبكت امرأته، قال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال

إني ذكرت قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾

[سورة مريم: ٧١]، فلا أدري أننجو منها أم لا؟! (٢)

(١) الزهد لابن المبارك (٣١١).

(٢) رواه الحاكم في مستدرکه (٨٨٠٩).

فيمر الناس على الصراط على حسب أعمالهم الصالحة، منهم من يمر كالبرق، ومنهم كالريح، ومنهم كالطير، ومنهم كأجاويد الخيل، ومنهم من يعدو عدواً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يتعثر ثم يقوم، ومنهم من يكب على وجهه في النار؛ أعاذنا الله وإياكم من النار!

وبعد أن يمر من خلصهم الله من جسر جهنم، يبقى أمر عظيم قبل دخولهم الجنة، إنه القصاص في القنطرة بين الجنة والنار، فقد روى البخاري في صحيحه، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض في مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا، ونقوا، أُذن لهم في دخول الجنة، فو الذي نفس محمد بيده لأحدهم أعرف بمنزله الذي كان له في الدنيا»^(١) أي: أنهم يعرفون منازلهم أكثر من معرفتهم لمنازلهم في الدنيا.

فلا بد من القنطرة، وإن عبرت جسر جهنم، وإن خلّصت وظننت أنك قد نجوت منها، إلا أن حق العباد باق عليك، إلا أن المظالم تبقى حائلاً بين يديك، فما دمت يا عبد الله في هذه الحياة فانتبه لنفسك، ولا تظلمن من سيكون لك خصماً عند ربك، وإن ظلمت وأخذت حق غيرك؛ فتحلل منه مادامت روحك في جسدك!

(١) رواه البخاري (٦٥٣٥).



وبعد القصاص ورد الحقوق تكون الشفاعة العظمى للشافع المشفع، صاحب المقام المحمود، سيد الأولين والآخرين، ومن أرسله الله رحمة للعالمين، وهي شفاعة دخول أهل الجنة الجنة؛ التي أشار الله إليها في كتابه الكريم بقوله: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [سورة الزمر: ٧٣].

وقوله (وفتحت) يدل على أن هناك من تقدمهم ليفتح لهم الجنة. وفي هذا يقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فأخذ بباب الجنة فأقعقعها، فيقال: من هذا؟ فيقال: محمد. فيفتحون لي، ويرحبون، فيقولون: مرحبًا فأخر ساجدًا، الجنة وما أدراك ما الجنة موضوع حديثنا في اللقاء القادم بإذن الله تعالى. أسأل أن يجعلنا من أهلها، وأن يهون علينا مواقف القيامة وأهوالها.....».



(بعض أوصاف الجنة - الجزء الأول -)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَآنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].
 ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الاحزاب: ٧٠-٧١].
 ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ ءَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الاحزاب: ٧١].

أما بعد :

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.
 أمة الإسلام، أحباب المصطفى عليه الصلاة والسلام، لقد خلق الله الإنسان في هذه الحياة القصيرة الحقيرة، للابتلاء، والاختبار، ثم يرده بعدها لينقله إلى دار القرار، إما إلى جنة، وإما إلى نار.

وما أحوجنا في زمنٍ طغت فيه الماديات، وغرق كثيرٌ من الخلق في الملذات
والمشتهيات، ونسوا أو تناسوا ما هو آت!

ما أحوجنا في زمنٍ ركن الناس إلى هذه الدنيا الدنيئة، وانشغلوا بها عن تلك
الحياة الخالدة الأبدية أن نتحدث في هذا الزمان، وفي هذه الأيام، الذي قد بلغ
القنوط واليأس في كثيرٍ من الناس مبلغه؛ عن دار البقاء والكرامة، وعمّا أعده الله
لعباده في يوم القيامة، في دار الإقامه، في تلك الدار التي لا فيها حسابٌ، ولا عذابٌ،
ولا ملامه.

فدعونا بأهل التوحيد نتحدث في هذا اليوم عن تلك السعادة الأبدية، التي
تسببنا مواجع هذه الدنيا الدنية، دعونا من هذا المكان نبشر أهل الطاعات،
والعبادات، والقربات، بما أعده الله لهم من النعيم في الجنات، وأن لا يغتروا
بتقلب الذين كفروا في البلاد، وأن لا يطمعوا بما عليه أهل المعاصي، والجرائم
والفساد، وأن يعلموا أن غمسةً في الجنة تنسيهم متاعب الدنيا ومنغصاتها، وكل ما
لا قوه، وعانوه فيها، فهي جنّةٌ طابت وطاب نعيمها.

أوجه رسالةً في هذا اليوم مليئةً بالمبشرات، والمسرات، لكل من عاش بين
الطاعات، والقربات، ولكل من أتعبته المكدرات، والمنغصات، ولكل من عاش
متردداً بين العلاجات، والمستشفيات، ومنتقلاً بين المساكن والإيجارات، ولكل

من يكد ويتعب في لقمة عيش أولاده، لكل من أُخرج أو سُرد من بلده ومن بين أحبائه، وولده، لكل من ابتلي في أهله، أو جسده:

صبراً ثم صبراً ثم صبراً؛ فإن موعدكم الجنة إن شاء الله! نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهلها، وأن يرزقنا النظرة إلى وجه خالقها!

تعالوا معنا اليوم لندخل الجنة بأرواحنا، لتتعرف عليها قبل أن تدخلها أجسادنا وتطأها أقدامنا، تعالوا بنا لتتعرف عن بعض أوصافها، وما أعده الله لأهلها فيها، ولتأمل في وصف من خلقها، وخلق أهلها، ونعيمها، **جَلَّ جَلَالُهُ** وتقدس

أسماؤه، في وصف من رآها ودخلها **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وإلا من يستطيع أن يصف الجنان؛ مهما أوتي من حسن البيان، وروعة البلاغة وفصاحة اللسان؟!

ولا ريب أن الجهل بأوصاف الجنة وعدم معرفة حقيقتها، وما أعده الله لعباده فيها، وقبل ذلك الإيمان بخالقها، هو الذي جعل العباد يتكالبون على هذه الدنيا، ويتنافسون عليها؛ حتى لكأنهم لم يخرجوا منها، ولن يرتحلوا عنها! معاشر المسلمين والمسلمات، إن الكلام عن نعيم الجنة، وما فيها من الملذات، والكرامات، لن تستوعبه هذه الدقائق المعدودات، بل يحتاج إلى وقفة، ووقفات، بل إلى مصنفٍ ومصنفات، لكنني سأقتطف في هذه الوقفة بعض ثمار أوصافها، وأترك بعضها إلى وقفةٍ أخرى تليها ثم التي تليها.



إنها الجنة - يا أهل التوحيد - فوق وصف الواصفين، إنها دار السلام، ودار الخلد، والأمان، ودار المقامة، والمأوى ودار الحيوان، ودار عدنٍ والفردوس والنعيم التي أعدها الكريم الرحيم المنان!

فمن أين أبدأ بالحديث عنها؟ هل أتحدث عن أبوابها، وعددها وسعة مصارعها، أم عن درجاتها، وقدر ارتفاعها، أم أحدثكم عن قصورها، وأشجارها، وشرابها، وطعامها، أم عن حورها، وأوصاف أهلها؟!

وكل ذلك، وما هو فوق ذلك، لا يساوي الحديث عن لذة النظر إلى وجه خالقها **جَلَّ جَلَالُهُ** وتقدست أسماؤه -، رزقنا الله وإياكم لذة النظر إلى وجهه الكريم، والعيش في النعيم المقيم!

وقبل أن نحلّق بأرواحنا على قصورها، ووصف حورها، وطعامها، وشرابها، دعونا نتعرف على أبوابها، فليس للجنة باب بل هي أبوابٌ،

يقول خالقها عن أهلها: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ [سورة الزم ٧٣]

وأخبر نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، كما في الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن أبواب الجنة ثمانية، فقال سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «الجنة لها ثمانية أبواب، والنار سبعة أبواب» (١).

(١) أخرجه ابن سعد (٧/ ٤٣٠). انظر صحيح الجامع: (٣١١٩)، والصحيحة: (١٨١٢).

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «في الجنة ثمانية أبواب، فيها بابٌ يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون»^(١). فهنيئاً للصائمين والصائمات على هذا الاختصاص من رب الأرض والسموات!

وأخبر: أن الجهاد بابٌ من أبواب الجنة، ولا حول ولا قوة إلا بالله بابٌ من أبواب الجنة، والوالد أوسط أبواب الجنة، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

أبوابها حقُّ ثمانية أتت في النص وهي لصاحب الإحسان
باب الجهاد وذاك أعلاها وبأب الصوم يُدعى الباب بالريان
ولكل سعي صالحٍ بابٌ وربُّ ب السعي منه داخل بأمان
ولسوف يدعى المرء من أبوابها جمعاً إذا وفي حلى الإيمان
منهم أبوبكر هو الصديق ذا ك خليفة المبعوث بالقرآن^(٢)
وأما سعة أبوابها؛ فاسمع إلى ما رواه ابن حبان في صحيحه، وصححه

الألباني رَحِمَهُمَا اللهُ عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «والذي نفسي بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبُصرى!»^(٣)، وفي رواية «مسيرة سبع سنين!».

(١) رواه البخاري (٣٢٥٧)، عن سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) النونية (ص ٩٢٢).

(٣) رواه أحمد (٩٦٢٣) وابن حبان (٦٤٦٥).



ومن لطف الله ورحمته، أن هذه الأبواب تفتح في شهر رمضان، وفي كل اثنين وخميس، وبعد فراغك أيها المتوضىء من وضوئك، كما أخبر **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وبعد معرفتنا لأبوابها، نسأل عن أول زمرةٍ تدخلها؟ ويجيبنا عن ذلك أول من يدخلها، ويقرع بابها **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** حيث قال - فيما رواه البخاري، ومسلم - : «أول زمرةٍ تدخل الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، آنتهم فيها الذهب، وأمشاطهم من الذهب والفضة!»^(١).

نسأل الله الكريم من فضله! قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ** في نونيته:

هذا وأول زمرة فوجوهم	كالبدر ليل الست بعد ثمان
السابقون هم وقد كانوا هنا	أيضاً أولي سبق إلى الإحسان
والزمرة الأخرى كأضوا كوكب	في الأفق تنظره به العينان
أمشاطهم ذهبٌ ورشحهم فمس	كُ خالصٌ يا ذلة الحرمان ^(٢)

(١) رواه البخاري (٣٢٤٥) ومسلم (٢٨٣٤)، عن أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

(٢) النونية (ص ٣١٣).

وبعد دخولهم فيها هل يجلسون في مكانٍ واحد، أم أنهم على منازل ودرجات؟! نعم إنهم على منازل ودرجات، بقدر ما معهم من الطاعات والقربات، يقول ربنا في كتابه الكريم: ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة هود: ٣].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيُوتَى كُلُّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [سورة هود: ٣].

واسمع الى رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو يبين لنا عدد درجات الجنة وتفاضل أهلها فيها، فلقد روى الضياء المقدسي، وصححه الألباني رَحِمَهُمَا اللَّهُ عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الجنة مئة درجة، ما بين الدرجتين مسيرة مائة عام، والفردوس أعلاها درجة؛ ومنها تفجر الأنهار الأربعة، والعرش من فوقها، فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس الأعلى»^(١).

اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى من الجنة!

وقال في تفاضل أهلها في منازلهم - كما روى البخاري، ومسلم: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق»^(٢). وهو الكوكب العظيم، سمي درياً لبياضه وقيل لإضاءته، وقيل: شبه بالدر لكونه

(١) المختارة (٣٩٤).

(٢) رواه البخاري (٣٢٥٦).



وأما أدنى أهل الجنة منزلة؛ فاسمعوا ما له عند الله؛ لتعلم سعة تلك الدار، وعظمة الرحمن الغفار. روى الإمام مسلمٌ رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولًا الجنة: رجلاً يخرج من النار حبواً فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة؛ فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيقول الله: ادخل؛ فإن لك مثل الدنيا عشر أمثالها. قال فيقول: أتسخر بي وأنت الملك؟!». قال ثم رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضحك حتى بدت نواجذه، قال فكان يقول: «ذلك هو أدنى أهل الجنة منزلاً!»^(١).

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ:

هذا وأعلاهم فناظر ربه
لكن أدناهم وما فيهم دني
فهو الذي تلفى مسافة ملكه
فيرى بها أقصاه حقا مثل رؤ
أو ماسمعت بأن آخر أهلها
أضعاف ديانا جميعا عشر أم

في كل يوم وقته الطرفان
إذ ليس في الجنات من نقصان
بسنيننا ألفتان كاملتان
يته لأدناه القريب الداني
يعطيه رب العرش ذو الغفران
ثال لها سبحان ذي الإحسان^(٢)

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٥١٣٩)، وأصله في مسلم (١٨٦).

(٢) النونية (ص ٣١٤).



نسأل الله من فضله، وأن يستعملنا في طاعته، وأن يرزقنا الشوق إلى لقاءه!
أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين؛ فاستغفروه إنه هو
الغفور الرحيم!

(الخطبة الثانية)

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أدخل المؤمنين في جنانه، وعذب الكافرين بنيرانه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أفضل من قام بطاعة ربه وفاز برضوانه.

أيها المسلمون عباد الله، مازلنا نحلق بأرواحنا، في معرفة جنة ربنا، وما أعد الله للمؤمنين منّا، فبعد معرفة أبوابها، وسعة مصارعها، ودرجات أهلها.

وهاهم أهل الجنة يدخلون دار الكرامة، والسعادة، والإقامة، ولنا أن نسأل عن أوصافهم، وأشكالهم، وجمالهم، حين يدخلون في جنتهم، ويتقبلون بين قصورهم، وبيوتهم.

اسمعوا إلى ما رواه الترمذي، وصححه الألباني رَجَّهَمَا اللهُ عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ مُرَدًّا مَكْحَلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلَاثِينَ، أَوْ ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً!»^(١).

وفي رواية «لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم!»^(٢).

(١) رواه الترمذي في سننه (٢٥٤٥).

(٢) رواه الترمذي في سننه (٢٥٤٦).



وفي رواية - أيضاً - «يدخلون على مسحة آدم، وصورة نبي الله يوسف، وقلب أيوب، ومن كان من أهل النار عظموا، وفخموا كالجبال» (١).

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ:

هذا وسنهم ثلاث مع ثلاث
 وصغيرهم وكبيرهم في ذا على
 ولقد روى الخدري أيضا أنهم
 وكلاهما في الترمذي وليس ذا
 حذف الثلاث ونيف بعد العقو
 عند اتساع في الكلام فعندما
 وقال - رَحْمَةُ اللَّهِ -:

ألوانهم بيض وليس لهم لحي
 هذا كمال الحسن في أبشارهم
 جعد الشعور مكحلو الأجفان
 وشعورهم وكذلك العينان (٣)

وهناك عملٌ يزيدك - أيها المؤمن - أو يزيد وجهك نضارةً، وجمالاً فوق جمالك الذي سيعطيكه الله، ألا وهو تبليغ الدعوة عن حبيبك رسول الله.

(١) رواه الطبراني في الكبير (٦٦٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) النونية (ص ٣١٣).

(٣) النونية (٣١٥).

فهنيئاً للرجل، هنيئاً للمرأة، هنيئاً لكل من يدعو إلى الله، ويذكر المسلمين بالله؛ فقد روى ابن ماجه، وصححه الألباني رَحْمَهُمُ اللَّهُ أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «نَصَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتي فَبَلَّغَهَا؛ فَرَبٌ حَامِلٌ فَفِيهِ، وَرَبٌ حَامِلٌ فَفِيهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ!» (١).

وعند دخولهم الجنة ما الذي سيحصل لهم؟ اسمعوا ماذا يقول الله في كتابه الكريم عنهم: ﴿وَسَيَقُ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۗ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الزمر: ٧٣].

وقال - سبحانه -: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۗ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ۖ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الرعد: ٢٣-٢٤].

وقال - سبحانه -: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ ۗ﴾ [سورة الانبياء: ١٠٣].

وها نحن في داخلها، بعد أن تعرفنا على أبوابها ودرجاتها؛ نتعرف على تربتها، وأرضها، وبنائها.

(١) رواه أبو داود (٣٦٦٠)، وابن ماجه (٢٣٠).



أما بناؤها فيقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها

- أي تربتها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ، والياقوت، وترابها الزعفران، من

يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وبناؤها اللبنة من ذهب وأخرى فضة نوعان مختلفان
وقصورها من لؤلؤ وزبرجد أو فضة أو خالص العيقان
وكذاك من در وياقوت به نظم البناء بغاية الإتقان
والطين مسك خالص أو زعفران جا بذا أثران مقبولان
ليسا بمختلفين لا تنكرهما فهما الملاط لذلك البنيان^(٢)

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

حصباؤها در وياقوت كذا ك لآلى نثرت كنثر جمان
وترابها من زعفران أو من ال مسك الذي ما استل من غزلان^(٣)

وإن سألتهم عن خيامها، وغرفها، فيقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْقَرُوا رَهْمَهُمْ هُمْ

عُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَّيْنَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾

(١) رواه أحمد في مسنده (٨٠٤٣).

(٢) النونية (ص ٣٢١).

(٣) النونية (ص ٣٢١).

[سورة الزمر: ٢٠]، ويقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** عن أهل الجنة: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾

[سورة سبأ: ٣٧] روى ابن حبان في صحيحه؛ أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «إن في الجنة

غرفاً يُرَى ظاهرها من باطنها، وباطنهما من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام،

وأفشى السلام، وصلّى بالليل والناس نيام» (١).

فأهل الجنة يعيشون في فرح، وسرور، ويتقلبون بين الغرف، والخيام،

والقصور، وهكذا كلما تعددت المساكن كان ذلك أطيب للمساكن، قال ابن القيم

رَحْمَةُ اللَّهِ:

غرفاتها في الجو ينظر بطنها من ظهرها والظهر من بطنان

سكانها أهل القيام مع الصيام وطيب الكلمات والإحسان (٢)

وإن سألتهم عن قصورها فاسمع إلى من قد رآها، في منامه، ويقظته، وروحه،

وجسده، روى البخاري، ومسلم، عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بينما أنا نائمٌ رأيتني في الجنة؛ فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر؛

فقلت لمن هذا القصر؟ فقالوا: هذا لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرتك يا عمر؛

(١) رواه ابن حبان (٥٠٩).

(٢) النونية (٣٢١).



فوليت مدبراً!»، فبكى عمر وقال: أعليك أغار، يا رسول الله؟! (١)

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ورضي الله عنك يا ابن الخطاب، أيها الملهم الأبواب!

اللهم اجعلنا من أهل الجنة، وأسعدنا بطاعتك يا عظيم المنه،

أيها المسلمون عباد الله هذه بعض أوصاف الجنة وهذا ما تيسر ذكره من

الكتاب، والسنة وأقوال علماء الأمة، ونكمل بعض هذا البعض - إن شاء الله في

الجمعة القادمة.

أسأل الله أن يرزقنا الجنة، وأن يوفقنا للأسباب الموصلة إليها، ويجنبنا كل ما

يبعدنا عنها.....



(١) رواه البخاري (٣٢٤٢)، ومسلم (٢٣٩٥).

(بعض أوصاف الجنة - الجزء الثاني -)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].
 ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد :

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.
 أيها المسلمون عباد الله، لقد كان حديثنا معكم في الجمعة الماضية، عن بعض أوصاف الجنة، مما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وقد انقطع مقامنا، وانتهى

وقتنا الذي أعدناه لخطبتنا، في تلك الوقفة المباركة، وما زال حديثنا وموضوعنا عن الجنة لم ينته بنا، ومن الله نستمد عوننا لإكمال حديثنا، وموضوع خطبتنا. وكنا قد تكلمنا في مطلع حديثنا، عن حقيقة هذه الدنيا الفانية، وانشغالنا بها عن تلك الحياة الباقية، الهائلة، وأن معرفتنا لحقيقة هذه الحياة الكريمة تنسينا متاعب، ومعاناة تلك الحياة الأليمة.

تكلمنا في الجمعة الماضية عن الجنة وأبوابها، وسعة مصارعها، ثم عن درجاتها، وصفة أول زمرة تدخلها، وآخر من يدخلها، ثم عن قصورها وبنائها، وغرفها، وخيامها، وسن، وجمال أهلها، وما زلنا اليوم نواصل عيشنا بأرواحنا معها، لنكمل الحديث عنها، وبعض ما أعدناه من وصفها، وجمالها. وبعد الكلام عن غرفها، وقصورها، يكون الكلام عن فرشها، وحورها، وما سيأتي ذكره عنها؛ جعلنا الله وإياكم من أهلها!

فإن سألتكم عن فرش أهل الجنة؟ فيقول عنها صاحب الفضل والمنة: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۗ وَحَىٰ الْجَنَّةِ ۗ دَانٍ ۗ﴾ [سورة الرحمن: ٥٤]، قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «خُبرتم بالبطائن، فكيف بالظاهر؟!» (١).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٢/٢٣).

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ ﴿٣٤﴾ [سورة الواقعة: ٣٤] قرأ رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية فقال: «ارتفاعها ما بين السماء والأرض، ومسيرة ما بينهما خمسمئة عام!» (١).

لا إله إلا الله، وسبحان الله العظيم، ويقول - سبحانه -: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ ﴿١٥﴾ وَزَرَائِبُ

مَبْنُوتَةٌ ﴿١٦﴾ [سورة الغاشية: ١٥-١٦]، النمارق هي: الوسائد، والزرايب هي البسط.

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

والفرش من إستبرق قد بطنت
مرفوعة فوق الأسرة يتكي
يتحدثان على الأرائك ما ترى
هذا وكم زُرْبِيَّةَ ونمارق
ما ظنكم بظهارة لبطان
هو والحبیب بخلوة وأمان
حبين في الخلوات ينتجيان
ووسائد صفت بلا حسابان (٢)

وإن سألتهم عن أشجارها؛ فهي الذهب - نسأل الله الكريم من فضله - فقد روى

الترمذي، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ عليهما - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من شجرة إلا وساقها من ذهب!» (٣).

(١) رواه الترمذي في سننه (٣٢٩٤) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) النونية (٣٣٠).

(٣) رواه الترمذي في سننه (٢٥٢٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ

مَنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ [سورة الواقعة: ٢٧-٢٩]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الرحمن: ٤٨]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

ولقد أتى أثرُ بأن الساق من ذهبٍ رواه الترمذي ببيان
والطلح وهو الموز منضودٌ كما نُضِدَت يَدٌ بأصابع وبنان (١)
أشجارها نوعان منها ماله في هذه الدنيا مثال ثان

وإن سألتهم عن أجوائها، وظلها؟ فيقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْزَاقِ لَا

يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [سورة الإنسان: ١٣] وقال في الحديث القدسي: «أعددت

لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»، ثم

قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «اقرأوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ

بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة السجدة: ١٧]» (٢).

قال: «إن في الجنة شجرةً يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، قال وقرأوا

إن شئتم: ﴿وَزَلَّلِ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الواقعة: ٣٠]» (٣).

(١) النونية (ص ٣٢٤).

(٢) رواه البخاري (٤٧٧٩)، ومسلم (٢٨٢٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣٢٥٢)، ومسلم (٢٨٢٧)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال: « وموضع سوط أحدكم في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها، اقرأوا إن شئتم

﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعٌ الْفُرُورِ ﴿١٨٥﴾

[سورة آل عمران: ١٨٥] (١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

أو ما سمعت بظل أصلٍ واحدٍ فيه يسير الراكب العجلان
مائة سنيناً قدّرت لا تنقضي هذا العظيم الأصل والأفنان (٢)

وإن سألتهم عن أنهارها؟ فيقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ**

مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى

وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾

[سورة محمد: ١٥].

فقد ذكر الله هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحدة منها آفته التي تعرض

له في الدنيا فتفسده. وهذه الأنهار تتفجر من أعلى الجنة، كما قال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**

«إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنها أوسط الجنة، وأعلى الجنة فوقه عرش

الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة» (٣).

(١) رواه البخاري (٢٨٩٢)، والترمذي (٣٢٩٢).

(٢) النونية (ص ٣٢٤).

(٣) رواه البخاري (٧٤٢٣)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وروى الترمذي، وصححه الألباني رَحِمَهُمَا اللهُ عن حكيم بن معاوية، عن أبيه، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن في الجنة بحر الماء، وبحر العسل، وبحر اللبن، وبحر الخمر، ثم تنشق الأنهار بعده»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

أنهارها في غير أخدود جرت
من تحتهم تجري كما شاؤوا مفد
عسل مصفًى ثم ماء ثم خم
والله ما تلك المواد كهذه
هذا وبينهما يسير تشابه
سبحان ممسكها عن الفيضان
جرة وما للنهر من نقصان
رُ ثم أنهار من الألبان
لكن هما في اللفظ مجتمعان
وهو اشتراك قام بالأذهان^(٢)

وأما عن الكوثر فاسمعوا إلى ما صححه الألباني عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الكوثر نهر في الجنة، حافته من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج»^(٣).

(١) رواه الترمذي (٢٥٧١).

(٢) النونية (ص ٣٢٧).

(٣) رواه الترمذي (٣٣٦١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «والحوض غير الكوثر، فالكوثر في الجنة والحوض خارجها، ولكنه يمر منه، وله نفس مواصفاته من حيث الماء والأواني»، والله أعلم.

وإن سألتهم عن طعامهم؟ فاسمعوا إلى خالقهم، ورازقهم، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿وَفَكَهِيَ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَمْ يَطْرِبْ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الواقعة: ٢٠-٢١] وهو طعام دائم

لا ينقطع كما قال - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ أَكْثَرُ دَائِمًا وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة

الرعد: ٣٥]، وقال - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾

[سورة الحاقة: ٢٤].

وفي حديث الخسوف قالوا: يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئاً في مقامك، ثم

تكدعت، قال: «إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً؛ ولو أخذته لأكلتم منه ما

بقيت الدنيا»^(١). لا إله إلا الله! نسأل الله من فضله!

ولنا أن نسأل عن مصير هذا الطعام؟ وأين يذهب؟

اسمع لما رواه الإمام مسلم في صحيحه، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يأكل

أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، ولا يبولون، ولكن

(١) رواه مسلم (٩٠٧)، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.



طعامهم ذلك جُشاء كرشح المسك، يُلهمون التسبيح والحمد، كما يُلهمون النفس» (١).

فيا لله أي عيش، وأية حياة لأهل الجنة في الجنة! اللهم يا عظيم الفضل والمنة
إنا نسألك الجنة، وكل ما قرب إليها من قول أو عمل!
وإن سألتهم عن شرابهم فالتسليم، والزنجبيل، والكافور، يقول - سبحانه وتعالى -
: ﴿إِنَّ الْأَبْتَرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۗ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا
تَفْجِيرًا ۗ﴾ [سورة الإنسان: ٦٦] أي: يشقونها شقاً كما يفجر الرجل النهر من هنا وهناك
إلى حيث يريد.

وفي مصنف ابن أبي شيبة - بسند صحيح - «إن الرجل من أهل الجنة ليؤتى
بالكأس وهو جالس مع زوجته ويشرب بها ثم يلتفت إلى زوجته فيقول قد ازددت
في عيني سبعين ضعفا حسنا!» (٢).

وذكر ابن أبي الدنيا عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «إن الرجل من أهل الجنة
ليشتهي الشراب من شراب أهل الجنة؛ فيجيء الإبريق فيقع في يده، ثم يشرب
فيعود إلى مكانه» (٣).

(١) رواه مسلم (٢٨٣٥)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٣٩٩٣).

(٣) وصف الجنة لابن أبي الدنيا (١٣٣).

وإن سألتهم عن آنتيهم؟ فيقول - سبحانه - : ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ

وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۗ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٧١)

[سورة الزخرف: ٧١]. يطاف عليهم، لا يقومون إليها وإنما هي التي تأتي!

وإن سألتهم عن خدمهم؟ فيقول سبحانه وتعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخْلِذُونَ﴾ (١٧) [سورة

الواقعة: ١٧]، وقال في وصفهم: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخْلِذُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لَوْلُوا مَشُورًا﴾ (١٩)

[سورة الإنسان: ١٩]. فوصفهم الله بأنهم مخلدون، أي: لا يموتون، ولا يتغيرون.

قال ابن كثير - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «وإذا رأيتهم في انتشارهم، وفي قضاء حوائج

السادة، وكثرتهم، وصباحة وجوههم، وحسن ألوانهم، وثيابهم، وحليهم،

حسبتهم لؤلؤا مشورا».

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ - ووصفهم بالمشور فيه فائدتان:

الأولى: إنهم غير معطلين.

والثانية: أنه أجهى في المنظر وأحسن من كونه مجموعا في مكان واحد.

وإن سألت عن لباسهم، فيقول سبحانه وتعالى عنهم: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ

﴾ (سورة الحج: ٢٣)، وقال - سبحانه - : ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ

نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (٣١) [سورة الكهف: ٣١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «قال جماعة من المفسرين: السندس: ما رق من الدياج، والإستبرق: ما غلظ منه، وقيل: الغليظ هو الصفيق، وإن سألتهم عن حليهم، وزيتهم؟ فيقول الله - سبحانه تعالى-: ﴿وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمْتُمْ رُؤُوسَكُمْ بِأَسْوَارٍ أَهْوَأَ مِنْهَا مِنَ الْهَبِّ خَالِدِينَ فِيهَا وَسَأَلْتُمْ لَهَا قِيَامًا فَأُولَئِكَ يُصْرَفُونَ﴾ [سورة الإنسان: ٢١]، ويقول- أيضا-: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [سورة الكهف: ٣١]». «

ويقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «في الخصال التي يعطاها الشهيد: ويوضع على رأسه تاج الوقار؛ الياقوتة فيه خير من الدنيا وما فيها»^(١).

وإن سألت عن حالهم، وجمالهم؛ فاسمع إلى خالقهم إذ يقول عنهم: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [سورة المطففين: ٢٤]. فحياتهم كلها نعيم في نعيم، فهم مكرمون لا يتعبون، ولا يتغوطون، لا يهمون، ولا يحزنون، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا﴾ [سورة الواقعة: ٢٥-٢٦] لا حقدٌ هناك ولا بغضاء، ولا حسدٌ ولا شحناء، بل سلامٌ، واطمئنان، وُدٌّ وأمان، ويبلغهم ربهم السلام، سلامٌ قولاً من رب رحيم! قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: قال العلماء: «ليس في الجنة ليلٌ ونهار؛ وإنما

(١) رواه الترمذي (١٦٦٣).

هم في نورٍ دائمٍ أبداً، وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحُجب، وإغلاق الأبواب» (١).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والجنة ليس فيها شمسٌ، ولا قمرٌ، ولا ليلٌ، ولا نهارٌ، ولكن تُعرف البُكرة، والعشية؛ بنورٍ يظهر من قبل العرش» (٢). نسأل الله من فضله، وأن يجعلنا من أهل جنته.

جنة ما أنعمها، ما أسعدها، ما أجملها، وما أكرمها، هي جنة طابت وطاب نعيمها، لا يبأسون فيها، ولا يتعبون، ولا يموتون، ولا ينامون، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «النوم أخو الموت، ولا ينام أهل الجنة!» (٣).

والله لو أن القلوب سليمةٌ لتقطعت أسفا على الحرمان أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم!



(١) التذكرة للقرطبي: (ص ٥٠٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/٣١٢).

(٣) المعجم الأوسط للطبراني (٨٨١٦)، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وصححه العلامة الألباني، كما في الصحيحة.



(الخطبة الثانية)

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وعد من آمن به بجنانه، ومن كفر به بعدابه ونيرانه.

أيها المسلمون عباد الله :

وكأني بكم - وقد طال شوقكم - تسألون عن وصف الحور العين، وعن حال نساء المؤمنين في جنات النعيم. فتحدث أيها المتحدث عن الحور العين ولا حرج، وصف جمالهن ولا تتحرج، فليس هناك شهر عسل؛ بل الحياة كلها عسل، لا سامة فيها ولا كسل. الناظر يرى وجهه في خد إحداهن:

فالشمس تجري في محاسن وجهها والليل تحت ذوائب الأغصان

فاعجب لليلِ وشمسٍ كيف يجتمعان!؟

لا تسأل عن جمال العيون، ففيها السحر والفتون، فسبحان سبحان من أتقن

صنعة الإنسان.

حورٌ عين كأنهن بيضٌ مكنون، كأنهن الياقوت والمرجان، جمال، وبياض،

وعرب، وأتراب:

ويشخص في حدودٍ أو قدودٍ

يحار الطرف من نظرٍ إليها

تتمايل في مشيتها، وتمتز كالغصن الرطيب وتقول لزوجها: والله ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك، ولا شيئاً أحب إليّ منك، فالحمد لله الذي جعلك لي وجعلني لك، فيعانقها زوجها، لا تمله ولا يملها. كلما أتاها وجدها بكرًا.

فلسانه وفؤاده والطرف في دهشٍ وإعجابٍ وفي سَبْحانِ
فسل المتيم كيف حالته وقد ملأت له الأذنان والعينان
وسل المتيم كيف مجلسه مع ال محبوب في رَوْحٍ وفي ريحان
فأين الشباب وأين الخطاب؟

يا خاطب الحسنة إن كنت باغيا فهذا زمان المهر فهو المقدم
وكن مبغضاً للخائبات لحبها فتحضى بها من دونهن وتنعمُ

يقول ربنا عن الحور العين: ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [سورة الدخان: ٥٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «والحور جمع حوراء؛ وهي المرأة الشابة الحسنة،

الجميلة، البيضاء شديدة سواد العين» (١).

والعين هن: اللاتي جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة.

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص ٢١٨).



واسمعوا لأوصاف الله لهن؛ لتزدادوا شوقاً إلى ما أعدّه الله لكم، يقول

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَنِ الْحُورِ الْعِينِ: ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [سورة الواقعة: ٢٣]،

أي أن جلدهن في صفائه كاللؤلؤ المكنون، وقال - سبحانه - : ﴿وَكَوَاعِبَ أُنْرَابًا﴾

[سورة النبأ: ٣٣]، والكاعب هي: المرأة التي تكون مكتملة الحسن، والجمال في

مواضع جسدها.

والأتراب: المتماثلات بالأعمار.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ كَوَاعِبُ: «فالكواعب: جمع كاعب، وهي

الناهد. قال قتادة ومجاهد والمفسرون قال الكلبي: هن الفلكات اللواتي تكعب

ثديهن وتفلكت وأصل اللفظة من الاستدارة، والمراد: أن ثديهن نواهد كالرمان

ليست متدلّية إلى أسفل ويسمين نواهد وكواعب»^(١).

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٥]،

مطهرة، أي: من الحيض، والنفاس، والبول، والبصاق، وكلّ قدرٍ، وأذَى.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَأَنَّهنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [سورة الرحمن: ٥٨]، قال أئمة

المفسرين: أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان، شبههن في صفاء اللون

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص ٢٢٨).

وبياضه بالياقوت، والمرجان، وقال - سبحانه - : ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ (٧٠)

[سورة الرحمن: ٧٠]، خيرات بأخلاقهن، وحسان بوجوههن.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّمَا أَقْرَبُكُمْ وَجْهًا وَمَنْزِلًا﴾ (٥٢) [سورة ص: ٥٢] قال ابن

القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: «أجمع المفسرون كلهم على أن المعنى قصرنا الطرف على أزواجهن فلا يطمعن إلى غيرهم. والأتراب: جمع تُرب؛ وهو لذة الإنسان».

ويقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الأتراب: مستويات على سنٍّ واحد، وميلاد

واحد، بنات ثلاثٍ وثلاثين سنة» (١).

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: «والمعنى: أنهم ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن،

ولا دلائل لا يطقن الوطاء» (٢).

واسمعوا إلى حبيبكم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو يصف الحور العين بأعجب،

وأجمل الأوصاف، روى البخاري ومسلم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

(١) شرح الكافية الشافية (٢/ ٣٩٩) لهراس رَحْمَةُ اللَّهِ، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص ٢٢١)

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص ٢٢١).



قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «لو اطلعت امرأة من نساء الجنة إلى الأرض لمألت ما بينهما ريحًا، ولأضاعت ما بينهما، ولنصفها على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها»^(١).

ليس في الجنة مكاييح، ولا أدوات تجميل، بل جمالٌ وبياضٌ دائمٌ طبيعي.

حمر الخدود ثغورهن لآلئٌ سود العيون فواتر الأجفان
والبرق يبدو حين يبسم ثغرها فيضيء ثغر القصر بالجدران

وروى الإمام أحمد بسند صحيح، عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «نساء أهل الجنة يُرى مخ سوقهن من وراء اللحم، ويُرى عظمها من تحت سبعين حلة كما يُرى الشراب الأحمر في الزجاج البيضاء، ولكل واحدٍ زوجتان، ويزوج الشهيد اثنتين وسبعين حورية!»^(٢).

ويتم الله النعيم لأهل الجنة مع نسائهم بأن يُعطى الرجل قوة مائة رجل في الجماع، والأكل، والشرب.

روى أحمد، وصححه الألباني، عن زيد بن أرقم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «إن الرجل من أهل الجنة يُعطى قوة مئة رجل في الأكل

(١) رواه أحمد في مسنده (١٢٤٣٦).

(٢) رواه أحمد (١٧١٨٢).

والشرب، والشهوة، والجماع فقال رجلٌ من اليهود: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة؟ فقال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: حاجة أحدهم عرق من جلده؛ فإذا بطنه قد ضمُر» (١).

قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

ولقد رُوينا أن شغلهم الذي
شغل العروس بعرسه من بعد ما
بالله لا تسأله عن أشغاله
غاب الرقيب وغاب كل منكِدٍ
قد جاء في ياسين دون بيان
عبثت به الأشواق دون زمانٍ
تلك الليالي شأنها ذو شان
وهما بثوب الوصل مشتملان (٢)

وفوق ما يُعطي الله من الرغبة للهوريات، فإنهن يغنين لأزواجهن؛ فقد روى

أبو نعيم الأصبهاني، وصححه الألباني **رَحْمَهُمَا اللَّهُ**، عن أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال

رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «إن الحور العين يغنين في الجنة؛ يقلن: نحن الحور

الحسان، خُلِقن لأزواج كرام» (٣).

(١) رواه أحمد (١٩٣١٤).

(٢) النونية (ص ٣٣٦).

(٣) صفة الجنة (٤٣٢).



وإن مما يغنين به - كما عند الطبراني، وصححه الألباني رَحِمَهُمَا اللهُ: «نحن الخالدات فلا يمتنه، نحن الآمنات فلا يخفنه، نحن المقيمات فلا يَضَعَنَّه» (١).
 فأين أين الخطاب؟ أين المشتاق؟ أين أين من يريد النعيم المقيم؟ فيا خاطب الحور، إن زوجتك من الحور تنتظرك، بل ويصلها خبرك، وتدافع عنك وما زلت في هذه الدنيا، فقد روى ابن ماجه، وصححه الألباني، عن معاذ بن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من امرأة تؤذي زوجها إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله؛ فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا». أي: إنما هو ضيف، ونزِيلٌ عندك فلا تؤذيه» (٢).

ولعل النساء الصالحات اللاتي يسمعن أوصاف الحوريات يقلن في أنفسهن:
 هذا للحور العين، فما لنا؟! وهنا تأتي الأجوبة المطمئنة ليتبين لنا قدر، وجمال المرأة المؤمنة في الجنة، فلقد وصف الله نساء الجنة بأوصافٍ متنوعة؛ فما من وصف وُصفت به الحوراء إلا وللمرأة المؤمنة أجمل وأبهى، من الحوراء، إذ لا يساوي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ المؤمنة التي تعبت، وصلّت، وصامت وابتعدت عن الحرام، وبكت في الأسحار، لا يساوي الله بينها وبين حوراء خلقت للجنة،

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٤٩١٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٠١٤)، والترمذي (١١٧٤)، والشاشي في "مسنده" (١٣٧٤)، والطبراني في "الكبير" (٢٢٤ / ٢٠).

ولم تعمل ولم تتعب، فكل وصفٍ يأتي للحوراء؛ فلتعلمي - يا أمة الله - أنك
أعلى منها، وأحلى وأنقى وأرقى؛ فقد روى الطبراني في الكبير، عن أم سلمة
رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: يا رسول الله أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟! قال: «نساء
الدنيا أفضل. وفضل نساء الدنيا على الحور العين كفضل الظهارة على
البطانة!»^(١).

والظهارة هي الثوب الذي يراه الناس، ويلمسونه، ويكون غالباً غالي الثمن
بعكس البطانة.

وقد قال الله عن نساء الدنيا: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ۖ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ۖ﴾^(٣٦)

[سورة الواقعة: ٣٦]، أي: أن النساء الأدميات المؤمنات يخلقهن الله تعالى غير خلقتهن
الأولى، ويصبحن أبكاراً شابات، ويشهد بذلك ما أخبرت به عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن
النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتمه امرأة عجوز من الأنصار؛ فقالت: يا رسول الله ادعُ الله أن
يدخلني الجنة، فقال لها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مماًزحاً لها: قال: «إن الجنة لا
يدخلها عجوز». فذهبت العجوز حزينة ظانة أنها لن تدخل الجنة، فقال
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبشراً، ومطمئناً لها: «إن الله إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكاراً»^(٢).

(١) الطبراني في الكبير (٧٨٠).

(٢) المعجم الأوسط للطبراني (٥٥٤٥).



وامرأة المؤمن في الدنيا هي امرأته في الآخرة، وإذا كان للمرأة زوجان في هذه الدنيا فلمن تكون؟ أي: مات عنها الأول، ومات عنها الثاني؛ دون طلاق فلمن تكون؟

اسمع لما رواه عبد بن حميد بإسناد جيد، عن أم حبيبة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالت: يا رسول الله، المرأة منا يكون لها زوجان في الدنيا، ثم تموت فتدخل الجنة هي وزوجها؛ لأيهما تكون، للأول أم للآخر؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تخير بأحسنهم خلقاً»، -أي: من كان أحسن خلقاً معها في الدنيا فيكون زوجها في الجنة - ثم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا أم حبيبة، كاد حسن الخلق أن يذهب بخير الدنيا والآخرة» (١).

نسأل الله أن يرزقنا حسن الأخلاق مع زوجاتنا، وأولادنا، والناس أجمعين ثم نقول بعد كل هذا، وما هو فوق هذا مما تقدم من وصف الجنة ونعيمها، وكل ما أعدّه الله لأهلها فيها من أصناف النعيم وألوانه، إن نعيم الجنة الحقيقي ليس هو في قصورها، وحورها، ولا في طعامها، وشرابها، ولا في خمرها، وعسلها، وإنما أعلى النعيم، وأعلى النعيم، وأرقى النعيم هو النظر إلى وجه الكريم، العظيم، الرحيم،

تبارك الله رب العالمين، هذا هو النعيم أن ترى وجه الله **جَلَّ جَلَالُهُ**، وتقدست
أسماؤه؛ فتنشغل بالنظر إلى وجهه عن كل نعيم الجنة.

ففي الصحيحين: «أن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا
وسعديك، والخير في يديك! فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا
ربنا، وقد أعطيتنا ما لم نُعطِ أحداً من خلقك! فيقول الله: ألا أعطيتكم أفضل من
ذلك؟ فيقولون وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: فيقول الله **عَزَّ جَلَّ**: أحل عليكم
رضواني؛ فلا أسخط عليكم بعده أبداً» (١).

وفي حديثٍ آخر: « تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا؟! ألم
تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟! قال: فيكشف الحجاب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. فما أعطوا
شيئاً أحب إليهم من النظر إلى وجه ربهم **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**» (٢).

لا إله إلا الله، وسبحان ربي العظيم ينظرون إلى من؟! وإلى وجهه من؟! إلى
الخالق، إلى الملك، إلى الرزاق، إلى الحي القيوم، إلى الذين كانوا يذكرونه،
ويعبدونه طوال أعمارهم، ويدعون في حاجتهم - سبحانه - وفي الحديث: «ألا
إنكم سترون ربكم عياناً، ليس بينكم وبينه حجاب!».

(١) رواه البخاري (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩).

(٢) رواه مسلم (١٨١).



مشهدٌ رهيب، ومهيب، تعجز الكلمات عن تصويره، بل يعجز الإدراك عن تصويره.

وقبل ذلك قل لي - بربك - يا عبد الله: كيف هو شعورك الآن وأنت تسمع إلى أوصاف الجنة، وكل ما أودعه الله فيها من طعام، وشراب، ونساء؟! كيف هو شعورك وأنت تسمع إلى وصف جمال صنع الله؟! فكيف لو نظرت إلى جمال ذات الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، وإلى الجمال المطلق الذي ما بعده جمال؟!!

فاستمع يوم ينادي المنادي: يا أهل الجنة، إن ربكم يريد أن يزوركم - لا إله إلا الله - نسأل الله من فضله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۗ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٦﴾ [سورة يونس: ٢٦]، ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ [سورة ق: ٣٥]، هذا هو المزيد؛ وهو النظر إلى وجه العزيز الحميد

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنكم سترون ربكم، كما ترون القمر ليلة البدر!» (١).

كل مؤمن سيرى ربه الذي تعب من أجله، وكان يكثر من ذكره ويسجد بين يديه. أحبتي في الله، هذه هي الجنة، وهذه بعض أوصافها، فهل اشتاقت أنفسكم

لها، أو هل حدثتكم أنفسكم عنها، وأنكم ستكونون من أهلها؟! قل لي بالله عليك، ما الذي أخرج عنها؟! ولماذا لا تعمل، وتسعى لها؟!

م طلبتها بنفائس الأثمان	تالله لو شأقتك جنات النعيم
بٍ كنت ذا طلبٍ لهذا الشأن	أو صادفت منك الصفات حياة قلد
بل أنت غاليةٌ على الكسلان	يا سلعة الرحمن لست رخيصةً
فلقد عرضت بأيسر الأثمان	يا سلعة الرحمن أين المشتري
فالمهر قبل الموت ذو إمكان	يا سلعة الرحمن هل من خاطبٍ
خطاب عنك وهم ذوو إيمانٍ	يا سلعة الرحمن كيف تصبر الـ
لتقطعت أسفًا من الحرمان	والله لو أن القلوب سليمةٌ
دنيا وسوف تفيق بعد زمان ^(١)	لكنها سكرى بحب حياتها الـ

فيا عباد الله، ويأهل التوحيد، أيها المسلمون، أيها الفقراء، لا تأسوا، ولا تحزنوا، ولا تبأسوا، ولا تأسوا، فالنعيم الحقيقي هو في تلك الدار، وليس في هذه الحياة التي لا يقر لها قرار.

أيها الأغنياء، لا تركنوا، ولا تغتروا بهذه الحياة القصيرة، مهما أوتيتم من نعيم هذه الدنيا الزائلة الحقيرة، مهما سكنتم من القصور؛ فإن ما أنتم فيه متاعٌ وغرور.

(١) النونية (ص ٣٥٤).



يا من ركنت إلى الدنيا، وتعلق قلبك بها، ليس مأواك فيها؛ فوالله إنك سترحل

منها، وتخليها!

يا من جعلت أمنيته في عمارة تسكنها، أو امرأة تزوجها، أو سيارة تركبها،

الدنيا ستفنى ويفنى من فيها.

لا تركزن إلى القصور الفاخرة وانظر عظامك حين تمسي ناخرة

وإذا رأيت زخارف الدنيا فقل يا نفس إن العيش عيش الآخرة

أيها الناس، يا من تسمعون إلى أوصاف الحوريات، قولوا لمن يلاحقون

الشهوات، والنساء الساقطات، إنما هي ساعات؛ فكيف تبدلون الحور

المقصورات؛ بالدنسات القذرات، ذكروا من يشربون أم الخبائث والخمور التي

تُذهب العقول وتدنسها، ذكروهم بأخبار من خمر لذة للشاربين.

ذكروا من يسمعون الأغاني الماجنات لبعض الساقطين، والساقطات.

ذكروهم بخطاب، وكلام الرحمن، وسماع الحور وهن يغنين بأجمل

الألحان، واهتزاز الأشجار والأغصان في الجنان.

تذكروا -رحمكم الله- أن النعيم هناك لا يدرك إلا بترك النعيم هناك، وأن من

أخذ لذته ومتعته هنا؛ حرمها هناك، وما أدراك ما هناك.

تخيّلوا أنفسكم أيها الإخوة، والأخوات، وأنتم الآن تتقلبون في روضات الجنات، على فرش بطائنها من إستبرقٍ تتكئون، وبالحوار العين تتنعمون، وبأنواع الثمار تتفكهون!

تخيّل - يا عبد الله - وأنت جالس مع الأهل، والأحباب يطاف عليكم بصحافٍ من ذهب وأكواب، وفيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين.

لحمٌ وخمرٌ والنساء وفواكهٌ والطيب مع روحٍ ومع ريحانٍ
تخيّلوا أنفسكم مجتمعين مع الأحباب، والأصحاب، وبين أيديكم ما اشتهت نفسوكم من الطعام والشراب، يا من كنتم تجتمعون في المساجد، ومجالس الخيرات، على الذكر وعلى الخير والكلمات الطيبات، تذكروا وأنتم في ظل الجنة تتنازعون فيها كؤوس الرحيق المختوم، والتسنيم، والسلسبيل، تتوالى عليكم الخيرات والمسرات!

إنها الجنة - يا عباد الله - فوق وصف الواصفين، وفوق خيال المتخيلين!
اللهم أجعلنا والسامعين من أهلها يا رب العالمين! اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قولٍ، أو عملٍ، اللهم إنا نعوذ بك من النار وما قرب إليها من قولٍ أو عملٍ! يا رب العالمين، ويا أكرم الأكرمين.....





بعض أوصاف النار)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر

الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المسلمين والمسلمات، يقول ربنا في كتابه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْلًا أَنفُسَكُمْ

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ

مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة التحريم: ٦].

أيها المسلمون عباد الله، دعونا في هذا اليوم نتحدث عن النار، وجحيمها، وما أعدّه الله لأهلها فيها من الغساق، والغسلين، وصنوف العذاب وألوانه.

ولا ريب - أيها الناس - أن الحديث عن النار لا يحتاج إلى بليغ تهتزله المنابر، ولا يحتاج إلى خطيب تحمل صدئ قوله المنائر، وإنما خبرها ينبيك عن مخبرها، واسمها يغنيك عن رسمها، نسأل الله النجاة منها!

أيها المسلمون عباد الله، إن الإنسان في هذه الحياة مطالب بأن يعيش بين حالتي الخوف والرجاء، فإذا تساهلت النفس بعبادة الله، وانسأقت خلف معاصيه؛ خوفها بالله وبعذابه، وإذا استأنست بطاعة الله؛ قواها برجائه، وسعة رحمته ورضوانه.

ولقد حذر الله عباده الجن، والإنس من النار، فحوى القرآن من هذه النصوص المنذرة ما لا يحويه كتاب سماوي آخر، وأفاضت السنة في شرح ما يكون من أهوال النار، وجحيمها، فوردت كلمة النار في القرآن في **إحدى وعشرين** ومائة آية، كما ورد تعبير جهنم في **سبع** و**سبعين** آية، وتكررت لفظة الجحيم في **ست** وعشرين آية، ولفظة السعير في **ست** عشرة آية. وإلى جانب ما عبر عنه الكتاب العزيز فقد كان الصحابة يسألون رسول الله **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** عن النار، ورسول الله يجيبهم مقرباً إلى أذهانهم ماهيتها، وتكوينها.



فقد روى مسلم رَحْمَهُ اللهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جِزْءًا مِنْ سَبْعِينَ جِزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ!» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ؟ قَالَ: «فَإِنَّهَا فَضَلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسْتِينَ جِزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا» (١).

ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَوْقِدْ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ، ثُمَّ أَوْقِدْ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ، ثُمَّ أَوْقِدْ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ!» (٢).

فهي سوداء مظلمة، هي دارٌ ضيقة الأرجاء، مظلمة المسالك، مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير، ويوقد فيها السعير، طعام أهلها الزقوم، وشرابهم الحميم، يقول الله عن هذه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ (٦٣) ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ (٦٤)

طَلْعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ (٦٥) ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ مِنْهَا أَلْبُطُونَ﴾ (٦٦) [سورة الصافات]

ويقول النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - عن الزقوم: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا، لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم؛ كيف بمن يكون طعامه؟!» (٣).

(١) رواه مسلم (٢٨٤٣).

(٢) رواه الترمذي في سننه (٢٥٩١).

(٣) رواه الترمذي في سننه (٢٥٨٥).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الحميم ليصب على رؤوسهم؛ فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه؛ فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه، وهو الصهر، ثم يعاد كما كان!». يقول ربنا في كتابه الكريم:

﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ﴾ [سورة محمد: ١٥]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [٢٤] إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [سورة النبا: ٢٥].

قال الضحاک رَحِمَهُ اللهُ: «يُسْقَى من حميم يغلي من يوم خلق الله السماوات والأرض إلى يوم يسقونه، ويصب على رؤوسهم!»^(١).

وقال الحسن، والسدي رَحِمَهُ اللهُ: «الحميم هو: الذي قد انتهى حره»^(٢).

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [٢٤] إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [سورة

النبأ: ٢٥]. يقول ابن عباس: «الغساق هو الزمهرير البارد، الذي يحرق من برده». نسأل الله العافية!

وقال تعالى: ﴿مَنْ وَرَّأَيْهِ جَهَنَّمَ وَسُقِيَ مِنْ مَّاءٍ صَكِيدٍ﴾ [١٦] يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ

يُسِيغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَّأَيْهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [١٧]

[سورة إبراهيم: ١٦-١٧]

(١) أخرجه ابن رجب في تفسيره (٣٣٥/٢)، وصحيح الترغيب (٤٧٩/٣).

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (١٨٢/٤).

روى الإمام أحمد، والترمذي عن أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال - في هذه الآية - : «يقرب إلى فيه؛ فيكرهه؛ فإذا أدنى منه شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره!»
نعوذ بالله من النار، ومن غضب الجبار! (١).

هذا بعض شراب أهل النار - يا عباد الله -، وأما طعامهم؛ فيقول ربنا في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمِيمًا ۗ (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۗ (١٣)﴾ [سورة المزمل: ١٣].
وعن عكرمة رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ -: «هو شوك يأخذ بالحلق، لا يدخل ولا يخرج» (٢). نسأل الله السلامة والعافية!

وروى الترمذي، عن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعَ فَيَعْدِلُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ فَيَسْتَغِيثُونَ فَيُغَاثُونَ بِطَعَامٍ مِنْ ضَرِيعٍ، لَا يَسْمَنُ وَلَا يَغْنِي مِنْ جُوعٍ، فَيَسْتَغِيثُونَ فَيُغَاثُونَ بِطَعَامٍ ذَا غُصَّةٍ، فَيَذَكُرُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُجِيزُونَ الْغُصَصَ فِي الدُّنْيَا بِالشَّرَابِ؛ فَيَسْتَغِيثُونَ بِالشَّرَابِ، فَيُدْفَعُ إِلَيْهِمُ الْحَمِيمُ بِكَلَالِيبٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَإِذَا دَنَّتْ مِنْ وَجُوهِهِمْ شُوتُ وَجُوهِهِمْ، فَإِذَا دَخَلَتْ إِلَى بَطُونِهِمْ قَطَعَتْ مَا فِي بَطُونِهِمْ» (٣).

(١) رواه أحمد (٢٢٢٨٥).

(٢) فتح القدير (٣٨٢/٥).

(٣) رواه الترمذي (٢٥٨٦).

النار منزل أهل الكفر كلهم
جهنم ولظى من بعدها حطمة
وتحت ذاك جحيم ثم هاوية
فيها غلاظ شداد من ملائكة
لهم مقامع للتعذيب مرصدة
سوداء مظلمة شعشاء موحشة
فيها العقارب والحيات قد جمعت
لها إذا ما غلت فوزاً تقلبهم
طباقتها سبعة مسودة الحفر
ثم السعير وكل الهول في سقر
تهوي بهم أبدا في حر مستعر
قلوبهم شدة أقسى من الحجر
وكل كسر لديهم غير منجبر
دهماء محرقة لواحة البشر
جلودهم كالبلغال الدُّهم والحمر
ما بين مرتفع منها ومنحدر

نسأل الله أن ينجينا منها، ومن كل ما قرب إليها!

وقد كان كثير من الخائفين يُنغص عليهم طعامهم عندما يذكرون طعام أهل النار، فقد كان الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ يَقُول: «الخوف من النار يمنعني من أكل الطعام، والشراب فلا أشتهيه».

ويقول سلام بن مطيع: «أُتِيَ الحسن بكوز من ماء ليفطر عليه، فلما أدناه إلى فيه بكى؛ فقبل له: ما لك يرحمك الله؟ قال ذكرت أمنية أهل النار، وقولهم: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ

اللَّهُ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ [سورة الأعراف: ٥٠]».

واستسقي محمد بن مصعب العابد رَحْمَةُ اللَّهِ، فلما سمع صوت البرادة صاح وقال لنفسه: من أين لك في نار برادة؟ ثم قرأ قوله - سبحانه تعالى -: ﴿وَقِيلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَلَمَّا كَانَ آيَاتُ الْكُفْرِ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الكهف: ٢٩].

هذا هو بعض طعام أهل النار، وشرابهم.

وأما كسوتهم، فيقول الله عنه: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَهُمْ مَقْلَعُونَ مِنْ حديدٍ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الحج: ١٩-٢١].

كان إبراهيم التيمي رَحْمَةُ اللَّهِ «إذا تلا هذه الآية يقول: سبحان من خلق من النار ثياباً!» (١).

وروى الطبراني، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي بعثك بالحق يا محمد، لو أن ثوبا من ثياب النار علقت بين السماء والأرض، لمات من في الأرض جميعا من حره» (٢).

(١) التخويف من النار (ص ١٦٠).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٢٥٨٣).

وفي صحيح البخاري، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما أسفل من الكعبين من الإزار في النار»^(١). قال العلماء: إنه ليسحب ثوبه في النار كما كان يسحبه في الدنيا.

وعند قوله - سبحانه - : ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلٌّ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلٌّ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ يُعْبَادُ فَاتَّقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الزمر: ١٦] طعامهم نار، وشرابهم نار، ومهادهم نار، أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار، فهم بين مقطعات النيران، وسراويل القطران، وضرب المقامع التي لو ضرب بهما مقمعاً فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض ولو ضرب به جبل لتفتت بضرب أهل النار بتلك المقامع، حتى يقتحموها بأنفسهم خوفاً من المقامع.

وهم يتهافتون فيها، فيلعن بعضهم بعضاً، يلعن الوزير رئيسه الذي كان سبباً في هلاكه، والرئيس وزيره الذي كان يزين له عمل الباطل ويحببه إلى نفسه، ويلعن الجنود زعيمهم الذي أمرهم بسجن الناس، وبقتلهم، وبظلمهم.

(١) رواه البخاري (٥٧٨٧).



يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة

الزخرف: ٦٧] تناكروا بعد المعرفة، تلاعنوا بعد المحبة، أصبحوا يعانون ما تطيقه الجبال بأجسام، وأجساد قد ضُخِّمت، وعظمت، وبيجلود تبدل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء: ٥٦].

يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن هذه المشاهد، وعن هذا التناكر الذي سيحصل يوم القيامة للأصدقاء الذي ما كانت صداقتهم لله وفي الله: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْنَهُمْ لِأُولِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتَاهُمُ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا نَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٣٨-٣٩].

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَتِيُّ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَبَرُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ [سورة الأعراف: ٤٧] قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ [سورة الأعراف: ٤٨] وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزَانَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُحْفَفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ [سورة الأعراف: ٤٩] قَالُوا أَوْلَمَ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاتُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ [سورة غافر]

نسأل الله أن يرزقنا إخوة صالحين، يعينوننا على طاعة رب العالمين، ونسعد
بلقائهم في ذلك اليوم العظيم! أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولجميع
المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم!



(الخطبة الثانية)

الحمد لله أمر بتقواه، وأخبر أن من اتقاه وقاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

عباد الله، وما زلنا معكم في الحديث عن النار، وجحيمها، وصفة أهلها، وما يعانونه فيها.

يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿تُرَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [سورة العاقبة: ٢٢]، قال: «تدخل هذه السلسلة في دبره، ثم تخرج من فيه، ثم يشكون كما تشك الجراد حين تشوي».

وقال كعب الأحمار رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحلقة الواحدة من هذه السلسلة كحديد الدنيا».

ويقول الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ عند قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿خُذُوهُ فَعَلُوهُ﴾ [سورة العاقبة: ٣٠]، قال: أما وعزته ما قيدهم مخافة أن يعجزوه؛ ولكن قيدهم لترسية النار».

وخرَّج المنذري رَحْمَهُ اللهُ في كتابه الترغيب والترهيب، وصححه الألباني رَحْمَهُمَا اللهُ عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون، وفيهم رجل من أهل النار فتنفس فأصابهم نفسه؛ لأحرق المسجد ومن فيه»^(١).

وإذا كان هذا نَفْسُهُ، فيا ترى كم سيكون حجم هذا الكافر في النار؟!

اسمعوا إلى ما رواه البخاري، ومسلم، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع»^(٢).

وخرَّج مسلم في صحيحه - أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ضرس الكافر، أو ناب الكافر مثل جبل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث»^(٣).

وأما أهونهم عذاباً؛ فاسمعوا ما رواه البخاري، ومسلم، عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن أهون أهل النار عذاباً من له

(١) رواه البزار (٣٤٩٩)، وأبو يعلى (٤ / ١٥٧٣ - ١٥٧٤)، وابن أبي الدنيا (٢ / ٨)، وأبو نعيم (٤ / ٣٠٧).

(٢) رواه مسلم (٢٨٥٢).

(٣) رواه مسلم (٢٨٥١).



نعلان، وشراكان يغلي منهما دماغه كما يغلي الرجل، ما يرى أحدا أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً!» (١).

وأما بكاؤهم، وشهيقهم، فيقول النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فيما رواه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني **رَحْمَةُ اللَّهِ** عن ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إن أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاماً، ثم يقول بعدها: إنكم ما كثون. ثم يدعون ربهم فيقولون: ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون، قال: فلا يجيبهم الله مثل الدنيا، ثم يقول: اخسئوا فيها ولا تكلمون، ثم يئأس القوم؛ فما هو إلا الشهيق، والزفير تشبه أصواتهم أصوات الحمير؛ أولها شهيق وآخرها زفير» (٢).

يقول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبَلِّسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا بِمَلَائِكَةٍ لَقِيَتْهُمُ عَلَيْهِمْ أَنزَلَ عَلَيْهَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ذَرِيًّا ﴿٧٧﴾﴾ [سورة الزخرف: ٧٤-٧٧].

ويقول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن مناداتهم لربهم في ذلك اليوم: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة المؤمنون: ١٠٨].

(١) رواه البخاري (٦٥٦٢) ومسلم (٢١٢).

(٢) رواه الحاكم في مستدرکه (٣٤٩٢).

وأما ظلمة النار، وشدة سوادها، فاسمعوا ماذا قال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن ابن كعب رَحِمَهُمُ اللَّهُ، قال: «ضرب الله مثلاً للكافرين؛ فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَوْ كَظُلْمَتٍ فِي بَحْرٍ لَيْجٍ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، سَحَابٌ ظُلْمَتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَنَّهُا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النور: ٤٠]، قال: فهو يتقلب في خمس من الظلم، كلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات إلى النار»^(١).

ويقول الربيع بن أنس رَحِمَهُمُ اللَّهُ: «إن الله جعل هذه النار - يعني: نار الدنيا - نورا، وضياءً، ومتاعاً، لأهل الأرض، وإن النار الكبرى سوداء مظلمة مثل القبر - والعياذ بالله»^(٢).

وقال الضحاك رَحِمَهُمُ اللَّهُ: «جهنم سوداء، وماؤها أسود، وشجرها سود»، وقد دل على سواد أهلها قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِنَتْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة يونس: ٢٧]»^(٣).

(١) رواه الحاكم في مستدرکه (٣٥٦٧).

(٢) أخرجه ابن رجب في التخويف من النار (ص ٦٢).

(٣) أخرجه ابن رجب في التخويف من النار (ص ٦٢).



وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ

إِيمَانِكُمْ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ [سورة آل عمران: ١٠٦].

أيها المسلمون إننا نسمع آيات، وأهوال تدكدك الجبال وتشقق الحجار،

ووالله لو تفكرنا فيها لطار النوم من أعيننا، فأين أهل التذكر والاعتبار؟!

لذلك كان سلفنا الكرام رَحِمَهُمُ اللَّهُ «إِذَا ذَكَرُوا النَّارَ طَارَ النَّوْمُ مِنْ أَعْيُنِهِمْ، بَلْ لَا

يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَنَامُوا عَلَى فَرْشِهِمْ».

قالت ابنة الربيع بن خثيم رَحِمَهُ اللَّهُ لأبيها: «أبتاه ما لك لا تنام والناس ينامون؟

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: يا بنية إن النار لا تدع أباك ينام» (١).

وكان صفوان بن محرز رَحِمَهُ اللَّهُ «إِذَا جَنَّهُ اللَّيْلُ يَخُورُ كَمَا يَخُورُ الثَّوْرُ وَيَقُولُ:

منع خوف النار مني الرقاد، منع خوف النار مني الرقاد» (٢).

ومر أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «عَلَى طَيْرٍ قَدْ وَقَعَ عَلَى شَجْرَةٍ، فَقَالَ: طُوبَىٰ

لَكَ يَا طَيْرٍ، تَطِيرُ فَتَقَعُ عَلَى الشَّجَرِ، ثُمَّ تَأْكُلُ مِنَ الثَّمَرِ، ثُمَّ تَطِيرُ لَيْسَ عَلَيْكَ حِسَابٌ

وَلَا عَذَابٌ!» (٣).

(١) أخرجه ابن رجب في التخويف من النار (ص ٣٧).

(٢) أخرجه ابن رجب في التخويف من النار (ص ٣٨).

(٣) رواه البيهقي في الشعب (٧٦٨).

وقال ابن مسعود **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: «لو وقفت بين الجنة، والنار فقبل لي: اختر نخيرك من أيهما تكون أحب إليك، أو تكون رمادًا؟ لأحببت أن أكون رمادًا»^(١).

وذكر ابن الجوزي **رَحِمَهُ اللهُ** في مناقب عمر بن عبد العزيز: أن عمر بن عبد العزيز قال: «اللهم إن كنت تعلم أي أخاف يومًا دون يوم القيامة؛ فلا تؤمن خوفي»^(٢).

وقال يزيد بن حوشب **رَحِمَهُ اللهُ**: «ما رأيت أخوف من الحسن، وعمر بن عبد العزيز، كأن النار لم تخلق إلا لهما!».

وقال أبو ميسرة **رَحِمَهُ اللهُ**: «يا ليت أُمِّي لم تلدني! فقالت له امرأته: أبا ميسرة، أليس الله قد أحسن إليك؟ هداك للإسلام، وفعل بك كذا وكذا. قال: بلى؛ ولكن الله أخبرنا أننا سنرد على النار؛ ولم يبين لنا أننا صادرون عنها»^(٣).

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٥٤١).

(٢) ذكره الذهبي في السير (١٣٩/٥).

(٣) رواه النسائي في السنن الكبرى (١١٨٣٧).



وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: «كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ربما توقد

له النار ثم يديني يديه منها، ثم يقول: يا بن الخطاب، هل لك على هذا صبر؟! هل

لك على هذا صبر؟!» (١)

وكان أبو عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: «وددت أني كنت كبشًا قد ذبحني

أهلي، فأكلوا لحمي، وحسوا مرقي!» (٢).

لا إله إلا الله، كيف كانت قلوبهم؟! وكيف كان خوفهم؟! لا

قال الحر بن حصين الفزاري رَحِمَهُ اللهُ: «رأيت شيخا من بني فزارة أمر له خالد

بن عبد الله بمائة ألف، فأبى أن يقبلها، وقال إن ذكر جهنم أذهب حلاوة الدنيا من

قلبي، وكان يقوم إذا نام الناس ويصيح، ويقول: النار! النار! النار!» (٣).

تلکم النار يا عباد الله، وهذه أحوال الهاربين منها، أعاذنا الله وإياكم منها،

فأنقذوا أنفسكم، أنقذوا أنفسكم يا أمة الإسلام! أنقذ نفسك يا عبد الله ما دمت في

زمن المهلة، والتوبة،

(١) تفسير ابن رجب (٢/ ٣٤٢ ٣٤٤).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في المتتمين (٢٢).

(٣) صفة النار لابن أبي الدنيا (١٩٨).

أنقذ نفسك أيها الظالم، أنقذ نفسك يا تارك الصلاة، أنقذ نفسك يا أمة الله،

واشغلي وقتك بما يقربك إلى الله، أنقذوا أنفسكم يا عباد الله!

ليس السعيد الذي دنياه تسعده إن السعيد هو الذي ينجو من النار

هذه بعض أحوال أهل النار، وهذه بعض أوصافها.

فيا عبد الله

وعن مقاساة ما يلقون في النار

خوفا من النار قد ذابت على النار

فيسحبون بها سحباً على النار

وفي الفرار ولا فرار من النار

إليهم أم خلقت من خالص النار

من العذاب ومن غلي على النار

من ارتقاء جبال النار في النار

صبوا بعنف إلى أسافل النار

ماء صديد ولا تسويغ في النار

ترمي بأمعائهم رمياً إلى النار

بئس الشراب شراب ساكن النار

ولا منام لأهل النار في النار

أما سمعت بأهل النار في النار

أما سمعت بأكباد لهم صدعت

أما سمعت بأغلال تناط بهم

أما سمعت بضيق في مجالسهم

أما سمعت بحيات تدب بها

أما سمعت بأجساد لهم نضجت

أما سمعت بما يتكلفون به

حتى إذا ما علوا على شواهقها

أما سمعت بزقوم يسوغه

يسقون منه كؤوساً ملئت سقماً

يشوي الوجوه وجوهاً ألّبت ظلماً

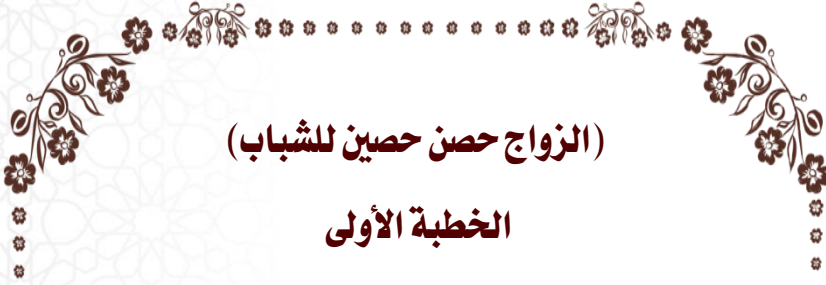
ولا ينامون إن طاف المنام بهم



إن يستقيلو فلا تقال عشرتهم
 وإن أرادوا خروجاً رُدَّ خارجهم
 فهم إلى النار مدفوعون بالنار
 ما إن يخفف عنهم من عذابهم
 فهذه صدعت أكباد سامعها
 ولو يكون إلى وقت عذابهم
 فيا إلهي ومن أحكامه سبقت
 رحماك يا ربي في ضعفي وفي ضعتي
 ولا على حر شمس إن برزت لها
 فإن تغمدني عفو وجدت به
 أو يستغيثوا فلا غياث في النار
 بمقمع النار مدحورا إلى النار
 وهم إلى النار يهرعون للنار
 ولا تفتّر عنهم سورة النار
 من ذي الحجى ومن التخليد في النار
 في النار هوّن ذاكم لفحة النار
 بالفرقتين من الجنات والنار
 فما وجودك لي صبر على النار
 فكيف أصبر يا مولاي في النار
 منكم وإلا فلاني طعمة النار

اللهم إن أجسادنا لا تقوى على النار فنحن منها يا رحيم يا غفار! اللهم إن
 أجسادنا لا تقوى على نارك. فنحن منها ومن كل عذابك! اللهم إنا نعوذ بك من
 النار وما قرب إليها من قول وعمل، اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول
 وعمل يا رب العالمين.....





(الزواج حصن حصين للشباب)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الحديد: ٧٠] يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد :

فإن خير الحديث، كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشر

الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون عباد الله، لقد أنعم الله علينا بنعم لا تعد ولا تحصى، وجعل

هذه النعم من الآيات الدالة على وحدانيته، واستحقاقه للعبادة من عباده، ومن



جملة هذه الآيات التي أنعم الله بها على عباده نعمة الزواج، التي امتن الله بها على العباد؛ فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الروم: ٢١].

وقال جَلَّ وَعَلَا ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٩] وقال: ﴿هُنَّ لِيَاسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسُ لَهُنَّ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧]، وقال: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٣].

أيها المسلمون: لقد جعل الله الأزواج سكنًا ولباسًا لبعضهم ، فمن أجل ذلك فقد حثنا الله، ورغبنا في كتابه بهذه النعمة العظيمة، فقال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [سورة النساء: ٣].

وحضنا حبيبا عليه الصلاة والسلام على ذلك بقوله: فيما رواه البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ « إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف دينه، فليتق الله في النصف الباقي» (١).

وقال فيما رواه الشيخان: «يا معشر الشباب؛ من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»^(١). وقال: فيما رواه مسلمٌ رَحِمَهُ اللهُ «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة»^(٢).

وتكفل الله بالمعونة لمن أراد أن يحصن فرجه بالزواج، فقال: فيما رواه أهل السنن: «ثلاثة حقُّ على الله عونهم: المكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف، والمجاهد في سبيل الله»^(٣).

فكم لله من حكمٍ وأسرارٍ في هذه السنة الإلهية! الزواج وما أدراكم ما الزواج؟! الذي هو حصن حصينٌ، ومسكنٌ أمين، الزواج الذي من خلاله يكثر النسل، وتعظم الأمة، ويحصل الفخر والتباهي لنبي هذه الأمة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الزواج الذي بسببه يحصل الستر والعفاف للبنين والبنات، الزواج الذي به استقامت أنفس معوجة، وصلحت أعين زائغة.

(١) رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠).

(٢) رواه مسلم (١٤٦٧).

(٣) رواه الترمذي (١٦٥٥)، والنسائي (٣١٢٠).



ولقد أصبح الزواج في هذا الزمان من الأمور الشاقة، ومن القضايا المستعصية؛ وذلك من قبل أصحاب النفوس الجشعة، الذين حولوا الزواج إلى سلعٍ تجاريّة، من خلالها يقدّمون ويؤخرون، ويقبلون ويرفضون، جديرٌ بنا أن نقف مع هذا الصنف من الناس، الذين حرموا بناتهم من تزويجهن؛ وذلك برفع مهورهنّ، والمتاجرة بهنّ؛ مما أدى ذلك إلى أمورٍ لا تحمد عقباها!

فلقد كثرت العوانس في البيوت، وانتشرت العلاقات المحرمة، وكثرت الاتهامات للعفيفات الطاهرات؛ كل ذلك بسبب أولئك الذين لا أشبع الله بطونهم. أيها المسلمون والمسلمات، لقد جاء الإسلام مرغباً في الزواج، ومحذراً من كل ما يمنع ذلك، بما في ذلك غلاء المهور؛ فقد جاء رجلٌ إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما روى مسلمٌ في صحيحه، فقال: إني تزوجت امرأةً من الأنصار. قال «هل نظرت إليها؛ فإن في عيون الأنصار شيئاً؟». قال قد نظرت إليها. قال: «عليّ كم تزوجتها؟» قال: عليّ أربع أواق. فقال: «عليّ أربع أواق؟! كأنما تنحتون الفضة من عرض جبل، ما عندنا ما نعطيك، ولكن عسى أن نبعثك في بعث

فتصيب منه» (١)

قال النووي: رَحِمَهُ اللهُ ومعنى هذا الكلام: «هو كراهة إكثار المهر بالنسبة إلى حال الزوج، وإلا فلا حد لأكثره».

وروى الإمام أحمد في مسنده، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللهُ عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: قال: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن من يمن المرأة تيسير خطبتها، وتيسير صداقها، وتيسير رحمها»^(١) قال عروة: «وأنا أقول: وإن من أول شؤمها هو إكثار صداقها».

وروى الإمام أبو داود، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ عن أبي العجفاء قال: خطبنا عمر يوماً فقال: «ألا لا تغالوا في صدقات النساء؛ فإنها لو كانت مكرمةً في الدنيا، أو تقوى عند الله، كان أولاكم بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أصدق رسول الله امرأةً من نسائه أكثر من اثني عشرة أوقية!»^(٢).

وروى أبو داود، وغيره، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: لما تزوج عليٌّ بفاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وأراد أن يدخل بها، قال له رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أعطاها شيئاً. قال ما عندي شيء! قال: أين درعك الحطيمية؟ فأعطاها درعه، وتزوجها»^(٣).

(١) رواه أحمد (٢٤٤٧٨).

(٢) رواه أبو داود (٢١٠٦).

(٣) رواه أبو داود (٢١٢٥).



رضي الله عنهم وأرضاهم، ما أحلى حياتهم، وما أسهل وأجمل عيشتهم!
وروى البخاري ومسلم، عن سهل ابن سعد الساعدي، قال: جاءت امرأة إلى
النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقالت: يا رسول الله، جئت أهب لك نفسي. فنظر إليها
رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فصعد النظر فيها وصوبه، ثم طأطأ رأسه، فلما رأت
المرأة أن لم يقض فيها شيئاً جلست، فقام رجل من أصحابه؛ فقال:
يا رسول الله، إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال: «هل عندك من شيء؟»
قال: لا والله يا رسول الله، ما عندي شيء! قال «اذهب إلى أهلِكَ فانظر هل تجد
شيئاً؟». فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله، ما وجدت شيئاً! فقال: رسول
الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «انظر ولو خاتماً من حديد»، ثم رجع فقال: لا والله
يا رسول الله ولا خاتماً من حديد، ولكن هذا إزارِي، - قال سهل: ما له رداء -،
فلي نصفه ولها نصفه، فقال رسول الله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «وما تفعل بإزارك؟»
إن لبسته؛ لم يكن عليها منه شيء، فجلس الرجل حتى طال مجلسه، فقاموا فرآه
رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مولياً، فأمر به، فدُعي، فلما أقبل: قال: «ماذا معك من
القرآن؟». قال: معي سورة: كذا، وكذا. عدّ دهن، قال: «تقرأهن عن ظهر قلب؟».
قال: نعم. قال: «اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن»^(١).

(١) رواه البخاري (٥٠٣٠)، ومسلم (١٤٢٥).

انظروا يا عباد الله، انظروا يا أولياء الأمور، تأملوا أيها الآباء إلى ذلك الجيل السعيد، وإلى تلك الحياة السهلة التي كانوا يعيشونها، حتى كانت السعادة ترفرف في وجوههم، وفي بيوتهم؛ لأنهم كانوا بذلك يريدون مجتمعاً صالحاً مبنياً على الخير والصلاح؛ وذلك من خلال تيسير مهور الزواج.

بل - والله - قد بلغ بهم الحال أنهم يعرضون بناتهم على الصالحين، ويبحثون لهن عن من يخافون الله فيهن.

ألم نقرأ في القرآن: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ وَإِنِّي أَخَافُكَ ﴾ [سورة القصص: ٢٧].

وهذا فاروق الأمة الأواب - عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، يعرض ابنته حفصة على عثمان بعد أن مات زوجها، فقال عثمان: سأنظر في أمري، ثم قال: يا عمر، قد بدا لي ألا أتزوج، ثم عرضها على أبي بكر، ولم يرد له في ذلك خبراً، ثم خطبها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال عمر: فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة؛ فلم أرجع إليك شيئاً؟ قلت: نعم. قال: ما منعي من الرد إلا أنا كنت علمت رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قد ذكرها؛ فلم أكن لأفشي سره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ولو تركها لقبلتها.



هكذا كانوا يتعاملون مع الزواج، يعرض ابنته من واحدٍ لآخر، يأتون الصالحين قبل أن يأتي الصالحون إليهم، ما كان عندهم هذه الأعراف المنكرة، ما كانوا يقولون: كل معروضٍ بائر! كما يقال في هذا الزمان، بل كان هم أحدهم هو حفظ الأمانة التي استأمنه الله عليها، كان هم أحدهم هو أن يضع ابنته بيد الأمانة الذين يخافون الله فيهن، هم أحدهم هو الخوف من الله أن يضيع شباب ابنته، وتعنس في بيته، وتكون خصماً له بين يدي ربه، **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وهذه عجيبةٌ من عجائب الزمان، سطرتها لنا كتب التاريخ، عن سعيد بن المسيب، أن عبد الله بن أبي وداعة، - وكان من طلاب سعيد - قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب، فتفقدني أياماً، فلما أتته قال: أين كنت يا بن أبي وداعة؟ قال توفيت أهلي فانشغلت بها، قال: هلا أخبرني فشهدناها؟

قال: فلما أردت أن أقوم قال لي: هل ستحدث امرأة؟ فقلت: يرحمك الله! ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين؟! قال: أنا، فقلت: وتفعل! فحمد الله تعالى، وصلى على النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وزوجني على درهمين، أو قال ثلاثة، قال: فقمتم وما أدري ما أصنع من الفرح، فعدت إلى منزلي، وجعلت أفكر ممن آخذ، وممن أستدين، فصليت المغرب، وانصرفت إلى منزلي، وكنت صائماً، فقدمت عشائي لأفطر، وكان خبزاً وزيتاً، وإذا ببابي يقرع، فقلت من هذا؟ قال: سعيد،

قال: ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب؛ وذلك لأنه لم يمر أربعين سنة إلا بين داره والمسجد، فخرجت إليه فإذا به سعيد بن المسيب، قال: فظننت أنه بدا له، - أي: رجع عن رأيه - فقلت: يا أبا محمد لو أرسلت إليّ لأتيتك، فقال: أنت أحق أن تؤتى! فقلت: ماذا تأمرني؟

قال: إنك كنت رجلاً عازباً، فتزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك، قال: وإذا هي قائمة خلفه في طوله، فدفعها في الباب ثم رده، قال: ثم دخلت بها فإذا هي من أجمل النساء، وأحفظ النساء لكتاب الله، وأعلمهن بسنة رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** -، قال: ثم أردت أن أذهب إليّ مجلس سعيد، فقالت إليّ أين؟ قال: لأطلب العلم عند سعيد، قالت: تعال اقعد فعندي علم سعيد، تعال أعلمك علم سعيد

والأعجب من هذا أن بنت سعيد بن المسيب كان قد خطبها الخليفة عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه على ولاية العهد، فأبى أن يزوجه، نعم، أبى أن يزوجه، وإن كان ولي العهد، وإن كان ابن الخليفة، وإن كان من كان؛ لأنها أمانة، وسيسأل عنها بين يدي الله **عَزَّوَجَلَّ**



أراد أن يزوجه إنسانا صالحاً حتى يزيد لها صلاحاً فوق صلاحها؛ حتى يصلح
بصلاحه أولادها؛ حتى تكون أسرة عامرةً بالخير، والبركة، والسعادة، زوجها
إنساناً صالحاً ليعاشرها بالمعروف، أو يسرحها بإحسان.

أسأل الله أن يصلح الآباء، وأولياء أمور النساء! أقول قولي هذا وأستغفر الله
لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



(الخطبة الثانية)

الحمد لله أمر بتقواه، وأخبر أن من اتقاه وقاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أيها المسلمون عباد الله، وبعد أن سمعتم ما سمعتم، أقول لكم: أيها الناس، بالله عليكم، كم هم أولئك الآباء الذين أصبحوا حجر عثرة أمام الزواج، حتى امتلأت البيوت بالشباب، والفتيات، بسبب جشعهم وطمعهم، كم من رجلٍ معه -ربما- في بيته عدة بنات، كلما جاءه رجلٌ رفضه، كلما تقدم إليه أحد الصالحين اعتذر إليه بمعاذير كاذبة؛ فتارةً يرفضه لفقره، أو لعدم وجاهته،

وهكذا كم من امرأةٍ ضاع شبابها، وذهب عمرها؛ والسبب في ذلك هو جشع أبيها، أو ولي أمرها، ربما ابنته قد رغبت فيمن تقدم إليها، وقبلته بلسان حالها، أو مقالها، لصلاحه، ولخلقه، ولكن أباه، أو من له سلطة عليها يمنعها، ويهددها، ويريد أن ينفرها منه بما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

هذه امرأةٌ تقدم إليها الخطاب، والراغبون من الشباب، وكلما تقدم إليها خاطب، وراغب، اعتذر أبوها، ورفض خطابها، ثم تقدم سنها، وذهب عليها معظم شبابها، ومرضت يوماً ثم اشتد مرضها، ثم استدعت أباه، وقالت: أبتاه قل: آمين، قال: آمين، قالت: قل آمين، قال: آمين، قالت: أسأل الله أن يحرمك

الجنة كما حرمتني الزواج! أسأل الله أن يحرمك الجنة كما حرمتني الزواج!



خذها صريحةً من هذه المقهورة المظلومة أيها الأب الظالم، وما عند الله أعظم وأطم.

ماذا تريد؟ ماذا تريد أيها الأب؟ ماذا تريد أيها الولي الجاهل الجائر؟ تريد المال؟! تريد الجاه؟! تريد السيارة، والعمارة؟! بئس ما أردت إذن، اظفر بذات الدين تربت يداك.

ألم تعلموا أن كثيراً من أولياء الأمور لا يبالي لا بدين الخاطب، ولا بخلقه، أهم شيء أنه زاد مهرها، أهم شيء أنه فرض لها مثل جاريتها، أو بنت عمها، أهم شيء أن من تقدم لها معه السيارة، والعمارة هذا هو المطلوب، وهذا هو شرط ابنته المرغوب، أما أن يكون حافظاً لكتاب الله، ومن الصالحين، والدعاة إلى الله، فهذا عمله، وعبادته، لنفسه، وما سيطعم ابنتي صلاةً، وعلماً كما يقول بعضهم. والله لقد اتصل بعضهم بأحد الدعاة إلى الله وسأله عن أحد الشباب، وقال: هل تعرف شيئاً عن فلان بن فلان؟ فظن أنه سيسأله عن صلاحه، ودينه، وصلاته، فقال له: لا أدري هل يصلي أو لا، فقال - وبئس ما قال - دعك من صلته، صلته بينه وبين ربه، صلته بينه وبين ربه، ثم قال له: كيف هو بيتهم؟ وما هو عملهم؟ وماذا معهم؟

هكذا - للأسف الشديد- أصبح حال كثيرٍ من أصحاب الدناءة والحماقاة،
هكذا أصبح بعض أشباه الرجال، هكذا أصبحت نظراتهم لمن يتقدم إلى بناتهم،
ومن ولوا عليهن، يقول هذا الداعية: وأحلف بالله إن هذا الرجل - إن صح أن
نسميه رجلاً - قد طُلق ابنته ثلاث طلاقات في أشهر معدودات، بعدما كانت تأتيه
مرة مضروبة، ومرة مطرودة، وتارة معيرة، وتارة مكسرة!

فلو كنت أيها الأب، وأيها الولي تحب ابنتك، وتريد مصلحتها، لاخترت لها
ذلك الرجل الذي يعرف حقوقها، ويحفظ كرامتها.

كم هم أولئك الآباء الذين ذاقوا وبال خيانتهم لهذه الأمانة، فأصبحت بناتهم
يترددن عليهم بين الحين والآخر، تارة تأتيه ودموعها على خدودها، ومرة تأتيه
مريضةً من كثرة الأعمال التي تعملها، والتي هي فوق طاقتها، وأحياناً تأتي بيت
أبيها وقد ملأها زوجها قهراً، بتعبيره لها بإخوتها، وأهلها وأنت السبب يا من
رميتها لمن لا يعرف الله، ولا يعرف حقها؛

لأنك بعثتها ما زوجتها، لأنك قدمت مهرها على كرامتها، وماء وجهها، ولو عرف
هذا الزوج حق الله لعرف حقها، بل لعرف حقك أنت يا من زوجتها، لكن ربما لا
يعيرك أي اهتمام، وربما يهينك، ولا يعطيك أي احترام، ولعله يسخر منك، بل
ويحتقرك أمام الآخرين، ولماذا كل هذا؟! لأنه جاءك من بطنك لا من دينك؛



لأنه كان يتذكر تعنتك وكثرة مطالبك حينما تقدم لخطبة ابنتك، ولعل ما يفعله بابنتك هو انتقاماً منك، جزاء طمعك، وجشعك!

بل سلي نفسك أيتها المرأة، سلي نفسك أيتها المرأة العاقلة، من أسعد الناس بهذه الحياة؟ هل هن اللاتي مع الصالحين، أم مع الأغنياء الطالحين؟ سلي نفسك من أكثر النساء شكائيةً، وطلاقا في حياتهن مع أزواجهن؟! هل هن اللاتي مع أصحاب الأموال، والأثرياء، أم هن اللاتي مع الصالحين الأتقياء؟!

سلي نفسك هذه الأسئلة حتى تعلمي أين هي السعادة؟ ومع من هي الكرامة؟ فلقد بلغ الحال ببعض النساء أن تتباهى بمهرها، وتسخر بأختها التي مهرها أقل منها، وهي قد تكون أتعس، وأبأس منها في حياتها، ومع زوجها؛ لأنها جاءت به يثقل وعناء؛ لأنها جاءت به وقد استدان مهرها من هنا وهنا!

يضطر بعدها إلى أن يتودد لها بأن تعطيه ذهبها؛ ليقضي دينه، أو يبني بيته، ولا تسأل حينها عن المشاكل التي تحصل بعدها، والله المستعان.

فإن أردت أيها الأب، وإن أردتم أيها الآباء، وإن أردتم أيها الناس أن تسعدوا، وتُسعدوا بناتكم مع أزواجهن؛ فخذوا واقبلوا ما تيسر من مهورهن؛ فإن من يمن المرأة تيسير صداقها كما قال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

يقول أحد الإخوة: تزوجت امرأةً ودفعت لها مهراً كبيراً؛ فما طاب -والله- عيشي معها، وكنت أكرهها، وما أطيقها، فاضطرت بعدها إلى أن أطلقها،

ثم تزوجت غيرها، وكان المهر كذلك كبيراً، وقريبا من مهرها، فكرهتها، ثم طلقها، ثم تزوجت امرأةً بمهرٍ يسير، لكنني أحببتها، وطابت نفسي بها، وارتاح قلبي لها، وبقيت هي الزوجة التي قضيت حياتي معها، وأصبحت أمًّا لأولادي!
 فيا ليت قومي يعلمون! ويا ليت أولياء الأمور يعقلون ويدركون! كثيرٌ من الآباء يعلمون هذا، ويعلمون أنه لا يجوز المغالاة في المهور، وأن تيسير الزواج هو قرينةٌ إلى الله تعالى وتطبيقٌ لشريعته،

لكن التقليد الأعمى، والطريقة العاشمة، الظالمة، الظلماء، التي تسود في بعض الأماكن في غلاء المهور وتحديدها، والمباهاة بها، هي التي تجعله يفعل ما يخالف دين الله، وسنة رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

فكن قدوةً أيها الأب الكريم، كن قدوة، كن لينةً صالحة، كن مفتاح خير؛ حتى يقتدي بك أهل بلدك، وقبيلتك،

وسل نفسك -أيضاً- ما هي المصلحة التي ترجوها؟ وما هي الفائدة التي تريدها عندما تبالغ وتشرط كذا وكذا من الأموال في مهر ابنتك، وأنت تعلم أنه سيعود إليها، وحليها ولباسها سيكون خاصاً بها -إن لم تتحايل عليها- وستمكث طوال عمرها في بيت زوجها، فلماذا ترفع مهرها، وتمنع زواجها؟! هل من أجل أن يقال



عنك: زوج ابنته بكذا وكذا؟! فهذه والله منقصةٌ، ومذمةٌ فيك عند الرجال العقلاء
الكرماء!

كم هن النساء اللاتي لو رجع إليهن أبائهن؛ لقاتل الواحدة منهن بلسان
حالها، ومقالها: أريد رجلاً يحفظني، ويكرمني، وأعيش معه شبابي، ويكون
زوجاً لي في دنياي، وآخرتي!

بل - والله - وصل الحال ببعضهن إلى أنها تصرح بذلك، وتقول فيمن ارتضت
دينه، وخلقه: لا أريد منه شيئاً، وسأكفي نفسي بنفسي، لكن ليتقدم إليّ، ويطلبني
من أهلي، وإخواني!

فارحموا أيها الآباء البنات، والأبناء واتقوا الله في النساء، فما للنساء إلا
الرجال، وما للرجال إلا النساء.

اتقوا الله في هذه السنة الإلهية، واعلموا أن من رفض زواج ابنته لغير عذر
شرعي؛ فإن ولايته تسقط على ابنته، وعادت إلى رجل رشيد من إخوانها، وأقاربها
كما يقول العلماء. فواجبٌ، واجب على الآباء، وجميع أولياء أمور النساء، أن
يتقوا الله بوصية رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «إذا جاءكم من ترضون دينه، وخلقه،
فزوجوه؛ إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفسادٌ كبير!»^(١).

واجبٌ عليك واجب، وحرامٌ عليك حرام، أن ترجمها للمفسدين - الذين لا يعرفون ديناً، ولا صلاة، ولا حلالاً، ولا حراماً، حرامٌ عليك أن تزوجها على تارك الصلاة؛ مهما كان ماله، وحسبه، وجوده، وكرمه، بل وخلقته، وأي خلق معه وقد ساء خلقه مع ربه؟! فمن ترك الصلاة فقد كفر، هكذا قال:

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

أيضا ليس عيباً عليك أن تعرض ابنتك للصالحين؛ فقد فعل ذلك من هو خيرٌ منك كما سمعت، ليس عيباً عليك أيتها المرأة أن تبحثي عن الصالحين، فقد فعلت ذلك من هي خيرٌ منك - خديجة أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وأرضاهما - ولو لم تفعل ما سعدت بسيد ولد آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فلتترك العادة السيئة، والنعرات، والأعراف المخالفة، ولنقتد بهؤلاء الكرماء، النبلاء، إن التشبه بالكرام فلاح.

أسأل الله العظيم أن ينفعنا بما سمعنا.....



(مخالفات الزواج، ومنكرات الأعراس)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَآنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿بِأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ ءَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠] يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ، فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر

الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المسلمين والمسلمات، إن نعم الله علينا عظيمة، وكثيرة، في جميع

أمورنا، ومراحل حياتنا؛ ولكن قليلاً من الناس من يستشعرها ويشكرها، كما قال

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سورة سبأ: ١٣].

تحدثنا معكم في الجمعة الماضية: عن نعمة الزواج وفوائده، وعن مفسد وأضرار عوائقه.

نعم أيها الناس، نعمة الزواج نعمة عظيمة، وفيها ما فيها من المصالح العظيمة، تستوجب منا شكرها، وذكرها.

وحدثنا في هذا اليوم عن أولئك الذين أنعم الله عليهم بهذه النعمة العظيمة؛ لكنهم ما شكروا الله حق شكره، وقابلوا هذه النعمة بالمخالفات، والمعاصي، والمنكرات، وأذية المسلمين والمسلمات،

نعم حدثنا عن مخالفات الزواج، وعن منكرات الأعراس؛ التي تحصل في مجتمعنا وأعراسنا، حدثنا عن المنكرات التي أصبحت - في بلادنا - ظاهرة سيئة، ومزرية، والله المستعان.

وسنجعل هذه المنكرات، والمخالفات، على نوعين، وقسمين: ما يحصل قبلها، وما يحصل في أثنائها، أما ما يحصل بعدها فسنجعله من ضمن حديثنا عن المشاكل الزوجية بإذن الله تعالى.

فنقول - والله المستعان - ومن غيره استعان لا يعان.

من المخالفات التي تحصل قبل الزواج: هي تلك الظاهرة السيئة عند كثير من

أولياء الأمور، -هدانا الله وإياهم- وهي: أن الخاطب أو الراغب في الزواج إذا



تقدم لخطبة فتاةٍ ما؛ عامله وليها، ومن له سلطةٌ عليها، كأنه فريسةٌ بين يديه، أو غنيمةٌ وصلت إليه، وطلب من الزوج أشياء وأشياء، ود بعدها لو قضى حياته، أو شبابه عازباً منفرداً!

نعم هكذا بعض الناس، إذا تقدم لابنته أحد من الشباب؛ جعله كالفريسة بين يديه، ويريد أن ينهش منه من جميع جوانبه، فيبدأ بالزوجة، ومهرها المقدم، والمؤخر، ثم تكاليف عرسها، والصالة، أو القاعة التي سيجلسون عليها، ويعرسون بها، ثم يفرض لأمها، وأخواتها، وعمتها، وكأنه سيزوجه العائلة كلها، وكأن بعض الناس يعبر عن نفسه بشروطه، وتعتته، على عدم احتياجه، ورغبته في ستر ابنته، أو يريد أن يغرَس الكراهية والأحقاد من أول لقاءٍ في قلب من تقدم لابنته!

وكم وكم سمعنا عن أناسٍ وشبابٍ تقدموا ورغبوا في الزواج، ورغبت الفتاة، وولي أمرها - كذلك - فيمن تقدم إليهم، ثم لما حضرت الأنفس الشح، وبدأت الشروط، والتعتتات، وإلزام الشاب بأمورٍ وعادات ما أنزل الله بها من سلطان، بل قد تكون من خطوات وتزيين الشيطان، عند ذلك تذهب الرغبة، وتضيع المحبة، والله المستعان!

فعلى الآباء، وأولياء أمور النساء: أن يتقوا الله في حقوق بناتهم، ومن وُلُو عليهن، ولا ينبغي لهن أن يأخذوا من مهرهن شيئاً، أو يوزعوها هنا وهنا: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [سورة النساء: ٢٠]!

ومن المخالفات التي تحصل من قبل أولياء الأمور هي:

حرمان الخاطب، ومن تقدم للزواج من النظرة الشرعية؛ التي أذن، بل أمر بها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من أراد الزواج، فقد قال المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فيما رواه الترمذي، وصححه الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطبت امرأة على عهد رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال رسول الله: «أنظرت إليها؟». قلت: لا. قال: «انظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» (١).

نعم. إذا أردت، وأردت، وأردتما، أن تدوم الحياة بينكما: فانظر إليها، ولتنظر إليك؛ لتكونا على بينة من أمركما، وليستمر الود والحب بينكما ومن هنا نقول، ونوجه رسالة إلى أولياء الأمور: إن الرجل الغيور الذي يمدح على غيرته: هو الذي يجعل غيرته منضبطةً ومنقادةً لشرع الله، تسير حيث سيرها، وتنقاد حيث قادها.

(١) رواه الترمذي في سننه (١٠٨٧).



وإن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث حثنا على النظر إلى المخطوبة؛ قد بين سر ذلك بقوله: إنه أحرى أن يؤدم بينكما.

إن رسول الله يريد منا أن تكون حياتنا مبنية على الألفة، ومليئة بالود والمحبة بين الزوج وزوجته، التي ستكون سكنه ولباسه، وشريكة حياته، وأم أولاده.

وان كثيراً من الناس الذين لا يعملون بهذه الوصية النبوية؛ هم من أكثر الناس تأذيًا، وشكايًا ممن زوجوهم بناتهن، هذا إن بقيت الزوجة مع زوجها،

كم هي حالات الطلاق التي تحصل في الشهور الأولى من الزواج؟ بل كم هي المشاكل التي تحصل في الأيام الأول؟ وحين يُسأل الزوج: ما السبب يا فلان؟ قال: ما حصل انسجام، ما أحببتها، جاءت على غير الوصف الذي قيل لي عنها، وربما قال: ما رأيتها إلا يوم زفها محارمها! سبحان الله!

ألم يقل رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ انظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكما. أيرضيك أيها الأب أن ترجع إليك ابنتك إلى بيتك وهي في الشهور الأولى من زواجها، أم يرضيك أن تعيش مع رجلٍ وهو لا يطيقها؟!

أحدهم تزوج بامرأة دون أن ينظر إليها، وفي ليلة زفافها نظر إليها، ثم خرج وتركها، ولا تسأل حينها عن المشاكل التي حصلت بعدها؛ نسأل الله الستر

والعافية!

وكم هي القصص المؤلمة التي حصلت بسبب عدم النظرة الشرعية، وبسبب التقاليد والعادات، السيئة، التي يظن أهلها أنهم يحمدون عليها. سنة رسول الله فوق عادتك، وفوق قبيلتك ورفضك لذلك هو اعتداء على حق ابنتك، شعرت أم لم تشعر.

تعجب من بعض الجهلة! يوم يستنكر ويرفض هذا الأمر العظيم، وهذه السنة النبوية، وتشتد حدته، وتعظم غيرته حين تقول له: يا فلان رسول الله أمر بذلك، وحث على ذلك، وقال كذا، وكذا، ولكنه يأبى أشد الإباء، ويقول: ليس من عادتنا، ولا يمكن أن نمكّن أحدا من أن ينظر لبناتنا!

وربما ابنته تتردد مراراً وتكراراً على طبيب الأسنان - مثلاً - فينظر إليها، بل ويمسها، ويحسها، وقد تذهب إلى طبيبٍ آخر، ويحصل فوق ذلك.

وقد تذهب إلى من يفصل الملابس، فيقيس لها، ويفعل ما نستحي من ذكره هنا.

بل سله: لماذا تسمح لزوجتك، أو ابنتك أن تصافح ابن خالها، أو ينظر إليها ابن عمها، أو غيرهما ممن لا تحل لهم ولا يحلون لها؟ بل أخوك أنت، من الذي أباح لك أن تسمح له ولها أن تنظر إليه وينظر إليها؟ بل يأكل معها، ويصافحها، وقد يحصل ما هو أعظم من ذلك، أين غيرتك؟! أين دينك؟! أين رجولتك؟ قد



تقول لي: هذه ضرورةٌ وحاجة، إلى غير ذلك، فنقول لك: أي ضرورة تتحدث عنها؟!

ولو سُئِمَ لك أنها ضرورة، فبالله عليك: أليست النظرة الشرعية ضرورة؟ أليست هذه حاجة يحتاج إليها الرجل لينظر إلى من ستكون له لباسا، وسكنا يأوي إليها، ينظر لها ليرى هل ستكون هذه هي الزوجة التي ما سيتطلع إلى غيرها؟ كذلك المرأة - وهذا من حقها - أن تنظر إلى الرجل كما ينظر إليها، فلها رغبات وطلبات، كما للرجل رغبات وطلبات: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨].

فعلى الآباء، ومن لهم ولاية على النساء؛ أن يتقوا الله في هذا الأمر العظيم، وفي هذه السنة الشرعية، وألا يمنعوا ما شرعه الله، وحث عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

كذلك الأزواج لا ينبغي لهم أن لا يتركوا ما يكون سبباً لدوام الحياة الزوجية، وأن لا يكتفوا بالكلام، والأوصاف، والمبالغات التي تنقل إليهم؛ فقد يرى الواحد منا ما وصف بالجمال قبيحا، وما وصف بالقبيح جميلا، فأذواق الناس، وأبصارهم تختلف؛ كاختلاف أجسادهم، وطبائعهم.

وحين نتكلم عن النظرة الشرعية قد تحزن بعض النساء من هذا الأمر؛ وتقول:
ولماذا كل هذا؟! وهل أصبحت المرأة إلا كالسلعة تباع، وتُشترى، من أراد أخذها
ومن لم يعجب بها تركها؟!!

أليس هذا إهانةً وإذلالاً لها؟ أقول لك: يابنة الإسلام: لا، ليس هذا إذلالاً لها،
بل هو من إكرام الله لها، والاعتناء بحقها، وكما هو عليها هو أيضا لها، فكما هو
يريد أن ينظر إليك؛ فأنت تحتاجين إلى أن تنظري إليه، فإن شئتِ قبلتيه، وإن
شئتِ رفضتيه.

ثم سلي نفسك أيهما أحسن، وأحب إليك: هل يتركك قبل أن يمسك؛ وأنت ما
زلت في بيتك، أم بعد ذلك، وقد حصل ما حصل؟ وخاصةً إذا قد رزقكم الله
أولادًا، وقد ربما يُعيرك، ويحسبك أنك ما جئتِ على رغبته، ولا على طلبه
وبغيته، إلى غير ذلك من الشكاوى التي تأتي من قبل النساء؛ والله المستعان!

أيضا ليس شرطاً في رؤيته لك: أن تتقابلا، ويحصل بينكما مواجهةٌ ولقاء،
كذلك نقول للأب: إن خشيت من انكسار نفسها، وجرح مشاعرهما، فاجعله ينظر
إليها بدون علمها، بل حتى بدون علمك على الصحيح من أقوال العلماء؛ إن كان
جاءاً وصادقاً في زواجها فلقد روى الإمام أحمد، وصححه الألباني

رَحِمَهُمَا اللهُ: عن أبي حميد الساعدي، قال: قال: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



«إذا خطب أحدكم المرأة فلا جناح عليه أن ينظر إليها، إذا كان إنما ينظر إليها لخطبته؛ وإن كانت لا تعلم»^(١).

وروى الإمام أحمد أيضاً: عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا خطب أحدكم المرأة؛ فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها، فليفعل. قال جابر: فخطبت جاريةً من بني سلمة؛ فكنت اختبئ لها، حتى رأيت منها بعض ما دعاني إلى نكاحها؛ فتزوجتها»^(٢).

أظنني قد أطلت النفس في قضية، ومسألة النظرة الشرعية، وما ذاك إلا لأنني أرى بعض من يستنكرها، ويجعلون أعرافهم، وعاداتهم فوقها، ولكن الحق أحق أن يتبع، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل. ولنعلم جميعاً أن ديننا لا يأمرنا إلا بما يصلحنا، وينفعنا، ويرفعنا:

وكل ما ينفعنا قد شرعه وكل ما يضرنا قد منعه

كذلك من المخالفات، بل ومن المنكرات؛ التي تحصل قبل الزواج: ما يحصل من ظلم بعض أولياء الأمور في حقوق ومهور بناتهم، فإذا حصلت البنت على مهرٍ ما، لشراء حليها ولباسها، وما تحتاجه إلى زوجها وزواجها، إذا

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٣٦٠٢).

(٢) رواه أحمد (١٤٥٨٦).

بعض الآباء، أو بعض الإخوة، والأولياء، يوزعه يميناً، وشمالاً، لخالتها، لعمتها، لأقاربها، ولعله يشتري ضيافة ضيوفه؛ من حين ما استلم مهر ابنته، وهكذا لا يأتي وقت زواجها إلا وقد صرف نصف أو أكثر صداقها، فيظل بعدها حائراً فيما بقي من صداقها، هل يشتري به ذهبها، أو ملابسها، أو الضروريات، والمستلزمات، التي ستصل بها إلى بيت زوجها؟ فيضطر حينها إلى أن يشتري لها أبخس الأشياء، والأزياء ليكسر قلبها، وليحطم آمالها التي كانت تؤملها في مهرها، وأنها ستشتري به كذا وكذا، ولعلها تُعير بذلك من قبل أهل زوجها.

وبهذه الطريقة الجشعة، الظالمة، يصور الرجل جشعه عند أصهاره من أول معرفته، ويُظهر لهم بجشعه، وأخذ مال ابنته، معزة ابنته وحبّها في قلبه. فاتقوا الله أيها الآباء، ويا من جعل الله لكم ولاية على النساء؛ بحقوقهن، ومهورهن التي كتبه الله لهن.

أسأل الله أن يرزقنا التمسك بدينه، وأن يجنبنا ظلم عباده! أقول قولي هذا وأستغفر الله لي، ولكم، ولجميع المسلمين؛ من كل ذنب؛ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم!



(الخطبة الثانية)

الحمد لله أمر بتقواه، وأخبر أن من اتقاه وقاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أيها المسلمون عباد الله، تحدثنا معكم في الخطبة الأولى عن بعض المخالفات التي تحصل قبل الزواج، ثم يكون الحديث بعد ذلك عن بعض المخالفات، والمنكرات التي تحصل في أثناء الزواج، وفي وقت الأعراس.

فمن ذلك: وجود مكبرات الأصوات، وإحضار المغنين، والمغنيات؛ الذين ينغقون بأصواتهم في المحافل، والمجامع، ويصطحبون في وقت نعيقهم المزامير، وآلات اللهو والطرب، والكلمات البذيئة، والمثيرة،

ومبرراتهم في أذية المسلمين، والمسلمات: هو أن هذا اليوم هو يوم عرس، وأن هذا يوم النور، ولا بد فيه من إظهار الفرح، والسرور، وإسعاد العريسين في يوم زواجهما، وعرسهما، الذي يعد يوم العمر لهما، وما هكذا -والله- تورد الإبل ما هكذا -والله- تقابل هذه النعمة العظيمة، بالمعاصي، والحرام، ما هكذا تشكر النعم، يا أصحاب القيم والشيم ولعل هذه المخالفات، ورفع أصوات المغنين، والمغنيات؛ قد تكون سبباً في إدخال الضيق، والنكد، والمشاكل، والحسد، على الزوجين في أول لقاءهما.

وقد تكون سبباً في إدخال الشياطين إلى بيوتهما، بل قد يصابا أو يصاب أحدهما بالمسّ، والسحر، وإدخال الشياطين التي تعشعش فيهما، وتقلب الأفراح إلى أتراح، وتقلب السعادة إلى نكدٍ وشقاوة، كذلك من منكرات، ومخالفات الأعراس: هو ما يحصل من الترف، والسرف بالأموال؛ وذلك بالمبالغة بصنع الولائم، وإحضار أصحاب المزامير، وإهدار عشرات ومئات الآلاف بإطلاق النار، وغير ذلك من العادات والتقاليد التي تختلف من مكانٍ إلى آخر.

والذي يحزن القلب: أن بعض من يفعل هذه المخالفات هم: ممن يُتوسم فيهم الخير والصلاح، لكن لا ندري ما الذي يحصل لهم في أوقات المناسبات؟ ومن الذي يسوغ لهم فعل هذه المنكرات، والمخالفات؟ نسأل الله الثبات على دينه، والمحافظه على شريعته، في السراء والضراء، والشدة والرخاء!

من مخالفات، ومنكرات الأعراس هو: اختلاط النساء بالرجال، وهذا ما يحصل في وقت الزواج وقبل الزواج، وخاصةً تلك العادة السيئة القبيحة؛ يوم يدخل الزوج مع مخطوبته؛ قبل أن يعقد عليها في وقت خطبتها، وهي لم تزل أجنبيةً عنه، ولا تحل له ولا يحل لها، ومع ذلك يجلس بجوارها، ويُشربها ما يُشربها، وقد ربما يتصور معها.



كل ذلك بمحظرٍ حافلٍ من النساء الأجنبية، والقريبات، والبعيدات، بل قد يحصل في ذلك ما يحصل من الرقص، والمنكرات، ومما لست أذكره من الوقاحة، وقلة الحياء، نسأل الله الستر والعافية!

كذلك من منكرات الأعراس: هو ظهور التبرج، والسفور، وقلة الحياء من عديمات الحياء، فبعض هؤلاء إذا دخلت بيت عرسٍ، أو صالة فرح، نزعت وخلعت حياءها قبل دخولها، فلا تسأل عن الكلمات الساقطة، ولا تسأل عن الرقصات الساذجة، والأجساد العارية،

هذا - والله - واقع، ويحصل في بعض الأماكن، والمناطق، ولا بد أن نتحدث عنه، ولا بد أن نُحذر الناس منه، وإلا - بالله عليكم - ما فائدة هذه المنابر التي نصعد عليها، إن لم تعالج أمراض الناس، وتحذر منها؟!!

ولا نريد من خلال عرض هذه المنكرات، والمخالفات، أن نضيق واسعاً، أو أن نحرم مباحاً، كلا وألف كلا، ففي ديننا فسحة، وفي أفراحنا سعة، وقد جعل الله لكل شيءٍ قدرًا.

فجائزٌ لنا، ومسموحٌ لنا: أن نعلن عن فرحنا، ونفعل ما شئنا مما أباحه الله لنا.

كذلك النساء لا بأس بفرحهن، وتزينهن، وضربهن بالدف، وغير ذلك؛ مما هو في نطاق المشروع والمسموح.

كذلك من المخالفات التي تحصل في الزواج هو ظلم البنات، وذلك بتزويجهن بمن لا يرغبن فيهم،

فترى بعض الآباء - خاصة في بعض المناطق، والقرى - يلزم ابنته أن تتزوج بمن لا ترغب في الزواج به؛ وذلك لعدة أغراض، وأطماع!

قد يزوج بعضهم ابنته على من لا ترغب فيه؛ لعادة سيئة انتشرت في قبيلته، وهي أنهم لا يزوجون من كان بعيداً منهم، أو غريباً عنهم، وأنهم لا يزوجون بناتهم إلا من كان منهم، وفيهم، وقد يكون ذلك غروراً منهم، وإعجاباً بقبيلتهم، وأنه لا يوجد من يكافئهم،

كذلك من الأغراض في تزويج البنات من لا يرغبن في الزواج منه؛ أن يزوج الرجل ابنته رجلاً من قبيلةٍ عرفت بجاهها، أو كثرة مالها؛ وذلك افتخاراً منه بأنه صاهر أناساً صفتهم كذا وكذا، ولكي يقال زوج ابنته من بيت فلان، أو من القبيلة الفلانية، وكل هذا على حساب ابنته، مع ذلك هي كارهةٌ لذلك، وقد تأبى أشد الإباء، بل قد تقسم الأيمان على عدم رغبتها، وقد تتوعدهم بقتل نفسها، أو أن تفعل كذا، وكذا إن هم زوجوها.



وبعضهم قد يزوج ابنته بأحد أقاربه، وهي غير راغبة، بل كارهة، لكن أباهما
الظالم يفعل ذلك ليتحایل على مهرها، وما افترضه الله لها.
فقد يتفق مع أخيه، أو أحد أقاربه؛ أن يزوج كل واحدٍ منهما ابنته للآخر، ومهر
هذه يكون مقابل لمهر الأخرى، فتتزوج ابنة هذا بولد هذا بدون مهر، فيحصل ما
يحصل من الظلم، والقهر، وتحصل أمورٌ لا تحمد عقباها!
فقد تعيش المرأة مع رجلٍ لا تحبه، ولا يحبها، ولعلها لا تطيقه ولا يطيقها،
عند ذلك لا تتعجب، ولا تستغرب يوم تحصل المشاكل المستمرة بين الرجل
والمرأة.

لماذا...؟ لأنه جاءها، وجاءته، بدون اختيارهما؛ ولأنه ما حصل هناك
انسجام، ولا توافقٌ بينهما.

فإلى الآباء، وإلى أولياء أمور النساء: اتقوا الله في أولادكم وبناتكم، وزوجوهم
باختيارهم، لا باختياركم، واعلموا أن الحياة الزوجية مبنية على الوفاق، والألفة
والمحبة، وأن كل واحدٍ مع من أحبه، وزوجة المؤمن في الدنيا هي زوجته في
الآخرة.

ولا نقصد بذلك هو عدم تدخلك أيها الأب فيمن تقدم لابنتك، ليس كذلك،
فمن حقلك إذا تقدم لابنتك من لا ترضي دينه، وخلقته، أن ترده، بل وتلزم ابنتك
أن ترفضه، فأنت الذي ربيتها، وأنت المسئول عنها،

لكن قصدنا، ومقصود حديثنا، هو ألا تكرهها على زوج وهي لا تريده؛ حتى ولو ارتضيت أنت دينه، وخلقه، لأنها هي التي ستعيش معه، وهي التي ستسكن إليه وتلبسه. فإن فعلت فاعلم أنك ظالم لها، ولعلها ستكون لك خصماً بين يدي ربها، وأنت السبب في كل المعاناة التي عاشتها، وعانتها مع هذا الزوج الذي جاءها باختيارك، لا باختيارها.

هذه بعض المخالفات التي تحصل في زواجنا، وأفراحنا، وأعراسنا، وما بقي منها أكثر منها، ولكن مقصودنا، ومطلب حديثنا، هو أن نتقي الله في كل وقتٍ وحين، في أفراحنا، وأحزاننا، في شدتنا، ورخائنا، ولنعلم أن السعادة الحققة، والفرحة كلَّ الفرحة؛ هي بالتمسك بدين الله، والعمل بما يرضيه.

هذه هي الحياة الطيبة، التي أخبر الله عنها بقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٧].

أسأل الله العظيم أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته! أسأل الله أن يغفر ذنوبنا، وأن يصلحنا ويصلح نساءنا، وأن يجعلنا من أسعد الناس بطاعة ربنا...





(عظمة حق الزوج على زوجته)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة البقرة: ٧٠]. ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر

الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون عباد الله: لقد كتب الله على عباده حقوقاً متنوعة، فمنها

الواجبة، ومنها الممنوعة، وجعل لها مراتب، ودرجات، فمنها الصغائر، ومنها

الموبقات، وإن من أعظم هذه الحقوق والواجبات - بعد حق الله ورسوله - هو

حق الأزواج على الزوجات، الذي هو موضوع حديثنا في هذه اللحظات،
المعدودات، ولقد كان حديثنا معكم في الجمعة الماضية؛ عن حقوق زوجاتنا
علينا، وذكرنا ما ذكرنا من وصايا حبيبنا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بأزواجنا في حياته،
وحين وداعه لأمته، وأصحابه، وهو يقول: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً؛ فإنما هن
عوانٍ عندكم، ألا هل بلغت؟ ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد».

نعم لقد تحدثنا في الجمعة الماضية عما أوصانا به حبيبنا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**
تجاه نساءنا، وها نحن في هذه الجمعة، وفي هذه الخطبة المباركة، النافعة لنا
ولنساءنا، ومن سيسمعنا- بإذن ربنا- ومن بيده قلوبنا - نتكلم عن حقوق الأزواج
على الزوجات، وما لذي ينبغي لهم فعله من الطاعات والقربات.
ونحب أن ننبه أنفسنا، وإخواننا، ونساءنا، أنه ينبغي علينا أن نأتمر بأمر ربنا،
ونمثل قول نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ونصغي بأسماعنا، وقلوبنا إلى ما يريد الله منا.
فحيث ما سمعت أيها الزوج، وأيتها الزوجة نصّاً، أو حثّاً، أو نهياً يأمركما، أو
ينهاكما، فيما يتعلق بالحقوق التي بينكما،

فإياكما، ثم إياكما أن تقدما عواطفكما، أو رغباتكما على أمر ربكما، أو تأخذا ما
يناسبكما، وتركا ما خالف أهواءكما،



ولتعلموا أن الله لا يأمر ويشرع إلا ما يصلحكما، ويسعدكما، ويعود نفعه عليكما، فهو سبحانه أعلم بمصلحتكما، وأرحم بكما من أنفسكما: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٦].

ومن هنا نوجه رسالة للنساء عامة، ولمعشر الزوجات خاصة، إليك أيتها الزوجة، أيتها الأم المربية: كما تعلمي، وكما قد سمعت في الخطبة الماضية من تلك الحقوق، والواجبات التي لك، وشرعها الله من أجلك، وألزم بها زوجك، وكما أنك تعتزي، وينشرح صدرك بالحقوق التي فرضها الإسلام على زوجك؛ فلا بد لك، وينبغي عليك، ورجاؤنا منك في هذا اليوم أن: تصغي بأذنيك، وتعيرينا سمعك؛ للحقوق التي تجب عليك تجاه زوجك، وتقولني بقول ربك: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور: ٥١].

فهيا اسمعي يا بنّة الإسلام، إلى ما قاله ربك سبحانه وتعالى وقاله رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حق زوجك عليك؛ لتكوني على بينة من أمرك، ولتعلمي ما يريد الله وما لا يريد منك.

وما سأستوعب حقوق زوجك عليك في مقامي هذا، ولكنني سأقتصر على بعضها، وأهمها، فمن ذلك - وهو أوسعها، وأعمها-: حق طاعته بالمعروف، وعدم عصيانه، ومخالفته، يقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾** [سورة النساء: ٣٤]،

نقل ابن كثير **رَحْمَةُ اللَّهِ** عن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** في قوله: **﴿قَوَّامُونَ﴾**، قال: «يعني أمراء عليهن، أي: تطيعه فيما أمرها به من طاعته، وطاعته أن تكون محسنة إلى أهله، محافظةً لماله» (١).

ويقول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فيما صححه الألباني **رَحْمَةُ اللَّهِ: «خير النساء اللاتي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها، ولا في ماله بما يكره. ثم تلا هذه الآية: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾**» (٢).

معاشر المسلمات، أيتها الأمهات، والزوجات، إن معرفتك لحقيقة القوامة التي جعلها الله لزوجك، ومعرفتك بالحقوق التي فرضها الله على زوجك من أجلك سيجعلك تعرفين حقيقة قوامته، وحق طاعته، وما افترضه الله عليك وأوجه من أجله،

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩٣).

(٢) رواه أحمد (٧٤٢١)، والنسائي (٣٢٣١).



فلقد أمره الله بالإنفاق عليك، والاعتناء بك، ولباسك، وطعامك، وما تحتاجين إليه في حياتك؛ حتى ولو كان معك ما يكفيك، ويغنيك؛ إلا أنه مطالبٌ، ومأمورٌ بمطالبك، فمن أجل ذلك ترين زوجك يجد ويتعب من أجلك، ومن أجل أولادك، ومن أجلك قد يعمل بأصعب الأعمال وأشقها، وقد يلاقي ما يلاقي من مصاعب الحياة وأتعاها، ومن أجلك قد لا يهنأ في طعام، ولا يغمض في منام، ومن أجلك قد يترك بلاده، وأولاده، وأحبابه، وأقاربه، ويظل في غربته وقتاً من عمره، وشبابه، ومن أجلك أنفق مجهود شبابه، وخلاصة أتعابه؛ حتى جاءك بصدائق، ولباسك، ولوازم زواجك.

فاعرفي - رحمك الله - حق زوجك، وكوني من خيار النساء اللاتي وصفهن رسول الله ﷺ. فإذا نظر إليك سرَّ برؤيتك، وانشرح صدره باستقبالك، وحسن خطابك وتحبيك، وإذا ما أمرك استجبت لأمره، وابتعدت عن مكابرتة، ومخالفته؛ كوني محافظة على ماله، وثمره جهده وتعبه، ولقمة عيشه، وقوت أولاده تحببي إليه، توددي إلى قلبه، أشعريه بطاعتك، وبانقيادك، فهو سعادتك، وسبب لرضاء وحب خالقك **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

معاشر المسلمين، والمسلمات، إن حق الزوج عظيم، بل هو أعظم الحقوق بعد حق الله عزَّجَل. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وليس على المرأة حقُّ بعد حق الله ورسوله أوجب من حق الزوج»^(١).

نعم أيتها المرأة، إن معرفتك لحق زوجك؛ ليهون عليك طاعته، ويجعلك تتلذذين بمحبته، وتستمتعين بخدمته وإن المرأة العاقلة، الرشيدة، هي التي تستشعر أن طاعة زوجها هو طاعةٌ لربها، وخالقها؛ لأنه هو الذي أمرها، وحثها، ورغبها، بل لو كان السجود جائزاً لأحد غير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها فلقد روى ابن ماجه، وصححه الألباني رَحِمَهُمَا اللهُ أن معاذ بن جبل لما قدم من الشام سجد للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له: «ما هذا، يا معاذ؟!». قال أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، فوددت في نفسي أن أفعل ذلك بك، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فلا تفعلوا؛ فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله؛ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها!»^(٢).

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢ / ٢٧٥).

(٢) رواه ابن ماجه (١٨٥٣).



وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما صححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ «حق الزوج على زوجته؛

أن لو كانت به قرحةٌ فلحستها ما أدت حقه!»^(١)،

بل إن حق الله تعالى عليها متوقف على أداءها حق زوجها؛ فقد روى ابن ماجه،

وصححه الألباني رَحِمَهُمَا اللهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «والذي نفسي

بيده لا تؤدي المرأة حق ربها، حتى تؤدي حق زوجها!»^(٢).

سبحان الله العظيم! أي تقدير واحترام، وأي إكرام واهتمام، من رب العالمين

للزوج على زوجته!

الله جَلَّ جَلَالُهُ بعظمته، وقوته، يخبر عنه رسوله «أن المرأة لا تعد مؤديةً لحق

خالقها، ورازقها، حتى تؤدي حق زوجها»^(٣).

بل قد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أصرح، وأشد من ذلك - كما عند الترمذي،

وصححه الألباني رَحِمَهُمَا اللهُ: «ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم: العبد الآبق

حتى يرجع، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وإمام قوم وهم له كارهون!»^(٤).

نعوذ بالله من سخط الله، وعقابه!

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٤١٦٤).

(٢) رواه ابن ماجه (١٨٥٣).

(٣) رواه أحمد (١٩٤٠٣).

(٤) رواه الترمذي (٣٦٠).

أيرضيك أيتها الزوجة الصائمة، القائمة، أيسرك أيتها العابدة المتصدقة؛ أن أعمالك من صلاة، وصيام، ومجلس ذكرٍ، وحضور الخير والعلم، إلى غير ذلك؛ ولا تقبل منك بسبب سخط زوجك عليك.

فهلأ أصلحت حالك، وطلبتِ رضاء زوجك؟ فهو أنسك، وسكنك، ولباسك، وأنت له، وهو لك.

وقد كان من حرص النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أنه يسأل عن حال الزوجات مع

أزواجهن؛ حرصاً عليهن؛ ففي الصحيحة للعلامة الألباني **رَحِمَهُ اللهُ** عن

الحُصَيْنِ بْنِ مَحْصَنٍ، أن عمته له أتت النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في حاجةٍ فقضى

حاجتها، فقال لها رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «أذات زوج أنت؟» قالت: نعم،

«قال كيف أنت له؟». فقالت: ما آله إلا ما عجزت عنه، فقال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**:

«فانظري أين أنت منه؟ فإنما هو جنتك، ونارك!»^(١).

ما أحرانا أمام هذه الوصية النبوية، وأمام هذه التوجيهات التربوية، ما أحوج

الآباء مع بناتهم، والعلماء والنصحاء؛ مع من جاء يطلب نصحتهم وإرشادهم إلى

أن يوجهوهم، وأن يوصوهم بأزواجهم.

(١) رواه أحمد (١٩٠٣).



نعم، سل ابنتك أيها الأب، سلها كيف هي مع زوجها؟ وهل هي قائمةٌ بحقوق بيتها؟ هل تحفظ زوجها في ماله وأولاده؟ هل هو راضٍ عنها؟ هذا إذا كنت تحبها، وتخاف أن يسخط عليها ربها.

أما أن تسألها عن معائب زوجها؟ وعدد أخطائه، وما الذي تنقمه عليه؟ وتحرضها، وتشعرها بمساندتك لها؛ فهذا غشٌّ لها، وخرابٌ لبيتها، وسببٌ لغضب الله عليها.

وصدق أو لا تصدق؛ أن كثيراً من أسباب المشاكل الزوجية، وخراب البيوت الأسرية هم الآباء والأمهات، هن الأعمام، والعمات، كما سيأتينا في المشاكل الزوجية.

فيا أيتها المرأة هذا هو زوجك، وهذه هي مكانته، ومنزلته، عند خالك، فامتثلي له، وانقادي لتسعدي بدنياك وآخرتك؛ فإن السعادة، والكرامة، هي بالطاعة والاستقامة.

فإذا أردت السعادة فهذا هو طريقها، إن أردتِ طعم الإيمان، ولذته؛ فزوجك باب من أبوابها، فقد قال **صلى الله عليه وسلم** « لا تجد المرأة حلاوة الإيمان: حتى تؤدي حق زوجها».

بل إن طاعة المرأة لزوجها هو سبب عظيم لدخولها جنة ربها؛ فقد قال
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيما صححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «إذا صلت المرأة خمسها،
وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من
أي أبواب الجنة شئت!» (١).

ولقد أدركت النساء الصالحات عظيم حق أزواجهن عليهن؛ فكُنَّ من خير من
امثل أمر نبيهن عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قالت امرأة سعيد بن المسيب رَحِمَهَا اللهُ: «ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلمون
أمراءكم، أصلحك الله، عافاك الله» (٢).

وتقول أم حميد رَحِمَهَا اللهُ: «كان نساء أهل المدينة إذا أردن أن يبينن بامرأة علي
زوجها؛ بدأن بعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فأدخلناها عليها، فتضع يدها على رأسها، ثم
تدعو لها، وتأمرها بتقوى الله، وحق زوجها» (٣).

وكانت تقول رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: يا معشر النساء: «لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن؛
لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بخد وجهها».

(١) رواه أحمد (١٦٦١).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١٩٨ / ٥).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٧٤١٦).



وأوصت أمامة بنت الحارث التغلبية ابنتها وهي تزفها إلى زوجها - الحارث ابن عمرو- فكان مما قالت: بنية، إنك قد فارقت الحمى الذي منه خرجت، والعش الذي فيه درجت، إلى وكرٍ لم تعرفيه، وقرينٍ لم تألفيه، فأصبح بملكه لك مليكا، فكوني له أمةً؛ يكن لك عبداً وشيكا، وأشد ما تكونين له إعظاماً أشد ما يكون لك إكراماً، وأشد ما تكونين له موافقة أطول ما يكون لك موافقة، واعلمي يا بنية أنك لا تقدرين على ذلك حتى تؤثري رضاه على رضاك، وتقدمي هواه على هواك، فيما أحببت أو كرهت. فيا للكلام.

فلو كن النساء كمثل هذي لفضلت النساء على الرجال

كذلك من الحقوق بل هو من أعظم حقوق الزوج على زوجته، ومن أعظم مقاصد النكاح، هو حق الفراش، الذي من خلاله يحصل الستر والعفاف، وتحصل المصالح الدينية، والدينية والبدنية.

فإن الله قد أودع في الرجل غريزةً في جسده؛ تجذبه وتدفعه إلى المرأة بطبيعته، وبما أودع الله في جسده؛ لذلك شرع له الزواج ليقضي وطره، ويحصن فرجه.

فإذا امتنعت الزوجة عن زوجها، وعن هذا المقصد العظيم من زواجها؛ فقد

عصت زوجها، واستحقت بذلك السخط والغضب من ربه.

فلتسمع المرأة أي ذنبٍ ترتكبه، وأي عقوبةٍ تستحقها؛ إذا امتنعت عن فراش زوجها.

روى الإمام مسلم - في صحيحه - عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسي بيده؛ ما من رجلٍ يدعو امرأته إلى فراشها؛ فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها»^(١).

وروى البخاري، ومسلم رَجَمَهُمَا اللهُ عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت؛ فبات غضباناً عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح!»^(٢). نعوذ بالله من لعنة الله، وغضبه، ونعوذ بالله من سخطه وعقابه!

معاشر المسلمين، والمسلمات، إن الغريزة الجنسية التي أودعها الله في الرجل قد تسيطر عليه أحياناً سيطرةً عظيمة، تكاد تغطي عقله، وتشل تفكيره، وقد تتحرك فيه، وتشعله بدون اختياره، وتأتية بوقتٍ، ومكان دون إرادته، وقوة ذلك، وتأثيره في الرجال باختلاف غرائزهم، وطبائعهم التي أودعها الله فيهم.

(١) رواه مسلم (١٤٣٦).

(٢) رواه البخاري (٥١٩٣)، ومسلم (١٤٣٦).



ولذلك أرشد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المرأة، بل وأمرها إذا دعاها زوجها لحاجته منها، فلتأته ولو كانت منشغلة بإعداد خبزها، وطعامها فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيما رواه الترمذي، وصححه الألباني رَحِمَهُمَا اللَّهُ عن طلق بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته؛ فلتأته وإن كانت على التنور!» (١).

نعم، فلتأت زوجها، وإن كان خبزها على تنورها، وإن لم يكن من يقوم معها، بل وإن سقط خبزها في تنورها؛ لأن إعفاف زوجها؛ أولى من طعامه، وطعامها. فإياك ثم إياك، وحادرا ثم حذار أيتها المرأة أن تعصي زوجك في عفته، وقضاء وطره؛ لأنك بذلك قد منعته من الحلال، ولعله قد يفعل الحرام وأنت السبب في ذلك. فقد أرشد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «من رأى امرأة لا تحل له فليأت زوجته التي تحل له؛ فإن معها مثلها».

وروى ابن حبان، وصححه الألباني عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج، وقال: إن المرأة إذا أقبلت،

(١) رواه الترمذي (١١٦٠).

أقبلت في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة أعجبتة فليأت أهله؛ فإن معها مثل الذي معها!»^(١).

ولعل امتناعك سيجلب النفرة، والوحشة، بينكما، وستنشأ المشاكل المستمرة في حياتكما، ولماذا كل هذا؟ لماذا؟ لأنك له وهو لك، وأنت لباسه، وهو لباسك، وأنت سكن له وهو سكنك، وأنت أرضه وهو بذرك، وسقاؤك، ولا تستغني عنه، ولا يستغني عنك.

وقد قيل في الدراسات العلمية: إن هرمون الجماع له علاقة كبيرة في المحبة بين الزوجين.

وقبل ذلك هو قرابة عظيمة عند الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**؛ فقد قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** «وفي بضع أحدكم صدقة»^(٢)، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته؛ ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام كان عليه وزر؟». قالوا: نعمز قال: «كذالو وضعها في حلال، كان له أجر».

(١) رواه ابن حبان (٥٥٧٢)، والترمذي (١١٥٨).

(٢) رواه مسلم (١٠٠٦).



وقلّ أن تجد مشكلةً بين زوجين؛ إلا وسوء علاقة الفراش له دورٌ وحظٌّ في ذلك، بل حتى في حالات الطلاق، وتعدد الزوجات، إلى غير ذلك من المشاكل والخلافات.

فتجنبي أيتها المرأة ما يغضب زوجك؛ خاصةً في فراشه، واستشعري أن هذا أمر خالك **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** احتسبي أجرك على الله بإعفاف زوجك، وإدخال السرور على قلبه، وكسب محبته، ومودته.

أسأل الله أن يعيننا على حقوق نساءنا، وأن يعين نساءنا على أداء حقوقنا! أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم، ولجميع المسلمين، من كل ذنب؛ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم!



(الخطبة الثانية)

الحمد لله أمر بتقواه، وأخبر أن من اتقاه وقاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

معاشر المسلمين: قبل مواصلة حديثنا عن حقوق الأزواج على زوجاتهم، نحب

تنبيه بعض الأزواج الذين يسمعون هذه الحقوق التي لهم، ونقول:

أيها الأزواج، إن أمر الله لزوجتك بطاعتك، وتخويفها، وترهيبها من مخالفتك في فراشك، ليجعلك تستشعر حقها، وترأف بها وترحمها؛ خاصة وقت حاجتك منها، فإذا كانت مريضة - مثلاً - فلا تكلفها، وتتعبها، وإذا كانت غريزتك فوق طاقتها؛ فلا تشق عليها، ولكن اشغل نفسك بما يخفف رغبتك فيها، فهي إنسان لها وعليها.

كذلك إياك ثم إياك أن تطلب منها ما حرمه الله عليك، وعليها؛ بأن تأتيها في مكان لا يحل لك منها، كدبرها، أو في أيام حيضها، وإن فعلت فإنك ملعون، فقد قال عليه الصلاة والسلام كما روى أبو داود وصححه الألباني رحمه الله: «ملعون من أتى امرأة في دبرها». (١)

(١) رواه أحمد (١٠٢٠٦)، وأبو داود (٢١٦٢).



وقال في روايةٍ أخرى- كما صحح ذلك الألباني- رَحِمَهُ اللهُ -: «ملعون من أتى

حائضًا، أو امرأة في دبرها! ومن أتى كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد!»^(١).

ولعلكم تعجبون، أو تستغربون من طرق، وذكر هذه الفاحشة المنكرة على

مسامعكم الطاهرة،

فأقول: وأنا -والله- أعجب مثلكم، ولولا أمانة التبليغ لاستحييت من عرض هذا

الكلام على مسامعكم، لكني -والله- ما زلت أسمع بين الحين، والآخر، ويصلي

ذلك بطريقةٍ، وبأخرى، أن هناك من بعض المعكوسين من يُكره امرأته على إتيانها

في دبرها، ويهددها وقد يضربها.

ألا قاتل الله أصحاب الشهوات البهيمية الذين يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو

خير، والأقدار، والأنجاس، والأماكن الممنوعة، بالأماكن الطاهرة المباحة

المشروعة.

ولعل هؤلاء قد يعبرون بذلك عن دناءتهم، وسوء أفعالهم، ودسائسهم قبل

زواجهم بزوجاتهم.

فيا من يفعل ذلك أبشر بلعنة الله لك، أبشر بلعنة الله لك من فوق سماواته، وإن

طاوعته المرأة، وشاركته في قذاراته؛ فقد تشاركه في اللعن، وفي الوعيد وتبعاته!

(١) رواه الترمذي (١٣٥).

لا يجوز، لا يجوز للمرأة أن تمكن زوجها من إتيانها في المكان الذي حرمه الله عليه وعليها، نعم لا يجوز لها ذلك وإن هدها بفراقها، وطلاقها فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وهذا الموضوع قد يتحرج منه كثيرٌ من الناس، فأقول: لهذا طرقته، وطرحتة، وعرضته، فإن كثيراً من النساء قد تشكو، وتعاني من هذه القضية، ومن شناعة هذه الفاحشة المنكرة، لكنها تستحي من ذكرها، ولا تدري لمن تشتكيها، أو تسأل عنها، ولعلها تجلس زمناً عند زوجها، وقد يصبح الأمر هيناً ومهيناً عندها، ولا يُكتشف أمرها إلا بعد ما تحصل هناك مشكلةٌ بينها وبين زوجها، فتخرج أسرارها، ويخرج أسرارها؛ سأل الله الستر والعافية!

كذلك من حقوق الزوج على زوجته أن تحفظه في نفسها، وماله في حال غيابه عنها، وأن تصون ماله عن التبذير، وشراء ما لا يتناسب مع حالته، وقدرته، فهي مسئولة عن مال زوجها؛ فلقد روى البخاري، ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها، ومسئولةٌ عن رعيتها»^(١).

(١) رواه البخاري (٨٩٣).



وسئل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: عن خير النساء؟ فقال: «هي التي تحفظك في غيبتك

في نفسها، ومالك» (١).

نعم، إن من علامة خيرية المرأة: أن تحافظ على مال زوجها، وتحافظ على نفسها، وعرضها، في حال غياب زوجها عنها، كذلك تحافظ على مال زوجها، في حال غياب زوجها عنها، وفي حال إقامته معها، فإذا وضع عندها مالاً، أو أرسل لها من غربته شيئاً، فلا بد أن تحفظه، ولا تأخذ منه إلا ما يسد حاجتها، وتستشعر فيه تعب زوجها، وبعده عنها، فهو ما اغترب، وابتعد عنها، وعن أولادها إلا من أجل أن يوفر لهم لقمة عيشهم، وألا يجعلهم يلجأون، أو ينظرون إلى غيرهم. ولعله قد يحرم نفسه من أشياء، أو مآكل، ومشارب يحبها، ويشتهيها؛ لكنه يحرم نفسه منها من أجل أن يرجع إلى بلده، ويعمل له مصدراً وسبباً لرزقه وورثته أو ولاده.

وللأسف بعض النساء تعامل زوجها كأنه عدوها، أو غريمها، وكأنها تريد أن تنتقم منه من خلال كثرة مطالبها، وتعدد حوائجها، فترى بعض الناس له زمنٌ في غربته، ومع ذلك ما استطاع أن يبني له بيتاً، أو يقضي عنه ديناً، أو حتى يعيش كجيرانه، أو بقية أسرته، فإذا ما أرسل لها مالاً يكفيها طوال شهرها؛ فما هي إلا أيام وإذا بها

(١) رواه الطبراني (٣٨٦).

ترسل له قائمة من الطلبات، وتأتيه بالمنغصات، والمزعجات، فلا هو سلم منها في بلده، ولا في حال بعده وغربته، فليس هؤلاء من خيار النساء، ليس هؤلاء من خيار النساء،

كذلك تحفظ ماله إذا كان معها، بحيث لا تكثر من طلباتها، وتعدد رغباتها، فلا تكلفه فوق طاقته، ولا فيما يتناسب مع وضعه وحالته.

إياك: أيتها المرأة أن تشعري زوجك، أو يشعر منك بعدم الرفق بماله، أو بعدم الرحمة بجهدته، وتعبه. إياك: إذا وضع عندك مالاً لقوته، وقوت أولاده؛ أن تفرقيه، وتمزيقه بما لا يعود نفعه عليك، وعلى أولادك، واعلمي أن هذا المال ما وصل إليك إلا من تعب وكد زوجك.

نقول هذا الكلام لأننا نسمع كثيرا من الأزواج يئنون من زوجاتهم؛ لعدم حفظهن لأموالهم.

أحدهم يقول: قد مضى على غربتي سنوات وما شعرت أني وفرت لي شيئا يعود لمستقبل أولادي، والسبب أن زوجتي تنزفني بكثرة مطالبها، فإن أبيت أن أعطيها حركت مشاعري، وأسالت دموعي، وجعلت أولادي هم الذين يطالبونني؛ استغلالاً لعاطفتي وبعدي عن أولاد.



وآخر يقول: زوجتي كثيرا ما تذكر لي أن فلانة، أو بيت فلان معهم ومعهم، أو ما معنا مثلهم. وآخر يقول: إني اشتري حاجات وضروريات بيتي التي تكفيني إلى أن أستلم مرتبي، أو إيجار بيتي، فبسبب تبذيرها، وعدم تدبيرها، لطعامنا، وحاجاتنا، ما إن ينتصف الشهر إلا وقد كتبت لي قائمة مليئة بالحاجات، والطلبات.

ومنهم من يقول: إن مدخولي الشهري لا يساوي عشر مدخول جارها، أو زوج أختها، أو بيت أبيها، ومع ذلك كلما اشتروا شيئاً طلبت مني أن أشتري لها مثلهم، أو أكسو أولادي ككسوتهم، وقد تعيرني بفقرتي، وقلة مالي.

وكم وكم هي الصور والمواقع التي يتوجع الأزواج من زوجاتهم، بعدم حفظهن لأموالهم، والرفق بهم، فليس هؤلاء من خيار النساء، فالمرأة الخيرة هي التي تحافظ على مال زوجها، ولا تخرج منه إلا ما أذن ورضي لها، بل إن من حسن عشرتها لزوجها أن تستأذنه حتى في المال الخاص بها، فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم -: وليس للمرأة أن تنتهك شيئاً من مالها إلا بإذن زوجها، فالمرأة قد لا تحسن التصرف بمالها، فقد تبيع حليها، أو إرثاً ورثته عن أبيها، فتشتري به ما لا يعود عليها نفعها، بل قد يضرها.

ولا نعني بذلك أن يكون الزوج شحيحاً مع زوجته، وأن يحاسبها عن كل صغيرة، وكبيرة، ولا نعني بذلك إقرار ما يفعله بعض الأزواج حين يأكل، ويشرب، بالآلاف، ثم يحاسب زوجته على دقائق الأشياء التي صرفتها من ماله، أو أن يأكل، ويشرب ما اشتتهت نفسه، ثم يترك زوجته، وأولاده يعانون قسوة الحياة، وشظف العيش، لا ولا، ولكن قد جعل الله لكل شيءٍ قدراً، وكلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته.

كذلك من حق الزوج على زوجته: أن تحفظه في حال غيابه عنها.

فإن المرأة الحرة، الحصينة هي التي تعلم أنها لزوجها، وأن زوجها لها، فإذا استشعرت ذلك؛ فعليها أن تحفظ نفسها، وعفتها، وعفافها، فلا تبدي زيتتها إلا لزوجها، ولا تخضع بصوتها إلا لشريك حياتها، ولا تعرض مفاتها إلا لمن جعله الله لباساً لها،

فإذا كان زوجها مسافراً عنها؛ فلا تفعل ما يغضبه، ولا تخرج إلا بإذنه، وإذا خرجت فلتحافظ على عفافها، وحيائها، ولا تلبس ما يظهر مفاتها، وإذا أرادت أن تشتري شيئاً؛ فلا تكثر من الكلام مع الرجال الأجانب عنها، وتمازحهم ليفتتوا بها، أو تخضع لهم بالقول ليخفضوا الأسعار لها،



وإذا ذهبت مكانا فلا تنزع ثيابها في غير بيت زوجها، قل مثل ذلك: النظر إلى الرجال الأجانب عبر جوالها، أو شاشة بيتها، هذا كله من حفظها لزوجها. ومن حفظها - كذلك - لزوجها أن لا تُخرج أخباره، وتفشي أسرارها، - حتى مع أقرب الناس إليها؛ لأن زوجها هو الذي سيقى لها، وستعيش معه حلو الحياة، ومرها. فبعض النساء ما إن تجلس مع أمها، أو أحد أقاربها، بل حتى إحدى صديقاتها، إلا وتخرج جميع أسرار زوجها، حتى - للأسف - تتكلم عن أمر الفراش الذي بينها وبين زوجها.

ألا فاتقي الله أيتها الزوجة، واحفظي زوجك في ماله، وعرضه، وجميع أسرارها؛ لتكوني من خيار النساء اللاتي وصفهن رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بخيار النساء. من حق الزوج على زوجته أن تَقْرَ في بيتها، وألا تخرج بغير إذن زوجها، والأصل في قرارها قول الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣] وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما عند الترمذي، وصححه الألباني رَحِمَهُمَا اللهُ عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «إن المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون من رحمة ربها وهي في قعر بيتها»^(١).

(١) رواه الترمذي (١١٧٣).

وإن من صفات المرأة المطيعة لزوجها هي التي ليست بخراجة، ولا ولاجة أي: لا تكثر من الدخول، ولا من الخروج من بيتها.

وإن المرأة العاقلة، الرشيدة هي التي تمثل أمر ربها، وتجعل البيت قرارها، ومقرها، هي التي تعلم أن البيت للمرأة كالقوقعة بالنسبة لجوهرتها، تزداد فيه ضياءً، وبهاءً، ونوراً، وجمالاً، وحين تخرج منه يخبو نورها، ويتضاءل ضياؤها، ويذهب حسننها، وجمالها؛ فالبيت حصن المرأة الحصين، وملجؤها الأمين.

فاجعلي البيت قرارك أيتها المرأة، فإذا ما دعتك الحاجة لأن تخرجي؛ فليكن خروجك بإذن زوجك، وأشعريه بوجهتك، ومقصد خروجك، وإياك أن تكثري؛ فإن ذلك لا يتناسب مع قرارك الذي هو أمر ربك **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وإلى الله المشتكى من نساء هذا الزمان، فلقد أصبحنا نراهن في كل مكان، فبعض النساء لا يقر لها قرار، ولا يهدأ لها بال؛ إن لم تخرج يوماً من بيتها، فتراها في الأسواق التجارية، والمحلات، وصلالات الأعراس، والمناسبات، وربما كل يوم وهي في بيت واحدة من جيرانها، وأحسنهن هي التي تذهب إلى بيت أهلها، حتى أصبح استئذان الزوجة من زوجها في هذا الزمان نسياً منسياً.

ولا نعني بذلك منع النساء من خروجهن من بيوتهن، فقد تحتاج المرأة أحياناً لأن تخرج لمرض، أو زيارة، أو صلاة، أو سماع خطبة ومحاضرة، أو غير ذلك.



أما أن يكون الخروج ديدنها، فيوما عند أهلها، ويوما عند جاريتها، ويوما في السوق لتشتري بعض حاجتها، ويوما في عرس صاحبها، حتى أصبح بعض النساء يتفقن مع بعضهن، ويجعلنا لأنفسهن جدولاً لعدد أيام أسبوعهن، فيوما عند فلانة، ويوما في سوق أو زيارة، وهكذا.... والله المستعان.

فالله الله أيتها المرأة، فليس هذا من الأدب، والمعاشرة بالمعروف مع أزواجكن، ومن جعل الله له القوامة عليكن، أسأل الله أن يهدينا، وإياكن.

كذلك من حق الزوج على زوجته: **ألا تدخل بيته أحداً يكرهه إلا بإذنه، ولو كان من أقاربها، أو أقاربه، فقد روى الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه»^(١).

فالرجل له القوامة على بيته، وعلى زوجته، فمن حقه أن يدخل بيته من شاء، ويمنع من شاء، فإذا منع الزوج زوجته من إدخال أحدٍ من أقاربها، أو أقاربه؛ فلا يجوز لها أن تخالفه في ذلك، فقد يعلم الزوج مثلاً أن أحداً من أقارب زوجته إذا دخل بيته أفسد عليه زوجته بأي نوعٍ من أنواع الإفساد؛ فيضطر إلى أن يمنعها من إدخاله.

(١) رواه مسلم (١٢١٨).

فالمراة ضعيفة، وسريعة العاطفة، فقد يدخل عليها أخوها ويملاً قلبها على زوجها، أو تدخل عليها أمها، وتعلمها، وتحرضها على أن تكثر المطالب على زوجها، ويجعلها كفلانة من أقاربها، أو قد تكون لها صاحبة من جيرانها، أو من أهل حيها وهي سيئةٌ بسمعتها، ومشهورةٌ بقلة حياؤها، فتتأثر الزوجة بمن دخل بيتها.

فمن حق الزوج أن يمنعها، فإن لم تفعل فهي عاصيةٌ لزوجها، ومخالفةٌ لأمر نبيها **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

ولا ينبغي للزوج أن يمنع زوجته؛ أن تدخل أحداً من أقاربها؛ إلا إذا خشي فسادها، أو إفسادها، أما بدون ذلك فليتق الله فيها؛ فإنه سي جلب لها العداوة مع أهلها، ولعلها ستكون كالطريدة بين أقاربها.

كذلك من حق الزوج على زوجته القيام بخدمة بيته، وإعداد طعامه، وشرابه،

فهذا من المعاشرة بالمعروف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللهُ**: «فيجب

على المرأة خدمة زوجها بالمعروف، من مثلها لمثلها، ويتنوع ذلك بتنوع

الأحوال، فخدمة البدوية ليست كخدمة القروية، وخدمة القوية ليست كخدمة



الضعيفة»^(١)، ولا شك أن هذا من مقتضى الحياة الزوجية، فكما أن الزوج يكده، ويتعب، في السعي وراء رزق أولاده، وعول عائلته، كذلك المرأة تتعب في خدمة زوجها، والقيام على بيتها، وتربية أولادها.

وهذا ما كانت عليه الحياة في زمن، وعهد نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**؛

فلقد روى البخاري **رَحْمَةُ اللَّهِ** عن أسماء بنت أبي بكر الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، قالت تزوجني الزبير، وما له في الأرض من مالٍ، ولا مملوك، ولا ناضح، غير فرسه، فكنت أعلف فرسه، وأستقي الماء، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على رأسي، وهي مني على ثلثي فرسخ، فجئت يوماً والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ومعه نفرٌ من الأنصار^(٢).

وروى البخاري **رَحْمَةُ اللَّهِ** أن فاطمة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** كانت تشكو من يدها، وهي تخدم علياً **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** كانت تشكو التعب الذي تعانيه من خدمة زوجها، وهذا يدل على أن ذلك من حق الزوج على زوجته. فعلى المرأة أن تخدم زوجها، وتعتني بنظافة بيتها، وإعداد الطعام لزوجها، وأولادها^(٣).

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٤/ ٩١).

(٢) رواه البخاري (٥٢٢٤)، ومسلم (٢١٨٢).

(٣) رواه البخاري (٥٣٦١)، ومسلم (٢٧٢٧).

ويستحب للرجل أن يقوم بخدمة أهله، ويعينها في خدمة بيتها. فهذا لا ينقص من رجولته، ولا من قوامته، بل هو دليل على حسن عشرته، ومودته لزوجته؛ فقد كان **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يقوم بخدمة أهله، كما تقول عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**.

كذلك من حق الزوج على زوجته؛ وبها نختم حديثنا، **أن تشكره، وتعترف بفضله، وبإحسانه؛** فهو الذي يطعمها، ويكسوها، ويتعب من أجلها، ويقوم على مرضها، ودوائها، ومدة حياته معها وهو قائمٌ بحقها.

فواجبٌ عليها أن تشكره، وتذكره، وتعترف بخيره، وإحسانه. وإن لم تفعل فقد عرضت نفسها لعقوبة ربها، بأن الله لا ينظر إليها؛ فقد قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فيما صححه الألباني **رَحْمَةُ اللَّهِ:** «لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر لزوجها؛ وهي لا تستغني عنه!»^(١).

فإياك أيتها المرأة أن تكوني ناكرةً للعشرة وجاحدةً للنعمة، إياك أن تكوني كبعض النساء اللاتي يحسن إليها زوجها، ويلبي رغباتها، ويؤدي حقوقها، واحتياجاتها، ويظل محسنًا زمنًا وعمراً معها، ثم إذا ما قصر عليها يوماً بشيء

(١) رواه الحاكم في مستدرکه (٢٧٧١).



أنكرت، وجحدت، وكفرت العشير، وقالت ما أخبر به النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -:
«ما رأيت منك خيراً قط!»^(١). والله المستعان.

ما أحوج النساء، خاصةً في هذا الزمان، وهذه الأيام، في ظل هذه الأوضاع التي
أوجعت كثيراً من الأزواج، وقهرت كثيراً من الرجال، إلى أن تظهر المرأة جلدها،
وتصبر على زوجها.

فكم سمعنا عن امرأة تنكرت لزوجها، وطلبت منه أن يطلقها، عندما انقطع
عن عمله، أو عن وظيفته، وهو الذي عاش معها سنوات من عمرها، وصبر على
اعوجاجها، وتقلب معها بين حلو الحياة ومرها.

فالحذر أيتها المرأة من النكران، والكفران، الحذر من النكران والكفران
فتخسري زوجك، وتبأسي بحياتك، فقد أثبتت الدراسات: أن أسعد النساء مع
أزواجهن هن الشاكرات لهم، المعترفات بفضلهم.

ختاماً: أيتها المرأة العاقلة، أيتها الزوجة الفاضلة، إنما سمعته من هذه
الحقوق التي تجب عليك تجاه زوجك، وشريك حياتك، وسكنك ولباسك،
ليست صادرةً من قوانين غريبة، أو أحكامٍ وضعية، ليس منبعها ممن يدعون زوراً،
وتضليلاً بالحقوق الإنسانية، إنما هي صادرةٌ عن رب البرية، وعن رسوله أرحم

(١) رواه البخاري (٥١٩٧)، ومسلم (٩٠٧).

الخلق بالبشرية؛ فاجعلي هذه الحقوق فوق رأسك، ولتطب بها نفسك، وينشرح لها صدرك؛ لتؤدي حق زوجك بكل إذعانٍ وتسليمٍ واطمئنان.

إياك، وإيانا جميعاً أيها الناس أن نفهم من عرض هذه الحقوق هو تجبر، وتكبر الرجال على النساء، واستضعافهن، وإذلالهن، وبخسهن من حقوقهن، لا وكلا، وألف كلا؛ فلهن حقوق، وعليهن حقوق، وقد ذكرنا قبلُ بعض حقوقهن، وأفردنا هذه الجمعة بالحقوق التي عليهن، وستحدث في الخطبة القادمة - إن شاء الله - عن الحقوق المشتركة بينهن وبين أزواجهن.

أسأل الله العظيم بمنه، وكرمه: أن يصلحنا، وأن يصلح نساءنا! نسأل الله أن يصلحنا لنسائنا، وأن يصلح نساءنا لنا، وأن يجعل هذه الخطبة وما سيأتي بعدها سبباً للحياة الهانئة بين الأزواج والزوجات، وأن يجعل حياتهم عامرةً بالطاعات، والقربات...



(حق الزوجات على أزواجهن)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].
 ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.
 أيها المسلمون عباد الله، روى الإمام الترمذي في سننه، وصححه الألباني رحمهما الله، عن عمر بن الأحوص الجشني رضي الله عنه، قال:

خطب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجة الوداع فقال - وهو يودع أمته، ويوصيهم بمجموعة من التوصيات، وكان مما أوصاهم به وصية عظيمة، فرط فيها كثيرٌ من الرجال، وتعدوا حدود الله فيها، ألا وهي الوصية بالنساء، فقال الرحمة المهداة، والنعمة المسداة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً؛ فإنهن عوانٌ عندكم - أي: كالأسيرات - أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ألا فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بالنساء خيراً، ألا هل بلغت؟ ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم فاشهد! اللهم فاشهد!»^(١).

نشهد أنك قد بلغت الأمانة، وأديت الرسالة، وتركت الأمة على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

أيها المسلمون عباد الله، إن الله حرم الظلم على نفسه، وجعله بين عباده محرماً، وأخبر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أن الظلم ظلمات يوم القيامة»

ألا وإن من أعظم الظلم أن يظلم الإنسان زوجته، ومن جعلها الله مقراً، وسكناً، ومأوىً يأوي إليه».

(١) رواه الترمذي (١١٦٣).



أيها الناس، أيها الرجال، إن المرأة ضعيفة، وإنها أمانة عند زوجها، ولا يكرمها إلا كريم، ولا يهينها إلا لئيم.

ولقد حث النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على حقوق النساء في حياته، حتى وهو يودع هذه الدنيا في آخر حياته، فقد روى مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة؛ إن كره منها خلقاً رضي منها آخر، أو قال: غيره»^(١)،

فأين نحن من هذه الوصية النبوية؟ أين نحن من الإنصاف، والعدل مع نسائنا، وحياتنا الزوجية؟ أين نحن من وصية حبيبنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! أين أولئك الرجال الذي يريد الواحد منهم أن تكون زوجته على أكمل وجه، وأتم حال، أين الرحمة؟ أين التعامل الحسن؟ أين أولئك الذين لا يذكرون من نسائهم إلا المعايب؟ أين أولئك الذين يقيمون الدنيا ولا يقعدونها إن صدر من زوجاتهم خطأً، أو غير ذلك؟ أين نحن من هذه الوصية النبوية؟ أين أولئك الذين يجرحون، ويسبون، ويهددون، ويلعنون، ويشتمون؟ أين أولئك القساة من هذه الوصية النبوية؟ لا يفرك مؤمن مؤمنة؛ أن كره منها خلقاً، رضي منها آخر.

(١) رواه مسلم (١٤٦٩).

زوجتك أيها الرجل، إن كرهت منها خلقاً فتذكر محاسنها وإحسانها، إن أخطأت، أو قصرت يوماً- ومن منا يسلم من ذلك - فتذكر أخلاقها، وتذكر صبرها، إن كرهت خلقها، فتذكر خلقها، وإحسانها، إن كرهت طعامها تذكر صبرها على فقرك، ومعاناتها لجفائك، وطباعك.

تذكر أنها هي التي تطبخ طعامك، أنها هي التي تغسل ثيابك، أنها هي التي تكرم أضيافك، أنها هي التي تقوم بتربية أولادك. فالله الله بوصية رسول الله، لا يفرك مؤمنٌ مؤمنةً، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر.

ثم انظر في نفسك هل تؤدي حقوقها؟ هل تلبى رغباتها؟ هل تقوم بحاجاتها؟ هل تهتم بطعامها، ومسكنها، وملبسها؟ هل تؤدي حقوق الله فيها التي قال الله عنها: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨].

وروى أبو داود في سننه، وصححه الألباني - رَحْمَةُ اللَّهِ - عن معاوية بن حيدة قال: قلت: يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ - ما الذي يجب علي تجاه زوجتي -؟ قال: «أن تطعمها مما طعمت، وأن تكسوها مما اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت»^(١).

(١) رواه أبو داود (٢١٤٢).



الله المستعان أيها الناس، أين نحن من حقوق زوجاتنا علينا؟ لنكن صرحاء مع أنفسنا، فاليوم حياة، وغداً سنرحل عن هذه الحياة.

أين أنت أيها الزوج من هذا المال الذي وهبك الله إياه؛ من أجل أن تتمتع به مع زوجتك، وأولادك؟

أين أولئك الذين ينفقون الآلاف المؤلفة فيما ينفعهم، وفيما يضرهم، وزوجته ربما ما معها شيء من ذلك؟!

لماذا نرى بعض الأزواج يأكل، ويتمتع بأمواله، وزوجته ربما لها مدة من الزمن تشتهي أكلة تأكلها، أو لباساً تلبسه؟! لماذا كثير من الزوجات لا تعرف من زوجها إلا السب والتعير، واللعن، والتجريح، والتهديد؟ لماذا؟ أهى بهيمة عندك؟ لماذا تجرحها، وتسبها، وتلعنها، لماذا؟ وقد كنت قبل ذلك تتمسكن بين يدي أهلها، من أجل أن يزوجوك بها، والآن هذه هي معاملتك لها؟! هذه هي وصية النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فيها؟

لماذا كثرت الشكاوى من النساء؟ وأصبحت النساء يأتين والآهات تخرج من صدورهن، ودموعهن تسيل على خدودهن، وهن يشتكين من أزواجهن؟ لماذا أصبحنا نرى، ونعيش ألوانا، وصورا من ظلم الأزواج؟!
وكم وكم هي الشكاوى التي تأتي من قبل النساء؟!

إحداهن تشكو من زوجها بأنه يهجرها، ومبتعدٌ عنها، ويقسو عليها!
والثانية تقول: زوجي منشغلٌ بالمقاييل عني، وعن أولادي، ولا يقوم بحقوقنا!
لأنه مشغول بأصحابه، أو بجواله عنا!
وثالثةٌ تقول: زوجي لا يبالي بمشاعري، ولا بصحتي، ولا يبالي بتربية
أولادي، بل ربما حتى إلى المستشفى لا يأخذني!
وأخرى تقول: زوجي لا يسمح لي أن أذهب إلى أمي، وأبي، وأكثر من مرة
وهو يعيرني بإخواني، ويهددني بطلاقي، ويقول: كلما خرجتِ، وكلما دخلتِ،
وكلما فعلتِ، أو لم تفعلِ؛ فأنت طالق، وكبرت كلمةً تخرج من أفواههم!
هكذا يظن بعض الناس، وبعض أشباه الرجال أن رجولته وإبراز شخصيته هي
بهذه الكلمة، وكأنه يشعر بنقصٍ في رجولته، فيريد أن يكملها بهذه الكلمة الآثمة،
إن خرجتِ فأنت طالق، وحرام وطلاق إن فعلتِ، وإن دخلتِ، وإن لم تفعلِ أو
خرجتِ، الله المستعان!

بالله عليك لو كنت عاملاً، أو أجييراً عند رجل وكان يهددك بلقمة عيشك، أو
يهددك بفصلك من وظيفتك، كلما فعلت شيئاً، أو قصرت بشيءٍ هددك أنه
سيفصلك، أو يطردك من عملك، كيف سيكون شعورك؟! كيف سيكون عيشك
مع هذا الرجل الذي يهينك، ويهددك بقوتك، وقوت عيالك!؟



فاعامل الناس - رحمك الله - بما تحب أن تُعامل به، واعلم -أصلح الله بالك - أن الأيام دُول، والزمن دوار- كما يقال- وأن الحياة لا تستقيم، ولا تدوم على حال.

وكما أنك تريد من أصهارك، ومن أزواج بناتك أن يعاملوهن بالحسنى، وأن يقوموا بحقوقهن، كذلك أنت تعامل مع زوجتك بما تحب أن يعاملك به أصهارك، حتى يبسر الله من يقوم بحق بناتك، وإن لم تفعل؛ فارتقب، وانتظر حتى تكون معتبراً لكل معتبر، والتاريخ مليء بمصرع كل ظالم متجبر!

فكم هم أولئك الذين يشكون من الضيق، والكآبة، كم من رجل يشكو من الخسارة، أو عدم الراحة، وما علم أن سبب ذلك هو ظلم الزوجة، كيف لا وقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم إني أحرِّج عليك حق الضعيفين -اليتيم، والمرأة-»^(١). أي: ألحق الحرج على من ظلمهما، واعتدى عليهما!

وعقوبة الظالم - وخاصةً لأهل بيته، وأرحامه - معجلةٌ في الدنيا قبل الآخرة.

(١) رواه أحمد (٩٦٦٦)، وابن ماجه (٣٦٧٨).

فحذار، ثم حذار أيها الزوج من ظلم زوجته؛ فلعلها ستدعو عليك، وبدعوتها قد يتليك الله بمالك، أو بجسدك، فثلاث دعوات لا يردهن الله كما قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الله، ومنهن: دعوة المظلوم. وكيف إذا كان المظلوم امرأة، بل كيف إذا كانت زوجة، والله المستعان.

ويقول النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «يعمد أحدكم إلى زوجته فيجلدها جلد العبد، فلعله يضاجعها في آخر يومه»^(١). استغفر الله العظيم!

وهل يوجد من يضرب زوجته؟ هل يوجد من يمد يده على سكنه، ولباسه، وأم عياله؟! نعم - والله - يوجد من يفعل ذلك، إنهم أولئك القساة الأجلاف الذين يظن الواحد منهم أن رجولته، وقوامته هي بسطوته على زوجته، فكلما فعلت شيئاً ضربها، أو يهددها بضرها، وهكذا ربما لا تصبح ولا تمسي إلا على ضرب زوجها، أخزاها عند جيرانها، جرأ عليها أولادها، وهي صابرة من أجل بيتها، ومن أجل تربية أولادها!

ويلٌ لك ثم ويلٌ لك، من الذي جرأك عليها؟ ومن الذي أذن لك بضرها؟ أتستضعفها لأنوثتها، أم تضربها لقوامتك عليها؟ أما تخشى أن ينتقم الله منك

(١) رواه الطبراني في الكبير (٤٤٢).



بدعوتها، أو يسخر لك من الخارج من يأخذ بحقها؟ ألا فلنتقي الله جميعاً، ولنعلم أن لأزواجنا علينا حقوقاً، وإن لنا على أزواجنا حقوقاً، وما قدمت هذا الموضوع بين أيديكم، وطرحته على مسامعكم، إلا لكثرة المشاهد، والشكاوى، التي نسمعها عن بعض النساء اللاتي يعشن قسوةً، وجفاءً من قبل أزواجهن. أسأل الله أن يهدينا وإياهم!

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم، ولجميع المسلمين، من كل ذنب؛

فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم!



(الخطبة الثانية)

الحمد لله أمر بتقواه، وأخبر أن من اتقاه وقاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده، ورسوله. معاشر المسلمين العقلاء، أيها الرجال القوامون على النساء.

لقد سمعتم فيما مضى شيئاً من حقوقكم على نساءكم، فدعونا نسمعكم بعض حقوق نساءكم عليكم؛ لاسيما وقد وصّى بهن نبيكم، وحبيبتكم
صلى الله عليهن وسلم.

نعم أيها الزوج، إن لزوجتك عليك حقوقاً؛ فهي التي تقوم بخدمتك، هي التي تصلح طعامك، هي التي تكرم أضيافك، هي التي تربي أولادك، وإذا أردت أن تستشعر هذا فانظر حين تصاب بمرضٍ في جسدك، أو حين تسافر، أو تبتعد عن زوجتك، كيف يكون حالك مع أولادك، ومع ملابسك وطعامك وضيوفك؟

أيها الزوج، زوجتك هي التي حملت أولادك في بطنها، وما حصل لك عشر معشار ما حصل لها من تعبها ومعاناتها أيام حملها،



يروى أن أبا الأسود الدؤلي تخاصم مع زوجته إلى الحاكم: أيهما أحق بحضانة ولده؟ فقالت المرأة: أيها القاضي حملته مشقة، وتسعة أشهر وهو في بطني، ثم وضعته، وها هو الآن يترعرع في حجري كما ترى أيها القاضي.

قال أبو الأسود: أيها القاضي لئن كانت حملته، فقد حملته قبل أن تحمله، ولئن كانت وضعته، فقد وضعته قبل أن تضعه، قال القاضي: أجيبني أيتها المرأة، قالت: أيها القاضي لئن وضعه خفًا، فلقد وضعته ثقلاً، ولئن وضعه شهوةً، فلقد وضعته كرهاً، قال القاضي: سلّم لها ولدها ودعنا من سجعك!

نعم زوجتك هي التي ربت أولادك، وكانت تنام تسعة أشهر وهي تحملهم في بطنها، لا تنهأ في طعامها، ولا تغمض في منامها؛ فاعرف حقها. واعرف ما افترضه الله عليك نحوها.

إن من حق زوجتك عليك أن تصبر على أخطائها، وتحمل بعض اعوجاجها، وعنادها؛ فقد كانت أمهات المؤمنين يناقشن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وهو يسمع إليهن، ويتحمل نقاشهن، كما ستسمع، ويطرب سمعك من تعامله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** مع نسائه.

وإذا أردت أن تعرف خيرية الرجل؛ فانظر إلى ذلك الرجل الذي تسيء زوجته إليه وهو يتحملها، هو الذي تحرمه ويعطيها، ويتحمل أذاها،

بل - والله - لقد بلغ الحال ببعضهم أن زوجته كانت تسبه، وتشتمه، حتى سمع الجيران سبها وشتمها، فقالوا: ألا تسرحها؟ ألا تطلقها؟ فسكت، قالوا: ألا تجيبها، وترد عليها؟ - يعني: أين الرجولة نحوها - فرد عليهم قائلاً: أستحي أن يسمع الله مني كلمة تجاه زوجتي؛ فتغضبه عني!

الله أكبر! هذه هي الرجولة، هذه هي القوامة، حين أن يكون الطلاق بيدك، وزوجتك تحت قبضتك وقدرتك، ومع ذلك تتحملها، وتصبر عليها من أجل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، هذه هي القوة، وهذه هي الشدة، فليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد هو الذي يمسك نفسه عند الغضب.

إن من حق زوجتك عليك أن تراعي مشاعرها، وأن تعلم أنها الأسيرة عندك، لا تهددها، وتجرح مشاعرها وتهدد حياتها، وتكثر من الحلف بالطلاق عليها، فلعل الله سيغنيها عنك، ويخلصها منك، فإياك أن تهددها، وتكثر من إذلالها.

أيضا من حق زوجتك عليك أن تهتم بمطعمها، وتهتم بملابسها، وبحاجات بيتها، بالقوامة التي فضلك الله بها عليها، لا كما يفعله كثير من الأزواج ممن لا يهتمون بنسائهم، ولا بمطعمهن، وكسوتهن، وفي الوقت نفسه يصرف الآلاف والأموال الكثيرة فيما ينفعه وفيما يضره، وقد تضطر بعض النساء إلى أن تعمل بيدها من أجل أن تطعم نفسها، وأولادها، وربما تدعوها الحاجة إلى أن تبيع



حليها من صدرها، ولا يكتفي بعض الأزواج الظلمة بتقصيره بحقها، وحق أولادها، وإنما يأخذ عليها حليها، وزيتها، فيعريها من ذهبها، ربما في السنوات الأولى من زواجها، فتظل المسكينة محرومةً من زيتها، ولعلها تستحي من نظر أخواتها إليها، أو عند ما تُسأل عن ذهبها، وكلما طالبت زوجها بحقها، صرف لها مواعيد مطاطة، وكاذبة، وإذا ألحت عليه نهرها، وقهرها، وهددها، وربما مد يده عليها، ألا فاتقوا الله أيها الأزواج في زوجاتكم، واعلموا أنكم ستسألون عنهن، ولعلهن سيكن خصمًا لكم بين يدي ربكم.

ختامًا نقول: إن من حق زوجتك عليك أن تعدل معها إذا ما تزوجت عليها، وكذلك تعدل مع الثانية إذا تزوجت بها، فكم هي الآهات، والأنات، والزفرات التي تخرج من بيوت المعددين - أصلحهم الله - ربما يظلم زوجته الأولى، أو ربما يظلم زوجته الأخرى، فإذا ما تزوج على الأولى تنكر لها، وقهرها، ونهرها، وهي التي صبرت عليه، وعاشت معه حلو الحياة ومرها، وقد ربما يظلم الأخرى، ويصرف حبه، وماله للأولى؛ باعتبار أنها رفيقة حياته، ومربية أولاده، وأنها التي صبرت عليه في حال فقره، إلى آخره...، وكأن الثانية ما جاءت إلا لمتعته، وخدمته، والله المستعان.

ألا فاتقوا الله أيها المعددون، اتقوا الله أيها المعددون، وإن لم يكن لنسائكم من يأخذ بحقهن، فعدالة الله لن تنساكم، عدالة الله لن تنساكم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [سورة إبراهيم]

ثم نقول - أخيراً - : أيها الأزواج، لتعلموا أننا ما فتحنا هذا الموضوع من أجل أن نجرى نساءكم عليكم، فحقكم أيها الأزواج عظيم، وقد تحدثنا عنه في الجمعة الماضية، ولو لم يكن فيه إلا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها!»^(١)؛ لكننا - كما سمعتم - طرقتنا هذا الموضوع لكثرة الشكاوى التي نسمع بها من كثيرٍ من النساء المستضعفات، ولأجل العدل، والإنصاف الذي أمرنا به الأرض والسموات، فكما أننا تحدثنا عن حقوقنا على زوجاتنا، فكان لزاماً علينا أن نتحدث عن حقوق زوجاتنا علينا. أسأل الله العظيم أن يوفقنا لأداء حقوق زوجاتنا، وأن يوفق زوجاتنا للقيام بحقوقنا.....



(١) رواه ابن ماجه (١٨٥٣)



(حقوق مشتركة بين الزوجين)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠]. يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝﴾ [سورة الأحزاب: ٧١-٧٠].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر

الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون عباد الله، إن في خلق السماوات، والأرض وما أودع الله فيهما

من المخلوقات لآياتٍ تدل على عظمته، وقدرته، وعظيم إحسانه بمخلوقاته.

ولقد خص الله بالذكر بعض هذه المخلوقات، وجعلها من آياته التي تدل على وحدانيته، ورحمته، فمن ذلك آية الزواج، التي قال الله عنها: ﴿ وَمَنْ ءَابَيْتِهٖ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢١) [سورة الروم: ٢١].

ولقد ختم الله هذه الآية بالتفكير، ليرينا أن نعمة الزواج لا يعرف قدرها، ولا يستشعر حكمة خالقها إلا من أعمل فكره فيها، فقال: لقوم يتفكرون.
قف وتأمل أيها الرجل، وأيتها المرأة، قف وتأمل بسمعك، وقلبك، وبصرك، أيها الزوج، وأيتها الزوجة، إلى جزئية وإلى جانب من جوانب هذه الآية العظيمة، يوم يجمع الله بينكما، ويؤلف بين قلوبكما، ويجعلكما لباساً، وسكناً لبعضكما، ثم يُخرج الله منكما أولاداً ليؤكد العلاقة بينكما، وتُدكران به بعد موتكما، إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون.

ألم تسأل نفسك أيها الزوج، وأنت على فراشك، وبجوار امرأتك، أن هذه المرأة التي تنظر إليها، جاءت من بيت أهلها، وما كنت تعرفها، ولا قد رأيتها، وهي الآن على الحالة التي تراها، ولعلها جاءتك من مكان، ومن مدينة، وربما من دولة غير مدينتك التي تسكن فيها، ولعل طباعها غير طباعك، ولهجتها تختلف عن لهجتك، ولهجة بلدك، ولعلك كنت تظن أنك ستتزوج من بنات



جارك، أو حِيٍّ من أحيائك التي تسكن فيها، أو من بنات عمك، وأقاربك اللاتي عرفتهن، ولعبت معهن أثناء صغرك، وطفولتك، وإذا بك تزوجت من مكان، أو قرية، أو مدينة لا تعرفها، أو لعلك ما قد سمعت بها، وأخذت منها امرأة لا تعرفها، ولا تعرف صورتها، ولا طبيعتها، ولا أي شيء عنها،

فما إن جلست معها، وسكنت إليها، واختليت بها، إلا وينزل الله من الرحمة، والحب، والموودة بينكما ما لم يكن لأحد من أقاربكما الذين عشتما معهم طوال حياتكما، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون.

ألم يخطر ببالك، وتعيشي بمشاعرك أيتها المرأة، وأنت تسكنين في بيت لم تألفيه، وتُظهرين زينتك لرجل لم تعرفه، وتطلعينه على مواضع من جسمك، لعلك ما أبديتها طوال حياتك في البيت الذي تربيت فيه،

لعل البنت تتحرج يوماً من نظر أمها إلى عورتها بدون قصدتها، وهي التي ربتها، وأرضعتها، وأخرجتها من بطنها، ويعظم حياؤها لو رآها أبوها، أو أحد إخوانها، وقد تلطم خدها، ويجن جنونها إذا ما رآها أجنبيًّا عنها، كيف لا وهي العذراء في خدرها، ولعل هذا الأجنبي هو زوجها قبل أن يتزوجها.

ولا إله إلا الله فما إن يحصل الإيجاب، والقبول بين وليها وبين من تقدم إليها، ما إن يقول وليها: زوجتكها. ويقول: الزوج قبلتها. إلا ويفيض الله من رحماته،

والطافه عليهما، ويؤنس وحشتها، ويؤلف بين قلوبهما، ولعل المرأة التي كانت ترفض زوجها بمن تقدم إليها، يصبح زوجها أحب خلق الله إلى قلبها، ولعلها لا يقر قرارها، ولا تنهأ في منامها، إذا غاب عنها زوجها، أو ابتعد عن فراشها، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون.

ومع هذه الألفة، والمودة، والمحبة التي أودعها الله في قلوب الزوجين، إلا أن الله لم يكل تنظيم أمور الزوجين، واستقرار حياتهما، واستمرار المودة بينهما، إلى الألفة، والمحبة التي في قلوبهما، بل جعل لهما، وعليهما حقوقا، وواجبات، وجعل بينهما حقوقا مشتركات.

نعم وإن جعلهما الله لباساً، وسكناً لبعضهما، وقذف الألفة، والمحبة بينهما، إلا أن الشيطان عدو الإنسانية، بما في ذلك العلاقة الزوجية، والحياة الأسرية، لهم بالمرصاد، فهو ينشر جنوده للإفساد، والتحريش، والفتنة بين العباد، وأحبهم، وأقربهم منه مجلساً هو الذي يأتيه ويقول: ما تركته، حتى فرقت بينه، وبين زوجته، كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فمن أجل هذا، كان لابد على الزوجين أن يعلما، ويتعرفا على الحقوق التي لهما، وعليهما، والحقوق المشتركة بينهما.



وكنا قد تكلمنا في اللقاءات الماضية، عن حقوق الأزواج، والزوجات، ما لهما وما عليهما.

وحديثنا في هذا اليوم عن الحقوق المشتركة بينهما، التي قال الله عنها: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨]، وقوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «إن لنسائكم عليكم حقوقا، ولكم عليهن حقوقا».

ولكن قبل أن نتعرف، ونستعرض ما الذي ينبغي للزوجين، لا بد أن نعلم أن هذه الحقوق، لا بد أن تُؤدى على وجه المحبة، والرحمة، والتسامح، لا على وجه المشاحة، والمقاضاة.

نعم ينبغي للزوجين أن يستشعرا حين أداء الحقوق لبعضهما أن ما يقومان به هو قربة لربهما، وطاعة لخالقهما **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لا لإسقاط ذلك عنهما، ليستمتعا بحياتهما، وليترسخ الحب، والود، بينهما.

فأول، وأولى ما يقدم ذكره في الحقوق المشتركة بين الزوجين هو **معرفة**، أو **دراسة**، أو **تعلم ما ينبغي على كل واحد أن يفعله تجاه الآخر**، ليعلم الزوج ما حق زوجته فيؤديه لها، وتعلم الزوجة ما حقوق زوجها عليها فتطيعه فيها.

فكما أننا لا نقدم على عمل من عمل دنيانا إلا ونحسب له حسابه، ونعرف مدخله ومخرجه؛ لكي لا نخسر فيه، فالحياة الزوجية أولى أن نتعلم مطالبها،

ولوازمها، ومتعلقاتها، وواجباتها، لأن منبع السعادة الإنسانية ينشأ من استقرار الحياة الأسرية، ولا يكون ذلك إلا بالحياة المتبادلة، وأداء الحقوق المشتركة.

نعم واجب على كل زوج، وعلى كل زوجة، وعلى الرجل، وعلى المرأة، قبل أن يبنيا حياتهما الزوجية، أن يتعرفا على حقوق بعضهما، وما الذي يريده الله منهما، لأن الجهل رأس كل مصيبة، ومن ورائه تحصل كل بلية، فقد يظل الزوجان سنوات من زواجهما، وهما لا يعرفان حق بعضهما، قد تمتنع المرأة - مثلاً - عن فراش زوجها، وهي لا تعلم بالعقوبة المغلظة عليها، قد يظل الزوج سنوات في غربته، وهو مبتعد عن زوجته، وهو لا يعلم أنه لا يجوز له أن يغيب عنها فوق أربعة أشهر إلا بإذنها، كما حكم بذلك الملهم الأبواب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه - عندما سأل ابنته عن أقصى مدة تصبر المرأة على فراق زوجها؟ فقالت: أربعة أشهر، فأمر الرجال ألا يتأخروا في الغزو عن أربعة أشهر؛

لأن المرأة لها وعليها، وقد أودع الله فيها ما أودعه في زوجها، وكم وكم هي القضايا، والحقوق التي يجهلها الرجال في حق زوجاتهم، والنساء في حق أزواجهن، ولعلمهم لا يعرفون ذلك إلا إذا وصلوا إلى المحكمة، أو أتوا إلى مجلس الذكر، أو المسجد ليسمعوا خطبة أو موعظة، والله المستعان.



إحدى النساء كانت تعصي زوجها، ولا تستجيب له إذا أراد أن يقضي حاجته منها، وهكذا ظلت سنوات معه وهي في عصيانها، وعنادها، فلما حضرت إحدى خطب الجمعة، وسمعت ما أعده الله للممتنعة عن زوجها من اللعن، والسخط، والغضب، اقشعر جلدتها، فأعلنت التوبة لربها في عصيانه لحق زوجها.

وماذا عليها لو تعلمت حقوق زوجها عليها؟! وماذا عليك أيها الزوج لو

سمحت لها لتأتي مجالس العلم لتتعلم الحقوق التي عليها تجاه زوجها؟!!

كذلك أنت أيها الزوج نقول لك مثلما قلنا لها، فهذا رجل حضر لسماع

الموعظة، وكان عنوانها عن العلاقات الزوجية، فلما انتهى الواعظ من موعظته،

عانق هذا الرجل الواعظ وبكى، ثم قال: لقد كان موعدي اليوم في المحكمة من

أجل طلاق زوجتي، لكن بعد سماعي لموعظتك، سأترك طلاقها، وسأصلح

علاقتي معها؛ فجزاك الله عنا خيرًا!

فالله الله، أيها الأزواج بتعلم أمور دينكما، ومعرفة الحقوق التي تجب عليكما،

تجاه أزواجكما.

كذلك على الآباء، والأمهات قبل أن يزوجوا أولادهم ذكورا أو إناثا أن

يعلموهم، ويرشدوهم، كما قالت أمامة بنت الحارث التغلبية، في وصيتها الذهبية

لابنتها في وقت زفافها، وقد تقدم ذلك معنا في الخطبة الماضية.

كذلك من الحقوق المشتركة بين الزوجين أن يتعرفا على طابع بعضهما، وما الذي يحبه ويكرهه كل منهما، فقلَّ أن تجد زوجين متفقين في طابعهما، ورغباتهما.

فعلى المرأة أولاً: أن تتعرف في بداية حياتها عن طبيعة زوجها، وما الذي يحبه، أو يكرهه منها، تتعرف عن رغبته فيما يتعلق بطعامه، وشرابه، ولباسه، وأوقاته، حتى تعامله بما يُحب لا بما تحب.

ولقد ذكرت كتب التاريخ، والسير نموذجاً، رائعاً في هذا الباب؛ لإحدى نساء بني تميم، وهي زينب بنت جرير، من بني حنظلة.

يقول الإمام الشعبي رَحِمَهُ اللهُ: لقيني شريح القاضي فقال لي: يا شعبي، عليك بنساء بني تميم؛ فإني رأيت لهن عقولاً! قلت: وما رأيت من عقولهن؟! ثم ذكر له شريح ما كان من أمر زواجه بزینب بنت جرير، ثم قال: ولو رأيتني يا شعبي وقد أقبلت نساؤها يهدينها، حتى أدخلت عليّ، فقلت إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها، أن يقوم ويصلي ركعتين، ويسأل الله من خيرها، ويتعوذ بالله من شرها، قال: فتوضأت، فإذا هي تتوضأ بوضوئي، وصليت فإذا هي تصلي بصلاتي، فلما خلا البيت، دنوت منها، ومددت يدي إلى ناصيتها، فقالت: على رسلك يا أبا أمية، ثم قالت: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلي على محمد، وآله، أما بعد:



فإني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك، فبين لي ما تحب فآتية، وما تكره فأجتنبه، فإنه قد كان لك منكح في قومك، ولي في قومي مثل ذلك، ولكن إذا قضى الله أمرا كان مفعولا، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله، إما إمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولك، ولجميع المسلمين، قال فأحوجتني - والله - يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموضع، فقلت: الحمد لله أحمدته وأستعينه، وأصلي على محمد، وآله، أما بعد: فإنك قد قلت كلاما، إن ثبتي عليه يكن ذلك حظا لي منك، وإن تدعيه، يكون حجة عليك، أحب كذا، وأكره كذا، وما رأيت من حسنة فبثيها، وما رأيت من سيئة فاستريها، فقالت: كيف محبتك لزيارة الأهل؟ قلت: ما أحب أن يملني أصهاري، قالت: فمن تحب من جيرانك يدخل دارك، لأذن له، ومن تكره أكرهه؟ قلت: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء، قال: فبت معها - يا شعبي - بأنعم ليلة، فمكثت معي حولا لا أرى منها إلا ما أحب، فلما كان رأس الحول، جئت من مجلس القضاء، فإذا أنا بعجوز في الدار، تأمر، وتنهى، قلت: من هذه؟ قالوا: فلانة - أم حليلتك - قلت: مرحبا، وأهلا، وسهلا فلما جلست، أقبلت العجوز وقالت: السلام عليك يا أبا أمية، قلت: وعليك السلام، ومرحبا بك، وأهلا، قالت: كيف رأيت زوجتك؟ قلت: خير زوجة،

وأوفق قرين، لقد أدبت فأحسنت الأدب، وريضتي فأحسنت الرياضة، فجزاك

الله خيرًا، فقالت: يا أبا أمية: إن المرأة لا يُرى أسوأ حالًا منها في حالتين. قلت:

وما هما؟ قالت: إذا ولدت غلامًا، أو حظيت عند زوجها، فإن رابك مريب

فعليك بالسوط، فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم أشر من الروعاء المدللة،

فقلت: والله لقد أدبت، وأحسنت الأدب، وريضتي وأحسنت الرياضة! قالت:

كيف تحب أن يزورك أصهارك؟ قلت: ما شاءوا،

فكانت تأتيني في رأس كل حول، فتوصيني بتلك الوصية، فمكثت معها يا شعبي

عشرين سنة، لم أعب عليها شيئًا، وكان لي جار من كِنْدَةَ، يُفزع امرأته، ويضربها:

فقلت في ذلك:

رأيت رجالاً يضربون نساءهم فُشلت يميني يوم أضرب زينبا

أضربها من غير ذنب أتت به فما العدل مني ضرب من ليس مذنب

فزينب شمس والنساء كواكبٌ إذا طلعت لم تُبَدِ منهن كوكبا^(١)

من لنا بهذه المرأة، وحسن كلامها، وطلبها لمعرفة طباع زوجها، هكذا فلتكن

الحياة، عشرون سنة، لم يعب عليها شيئًا، كيف لا وقد عرفت طباعه، وحبه،

(١) انظر: أحكام النساء لابن الجوزي ص (١٣٤ - ١٣٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤١٧).



وكرهه، بل سألت عن ذلك في بداية حياتها، لأن الجهل بذلك، وإهمال ذلك، هو منبع الخلاف كما سيأتينا في أسباب المشاكل الزوجية.

فمعرفة الطباع هي سبب لكسب القلوب، ومحبتها، **وقد قيل: اعرف طباعهم، تدخل قلوبهم،**

ويذكر أن رجلاً قال لصاحبه: إن أمي تحبني أكثر من إخواني، فسألته عن ذلك؟ فقال: إن أمي امرأة كبيرة من عجائز النساء، تحب من الكلام ما يحبه العجائز، من أن فلانة تزوجت، وفلانة طُلقَت، وفلانة دخلت، أو خرجت، إلى غير ذلك مما هو معروف من حديث عجائز النساء، فعندما تحدثني أمي بهذه المعلومات أصغي لها، وأتفاعل معها، وأشعرها بأهمية المعلومات التي ترويها، فتشعر والدتي أنها تأتي بمعلومات لا مثيل لها، وإخواني لا يطيقون سماع هذا الأخبار التي معها، فلا يصغون لها، وقد يخرجون ويتركونها، فهذا هو سر حبي، من أمي، وهو أني عرفت طباعها.

فاعرفي أيتها المرأة طباع زوجك؛ لتسعدي به وليسعد بك، فأنت من السعادة التي أخبر بها النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، تعرفي على أوقاته، وما يحبه، وما لا يحبه من طعامه وشرابه، إلى غير ذلك من الأشياء التي لا تخفى عليك، فهو سكنك، ولباسك.

أنت كذلك أيها الرجل، تعرف على طبع زوجتك، وعلى محبوباتها، ورغباتها،
لتشتري لها ما يعجبها، ولتختار لها من الكلمات ما يناسبها، وتتجنب ما تضيق
منه وما تكرهها.

كذلك تعرف على ما يعترها وقت حملها، وأيام دورتها، لتتلفظ معها،
وتقدر عنائها وتعبها، وتشتري لها من الطعام ما تطلبها وقت حملها، فالذي في
بطنها هو ولدك، وولدها، إلى غير ذلك مما يعرفه الزوجان عن بعضهما.
ولا نعني بذلك أن من كانت له عادة سيئة، وطبيعة خاطئة، أن يعذب بها غيره،
بحجة أن هذا هو طبعه، وهذه هي عادته، بل لا بد عليه ألا يستسلم لها، وأن يعود
نفسه على تغييرها، ويدعو الله أن يعافيه منها كأن يكون الرجل كثير النقد لغيره،
شديد الغيرة على زوجته، سريع الغضب على أولاده، إلى غير ذلك، والمقصود
أيها الزوجان أن تتعرفا على طباعكما؛ لتسعدا في حياتكما.

كذلك من الحقوق المشتركة بين الزوجين **الصبر على بعضهما**، وتحمل ما
يحصل من الأخطاء بينهما. وإن معرفة الزوجين لطباع بعضهما، لا يعني بذلك
أن كل واحد منهما سيملاً رغبة الآخر، ويحقق كامل رضاه، فلا بد أنه سيبقى هناك
أشياء، وأخطاء، ستحصل منهما، أو من أحدهما؛ فينبغي الصبر من الزوجين،
والتغافل ما أمكن من الطرفين، وأن يعلم كل منهما قدر الآخر، ومكانته.



ولئن كان الإنسان مطالباً بأن يصبر على غيره، فالزوجان، أولى من أن يصبرا على بعضهما، ويتحملا ما يحصل ويحدث بينهما.

فإذا جاء الزوج من عمله، أو من خارج بيته، وحصل منه إساءة إلى زوجته بلسانه، أو بعدم إحضار ما طلبته لبيته، وأولاده، فلتعذر زوجته؛ فلعله رأى، أو لاقى في عمله ما عكر مزاجه، أو أتعب جسمه، وأرهقه.

كذلك إذا رجع الرجل إلى بيته، ولم ير حسن استقبال امرأته، فليعذرهما بتعب بيتها، أو مشاكل وشغب أولادها؛

فقد روي أن رجلاً جاء يشكو زوجته لعمر، فأقبل هذا الرجل إلى عمر ليستشيره في تطليق زوجته، فلما اقترب من الباب سمع صوت امرأة عمر وهي ترفع صوتها على زوجها عمر - وعمر من عمر -!

يهتز كسرى على كرسيه فرقا من خوفه وملوك الناس تخشاه فلما سمعها ترفع صوتها على عمر انصرف، وولى من باب عمر، ف شعر به عمر، فقال: ما لك يا رجل؟ فقال: يا أمير المؤمنين، جئت إليك أشتكي من زوجتي، ولسانها، وإذا امرأتك أعظم منها! فقال عمر: يا رجل إنها مربية أولادي، وصاحبتي في فراشي، وغاسلة ثيابي، وطابخة طعامي، ومؤنستي في وحدتي، أفلا أصبر على بعض خلقها لأجل ذلك.

رضي الله عنك أيها الملهم الأواب، هكذا فلتتعلم العدل والإنصاف، وهكذا
فليكن شعارنا، إن فعلت، أو قصرت وأخطأت، فهي التي تفعل، وتفعل.
أسأل الله أن يغفر لنا، ولنساتنا، وأن يصلح شأننا، وجميع أمورنا!
أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم، ولجميع المسلمين من كل ذنب؛
فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



(الخطبة الثانية)

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله، وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها المسلمون عباد الله، إن من أعظم الحقوق، وأكدها بين الزوجين هو حق الوفاء بينهما، في حياتهما، وبعد مماتهما، في صحتهما ومرضهما، في غناهما وفقرها، في شبابهما وكبرهما، وهرمهما.

إن أولى ما يتجسد الوفاء بين شخصين، وطرفين، هو بين الزوج وزوجته، اللذين بينهما من المخالطة، والمعاشرة ما ليس لغيرهما فحري بالزوجين أن يكونا وفيين مع بعضهما، في جميع شؤون حياتهما، وبعد مماتهما.

وللأسف أصبح هذا الخلق مفقودا عند كثير من الأزواج، والزوجات، فكم من زوج تنكر لزوجته عندما تزوج عليها، ونسي أيام شبابها، وذكرياته معها، وتقلبهما بين حلو الحياة ومرها، وأصبح يقهرها، وينهرها، ويهددها بطلاقها!

كم من زوج تمتع بزوجته في حال صحتها، وعافيتها، فإذا ما قدر الله عليها علةً بجسدها، أو مساً، أو سحراً في عقلها، صبر عليها الأيام الأولى من مرضها، ثم

طلقها، أو استقلها، وملها، أو أرسلها إلى بيت والدها، وأشعرهم بعدم رغبته فيها، إذا استمر مرضها. الله المستعان، الله المستعان!

أهذا هو الوفاء؟! أهذه هي العشرة؟! أهذا هو جزاء السنوات التي قضيتها معها؟! الآن تتنكر لها، ولمرضها الذي جاءها بغير رضاها، واختيارها؟! الآن تهددها بطلاقها، أو تعيرها بمرضها، وتعاملها كأنك أجنبي عنها، وهي أحوج ما تكون إلى رفقك بها، ومواساتك لها، وتعويضها بحنانك عن صحتك التي فقدتها. الله المستعان!! أين قول الله: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة

البقرة: ٢٣٧] أين الوفاء، أين الكرماء، أين الكريم الذي يراعي وداد لحظة، كيف بسنوات مليئات بالذكريات، والبنين والبنات؟!

قل مثل ذلك في الزوجات كم من امرأة تنكرت لزوجها حين قدر الله عليه بانقطاع عمله، وقلة ما في يده، فأصبحت تحتقره، وبفقره تُعيرُه، ولعلها تشتكيه إلى أهلها، وتطالبهم بطلاقها، أو خلعها، وهو الذي كان يطعمها، ويكسوها، وهو الذي كان يتعب من أجلها طوال حياته معها، كم من امرأة ملت زوجها، وتركت رعايتها، وخدمتها لزوجها، حين كبر سنه، وضعفت قوته، فأصبحت تنهره، وتستفزه، وهو أحوج ما يكون إليها؟!



فالفداء الوفاء أيتها الزوجات، الوفاء الوفاء أيتها الأمهات، ولتكونوا أيها الأزواج، والزوجات من الأوفياء الذين ضربوا لنا أروع الأمثلة في وفائهما مع زوجاتهما، ولتكوني - كذلك - أيتها الزوجة الوفية.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: « قيل لأبي عثمان النيسابوري: ما أرجى عمل عملته يا أبا عثمان؟ قال: لما كنت في صبوتي، اجتهد أهلي في تزويجي، فأبيت، فجاءتني امرأة، وقالت: يا أبا عثمان، إني قد هويتك، فأستحلفك بالله أن تتزوجني، فأحضرت أباهما، وكان فقيراً، ففرح بزواجهما، فلما دخلت إليّ رأيتها عوراء، وعرجاء، ومشوهة، وكانت لمحبتها لي تمنعني من الخروج، فأقعد في البيت حفظاً لقلبها، وتطيباً لخاطرهما، وكنت لا أظهر شيئاً من بغضي لها، وكأني على جمر الغضب من بغضها، فعشت معها على هذا الحال خمس عشرة سنة، حتى ماتت، هذا أرجى عمل عندي أحسبه عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.»

فأين - بالله عليكم - مثل هؤلاء؟! نسأل الله أن يرزقنا هذا الخلق العظيم!
وهذه قصة معاصرة، لامرأة ضربت أروع الأمثلة في وفاء النساء مع أزواجهن، عاشت هذه المرأة مع زوجها مدة من الزمن، ولم تحمل هذه المرأة من زوجها، فذهب بها زوجها ففحص على نفسه، وعليها، وقبل أن يذهب الرجل لاستلام نتيجة الفحص سبقته زوجته لاستلام النتيجة، وإذا بنتيجة الفحص تقول: بأن في

زوجها عقم نهائي، فما كانت من هذه المرأة الوفية إلا أن عزمت على الطيبية، واستحلفتها أن تخبر زوجها بأن العقم منها وليس من زوجها، حتى لا يصدم بهذا الخبر، ويحزن، ويصاب بالهم، والغم، إلى غير ذلك،

ثم لما جاء الزوج وعلم أن العقم من زوجته، وصل الخبر إلى أهله، ثم أشاروا عليه أن يتزوج فوق زوجته، فذهب ليتزوج من أحد أقاربه، فقالوا لا نزوجك ما دامت زوجتك معك، فإما أن تطلقها، أو نعتذر لك بتزويج ابنتنا، فما كان منه إلا أن طلق زوجته، ثم عاش مع زوجته الجديدة عامًا كاملاً، ولكنها لم تحمل منه، ثم ذهب ليفحص وليتأكد من عقمها، ففحص على نفسه وعليها، ثم ظهرت الحقيقة، وهي أن العقم منه لا من زوجته، فلما رجع إلى الطيبية الأولى التي قالت له: إن العقم من زوجته فأخبرته بالحقيقة، وأن زوجته الأولى هي التي أخرجتها بذلك، وفاءً منها لزوجها!

ثم انتشر الخبر عند أهل الزوجة الثانية، فألزموه، وأجبروه أن يطلق ابنتهم، فطلقها، ثم ذهب لبيحث عن زوجته الأولى، وإذا بها قد تزوجت، فحزن عليها حزناً شديداً، ثم كتب أبياتاً بلهجته، يعبر عن ندامته، ووفاء زوجته والتي كان اسمها نوف، فبحث عنها، واستأذن زوجها أن يسمعها أبياتة التي قالها فيها، وأن يعطيها جزاء وفائها هدية لها، فأذن له الزوج فقال في أبياتة الشعبية:



يا نونف حالتى حالة مالها ثانى
يا نونف فعلك صار ضرب للامثال
طبتِ وانا ما طبت يا بنت الأبطال
وما بي سوى مطلب محدد ولا زال
لو عشت طول العمر يا نونف رحال
تكفين قولى لى مسامح وبالحال
يا جرح قلبى يا وجد حالى
وهذا سبب همى وهذا خمالى
ولا لى على رد الجمال
يصفق بقلبى من جنوبى وشمالى
طارىك والله ما يفارق خيالى
على الأقل شوى يرتاح بالى

ثم أعطها هديته، وكانت هديته هي العمارة التي كانت تسكن فيها. سبحان

الله ما أجمل الوفاء، وما أجمل هذه المواقف التي تعبر عن الصدق، والصفاء!

ثم لنعلم أيها الناس، وأيها الأزواج أن الوفاء ليس قاصراً على حياتكما أيها
الزوجان، بل وأنتمأ أحوج ما تكونان إليه بعد مماتكما، وأنتمأ في قبوركما، وذلك
أن تستغفرا وتدعوا لبعضكما، فلا يزال هناك لقاء يجمع الله به بينكما.

وقد كان حبيبنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وقدوتنا، وسيد الأوفياء والأصفياء، كثيراً ما كان
يتذكر زوجته خديجة، وهي التي عاشت معه ريعان شبابه، فكان يكثر ذكرها،
ويتصدق على صدائقتها، ويقول: إني رزقت حبها! وكان يدافع عنها، ويقول: والله
ما أبدلني الله خيراً منها، إنها كانت، وكانت، وكان لى منها ولد.

ومن جميل التراجم، وصور الوفاء في الحياة الزوجية بعد الفراق، ما خطه
المؤرخ المقريري، وهو يترجم لزوجته، ويحكي رؤيته لها في منامه، فقال:
واتفق لي أني كنت أكثر من الاستغفار لها، بعد موتها فرأيتها - أي: في بعض
الليالي - في المنام وقد دخلت علي ببيئتها التي كفتتها بها، فقلت لها - وأنا
أعرف أنها ميتة - يا أم محمد: الذي أرسله إليك يصل؟ - أعني: استغفاري لها-
قالت: نعم، في كل يوم تصل هديتك إليّ، ثم بكت! وقالت: قد علمت أني
عاجزةٌ عن مكافأتك، فقلت لها: لا عليك عما قليل نلتقي، وكانت غفر الله لها-
مع صغر سنها - من خير نساء زمانها، ما عوضت بعدها مثلها!
اللهم ارحمنا، وارزقنا الوفاء مع زوجاتنا، وأمهاتنا وأصحابنا، ومن له حق
علينا، وقبل ذلك الوفاء معك يا ربنا، يا من خلقتنا، ورزقتنا، وحفظتنا، وهديتنا، يا
رب العالمين!



(حقوق مشتركة بين الزوجين - الجزء الثاني -)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر

الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المسلمين، والمسلمات، أيها الأزواج، والزوجات، لقد تناولنا

الحديث معكم في الجمعة الماضية بعضاً من الحقوق المشتركة بين الزوج وبين

الزوجة.

وما زال للحديث بقية، وما زلنا نسعى بحديثنا في سلسلة الحقوق الزوجية حتى نصل إلى معرفة السعادة الأسرية، والمحبة الزوجية، ولعلكم تعجبون، وتستغربون، وقد تسألون، لماذا كل هذا؟ لماذا طال الحديث، وتعددت الخطب عن العلاقة الزوجية، والحياة الأسرية، ابتداء من الزواج، وغلاء المهور، ومنكرات الأعراس، ثم الحقوق الخاصة بين الزوجين، وبعدها الحقوق المشتركة؟ ألا يكفي أن نُجمل لنا ذلك بخطبة، أو خطبتين؟ وهلا أشرت إلى ما يجهله، ويقترفه بعض الأزواج بإشارات، وعبارات مختصرات، وتركت ما تحدثت عنه من الأمور، والحقوق الواضحات؟

فأقول: يا من تقول هذا بلسان حالك، أو بلسان قالك، لو كنت تعلم ما بي كنت تعذرني، لو كنت تعلم كم هي الاعتداءات، والمخالفات، سواءً من قبل الأزواج، أو الزوجات، لو كنت تعلم أعداد، وأرقام المشاكل الزوجية التي كانت سبباً في تفكك كثيرٍ من الحياة الأسرية.

لو كنت تعلم كم هي البيوت التي تشتعل بمشاكلها، وكم هي الأمراض النفسية التي خرجت منها.

لو كنت تعلم ما الذي تقدره الإحصائيات، من حالات الفراق والطلاق، وما الذي نتج وراء ذلك من كثرة الجرائم، وسوء الأخلاق، سواءً من المطلقات، أم



من أزواجهن، أم من أبنائهم، وبناتهم، لو علمت بعض المشاكل التي عشناها، أو سمعنا بها، أو نسمعها من الدعاة ومن القضاة ومن غيرهم، لو علمت ذلك كله لاستقللت ما استكثرت، ولا استهونت ما استعظمت، ولعلمت الأهمية البالغة في عرض هذه المواضيع الأسرية، وبيان ما يتعلق بالحقوق الزوجية، الخاصة منها، أو المشتركة.

ثم نقول من لهذه الأمور؟ من لهذه الأمور العظام؛ إن لم تُعرض ويُذكَر بها من هذا المقام، من للزوجين اللذين يعيشان حياة المشاكل، والمخاطر، إن لم تعالج قضاياهما من على هذه المنابر؟! ما دور الخطباء إذن إن لم يضعوا أيديهم على جراح أمتهم؟! ما فائدة الخطبة إذن إذا لم تتحدث عن واقع الحاضرين، ومشاكلهم، وما الذي يحتاجون إليه في دينهم، وديانهم؟!

ولربما بعض الحاضرين، أو الحاضرات، من الأزواج، أو الزوجات، يسعد إذا سمع الآخر كلمة، أو حكماً يتعلق بحقه، لعله يصلح من خطئه، أو يعترف بذنبه، وتقصيره، أو لعله هو يعتبر وينزجر فيما هو واقع فيه مع زوجته، أو مقصراً، وكم - والله - هي الثمار الطيبة التي قطفناها، من خلال الخطب الماضية التي ألقيناها، وكم هي الأخبار السارة التي سعدنا بها، من وراء هذه المواضيع التي تحدثنا عنها!

من نتظر أيها الناس، من نتظر أيها الأزواج، والزوجات، أن يعالج مشاكلنا، ويبين لنا ما يتعلق بحقوق بعضنا على بعض، وما يريد الله منا؟ هل نتظر ذلك من أولئك الذين لا يباليون، ولا يهتمون بإصلاح غيرهم، ونصح إخوانهم، وإنما همهم هو كتابة أوراق الطلاق ليتقاضوا أموال أجرتهم وأوراقهم؟ هل نتظر ذلك من الذين يزيدون الأزواج مشاكل فوق مشاكلهم، وذلك بطمعهم، ومماطلتهم في قضيتهم، نسأل الله أن يصلح حالنا، وأن يفقهنا في أمور ديننا، ويصلح أزواجنا، ويصلحنا لأزواجنا.

معاشر المسلمين، والمسلمات كنا قد تحدثنا، وشرعنا في الخطبة الماضية في الكلام عن الحقوق المشتركة بيننا، وبين أزواجنا، وزوجاتنا، تكلمنا عن معرفة طباع الزوجين، والصبر، والوفاء بين الطرفين، وغير ذلك مما تقدم في الجمعة الماضية، ونكمل في هذه الخطبة ما تيسر جمعه من هذه الحقوق المشتركة.

ومن هذه الحقوق، هو **التزين والتجمل بين الزوجين**، وهذا الأمر في غاية الأهمية في جلب المحبة في الحياة الزوجية، فبما أن الله جعل الزوجين لباساً لبعضهما، فإن من يلبس ثيابه لا يطيب له لباسه إلا إذا كان جميلاً، ومطيباً، ونظيفاً.



فمن حسن العشرة الزوجية؛ أن يتطيب الزوجان، ويتجملا لبعضهما، ويزيلا ما يجلب النفرة، والوحشة بينهما.

فعلى المرأة أولاً: أن تهتم بمظهرها، وتتطيب لزوجها، وتستقبله بأحسن هيئتها، وتسره إذا نظر إليها.

ولحرص النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** على زينة المرأة لزوجها؛ أمر زوجها إذا سافر، أو ابتعد عنها، ألا يأتي بيتها في الليل فيفاجئها، وليست في زينتها، وليست متهيئة لزوجها؛ فقد روى البخاري، ومسلم، عن جابر - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إذا قدم أحدكم ليلاً، فلا يأتين أهله طرُوقاً، حتى تستحد المغيبة، وتمشط الشعثة»^(١)، أي: أن الزوج إذا قدم من سفره، فلا يبعثها بطرق بابها، ولكن يشعرها بقدمه، حتى تنهيا لزوجها، وتمشط شعرها، وغير ذلك مما يحتاج إليه منها، لا سيما وقد كان بعيداً عنها.

ولما مات ولدُ أم سليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها - كان من حكمتها، وحسن تبعليها لزوجها، قبل أن تفاجئه بموت ولده، أن تجملت تجملاً ما تجملت قبله مثله، ثم لما أصاب منها حاجته، أخبرته بموت ولده لعلمها - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** وأرضاها - قدر، ومكانة تجمل المرأة في نفسية زوجها.

(١) رواه البخاري (٥٢٤٧)، ومسلم (٧١٥).

نعم أيها الأزواج، والزوجات، إن من فطنة المرأة، وحسن تبعلها لزوجها، هي التي تهتم بمظهرها، ورائحتها، وتسر زوجها إذا نظر إليها، هذا إذا أرادت أن تقصر نظر زوجها عليها، ولا تجعله يتطلع لغيرها، أو يتزوج عليها، فكم من رجل عنده قدرة مالية، وبدنية على أن يأتي بزوجة ثانية، ولكنه مقتنع بزوجته، بل ما قد فكر بالزواج عليها، ولعلها لا تملك جمالاً مثل أختها، أو جارتها التي تزوج زوجها عليها، والسرف في ذلك هو اهتمامها بنفسها، واستشعارها أنها لزوجها، وهو لها.

فكيف إذا أضافت إلى تجملها، وحسن تبعلها، جمال أخلاقها، وطيب كلامها، وعباراتها لزوجها، وصدق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ قال: المرأة الصالحة من السعادة، والمرأة السوء من الشقاوة.

وإن من غفلة المرأة، وسوء معاشرتها، هي التي لا تهتم بمظهرها، ولا تبالي برغبات، ومشاعر زوجها، بل إن من حماقتها، وقلة حياؤها، أن تتجمل حال خروجها من بيتها، وإذا أبدت زينتها لأقاربها، وجيرانها، كم من امرأة تظل وقتاً طويلاً مع الحوامير، والمكاييح، والمساحيق، إذا دُعيت أو لم تدع لقاعة غنائية، أو حفلة نسائية، أو ربما إذا خرجت للأسواق التجارية، وما أشبه ذلك،



ولعلها تخرج متبرجة، ومتعطرة، وقد أخبر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن المرأة

إذا تعطرت، وخرجت وشم رائحتها القوم فهي زانية!

هكذا - للأسف - هو حال كثيرٍ من النساء، التبرج، والتعطر، والتجمل،

ولبس أحسن الثياب، للقاءات، والصالات والخرجات، أما الزوج فليس له حظٌّ

من ذلك كله، ولعل الزوج يفرح، ويسعد بسعادة العرس، أو الأفرح التي ذهبت

إليها زوجته ليدرك له ما بقي من آثار تجملها، ورائحتها إذا رجعت إلى بيتها في

آخر يومها.

فحذار، ثم حذار أيتها المرأة من التبرج، والتزين والتعطر، الذي لا يكون إلا

من الزوجة لزوجها!

إياك ثم إياك أن تكوني كالثمرة العوجاء التي يسقيها صاحبها، فلما طالت

انحنت، وأسقطت ثمارها لبستان جار ساقيةا وصاحبها، وهو الذي رباها، واعتنى

بها، وكان يرجو خيرها، وثمارها!

ولا نعني من كلامنا عن تجمل المرأة لزوجها، أن تظل المرأة عاكفةً على

أدوات التجميل التي معها، فتسرف في مالها، وتضيع وقتها، وتقصر في حق

زوجها، وتربية أولادها، لا نعني ذلك أبداً.

وينبغي لها -أيضا- أن تقتصر على ما يحبه زوجها، وتعرف رغبته في لباسها، وفيما تفعله على وجهها، فما يستحسنه بعض الأزواج، قد لا يستحسنه، ويحبه زوجها، ولعل زوجها لا يحب شيئا مما تفعله النساء؛ وذلك أن زوجته قد ملأت عينه، فاستغنت عن مجملاتها، وهذه نعمة من الله عليه، وعليها!

كذلك على المرأة ألا تجعل تزيينها لزوجها في السنوات الأولى من زواجها، ثم تتركه في حال كبره وكبرها.

وكما نقول للمرأة، نقول للرجل كذلك: ﴿وَلَهَنَ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ وَلِلرِّجَالِ

عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨].

نقل الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قال: «إني أحب أن أتزين لامرأتي، كما أحب أن تتزين لي» (١).

فكما أنك تحب أيها الرجل أن تتزين، وتتعطر زوجتك لك، فلتكن أنت كذلك لها، فليس من عدلك، وحسن عشرتك لزوجتك، أن تطلب منها، ولا تعطيتها، أن تطلب منها ما هو عليها، ولا تعطيتها ما هو لها، ليس من الإنصاف أن تتأفف من شكلها، أو من آثار رائحة طباحتها، ومع ذلك تؤذيها برائحة القات، والدخان طوال حياتك معها، كيف تأمرها، وتلزمها أن تتجمل لك وأنت لا تتجمل لها؟!!

(١) تفسير (٥/ ٩٧).



كيف تنهرها وتقهرها إذا انبعثت - أحياناً- رائحة الثوم والبصل من فمها، وكل يوم وأنت تتنفس في وجهها مع رائحة الدخان التي تكاد تقتلها؟!

فتجملوا أيها الرجال لنسائكم فهذا من حقهن عليكم، فقد كان

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما تقول عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «أول ما يبدأ دخول بيته يبدأ

بالسواك»(١).

وفي حديث أم زرع الطويل، في خبر النساء اللاتي يصفن أزواجهن، قالت

إحداهن: «زوجي المس مس أرنب، والريح ريح زرنب»(٢)- والزرنب نبتٌ له

رائحةٌ طيبة -.

وفي حديث يحيى بن عبد الرحمن الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ، قال: أتيت محمد بن

الحنفية، فخرج إليّ في ملحفة حمراء، ولحيته تقطر من الغالية، - والغالية نوعٌ من

الطيب، مركبٌ من مسك، وعنبر، وعود، ودهن - فقال: إن هذه الملحفة ألقتهَا

علي امرأتي، ودهنتني بالطيب، وإنهن ليشتهين منّا ما نشتهي منهن!

أيها الأزواج، والزوجات وإن كنا قد أطلنا عليكم في هذه الجزئية، فهي في غاية

الأهمية، ومن أهم أسرار المحبة الزوجية.

(١) رواه ابن حبان (١٠٧٤).

(٢) رواه البخاري (٥١٨٩).

كذلك من الحقوق المشتركة بينهما، ومما يقوي محبتهما:

أن يغارا على بعضهما، على الزوج أولاً، أن يغار على زوجته، ويستشعر أنها له لا لغيره، فلا يسمح لها أن تبدي زينتها، أو أن تمد يدها لتصافح أجنبياً عنها، كابن عمها، وابن خالها وخالتها، وإخوان زوجها، ولا يجوز لها أن تبرز، مفاتها، وتفصيل جسدها إذا خرجت من بيتها، ولا أن ترفع صوتها، وتخضع بكلامها إذا ذهبت إلى الباعة لتشتري حاجتها.

نعم أيها الأزواج، إن من تمام الرجولة، ولوازم القوامه، أن يكون الرجل غيوراً على امرأته. **قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ** كما في فيض القدير: «أشرف الناس، وأعلاهم همة، أشدهم غيرة»^(١).

وقال الذهبي **رَحِمَهُ اللهُ**: «لا خير فيمن لا غيرة له».

وروى الإمام أحمد، بإسناد صحيح، عن علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال:

«ألا تستحون، أو تغارون؟! فإنه بلغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق يزاحمن

العلوج» - أي: الأعاجم -^(٢).

(١) فيض القدير (٦/ ٢٥٣).

(٢) رواه أحمد (١١٨).



أين الغيرة - بالله عليكم؟! أين الغيرة من رجل يكل أمور بيته، وجميع متطلبات أولاده إلى زوجته، فهي التي تشتري ملابس أولادها، وطعام بيتها، حتى أصبح أغلب التجار يعرفونها، ويميزونها بصوتها، وطولها، وعرضها، بل أصبح لهم علاقات معها، ويسألون عن حالها وأخبارها.

أين الغيرة من رجل يسمح لجميع إخوانه، وأقاربه أن يتكلموا مع زوجته، بل ويصافحونها، ويمزحون معها.

أين الغيرة من زوج يسافر، ويغترب، ويتعد سنوات عن زوجته، ويتركها في بيت مع إخوانه، أو أحد أقاربها الذين لا تحل لهم ولا هم يحلون لها، لا يوماً، ولا شهراً، بل شهوراً وسنوات؟!!

وكم وكم هي القصص، والجرائم المؤلمات، التي كان سببها بعض الأزواج الذي لا يغار على عرضه، وشرفه، ولا يبالي بمن يدخل على زوجته!

أين الغيرة من زوج يخرج مع امرأته وهي لابسةً لملايس فاتنة وضيقة، والناس يرمونها بأبصارهم، وهي بجوار زوجها، فكيف إذا كانت لوحدها؟!!

أين الغيرة من زوج يأذن لزوجته أن تذهب إلى الطبيب لوحدها، ليسألها الطبيب عن تفاصيل مرضها، ومكان ألمها، وقد يحسها ويعسها، ويمسها؟!!

ووالله ما قلت هذا عن ظن وجهالة مني، بل لقد رأيته بعيني، وسمعته بأذني!

أين الغيرة من بعض أشباه الرجال الذين يسكتون عن زوجاتهم، وهن ينظرن إلى عورات الرجال الأجانب، من الفنانين، واللاعبين، والناعقين والممثلين الفاسقين، بل يحملن ذلك في جواتهن، ويحفظن أسماء المغنين، والممثلين في ذواكرهن، بل قد يشاهد بعض السفهاء أفلاماً أجنبية، ومظاهر مثيرة، وما هو أعظم من ذلك مع زوجته، كما نسمع، وكم وكم نسمع، والله المستعان.

ألا قاتل الله أصحاب الغير الباردة، من أصحاب السفاهة والدياثة، وليبشروا بعقوبة الله لهم بأن الله لا يكلمهم، ولا ينظر إليهم، فقد قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزيكهم، ولا ينظر إليهم يوم القيامة ... ومنهم الديوث الذي يقر الخبث في أهله!».

نسأل الله أن يسترنا، وأن يحيي الغيرة في قلوبنا على أعراضنا ونسائنا، ونساء المسلمين أجمعين!

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم، ولجميع المسلمين، من كل ذنب؛ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم!



(الخطبة الثانية)

الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

أيها المسلمون، أيها الرجال الغيورون، إننا حين نتحدث عن غيرة الرجال على نساءهم، فإنه لا يفهم من كلامنا أن نجعل الرجال يتهمون نساءهم، فيصبح الرجل يتهم زوجته بعرضها، ويراقبها في مدخلها، ومخرجها، وإذا تكلمت في جوالها مع إحدى أقاربها شك في كلامها، واتصالها، إلى غير ذلك من جرح النساء في مشاعرهن، وكرامتهن، وخاصةً إذا لم تكن هناك قرينة تخدش في عرضها، وحياتها، وكرامتها، فقد ترمى المرأة بالسوء وهي بريئة منه؛ بسبب إتهام زوجها وإساءة ظنه بها!

قال سليمان بن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا تكثر الغيرة على أهلِكَ فترمى بالسوء من

أجلك» (١).

كذلك على الزوجة أن تغار على زوجها من نظره إلى غيرها، أو حب امرأةٍ سواها؛ لأنها له، وهولها، أو يكثر من الكلام بدون حاجة مع امرأةٍ لا تحل له ولا يحل لها.

ولا بد أن يُعلم أن الغيرة في الزوجين، وخاصة من الزوجة على زوجها، لا بد أن تكون معتدلة، ومنضبطة، وإلا ستجني على نفسها، وتخرّب بيتها، وتدمر حياتها مع زوجها.

فكم من امرأةٍ لعبت بها غيرتها، وجعلتها تعيش جحيماً مع زوجها، وتسببت في طلاقها، أو تزوّج زوجها عليها.

كم من رجل ما كانت فكرة الزواج بخاطره، ولا ذكّر النساء والتطلع إليهن من طبعه، وعادته، لكن غيرة زوجته العمياء، هي التي بغضت بها عند زوجها، وأصبح يكرهها، ويتمنى الخلاص منها.

أصبحت بعض النساء تعيش جنوناً مع زوجها، تراقبه في مدخله ومخرجه، وتقلب رسائل جواله، وقد تتهمه بعرضه، وتحاسبه على خروجه وعندما يتأخر في رجوعه.

كم من رجل جعل الله له مكانةً في مجتمعه، وجعله الناس قاضياً لهم، أو مفتياً لهم، يحل مشاكلهم، ويصلح بينهم، وقد يضطر إلى أن يسمع من المتخاصمين



يسمع من الزوج، ومن الزوجة، ليفتيهما، أو ليجعل هناك حلولا بينهما، لكن غير
امراته العوجاء، الهوجاء، تحول بينه وبين ذلك، وقد يحصل أعظم من ذلك، فقد
ذكر أن امرأة سمعت زوجها يذكر ما أعده الله للمؤمن في الجنة، من الحور العين،
فدعت الله أن يدخله وإياها النار!؛ والعياذ بالله!

دعت على نفسها أن تدخل النار مع زوجها، لماذا؟ لكيلا ترى زوجها يتزوج من
الحور العين اللاتي كان يتحدث عنها؛ نعوذ بالله من الضلالة، والجهالة!
إياك ثم إياك أيتها المرأة، من الغيرة التي تفسد حياتك، وتكون عذابا على
زوجك.

قال عبد الله بن جعفر لابنته في ليلة زفافها: «إياك والغيرة؛ فإنها مفتاح الطلاق!
نسأل الله القصد والسداد. وأن يهدينا، ونساءنا سبيل الرشاد».

كذلك من الحقوق المشتركة بين الزوجين، **التسامح، والتراضي بينهما؛** لأن
الحياة الاجتماعية، بما في ذلك العشرة الزوجية، لا تخلو من أخطاءٍ وزلات، وأن
الزوجين مهما حسنت عسرتهم، وتآلفت أرواحهما؛ فلا بد أن تحصل هناك
أمورٌ، وعاداتٌ يُنكرانها من بعضهما.

فينبغي إذا حصل بينهما، أو من أحدهما شيءٌ من ذلك أن يتسامحا، ويتراضيا،
ويسعيان في تطيب خواطرهما، وإدخال السرور على قلوبهما، وذلك بالاعتذار،
والتراضي.

وقد وصف النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ المرأة الصالحة: بأنها تعود، وترضي زوجها، فقد روى البيهقي، وصححه الألباني، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «نساءؤكم في الجنة الودود، العؤود على زوجها، التي إذا غضبت جاءت حتى تضع يدها في يده، ثم تقول: لا أذوق غمضاً حتى ترضى»^(١)

وينبغي أن يكون ذلك متبادلاً بين الزوجين؛ فهو مما يجلب الألفة بينهما، ويرسخ المحبة في قلوبهما.

قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لزوجته: «إذا رأيتني غضبت فرضني، وإذا رأيتك غضبا رضيتك، وإلا لم نصطحب»^(٢).

وإن إرضاء الزوجين لبعضهما لا يُنقص من قدرهما، ولا يضعف من شخصيتهما، بل هو يعبر عن المحبة، والمعزة في قلوبهما.

وعلى الزوجين أن يتسارعا، وأن يتسابقا في إرضاء بعضهما، ليفوزا بالثواب، والأجر عند ربهما، فخيرهما الذي يبدأ بالسلام، كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(١) رواه البيهقي في الشعب (٨٣٥٨).

(٢) فقه السنة (٢/ ٢٣٣).



كذلك من الحقوق المشتركة بينهما **حفظ أسرارهما**، وما يخصهما، خاصةً أمر فراشهما.

فأقرب الناس، وألصق الناس ببعضهما؛ هم الزوجان، لأن بينهما من الأسرار، ما ليس لغيرهما، فعليهما أن يحفظا أسرار بيتهما، وألا يطلعا غيرهما على ما يحصل بينهما، وفي بيتهما. على الزوجة ألا تُخرج أسرار زوجها، ولا ما يحصل في بيتها، فإن حصل بينها وبينه شيء فلا تطلع عليه أحداً، حتى لا يتوسع خلافهما، وتعظم قضيتهما، بسبب الحاسدين، أو الحاقدين لهما، أو بسبب من يعيرهما من أقاربهما، ولكن ليتصالحا، وليراضيا، ويتواضعا لبعضهما.

على المرأة ألا تظهر عيوب زوجها، لأقاربه أو أقاربها، سواءً فيما يتعلق بخلقه، أو بخلقه، أو ببخله، وقلة نفقته، إلا فيما لا بد منه.

كذلك على الزوج أيضاً ألا يخرج أسرار زوجته، فيما يتعلق بعيب جمالها، أو عدم خبرتها في إصلاح طعامها، أو نظافة بيتها، إلى غير ذلك من الأمور التي لا تخفى.

وليعلم الزوجان أن أكد ما يحفظان به أسرارهما، وأعظم الأمانة عند خالقهما؛ هو ما يتعلق بأمر فراشهما، الذي هو خاص بهما، فمن خالف ذلك منهما فقد عرض نفسه للعذاب، والعقوبة من الله تعالى، وصار من أشر الناس عند الله منزلة!

فقد روى مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يَفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتَفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا» (١).

وفي رواية مسلم -أيضا-: «إِنْ أَعْظَمَ الْأَمَانَةَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلُ يَفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتَفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا!» (٢).

وروى أبو داود، وصححه الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا مِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ شَيْطَانَةٍ، لَقِيَتْ شَيْطَانًا فِي السَّكَّةِ، فَقَضَى مِنْهَا حَاجَتَهُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ» (٣).

فليس من دينه، ومروءتك، ولا من قوامتك، ورجولتك، أن تجلس مع أصحابك، وتخبرهم عما فعلته مع امرأتك، أو ماذا قالت، وطلبت منك امرأتك، كما يلاحظ ذلك من بعض أصحاب السفاهة، والحماقة.

(١) رواه مسلم (١٤٣٧).

(٢) رواه مسلم (١٤٣٧).

(٣) رواه أبو داود (٢١٧٤).

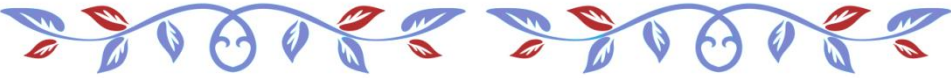


وليس من دينك أيتها الزوجة، ولا من حياتك، وما يتناسب مع أنوثتك؛ أن
تكلمي أخواتك، أو أقاربك، عما يريد منك زوجك، ولو كان ذلك منك تلميحا،
لا تصریحا، ولئن كان ذلك في الرجال قبيحا، فهو في النساء أشد قبحا!
هذا ما تيسر قوله، وجمعه، في هذا المقام، في الحقوق المشتركة بين الأزواج.
ونسأل الله أن يعين الأزواج على القيام بحقوق زوجاتهم، ويعينهن على
حقوق أزواجهن! أسأل الله أن ينفع بهذه الخطبة، والخطب التي قبلها، وأن ينفع
بها من حضرها ومن سمعها! أسأل الله أن يصلح نساءنا، وأن يصلحنا
لنساءنا.....





تم بحمد الله الجزء الأول من سلسلة الخطب المنبرية، ويليه الجزء الثاني.
نسأل الله أن ييسر بنشره، ووقفه على المساجد، والمراكز كما يسر بأوله،
وكان الفراغ من كتابة هذا الجزء الأول في مكة المكرمة، من يوم الإثنين،
الموافق للعشرين من شهر ربيع الأول، لعام ١٤٤٤، من الهجرة النبوية على
صاحبها أفضل الصلاة والسلام.



فهرس الكتاب

- ٥.....مُقْتَرَفَاتُ
- ١٠.....لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة.....
- ٢٢.....(الخطبة الثانية)
- ٣٠.....الظلم عقوبته في الدنيا قبل الآخرة.....
- ٤١.....(الخطبة الثانية)
- ٤٥.....إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة.....
- ٥٨.....(الخطبة الثانية)
- ٦٧.....انتشار الكذب في هذا الزمان.....
- ٨١.....(الخطبة الثانية)
- ٨٨.....الغناء رقية الزنا.....
- ٩٧.....(الخطبة الثانية)
- ١٠٢.....(الحجاب بين موت الغيرة، وقلة الحياء).....
- ١١٣.....(الخطبة الثانية)
- ١٢٠.....جريمة الزنا وانتشارها في هذا الزمان.....
- ١٣٤.....(الخطبة الثانية)
- ١٤٧.....الخمر والمسكرات وأضرار انتشارها.....
- ١٥٤.....(الخطبة الثانية)
- ١٦٤.....قصص ووقفات في عقوق الآباء والأمهات.....
- ١٧٢.....(الخطبة الثانية)

- ١٧٨..... لزوال الدنيا أهون عند الله من الدماء.....
 (الخطبة الثانية).....
 ١٨٨.....
 ١٩٦..... (سوء الظن وخطره على الفرد والمجتمع).....
 ٢٠٥..... (الخطبة الثانية).....
 ٢١٥..... مازال جبريل يوصيني بالجار.....
 ٢٢٨..... (الخطبة الثانية).....
 ٢٣٧..... (خطورة التساهل بالديون، وحقوق الآخرين).....
 ٢٤٩..... (الخطبة الثانية).....
 ٢٥٣..... (قاتل الأموال، والأجساد، والأوقات).....
 ٢٦٢..... (الخطبة الثانية).....
 ٢٦٩..... (تواضع ليرفعك الله).....
 ٢٨٢..... (الخطبة الثانية).....
 ٢٨٦..... وقفات مع بعض أخلاق سيد الأنام عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.....
 ٢٩٧..... (الخطبة الثانية).....
 ٣٠٦..... واجبنا نحو شبابنا.....
 ٣١٤..... (الخطبة الثانية).....
 ٣٢٤..... بعض علامات الساعة التي نعيشها في هذا الزمان.....
 ٣٣١..... (الخطبة الثانية).....
 ٣٣٦..... أربع إذا كانت معك، فقد ملكت الدنيا بمحذافيرها.....
 ٣٤٤..... (الخطبة الثانية).....



- ٣٥٤..... مواعظنا من فيروس كورونا.....
- ٣٦٦..... (الخطبة الثانية).....
- ٣٧٢..... خطورة العين وتأثيرها.....
- ٣٨٠..... (الخطبة الثانية).....
- ٣٨٥..... أهمية الرقية الشرعية وعظمة أثرها.....
- ٣٩٤..... (الخطبة الثانية).....
- ٤٠٠..... العلم نور والجهل ظلام.....
- ٤١٧..... (الخطبة الثانية).....
- ٤٢٤..... أحوال الناس في استقبال رمضان.....
- ٤٣٩..... (الخطبة الثانية).....
- ٤٤٦..... ما ينبغي فعله وتركه في رمضان.....
- ٤٥٩..... (الخطبة الثانية).....
- ٤٦٧..... مادامت روحك بين جنبيك؛ فهذا هي أفضل أيام الدنيا بين يديك.....
- ٤٧٥..... (الخطبة الثانية).....
- ٤٨١..... حافظوا على أوقاتكم، فكل يوم يمضي يقربكم إلى قبوركم.....
- ٤٩٢..... (الخطبة الثانية).....
- ٤٩٧..... عذاب القبر والرد على منكبيه.....
- ٥٠٥..... (الخطبة الثانية).....
- ٥١٥..... أهوال القيامة مشاهد تنخلع منها القلوب الجزء الأول.....
- ٥٢٤..... (الخطبة الثانية).....

- ٥٣٢..... أهوال القيامة مشاهد تنخلع منها القلوب/ الجزء الثاني
- ٥٤٣..... (الخطبة الثانية)
- ٥٤٩..... بعض أوصاف الجنة - الجزء الأول -
- ٥٥٩..... (الخطبة الثانية)
- ٥٦٥..... بعض أوصاف الجنة - الجزء الثاني -
- ٥٧٦..... (الخطبة الثانية)
- ٥٩٠..... بعض أوصاف النار
- ٦٠٠..... (الخطبة الثانية)
- ٦٠٩..... الزواج حصن حصين للشباب
- ٦١٩..... (الخطبة الثانية)
- ٦٢٦..... مخالفات الزواج، ومنكرات الأعراس
- ٦٣٦..... (الخطبة الثانية)
- ٦٤٢..... عظمة حق الزوج على زوجته
- ٦٥٧..... (الخطبة الثانية)
- ٦٧٢..... حق الزوجات على أزواجهن
- ٦٨١..... (الخطبة الثانية)
- ٦٨٦..... حقوق مشتركة بين الزوجين
- ٧٠٠..... (الخطبة الثانية)
- ٧٠٦..... حقوق مشتركة بين الزوجين الجزء الثاني
- ٧١٨..... (الخطبة الثانية)
- ٧٢٦..... فهرس الكتاب

